

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
كلية الدعوة والاعلام
الدراسات العليا
قسم الدعوة والاحتساب

اساليب المشركين في الصد عن الدعوة في العهد المكي ومظاهرها في الحاضر

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد

حمزة بن سليمان الطيار

المعيد في قسم الدعوة والاحتساب

إشراف فضيلة الشيخ

الدكتور / زيد بن عبد الكريم الزيد

عميد كلية الدعوة والاعلام

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والإعلام

الدراسات العليا

قسم الدعوة والاحتساب

أساليب المشركين في الهدى عن الدعوة في العهد المكي ومظاهرها في الحاضر

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد

حمزة بن سليمان الطيار

المعيد في قسم الدعوة والاحتساب

إشراف فضيلة الشيخ

الدكتور/ زيد بن عبد الكريم الزيد

عميد كلية الدعوة والإعلام

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

القدمة

* توطئة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد: فقد جرت سنة الله -تعالى- أن يقوم الصراع في هذه الحياة الدنيا بين الحق والباطل، ويستمر على مرّ الأزمنة والعصور، إلى أن يرث الله - سبحانه وتعالى- الأرض ومن عليها، وذلك لحكم عظيمة عرف الإنسان منها ما استطاع معرفته، وخفي عليه منها ما استأثر الله به. وإنّ من أبرز حكم وجود هذا الصراع:

- أ - ابتلاء أهل الحق وتمحيصهم، قال تعالى: ﴿وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾^(١)، وقال عزّ من قائل: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾^(٢).
- ب - إقامة الحجة على العباد، وقطع أعدارهم، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة.

^(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٤١.

^(٢) سورة محمد الآية رقم ٣١.

❖ أهمية الموضوع وسبب اختياره:

إنَّ من يتأمل سير الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - مع أقوامهم، وسير العلماء العاملين، والدعاة المخلصين مع بني جلدتهم يتبين له حتمية ٨ ذا الصراع وعدم إمكان الانفكاك عنه بحالٍ من الأحوال، فسبحان العليم الحكيم. ولم يكن المصطفى - ﷺ - بدعاً من الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - حيث ووجه منذ بعثته بما ووجه به إخوانه، بل ربما بأشد وأنكى، خصوصاً في العهد المكي، ومن قرأ تاريخ الدعوة في هذه المرحلة تجلى له ذلك جلاء الشمس في رابعة النهار ليس دونها سحاب، حيث لقي النبي - ﷺ -، وأصحابه - رضوان الله عليهم -، من المواجهة والمشقة والعنت من لدن مشركي قريش وغيرهم ما لا يصبر عليه إلا من ثبته الله وشدّ أزره. وقد تفنن المشركون في أساليب الصد عن هذه الدعوة المباركة، محاولة منهم لإخماد جذوتها قبل أن تستعر، وخنقها في مهدها قبل أن تترعرع وتنتشر، فباعت جهودهم بالفشل، وبأؤوا من الخسران بما سوّد وجوههم دنيا وأخرى، كما قال تعالى عنهم: ﴿يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متمر نورا

ولو كره الكافرون﴾. (١)

وصدق فيهم قول القائل:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل.

وقول القائل:

يا ناطح الجبل العالي ليفلقه

أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

(١) سورة الصف، الآية رقم ٨.

ولم تنته المواجهة بين الدعوة وخصومها بانتصارها وظهورها، بل استمرت إلى يومنا هذا، وستظل كما أسلفنا إلى قيام الساعة.

وحيث إن الله - تعالى - وفقني ويسر لي الالتحاق بهذا الصرح العظيم، صرح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأكرمني باجتياز السنة التمهيدية المنهجية بقسم الدعوة والاحتساب، فقد اخترت موضوع بحثي لنيل درجة الماجستير حول الصراع بين الحق والباطل، فكان عنوان الرسالة:

﴿أساليب المشركين في الصد عن الدعوة في العهد المكي ومظاهرها في الحاضر﴾

ومما دعاني إلى اختيار هذا الموضوع، عدة أمور منها:

١- كشف أساليب المشركين في الصد عن الدعوة في العهد المكي، وذلك من أجل الوقوف على الجذور القديمة التي قام عليها الكيد للدعوة الإسلامية فيما بعد.

٢- معرفة منهج الدعوة القولي والعملية في مواجهة تلك الأساليب، حتى تكون هذه المعرفة زاداً وعدةً للدعاة في هذا العصر، يواجهون بها تلك الأساليب ذاتها، أو بعضاً منها.

٣- معرفة مآلات أساليب المشركين من مظاهر في العصر الحاضر، وطرق مواجهتها على ضوء ما وُجّهت به أساليب أسلافهم، وزيادة ماتدعو إليه الحاجة في الوقت الحاضر.

٤- شحذ همم الدعاة وحثهم على الصبر والمصابرة، وذلك بعرض هذه الأساليب التي قوبلت بها الدعوة في أيامها الأولى، وكيف واجهها ذلك الرعيل الفاضل، بقيادة رسول الله - ﷺ -.

٥- بيان سنة الله - تعالى - في تمحيص المؤمنين كما سبق ذكره في بداية هذه المقدمة.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أنّ بعض الناس يظن أنّ المواجهة والابتلاء إنما هي نتيجة أخطاء فحسب، وأنّ الذي لا يخطيء لا يواجه ولا

يبتلى، ولا شك أن هذا ظنٌ خاطيء، لذلك أردت الكتابة عن هذا الموضوع،
ليبان هذه السنة الإلهية التي لا تتغير ولا تتبدل.

٦- الإسهام ولو بشيء يسير في حقل الدعوة إلى الله - عز وجل - من حيث
الجانب التنظيري الذي هو الأساس للجانب العملي الموفق في حقل الدعوة
إلى الله، والتصدي العلمي لخصومها.
*** تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً:**

الأسلوب لغة:

هو الطريق الممتد، والسطر من النخيل، والوجه، والمذهب، والشموخ في
الأنف، وعنق الأسد، والفنون المختلفة.^(١)
ويقال الأسلوب: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي: أفانين منه.^(٢)
والجمع أساليب.^(٣)

الأسلوب اصطلاحاً:

لقد تبين من المعاني اللغوية أن الأسلوب قد يطلق على الفنون المختلفة، وهو
معنى عام يحوي كل فن يسلكه السالك، وبأي شكل، وأساليب خصوم الدعوة
متنوعة ومتعددة، ولمحاولة تحديد معنى اصطلاحى يتناسب مع مضمون هذا
البحث يمكن القول بأن المقصود بالأساليب هنا هي:
مجموعة من الطرق التي يسلكها خصوم الدعوة لمواجهتها.^(٤) ومن هنا يبدو
لنا أن التعريف الاصطلاحى مأخوذ من المعنى اللغوي.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة سلب، ٤٧٣/١، ط: - ١، دار صادر، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. والفيروز أبادي

القاموس المحيط، مادة سلب، ٨٣/١، ٦ [ب : ط]، دار الحديث، القاهرة.

والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داودي، ص ٤١٩، ط: ١، دار القلم، دمشق، والدار

الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٤٧٣/١.

(٣) انظر المرجع السابق، ٤٧٣/١.

(٤) انظر محمد الفتاح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص ٢٤٢، ط: ١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

* الدراسات السابقة:

بعد الاستقصاء والبحث والقراءة المركزة لم أجد دراسة متخصصة علمية مستقلة في هذا الموضوع وإن كثرت الإشارة إليه في مواضع مختصرة في بعض الدراسات.

وهذا استعراض مجمل لما اطلعت عليه من هذه الدراسات:

١- العوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم^(١).

وهذا البحث مكون من مقدمة وبابين وخاتمة.

ففي الباب الثاني وفي الفصل الثاني منه وتحت عنوان: وسائل الوثنيين في المعارضة ومواقفهم ضد الإسلام، كتبت الباحثة بعض وسائل المشركين والتي واجهوا بها الدعوة الإسلامية، حيث اقتصرت على ذكر بعض الوسائل النظرية مثل اتهام الرسول - ﷺ - بالسحر ووصفه بأنه مسحور وأنه شاعر وكاذب ومجنون وكاهن وبأن القرآن أساطير الأولين، كذلك استخدام أسلوب الاستهزاء والسخرية واللغو عند سماع القرآن، كذلك المساومة بالجاه والمال والملك وأسئلة التعجيز والتعنت وذلك بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً أو تكون له جنة من نخيلٍ وأعنابٍ يتفجر الأنهار خلالها تفجيراً وأن يأتي بالله والملائكة قبيلاً، وهذا كله واقع في حدود الصفحات من ١٥٩ - ١٧٤، وقد ذكرته مرتبباً بما قبله، فجاء بإيجاز وفيه ركزت الباحثة على موضوع بحثها، وفرق بين موضوعي وموضوعها من كل الزوايا.^(٢)

(١) هذه الرسالة للباحثة سميرة محمد عمر محمود، تقدمت بها إلى جامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه عام ١٤٠٧ هـ وتولى

الإشراف عليها أ - د. بركات ديويدار، والرسالة مطبوعة، نشر دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة.

(٢) سيتضح ذلك في ص (١٠). عند ذكر الجديد الذي سيأتي به الباحث.

٢ - الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها^(١).

هذا البحث مكون من مقدمة وبايين وخاتمة.

ففي الفصل الرابع من الباب الأول وتحت عنوان: المجابهة، ذكر الباحث أموراً أربعة.

والذي يخصنا منها امرين هما:

١ - المعالم التاريخية للمجابهة في العهد المكي.

٢ - المجابهة الثقافية.

فذكر الباحث تحت الأول عدة أساليب مادية قام بها المشركون لمواجهة الدعوة في عهدها المكي منها: المساومة بالمال والجاه والملك، والأذى للنبي - ﷺ - ولأصحابه - رضي الله عنهم - والمقاطعة والتعننت بطلب المعجزات.

وهذا كله واقع في حدود الصفحات من (٣٦٣ - ٣٨٨).

أما الأمر الثاني فقد خصصه الباحث للأسلوب النظري الذي قام به المشركون أيضاً في مواجهتهم للدعوة الإسلامية حيث اقتصر على قيام قريش باللغو في القرآن ومعارضته بقصص فارس وأدبها وحكاياتها. وهذا كله من ص(٤٣٩ - ٤٤٤).

٣ - منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام^(٢).

وقد قسم الباحث البحث إلى: مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة. وكتب الباحث في الفصل الثاني من الباب الثالث بعنوان: دحض شبهات المشركين حول الرسالة، ثلاثة مباحث وهي:

(١) هذه الرسالة للباحث رؤوف شلي تقدم بها لكلية أصول الدين في جامعة الأزهر لنيل درجة الدكتوراه والرسالة مطبوعة.

(٢) هذه الرسالة للباحث حمود بن أحمد فرح الرحيلي، تقدم بها إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : قسم الدراسات العليا، شعبة الدعوة لنيل درجة الدكتوراه عام ١٤٠٧ هـ. وتولى الإشراف عليها الدكتور عبد الفتاح سلامة.

المبحث الأول : دحض أكاذيب المشركين على القرآن.

المبحث الثاني : دحض مفترياتهم على الرسول - ﷺ - .

المبحث الثالث : في إعناتهم للرسول - ﷺ - .

فذكر في المبحث الأول أربعة اتهامات للقرآن الكريم وهي:

١- زعمهم بأن القرآن أساطير الأولين.

٢- زعمهم بأن الرسول - ﷺ - تلقاه عن بشر.

٣- زعمهم بأن القرآن سحر أو كهانة.

٤- زعمهم بأن القرآن شعر.

وهذا كله من ص ٤٤٣ وحتى ٤٦٠.

وذكر في المبحث الثاني ثلاثة أمور وهي:

١- الاعتراض على بشرية الرسول - ﷺ - .

٢- اتهام الرسول - ﷺ - بالجنون.

٣- اتهام الرسول - ﷺ - بالافتراء والكذب.

وهذا في حدود الصفحات من ٤٦١ وحتى ٤٧٣.

وفي المبحث الثالث: ذكر أسلوب التعجيز الذي استخدمه المشركون

لمواجهة الرسول - ﷺ - وذلك بطلب المعجزات والخوارق مثل إنزال الملك

وتفجير الأرض ينبوعاً وإسقاط السماء والإتيان بالله والملائكة قبيلًا.

وقد اقتصر الباحث على بعض الطلبات التي طلبها المشركون دون البعض.

كما أنه اقتصر على المواجهة النظرية دون المادية. ومع اقتصاره على

المواجهة النظرية أيضاً لم يذكر إلا مواجهتهم للقرآن والرسول - ﷺ - دون

مواجهتهم للمدعو المسلم، وغير المسلم.

وهذا من ص ٤٧٤ - ٤٧٩.

٤ - الدعوة في عهدنا المكي^(١).

وهذا البحث مكونٌ من: مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة. وفي الفصل الثالث من الباب الثالث ذكر الباحث عنواناً وهو: القوى المضادة وذكر تحت هذا العنوان مبحثاً بعنوان: موقف قريش من الدعوة، حيث ذكر في هذا المبحث بعض الأساليب التي واجهت بها قريش الدعوة الإسلامية، مثل: أسلوب التكذيب والاستعلاء والتحقير. وذلك من ص ٣٥٧ وحتى ص ٣٨٣.

٥ - دوافع الإنكار في العهد النبوي وسبل علاجها^(٢).

وقد قسم الباحث البحث إلى: مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. ففي الفصل الثالث الذي يحمل عنوان: دوافع الإنكار ذكر الباحث عدة مباحث، ففي المبحث الأول من هذا الفصل وعنوانه: دافع الكبر، ذكر عدة مطالب. حيث ذكر في المطلب التاسع "آثار الكبر" عدة أمور منها:

- ١- الاستهزاء، فذكر تحت هذا بعض استهزاء المشركين للرسول - ﷺ - وذكر مجملاً بعض الألقاب التي وصفوه بها من سحر وكهانة ورمي بالجنون. وكذلك استهزاءهم بالذين آمنوا به.
- ٢- التمرد والعناد: حيث أشار في هذا العنوان تحدي المشركين للرسول - ﷺ - وطلبهم منه تحقيق بعض المستحيلات، مثل: بعث الآباء والأجداد السابقين، وتحويل جبال مكة ذهباً وإنزال الملائكة.
- ٣- الصد عن الحق: وذكر في هذا حرصهم في منع الناس من الدخول في الإسلام الذي يدعو إليه محمد - ﷺ -.

^(١) هذه الرسالة للباحث ممدوح عبد العزيز افياتي تقدم بها إلى قسم الدعوة والاحتساب بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإسام عام ١٤٠٢هـ - ١٤٠٣هـ لنيل درجة الماجستير، وتولى الإشراف عليها الدكتور محمد صالح محيي الدين.

^(٢) هذه الرسالة للباحث عبد الرحمن بن يوسف الملاحي تقدم بها إلى قسم الدعوة في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام بالرياض لنيل درجة الماجستير عام ١٤١٣هـ وتولى الإشراف عليها د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي.

٤- الأذى والقتل: وأشار الباحث تحت هذا إلى بعض ما يجده من يعتق هذا الدين من أذى وتعذيب بشكل مجمل.

وفي المبحث الثالث من هذا الفصل أيضاً وعنوانه: دافع الحسد، ذكر الباحث عدة مطالب، ففي المطلب الخامس "أثار الحسد" ركز الباحث فيه على بعض الشواهد في العهد المدني، ولكنه أشار إشارات خفيفة إلى مواقف في العهد المكي صورتها الهمز واللمز والغمز والهمس.

٦ - الابتلاء في طريق الدعوة إلى الله^(١)

والبحث مكون من مقدمة وفصلين وخاتمة.

ففي المبحث الثالث من الفصل الأول، وعنوانه: بعض نماذج الدعاة المبتلين. أشار الباحث فيه إلى ابتلاء الأنبياء والصحابة. ويقع في الصفحات من ٣٣- ٤٨

فذكر من الأنبياء محمداً - ﷺ -، حيث ذكر بعض الاتهامات التي قابل المشركون بها الرسول - ﷺ - دون البعض الآخر، مثل: اتهامه بالكذب وأنه صابيء. والاستهزاء به والسخرية منه.

كما أشار إلى استخدام المشركين للقوة والتعذيب ضد الرسول - ﷺ -، وهي إشارات يسيرة، مثل: طرح الشوك في طريقه، وخنقه، ووضع سلا الجزور عليه وهو ساجد.

وفي ذكره لابتلاء الصحابة اقتصر على ذكر المواجهة الخاصة دون العامة، حيث مثل لعدد منهم مثل: أبي بكر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأهل بيته رضي الله عنهم أجمعين.

^(١) هذا البحث من إعداد الطالب عبد الله بن معتوق المعتوق، تقدم به إلى قسم الدعوة والاحتساب بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام، فرع المدينة المنورة، عام ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ، وقد أشرف على البحث الدكتور أحمد الخراط وهو بحث مكمل للماحستير.

٧ - الحرب النفسية في عصر النبوة. (١)

وهذا البحث عبارة عن مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. فقد ذكر الباحث في الفصل الثالث وعنوانه: أساليب الحرب النفسية في عصر النبوة، مبحثاً بعنوان: نماذج من أساليب الحرب النفسية التي شنّها الأعداء في عصر النبوة، فذكر في هذا المبحث عدة أساليب بشكل مجمل مثل: التكذيب والأذى. وحملات الدعاية الزائفة، وأسلوب السخرية، والتهكم والاستهزاء، واستعمال التشويش الضال واللغظ الباطل وغير ذلك.

* النتائج والجديد الذي سيأتي به الباحث:

١ - لم تتعرض الدراسات السابقة لمعظم أساليب الخصوم القولية والعملية التي هي لبُّ البحث، عدا كونها ذكرت بشكل مجمل.

وهذا البحث - إن شاء الله - سيحاول تتبع جميع الأساليب المتعلقة بموضوعه قولية كانت أو عملية، وذلك بالرجوع إلى كتاب الله، وسنة رسوله - ﷺ -، وكتب السيرة القديمة والحديثة، ومن ثم تبويب تلك الأساليب وتصنيفها وتحليلها.

٢ - وإدراكاً لأهمية البحث في عرض هذه القضية بصورة تختلف عما هو موجود فيما كتب، حيث غلب عليه الرصد، فإنه مع ما سبق يهدف إلى معرفة ما لهذه الأساليب من مظاهر في العصر الحاضر.

ومن هنا يتبين أن هذا الموضوع جدير بالبحث فهو شامل لمعظم أساليب المشركين في العهد المكي.

ومما يؤكد أهمية هذا الموضوع بالنظر إلى الجديد الذي سأتي به - إن شاء الله - ذكره لمنهج الدعوة في مواجهة تلك الأساليب. وكيفية الإفادة من هذه المواجهة تجاه مظاهر تلك الأساليب في العصر الحاضر أو ما يستجد منها.

(١) هذا البحث للطالب عبد الرحمن ناصر الهزاع، تقدم به إلى قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام بالرياض، عام ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ، وتولى الإشراف عليه الدكتور جلال عبد الحميد موسى. وهو بحث مكمل للماجستير.

* المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة:

من البدهي أن لكل بحث علمي مشكلة معينة يحاول الباحث أن يدرسها أو يجيب على أسئلة معينة بخصوصها.

فالبحث العلمي ليس كما يتصور البعض - خطأ - مجرد تجميع بيانات ومعلومات وتصنيفها بما يؤدي إلى زيادة المعرفة الإنسانية، دون أن يكون هناك تصور واضح لمشكلة معينة يحاول الباحث أن يجيب على تساؤلات بخصوصها.^(١)

ومما بدا لي وأنا أجمع الخطوط الدعوية في العهد المكي أن هناك سيطرة للتاريخ الإسلامي والسير على المسائل الدعوية، خاصة أساليب المشركين في العهد المكي، مما يجعل كثيراً من الدعاة يقومون بسرد الوقائع التاريخية دون تمييز بين القيمة الدعوية والواقعة التاريخية، وقد حاولت جاهداً أن أبلور المشكلة البحثية في هذه التساؤلات:

- كيف بدأت الدعوة في العهد المكي؟
- ما موقف كفار قريش من الدعوة في بدايتها؟
- ما الأساليب القولية التي اتخذها المشركون في الصد عن الدعوة الإسلامية؟
- ما الأساليب العملية التي اتخذها المشركون في الصد عن الدعوة الإسلامية؟
- ما منهج الدعوة القولي في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي؟
- ما منهج الدعوة العملي في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي؟
- ما مظاهر أساليب مشركي مكة في العصر الحاضر؟
- ما طرق مواجهتها؟

^(١) انظر د. فاروق يوسف أحمد، قواعد المنهج العملي، ص ٨، ط ١، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٥م.

* حدود البحث الزمنية :

وهي المدة من: بداية بعثة المصطفى - ﷺ - ، وحتى وصوله - ﷺ - المدينة مهاجراً.

* نوع الدراسة ومنهج البحث والباحث وطريقته فيه:

أولاً: نوع الدراسة ومنهج البحث:

بمشيئة الله تعالى، دراستي تأصيلية. ومنهجي فيها استقرائي^(١) حيث سأقوم باستقراء النصوص من كتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - وأطرح الحقائق التي أخرج بها من هذه النصوص بغرض استنباط نتيجة من وراء هذه الحقائق، واستردادي (تاريخي)^(٢) حيث يوظف لخدمة الوثائق التاريخية بعد أن نميز الغث من السمين وبعد الوقوف على الحقيقة التي أبغيتها من خلال هذين المنهجين، أقوم بوضعها - إن شاء الله - في قالب دعوي يقدم للداعية والمدعو، وموضوع الدعوة في بحثي مادة علمية مفيدة بإذن الله.

ثانياً: منهج الباحث في بحثه وطريقته فيه:

أما عملي في البحث: فلا شك أن مادة البحث كانت وفيرة جداً، ومصادرها الأساسية كالتالي:

- (١) القرآن الكريم وعلومه.
- (٢) السنة النبوية وشروحها.
- (٣) كتب السيرة النبوية.

(١) الاستقراء في الأصل يطلق على المنهج التجريبي، ويستخدم في العلوم النظرية (عند علماء المسلمين تسمى العلوم التأصيلية)، وهو يعني التفكير التأملي لقياسات أجريت في آن واحد، أو طرح حقائق متعددة بغرض استنباط نتيجة من وراء هذه الحقائق. انظر مناهج الأدب ومصادره واختيار البحوث وإعدادها، أ.د. سعد إسماعيل شلي. ص ٨٢٧، (ط: ١) ١٤٠٥هـ. دار التزكي للطباعة. تبصر.

(٢) مهمة علم التاريخ أن يقوم بعمل مضاد للزمن، إنه يحاول أن يسترد أحداث الزمان ويتم ذلك في الذهن فقط، بعد جمع الوثائق ونقلها داخلياً وخارجياً. المرجع السابق. ص ١٥، ١٦.

بالإضافة إلى ما أُلّف حديثاً، من كتابات ودراسات إسلامية، أو كتابات كتبها أعداء الإسلام عن الإسلام، ورسوله -ﷺ- .

أما طريقتي في التعامل مع المصادر والمراجع فعلى النحو التالي:

(١) النقل بالنص للكلام الذي فيه ارتباط بمادة البحث ومن ثم أعزو هذا الكلام إلى مصدره في الهامش مباشرة، بذكر اسم المؤلف، واسم الكتاب، ثم الجزء، والصفحة ثم الطبعة إن وجدت ثم الناشر ومكان النشر وسنة النشر وهو ما يعرف بالتوثيق العلمي.

(٢) أو التصرف بالكلام الذي له ارتباط بمادة البحث وموضوعه عند الحاجة، وأعزو ذلك الكلام بالهامش لمصدره، مُصدراً ذلك بكلمة: ((انظر)) حسب الترتيب السابق للمعلومات عن ذلك المصدر أو المرجع، كما أن هناك الدخول بين تلك النصوص، لإبراز شخصية الباحث كالتعليق على الأساليب، أو وضع مقدمة لها أو خاتمة، ونحو ذلك.

أمّا العزو للآيات القرآنية والتخريج للأحاديث النبوية، في هذا البحث فهي كالتالي:

أولاً: الآيات: فيذكر في الهامش اسم السورة التي تتبع لها الآية المستشهد بها، ثم يذكر رقمها إن كانت الآية كاملة، وإن كانت ناقصة قيل: جزء من الآية رقم كذا وكذا. وهكذا الحال إن تعددت الآيات.

ثانياً: الأحاديث: فإن كان الحديث في الصحيحين، فيقتصر عليهما أو على أحدهما. وإن لم يكن في الصحيحين، ذكرت أغلب من خرّجه من علماء الحديث ومن ثمّ أذكر حكمهم عليه.

وإن لم يكن ذلك النص في كتب الحديث، فإني أعزوه إلى مصدره من كتب السيرة كسيرة ابن هشام، وابن كثير، والذهبي، وغيرهم. أضف إلى ذلك أن أغلب تلك النصوص إنما هي زيادة بيان لما أثبتته القرآن من تلك الأساليب وغيرها، وكفى بالقرآن دليلاً.

أمّا ترجمة الأعلام، فقد ترجمت كل علمٍ مرّ في البحث، عدا -الأنبياء والرسول -عليهم الصلاة والسلام- وعباد الذين لم أقف على ترجمة لهم وقد بينت ذلك بعد بحث طويل. أمّا من كان على قيد الحياة من أولئك الأعلام فلم أترجم لهم، وهم قلة.

أمّا الألفاظ الغامضة، فقد شرحت منها ما استعصى على الفهم، وما يحتاج إلى مزيد بيانٍ وتوضيحٍ، وذلك في الهامش، وهذا غالباً ما يكون في ألفاظ متون الأحاديث.

وقد توجّهت البحث بفهاريس جاءت على النحو التالي:

(١) فهرس الآيات الكريمة.

(٢) فهرس الأحاديث والآثار.

(٣) فهرس الأعلام.

(٤) فهرس المراجع.

(٥) فهرس الموضوعات.

*** تقسيم البحث: وهو يتكون من الآتي:**

المقدمة، وقد سبق بيان محتوياتها آنفاً.

الفصل التمهيدي، ويشتمل على ما يلي:

(١) بداية الدعوة.

(٢) موقف كفار قريش منها.

الفصل الأول، وقد ذكرت فيه أساليب المشركين في الصد عن الدعوة في

العهد المكي، وتحت مبحثان:

المبحث الأول: الأساليب القولية.

المبحث الثاني: الأساليب العملية.

الفصل الثاني، وقد ذكرت فيه منهج الدعوة في مواجهة أساليب المشركين في

العهد المكي، وفيه مبحثان - أيضاً -:

المبحث الأول: منهج الدعوة القولي في مواجهة أساليب المشركين.

المبحث الثاني: منهج الدعوة العملي في مواجهة أساليب المشركين.

الفصل الثالث، وذكرت فيه مظاهر أساليب مشركي مكة في العصر الحاضر، وطرق مواجهتها، وفيه مبحثان - أيضاً -:

المبحث الأول: مظاهر تلك الأساليب.

المبحث الثاني: طرق مواجهة تلك المظاهر.

الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث في هذا الموضوع، كما تتضمن بعض التوصيات التي ظهر لي أنها نافعة بإذن الله - عز وجل -.

الفهارس، وقد سبق الحديث عنها عند الكلام عن منهجي في البحث من هذه المقدمة.

هذا وإني أقدم هذا البحث وأنا أعلم سلفاً أنه لن يخلو من سقطات وأخطاء فاتني تفاديها رغم بذل الجهد واستفراغ الوسع، ولم تكن عن عمدٍ أو قصد، وعزائي في ذلك انتفاء العصمة عن غير الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام -، والكمال لله - عز وجل -.

*** الصعوبات التي واجهت الباحث:**

أما الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذا البحث، فتكمن في تفرق مادة هذا البحث في العديد من الكتب، مما يستوجب جمعها ودراستها وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً لا يفي به الوقت المخصص لإعداد رسالة الماجستير، إلا بمضاعفة الجهد ومواصلة عمل الليل بالنهار، وماعدا ذلك فهي صعوبات تواجه أي باحث يريد الحديث عن مفردات بحثه، وإشباع تقسيماته.

* شكر وتقدير:

وختاماً لهذه المقدمة فأني أشكر الله - عز وجل - على التيسير والتسهيل، ثم أشكر فضيلة الشيخ المشرف الدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد على ما أولاه لي من اهتمام بالغ، ومتابعة مستمرة كان لهما الأثر البالغ في تقديمي وتقديمي لهذا الجهد، فأفضاله - وفقه الله - سابقة، وخدماته سالفه.

كما أشكر كلَّ من قدّم لي يد العون والمساعدة من المشايخ وطلبة العلم والزملاء.

أسأل الله - جل وعلا - أن ينفع بهذا البحث وأن يجعل العمل فيه خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في موازين حسناتي وحسنات والديّ ومشايخي. إنّه ولي ذلك والقادر عليه، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل التمهيدي

وفيه:

١ - ~~بداية الدعوة:~~

- ~~البعثة النبوية.~~
- ~~بدء الوحي.~~
- ~~فترة الوحي.~~
- ~~المقصود بهذه الفترة.~~
- ~~الحكمة من هذه الفترة.~~
- ~~عودة الوحي وتابعه.~~
- ~~المرحلة السريية.~~
- ~~المقصود بهذه المرحلة.~~
- ~~الحكمة من هذه السرية.~~
- ~~المرحلة الجهرية.~~

٢ - ~~موقف قريش منه:~~

أولاً: بداية الدعوة:

* البعثة النبوية:

لما بلغ - ﷺ - من العمر أربعين سنة^(١)، أشرقت عليه أنوار النبوة، وأكرمه الله - تعالى - برسالته، وبعثه إلى خلقه واختصه بكرامته، وجعله أمينه على وحيه^(٢)

وقد شذت رواية تفيد أن عمره كان ثلاثاً وأربعين سنة^(٣)، كما وردت روايات أخرى تفيد غير ذلك ليس هذا مكان بسطها.^(٤)

والذي ذكر هو المروي في الصحيحين وهو الصواب المشهور الذي اجتمع عليه العلماء، وهو الصحيح عند أهل السير وأهل العلم بالأثر وغيرهم^(٥)

واختلف في شهر المبعث، فقيل في شهر رمضان^(٦) المبارك وقيل في شهر ربيع الأول^(٧)،

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي - صلى الله عليه وسلم -، ١٣٠٣/٣، رقم ٣٣٥٥، ٣٣٥٤. وكتاب فضائل الصحابة، باب مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ١٣٩٨/٣، رقم ٣٦٣٨. ط : ٤، دار ابن كثير، واليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومبعثه، وسنه، ١٨٢٤/٤، رقم ٢٣٤٧. ط : ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ١٨/١، [ب : ط]، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) انظر صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي، ٩٩/١٥، [ب : ط]، دار الريان للتراث، مصر، ١٤٠٧هـ.

(٤) ذكرها ابن حجر، في فتح الباري، ٧٠٧/٦، ط : ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م. وحكم على بعضها بالبعد والشذوذ. والزرقاني، شرح المواهب اللدنية، ٢٠٧/١، ط : ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ، وحكى شذوذ بعضها

(٥) انظر صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي، ٩٩/١٥. والزرقاني، شرح المواهب اللدنية، ٢٠٧/١. وابن سيد الناس، عميون الأثر، تحقيق د/ محمد الخطراوي، وعي الدين متو، ١٧٥، ١٧٤/١، ط : ١، مكتبة دار التراث المدنية، ودار ابن كثير، دمشق، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

(٦) انظر ابن حجر، الفتح، ٤٢/١، ٧٠٧/٦. وابن يوسف، سبل الهدى والرشاد، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ٣٠٣/٢، [ب : ط]، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٧) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ١٨/١. وابن كثير، البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه د. أحمد أبو ملحم وزملاؤه، ٦/٣، ط : ١، دار أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

وقيل: في شهر رجب ^(١)، والأول هو المشهور والذي اختاره الجمهور ^(٢).
والقائلون في رمضان منهم من يقول: في سابعه ^(٣)، ومنهم: في رابع عشره ^(٤)
ومنهم: في السابع عشر منه، ^(٥) ومنهم: في الثامن عشر، ^(٦) ومنهم في الرابع
والعشرين منه ^(٧) وما ذكر من أنه في السابع عشر من رمضان هو الراجح،
لأن من ذكروه استشهدوا لتحقيق ذلك بقول الله - تعالى - ﴿وما أنزلنا
على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ ^(٨). وذلك ملتقى رسول
الله - ﷺ - والمشركين ببدر، وأن النقاء رسول الله - ﷺ - والمشركين
ببدر صبيحة سبع عشرة من رمضان. ^(٩)
أما اليوم الذي نزل فيه القرآن فهو يوم الاثنين، وهذا مما لا خلاف فيه بين
أهل.....

^(١) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ١/١٨٠. وابن يوسف، سبل الهدى والرشاد، ٢/٣٠٣.

^(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٥/٨٤، ط: ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [ب: ت] وابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٧٠٦. وابن حجر الفتح، ٦/٧٠٧. قد يقول قائل: القول بأن بعثته كانت في شهر رمضان يعارض كونه بعث على رأس الأربعين كما هو ثابت في الصحيح. والجواب على ذلك نقول: أنه - صلى الله عليه وسلم - حصلت له البعثة حين تم أربعين سنة وذلك في شهر ربيع الأول أما ابتداء تنزيل القرآن عليه فهو في شهر رمضان المبارك، وكانت الفترة التي بين البعثة والتنزيل وهي ستة أشهر، هي فترة الرؤيا الصالحة. يقول ابن حجر: حكى البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر، وعلى هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده وهو ربيع الأول بعد إكماله أربعين سنة، وابتداء وحى اليقظة وقع في رمضان ويقول أيضاً: والمشهور عند الجمهور أنه ولد في شهر ربيع الأول وأنه بعث في شهر رمضان، فعلى هذا يكون له حين بعث أربعون سنة ونصف أو تسع وثلاثون ونصف، فمن قال أربعين ألغى الكسر أو جبر، انظر ابن حجر، الفتح، ١/٣٦٦. ٦/٧٠٧.

^(٣) انظر ابن يوسف، سبل الهدى والرشاد، ٢/٣٠٣.

^(٤) انظر المرجع السابق، ٢/٣٠٣.

^(٥) انظر ابن سعد، الطبقات، ١/١٩٤، [ب: ط]، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١/٥٢٨، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

^(٦) انظر المرجع السابق، ١/٥٢٨. والمقرئزي، إمتاع الأسماع، تحقيق وتعليق محمد النميسي وزميله، ١/٣٩، ط: ١ الناشر دار الأنصار القاهرة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

^(٧) انظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١/٥٢٨. وابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٧٠٦. والمقرئزي، الإمتاع، ١/٣٩.

^(٨) سورة الأنفال، جزء من الآية رقم ٤١.

^(٩) انظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١/٥٢٨، ٥٢٩.

العلم.^(١)

* بدء الوحي :

وردت روايات عديدة في قصة بدء الوحي لرسول الله - ﷺ - نقتصر في ذلك على ما ورد في صحيح الإمام البخاري^(٢)، وهي أصح رواية وردت في ذلك:

عن عائشة^(٣) أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله - ﷺ - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة^(٤) فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثني والخميس، ٨٢٠/٢، رقم ١١٦٢.

(٢) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صاحب ((الجامع الصحيح)) المعروف بصحيح البخاري، ولد في بخارى سنة ١٩٤هـ، ونشأ يتيمًا، وارتحل لطلب الحديث فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ٦٠٠ ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. توفي في حرثك (من قرى سمرقند) سنة ٢٥٦هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ٣/٦، ط: ١٠، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.

(٣) هي أم المؤمنين زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه - خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أم رومان بنت عامر بن عويمر. هاجر بها أبوها هجرة المدينة. روت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه. وعن أبيها. وعن عمر وفاطمة وسعد وغيرهم. مسندها يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث. وقد ولدت في الإسلام. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولها سبع سنين، ودخل بها ولها تسع سنين، وقبض عنها ولها ثمان عشرة سنة، وتوفيت سنة سبع وخمسين. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ١٣٥/٢ وما بعدها ط: ٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. والحاكم، المستدرک، ٤/٤، [ب: ط]، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤) هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشية الأسدية، زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - وأم أولاده، وهي أول من تزوج من النساء، وأول من آمن به وصدقته قبل كل أحد، وثبتت حاشته. وهي سيدة نساء العالمين في زمانها. وهي ممن كمل من النساء ومناقبها همه. توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت بالحجون وعمرها خمس وستون سنة. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠٩/٢ وما بعدها. والحاكم، المستدرک، ١٨٢/٣.

أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم﴾^(١)، فرجع بها رسول الله - ﷺ - يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: (زملوني زملوني). فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: (لقد خشيت على نفسي). فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل^(٢) بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة وكان امرءاً تنصراً في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله - ﷺ - خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله - ﷺ - (أَوْ مَخْرَجِيَّ هَمْ)، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا

(١) سورة العلق، الآية رقم ١ - ٣.

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، من قريش: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان. وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني. أدرك أوائل النبوة، ولم يدرك الدعوة، ابن عم خديجة بنت خويلد. وله شعر سلك فيه مسلك الحكماء. وفي المؤرخين من يعده في الصحابة. قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية حينما ذكره قال: "رحمه الله ورضي عنه"، وقال أيضاً: فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الرحي ونية صالحة للمستقبل. وقال أيضاً عن حديث عائشة الذي رواه الإمام أحمد رحمه الله حينما سألت خديجة رضي الله عنها الرسول - صلى الله عليه وسلم - عنه فقال: ((قد رأيتك فرأيت عليه ثياب بياض، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض)) قال: هذا اسناد حسن لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلأ فالله أعلم. انظر ابن كثير البداية والنهاية ٣ / ٩. وذكر الحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال ((لاتسبوا ورقة فإني رأيت له حنة أو حنتين)) وقال عنه حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه النهي. انظر الحاكم، المستدرک ٢ / ٦٠٩ ، وانظر النهي ، التلخيص بهامش المستدرک للحاكم، ط: دار الكتاب العربي، بيروت. توفي بعد نزول الرحي بفترة قصيرة. انظر الزركلي، الأعلام، ١١٤ / ٨، ١١٥.

عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي. وفتن الوحي.^(١) هذه هي المرحلة الأولى من مراحل نزول الوحي على رسول الله - ﷺ -، وهي التهيئة الأولى له لحمل الرسالة.

* فقرة الوحي:

بعد ما نزل جبريل عليه السلام على رسول الله - ﷺ - في غار حراء انقطع عنه فترة من الزمان، اختلف العلماء في تحديدها، حيث تغايرت الروايات في ذلك وتعددت فمن ذلك:

- ١- عن ابن عباس^(٢) رضي الله عنهما أن رسول الله - ﷺ - لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياماً لا يرى جبريل.^(٣)
 - ٢- ورد عن ابن عباس أنها كانت أربعين يوماً.^(٤)
 - ٣- أنها كانت سنتين.^(٥)
 - ٤- أنها كانت سنتين ونصف.^(٦)
 - ٥- أنها كانت ثلاث سنين.^(٧)
- وهذه الفترة هي التي أعقبت نزول قوله تعالى:

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ٥، ٤/١، رقم ٣. ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ١٣٩/١ - ١٤٢، رقم ١٦.

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب - رضي الله عنهما -، حبر الأمة، وقيدها وإمام التفسير، ولد بمكة قبل الهجرة ب ٣ سنين ونشأ في أول عصر النبوة وهو ابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولازمه فأخذ عنه علماً فيها، وروى عنه الكثير من الأحاديث المشهورة فبلغ مسنده ١٦٦٠ حديثاً. كُفَّ بصره في آخر عمره، فسكن الطائف وبها مات سنة ٦٨ هـ. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣، ٣٣١، وما بعدها. وابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢، ٣٦٥.

(٣) انظر ابن سعد، الطبقات، ١، ١٩٦/١. وابن حجر، الفتح، ١، ٣٦/١، ٩٢٠/٨، ٤٤٦/١٢.

(٤) انظر المقرئ، الإمتاع، ١، ٤٠/١. والزرقاني، شرح المواهب، ١، ٢٣٦/١.

(٥) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ٣، ١٧/٣. والمقرئ، الإمتاع، ١، ٤٠/١.

(٦) انظر السهيلي، الروض الأنف، ١، ١٦١/١، [ب: ط]، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م. وابن كثير، البداية والنهاية، ٣، ١٧/٣. والمقرئ، الإمتاع، ١، ٤٠/١. وابن حجر، الفتح، ١، ٣٦/١، ٤٤٦/١٢.

(٧) انظر ابن حجر، الفتح، ١، ٣٦/١. والقسطلاني، المواهب اللدنية، ١، ٤٤/١، [ب: ط]، دار الكتب العلمية، بيروت.

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾^(١)، وسبقت نزول قوله تعالى: ﴿يا أيها المدثر﴾^(٢)، وهي غير الفترة التي كانت سبباً لنزول سورة الضحى، فالأولى كانت في ابتداء الوحي، وهذه كانت بعدها بمدة، وقد اختلط ذلك على بعض الرواة^(٣) فظنوا أن سورة الضحى إنما نزلت عقب فترة الوحي التي أعقبت نزول ﴿اقرأ﴾^(٤).

* المقصود بهذه الفترة:

ليس المراد بهذه الفترة هو عدم مجيء جبريل -عليه السلام- إليه بل تأخر نزول القرآن فقط.^(٥)

* الحكمة من هذه الفترة:

إن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويختار، وكل ذلك له حكمته التي يريد بها جل وعلا. وهذه الحكمة قد يطلع عليها خلقه أو بعضهم وقد يخفيها عنهم ويختص بها. وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى وغيرهم لفترة الوحي عن رسول الله - ﷺ -، وهو في ابتدائه حكماً جليلاً:

- ١ - ليذهب ما كان - ﷺ - وجده من الروع والرهبنة حينما فوجيء وهو في غار حراء بجبريل أمامه وهو يراه بعينه على صورته التي خلقه الله عليها.
- ٢ - ليحصل له التشوق إلى العود.^(٦)

(١) سورة اقرأ، الآية رقم ١.

(٢) سورة المدثر، الآية رقم ١.

(٣) انظر ابن هشام السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ١/٢٧٥، ط: ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٤) انظر ابن حجر، الفتح، ٨/٩٢٠.

(٥) انظر ابن حجر، الفتح، ١/٣٦.

(٦) انظر المرجع السابق، ١/٣٦. وابن يوسف، سبل الهدى والرشاد، ٢/٣٦٣.

٣ - إن في الانقطاع والاستمرار بعد ذلك توضيحاً بأن الوحي ظاهرة منفصلة عن ذات الرسول - ﷺ - .^(١)

٤ - إن ما أصابه من جهد وما ألمّ به من غطّ الملك له جعله بحاجة إلى راحة تذهب عنه ما خشيه على نفسه وليتقط أنفاسه من جديد.^(٢)

* عودة الوحي وتابعه:

بعد تلك الفترة السابقة، عاد الوحي إلى رسول الله - ﷺ - مرة أخرى حاملاً معه أوائل سورة المدثر والتي تكمن في ثناياها الأوامر الإلهية بالتبليغ. فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه:

((أن جابر^(٣) بن عبد الله الأنصاري قال: وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: (بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرُعبت منه، فرجعت فقلت: زملُوني زملُوني، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها المدثر. قم فأندر ﴾ - إلى قوله - ﴿ والرجز فاهجر ﴾^(٤). فحمي الوحي وتتابع^(٥))).

(١) انظر د. مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ١٥٢، ط: ١، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ١٤١٢هـ.

(٢) انظر صالح الشامي، من معين السيرة، ص ٣٠، ط: ١، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

(٣) جابر بن عبد الله بن حرام الخزرجي، الأنصاري السلمي، صحابي مشهور من أهل بيعة الرضوان وأهل السبق في الإسلام. كان من المكثرين في الرواية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ روى ((١٥٤٠ حديثاً)) . غزا تسع عشرة غزوة. توفي معمرأ واختلف في سنة وفاته قيل : ٧٨هـ، وكان آخر من مات بالمدينة من الصحابة وقد كف بصره ويقال : إنه عاش أربعاً وتسعين سنة. توفي وليس له عقب. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨٩/٣ وما بعدها. والحاكم، المستدرک، ٥٦٤/٣، وما بعدها.

(٤) سورة المدثر، الآيات ١ - ٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الوحي، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، رقم ٦٠٥/١، رقم ٤.

* المرحلة السرية:

لما عاد الوحي لرسول الله - ﷺ - ومعه أوائل سورة المدثر، قام - ﷺ - يدعو إلى عبادة الله وحده ونبذ ما يعبد من دونه من أصنام وأحجار وغيرها. وقد بدأ في ذلك من يثق به من أهل بيته وأصدقائه والذين يتوسم فيهم القبول والاستجابة، كل ذلك كان بسرية تامة وحذر شديد حتى لا يعلم به قومه الذين كانوا متمسكين بوثنيتهم أيما تمسك وقد كان - ﷺ - شديد الحرص على هذه السرية، يؤكد ذلك ما ورد في رواية إسلام علي^(١) بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه وهي: ((ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان.^(٢) فقال علي: يا محمد ما هذا؟ قال دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر باللات والعزى. فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاضٍ أمراً حتى أحدث به أبا طالب^(٣) فكره رسول - ﷺ - أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره. فقال له: يا علي إذا لم تسلم فاكتم. فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله - ﷺ - حتى

(١) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم - كَيْوَلْفَيْتَنَ - أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وصهره، من السابقين الأوائل إلى الإسلام، ولد بمكة قبل الهجرة ب ٢٣ سنة، وربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه، وكان حامل اللواء في أكثر المشاهد، كان من أكابر الخطباء الفصحاء والعلماء القضاة، استشهد غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان واختلف في مكان قبره. روى عن النبي - ﷺ - ٥٨٦ حديثاً. وخلف ٢٨ ولداً منهم ١٧ أنثى و ١١ ذكراً من زوجات متعددتا نظر الحاكم المستدرک، ١٠٧/٣ وما بعدها. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٠٧/٢، ط: ١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

(٢) أي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

(٣) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب. والد علي بن أبي طالب. وعم النبي - ﷺ - وكافله ومريه ومناصره. كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم ومن الخطباء العقلاء الأباة نشأ النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيته، وحماه وناصره بعد إعلانه الدعوة، ولكنه لم يدخل في الإسلام. توفي قبل الهجرة بثلاث سنوات. انظر الزركلي، الأعلام، ١٦٦/٤.

جاءه فقال: ماذا عرضت عليّ يا محمد؟ فقال له رسول الله -ﷺ-: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد، ففعل علي وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب وكنم علي إسلامه ولم يظهره)).^(١)

فهذه السرية والحذر الشديد حتى مع من كفله ومن لا يشك في محبته له فأسلوب السرية هو الذي درج عليه -ﷺ- وأصحابه في هذه المرحلة حيث الحاجة إلى تثبيت دعائم العقيدة بعيداً عن الجدل والمراء وتشويش الأعداء وإثارتهم، إن الدعوة في هذه المرحلة بحاجة إلى القلب القوي الواعي المملوء إيماناً، والفكر الناضج الثاقب الخالي من شوائب الشرك والجاهلية، والقدرة على تحمل الأمانة، فكانت السرية أمراً ضرورياً.^(٢)

وفي هذه المرحلة أسلم عدد لا بأس به من الرجال والنساء، فقد أسلمت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كما أسلم علي بن أبي طالب وزيد بن حارثه^(٣) وأبو بكر الصديق^(٤) رضي الله عنهم أجمعين.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يقوم بأمر الدعوة سراً فكان يدعو أصحابه إلى هذا الدين الجديد، وقد آتت دعوته تلك ثمارها فأمن على يديه نخبة من جُل

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٤/٣.

(٢) انظر صالح الشامي، من معين السيرة، ص ٣٢.

(٣) زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي أبو أسامة، الصحابي الجليل، حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو جبه، الأمير، الشهيد، اختطف في الجاهلية صغيراً، واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - حين تزوجها، وأعتقه وزوجه بنت عمته زينب بنت جحش. وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة فاستشهد فيها سنة ثمان في جمادى الأولى، وله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديثان. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/٢٢٠ وما بعدها والحاكم، المستدرک، ١٥/٣.

(٤) عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، التيمي القرشي، أبو بكر. أول من آمن برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرجال، وكان رفيق رسالته وجهاده وتاني اثنين إذ هما في الغار، وأبو زوجته (عائشة) وخليفته من بعده. ولد بمكة، قبل الفجرة ب ٥١ سنة، ومات بالمدينة سنة ١٣هـ. له في الصحيحين (١٤٣ حديثاً). انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/٢٢٤-٢٢٨، ٢/٢١٤، والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢/٣٥٠ وما بعدها.

الصحابية، أمثال عثمان بن عفان،^(١) والزبير بن العوام،^(٢) وعبد الرحمن بن عوف،^(٣) وسعد بن أبي وقاص،^(٤) وطلحة بن عبيد الله،^(٥) رضي الله عنهم أجمعين. كما أسلم أبو عبيدة بن الجراح^(٦).....

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي، أمير المؤمنين، ثالث الخلفاء الراشدين. كان غنياً شريفاً في الجاهلية، وأسلم بعد البعثة بقليل. بويع بالخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - سنة ٢٣هـ. أحد العشرة المبشرين بالجنة، لقب بذي النورين لتزوجه بنتي النبي - صلى الله عليه وسلم - (رقية، وأم كلثوم). له مناقب كثيرة، وردت فيها أحاديث. حوَّصر أشهراً وقتل صبيحة عيد الأضحى سنة ٣٥هـ في بيته بالمدينة ومقتله كانت الفتنة الأولى في الإسلام. انظر الحاكم، المستدرک، ٩٥/٣ وما بعدها. وابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨٤-٥٣/٣.

(٢) الزبير بن العوام بن عويلد، الأسدي القرشي، أبو عبد الله، الصحابي المشهور أحد المهاجرين، ولد قبل الهجرة ب٢٨ سنة، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سلَّ سيفاً في الإسلام، ابن عمه النبي - صلى الله عليه وسلم - وحواريه، أسلم صغيراً وشهد بدرًا والمشاهد، وجعله عمر في رجال الثوري للخلافة بعده. قتله ابن جرهموز بوادي السباع غيلةً على مقربة من البصرة سنة ٣٦هـ وله في الصحيحين ٣٨ حديثاً. انظر الحاكم، المستدرک، ٣٦٨/٣، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/١، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٠٠/٣.

(٣) عبد الرحمن بن عوف، أبو محمد، الزهري، القرشي، ولد قبل الهجرة ب٤٤ سنة، أحد العشرة المبشرين، وأحد السنة أصحاب الثوري بعد عمر. أسلم قبل دخول دار الأرقم، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وسائر المشاهد، كان كريماً جواداً شجاعاً. توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ. وله في الصحيحين ٦٥ حديثاً. انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٢٤/٣، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦٨/١ وابن الأثير، أسد الغابة، ٤٨٠/٣، [ب : ط]، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب، القرشي، الزهري، أبو إسحاق، ولد قبل الهجرة ب٢٣ سنة، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، شهد بدرًا ودافع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحد وحضر معه المشاهد كلها، وأحد الستة الذين عينهم عمر لثوري الخلافة. افتتح القادسية. ظل والياً مدة خلافة عمر على الكوفة، وأقره عثمان زماناً ثم عزله، فعاد إلى المدينة حيث توفي فيها سنة ٥٥هـ وقد فقد بصره في آخر عمره. له في مسند [بقي بن مخلد] مئتان وسبعون حديثاً منها في الصحيحين ٣٨ حديثاً. انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣٩/٣-١٤٨. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩٢/١-١٢٤.

(٥) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي، القرشي المكي المدني، أبو محمد، ولد قبل الهجرة ب٣٨ سنة، شجاع من الأجداد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الثوري وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام. لقبه النبي - صلى الله عليه وسلم - ب [طلحة الجود] و [طلحة الخير] و [طلحة الفياض]، ثبت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أحد، وشهد معه سائر المشاهد، وكانت له تجارة وافرة. قتل وابنه محمد يوم الجمل سنة ٣٦هـ، ودفن بالبصرة، وله في الصحيحين ٣٨ حديثاً. انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢١٤/٣-٢٢٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/١ وما بعدها.

(٦) أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري، القرشي، صحابي جليل، ولد قبل الهجرة ب٤٠ سنة، من السابقين الأولين، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أمير، قائد، لقبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأمين الأمة، وشهد المشاهد كلها، وولاه عمر قيادة الجيش الزاحف على الشام خلفاً لخالد بن الوليد، كان رقيقاً متواضعاً، وقد مات في طاعون عمواس بين الرملة وبيت المقدس سنة ١٨هـ، وله ثمان وخمسون سنة. وأحاديثه في الصحيحين وغيرهما معدودة. وروى له أحمد اثنا عشر حديثاً وخمسة عشر في ((مسند بقي)). انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤٠٩/٣-٤١٥. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/١-٢٣.

وأبو سلمة،^(١) وعثمان بن مظعون،^(٢) وأخواه قدامة،^(٣) وعبد الله،^(٤) وعبيدة بن الحارث،^(٥) وسعيد بن زيد بن نفيل،^(٦) وامراته فاطمة بنت الخطاب^(٧).....

(١) عبد الله بن عبد الأسد بن هلال القرشي المخزومي، الصحابي الجليل، وهو مشهور بكنيته ((أبي سلمة)). ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم، وأخوه من الرضاعة، فأمه ((برة بنت عبد المطلب)) ورضع من ثوية التي أرضعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان زوج ((أم سلمة)) قبل النبي -صلى الله عليه وسلم- . أسلم بعد عشرة أنفس، وكان الحادي عشر. أول من هاجر إلى الحبشة مع زوجته، شهد بدرًا وأحدًا، ونزل فيه قوله تعالى: ((فأما من أوتي كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه)) الحاقة الآية رقم ١٩. انظر ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/١٩٥-١٩٦. وابن حجر، الإصابة، ٦/١٤٠-١٤٢. رقم ٤٧٧٤.

(٢) عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي، أبو السائب، صحابي أسلم بعد ١٣ رجلاً وهاجر المحترسين إلى الحبشة، وكان ممن حرم الخمر على نفسه قبل تحريمها، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة بعد رجوعه من بدر، وقبله النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو ميت، وكان يزوره ودفن إلى جنبه ولده إبراهيم. وكانت وفاته سنة ٥٢هـ. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٩٣. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/١٥٣.

(٣) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي، صحابي جليل، من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو أخو عثمان بن مظعون وخال حفصة وعبد الله، ابني عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم أجمعين. وكانت تحتها صفية بنت الخطاب. هاجر إلى الحبشة مع أخويه: عثمان وعبد الله ابني مظعون كما هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة، شهد بدرًا وأحدًا، وسائر المشاهد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استعمله عمر على البحرين. توفي سنة ٣٦، وله ثمان وستون سنة. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/١٩٨-٢٠٠. وابن حجر، الإصابة، ٨/١٤٤-١٤٧، رقم ٧٠٨٢. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/١٦١، ١٦٢.

(٤) عبد الله بن مظعون الجمحي، أبو محمد، من السابقين، شهد بدرًا، هو وأخوته عثمان، وقدامة والسائب ولد أخيه، وهاجر عبد الله إلى الحبشة الهجرة الثانية. وشهد أحدًا والخندق ومات في خلافة عثمان -رضي الله عنه- سنة ثلاثين، وهو ابن ستين سنة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/١٦٣.

(٥) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، صحابي جليل الشأن، عظيم المكانة في الإسلام. وكان قديم الإسلام. أسلم قبل دخول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دار الأرقم بن أبي الأرقم، وقبل أن يدعو فيها. وكان أسن من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعشر سنين، هاجر إلى المدينة. استشهد في معركة بدر، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٥٠-٥٢. وابن الأثير، أسد الغابة، ٣/٣٥٧.

(٦) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، القرشي، أبو الأعور، ولد قبل الهجرة ب ٢٢ سنة من خيار الصحابة، مولده بمكة وهاجر إلى المدينة. شهد المشاهد كلها إلا بدرًا لقيامه مع طلحة بتحسس خبر العير، وقد ضرب لهما النبي -صلى الله عليه وسلم- سهميهما وأجرهما، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخته، وشهد اليرموك وحصار دمشق، وولاه أبو عبيدة دمشق، أحاديثه يسيرة جداً، منها اثنتان في الصحيحين. توفي بالمدينة سنة ٥١هـ ودخل قبره سعد بن أبي وقاص وابن عمر -رضي الله عنهم أجمعين. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٧٩-٣٨٥. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/١٢٤ وما بعدها.

(٧) فاطمة بنت الخطاب بن نفيل القرشية العدوية أخت عمر، أسلمت قديماً مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فهي من السابقات إلى الإسلام. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/٨٠. وابن الأثير، أسد الغابة، ٥/٥١٩. وابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/٢٦٧.

والأرقم بن أبي الأرقم،^(١) وخباب بن الأرت،^(٢) وعمير بن أبي وقاص،^(٣) وعبد الله بن مسعود،^(٤) وعمار بن ياسر،^(٥) وصهيب الرومي،^(٦) وغيرهم رضي الله عنهم،^(٧) ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشى ذكر

(١) الأرقم بن أبي الأرقم القرشي، صحابي جليل من السابقين إلى الإسلام، أسلم قديماً بمكة، وكان سابع سبعة في الإسلام، وهو الذي استخفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في داره والمسلمون معه، فكانت داره أول دار للدعوة إلى الإسلام. شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، وأقطعته رسول الله صلى الله عليه وسلم داراً بالمدينة في بني زريق. توفي بالمدينة وصلى عليه سعد ابن أبي وقاص، وكان عمر الأرقم بضعاً وثمانين سنة - رضي الله تعالى عنه. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/٣-٢٤٢-٢٤٤. وابن الأثير، أسد الغابة، ١/٥٩-٦١.

(٢) خباب بن الأرت بن جندلة التميمي، أبو يحيى، وقيل أبو عبد الله، صحابي من السابقين إلى الإسلام، أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه، شهد المشاهد كلها. روى الشيخان له ٣٢ حديثاً، وكان سي في الجاهلية، فبيع بمكة، ثم حالف بني زهرة، وكان من المستضعفين، وعذب عذاباً شديداً لأجل إسلامه وكان يعمل السيوف في الجاهلية. توفي بالكوفة سنة ٣٧هـ، وصلى عليه علي، وله ثلاث وسبعون سنة. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/١٦٤. والحاكم، المستدرک، ٣/٣٨٧. والذهبي، سير أعلام النبلاء ٢/٣٢٣-٣٢٥.

(٣) عمير بن أبي وقاص الزهري القرشي، قديم الإسلام، شهد بدرًا واستشهد بها، قتل عمر بن عبدود العامري الذي قتلته علي بن أبي طالب يوم الخندق. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رده حينما استعرض الجيش في معركة بدر فبكى، فأجازه. يقول أخوه سعد: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٧/١٦٨. وابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٣/١٤٨.

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، المكي، حليف بني زهرة، كان يعرف أيضاً بابن أم عبد، إمام، حبر، فقيه، قاري، شهد بدرًا وهاجر الفجرتين، روى علماً غزيراً، وله مناقب جمّة، وحدث عنه خلق كثير، اتفق له في الصحيحين على ٦٤ حديثاً، وله عند بقي بن مخلد ٨٤٠ حديثاً. لازم النبي صلى الله عليه وسلم وحدث عنه بالكثير. توفي سنة ٣٣هـ بالمدينة ودفن بالبيع، وله بضع وستون سنة. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/٣٤٢، ٣/١٥٠. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/٤٦١.

(٥) عمار بن ياسر بن عامر، أبو اليقظان، الكناني، من الولاة، وأحد السابقين إلى الإسلام، ومن عُذّب في الله، شهد بدرًا وبيعة المشاهد، وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام [مسجد قباء في المدينة]، لقبه النبي - صلى الله عليه وسلم - [الطيب المطيب]، كان من أصحاب علي ((يوم صفين)) حيث قتل بها سنة ٣٧هـ، وكان شيخاً تجاوز عمره التسعين. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٢٤٦. والحاكم، المستدرک، ٣/٣٨٣. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/٤٠٦.

(٦) صهيب بن سنان بن مالك النعري الرومي، أبو يحيى، مولى عبد الله بن جُدعان، ثم مولى عمر بن الخطاب، أصله من أهل الجزيرة، بدرى. وهو في الإسلام: ((سابق الروم))، حضر المشاهد كلها. وأمره عمر بالصلاة بالناس يوم طعن حتى يتفق ((أهل الثورى)) على خلف له، وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه، وكان وافر الفضل. روى أحاديث معدودة رواها عنه بنوه، وسعيد بن المسيب وغيرهم، مات بالمدينة وقد أناف على السبعين عاماً. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٢٢٦. والحاكم، المستدرک، ٣/٣٩٧. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/١٧.

(٧) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٢٧٤، ٢٨١-٢٩٣. وانظر ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/١٧٨-١٨٧.

الإسلام بمكة وتحدث به.^(١) وقد استمرت هذه المرحلة كما ذكر العلماء والمؤرخون ثلاثة أعوام.

جاء في السيرة النبوية لابن هشام^(٢): (وكان بين ما أخفى رسول الله - ﷺ - أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه).^(٣) وجاء في تاريخ الطبري:^(٤) (ثم إن الله عز وجل أمر نبيه محمداً - ﷺ - بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره، ويدعو إليه فقال له: ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾^(٥)، وكان قبل ذلك في السنين الثلاث من مبعثه إلى أن أمر بإظهار الدعاء إلى الله مستتراً مخفياً أمره - ﷺ -).^(٦)

* المقصود بهذه المرحلة :

هي الفترة ما بين قوله تعالى: ﴿ يا أيها المدثر ﴾^(٧) والتي استمرت إلى نزول قوله تعالى: ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾^(٨) وقد كانت مدتها كما سبق ثلاث سنين.

^(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٩٥/١.

^(٢) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين : - مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر سنة ٢١٣هـ. أشهر كتبه ((السيرة النبوية)) المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. انظر الزركلي، الأعلام، ١٦٦/٤.

^(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٩٥/١.

^(٤) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر : المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمطالم فأبى. له : ((جامع البيان في تفسير القرآن)) ويعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزءاً وغير ذلك. انظر : الزركلي، الأعلام، ٦٩/٦.

^(٥) سورة الحجر، الآية رقم ٩٤.

^(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٤١/١.

^(٧) سورة المدثر، الآية رقم ١.

^(٨) سورة الحجر الآية ٩٤.

* الحكمة من هذه السرية:

إن الدعوة إلى الله لم تنزل لتكون دعوة سرية يخاطب بها الفرد بعد الفرد، بل نزلت لإقامة الحجة على العالمين وإخراج الناس وإنقاذهم من ظلمات الشرك والجاهلية إلى نور الإسلام والتوحيد.

إنها نزلت لتحكم الحياة البشرية وتهيمن عليها في جميع شؤونها، وتكون الميزان العادل والقسطاس المستقيم الذي يحكم الأوضاع والأعمال والآراء والنظريات والأشخاص بالحكم العدل المستقي من وحي الله وتنزيله. ولذلك كشف الله عز وجل عن حقيقة هذه الدعوة في بدء أمرها، فحينما كانت الدعوة محصورة في مكة المكرمة كان الوحي ينزل ليبين شمول هذه الدعوة وعالميتها:

يقول جل وعلا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(١).

ويقول: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ويقول: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

فالدعوة جاءت لتخاطب البشرية جمعاء، فليس الأمر محصوراً في طائفة دون طائفة أو جماعة دون جماعة أو جيل دون جيل^(٤). وبالجملة فإن هذه السرية كانت لحكمة ربانية تعود بالنفع على الدعوة ذاتها وعلى صاحبها وأتباعه، ومن هذه الحكم:

١- تحقيق التدرج بالنسبة للداعي، بحيث لا يكلف بالصدع والإعلان لأول وهلة، وذلك:

(١) سورة يوسف، جزء من الآية رقم ١٠٤. سورة ص، الآية رقم ٨٧.

(٢) سورة القلم، الآية رقم ٥٢.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٩٠.

(٤) انظر سلمان العودة، الغرباء الأولون، ص ١٢٤-١٢٥، ط: ١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٠هـ.

أ - لئلا تحصل له المشقة والعناء.^(١)

ب- لئلا يحجب عن المدعوين، ويحرم من تبليغهم الدعوة.

٢- التأسيس والإعداد، فالدعوة في بدايتها، وكل أمر يحتاج إلى ذلك فلا بد من وضع القواعد والأسس التي يقوم عليها أمر الدعوة فقيام مجتمع قوي الإيمان هو الكفيل بتولي أمر الدعوة ونشرها والدفاع عنها.

٣- مراعاة الوضع العام، لأن هذا الأمر غير مألوف وغير معروف وذلك:

أ - لكي لا تكون هناك مصادمة مع الواقع الشركي.

ب- لكي لا يقضى على الدعوة وهي في مهدها.

ج- لكي لا تتبدد قبل الانتشار.

٤- عدم المشقة للأتباع، وتعريضهم للفتن، لاسيما قبل أن تمنليء القلوب من الإيمان وتتشبع من نسمات الوحي الإلهي.

كل ذلك حتى تنمو الدعوة نمواً متزناً ويصلب عودها فلا تكون بالذي يسهل كسره.

* المرحلة الجماهيرية:

بعد أن مكث - ﷺ - ثلاث سنين يدعو إلى الله سراً من يثق به من قرابته وأصدقائه وغيرهم، أمره الله عز وجل بالصدع والإنذار، بقوله: ﴿فاصدع عما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾^(١)، وقوله: ﴿وانذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢).

فقام - ﷺ - بتنفيذ أمر ربه، وصعد الصفا، ونادى بطون قريش بأعلى صوته ليبلغهم دعوة ربه، وقد رويت هذه القصة في كتب الحديث والسير...

(١) انظر سلمان العودة، الغرباء الأولون، ص ١١٨.

(٢) سورة الحجر، الآية رقم ٩٤.

(٣) سورة الشعراء، الآية رقم ٢١٤.

بروايات عديدة نختار منها:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، صعد النبي - ﷺ - على الصفا، فجعل ينادي: (يا بني فهر، يا بني عدي) لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل، إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب^(١) وقريش فقال: (أرأيتم لو أخبرتم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي). قالوا نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: ﴿فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾.^{(٢) (٣)}

٢- أن أبا هريرة^(٤) قال: قام رسول الله - ﷺ - حين أنزل الله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٥)، قال: (يا معشر قريش، أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله

(١) عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش: عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام. كان غنياً عتياً، كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فأذى أنصاره وحرص عليهم وقتلهم. وفيه الآية ((تبت يدا أبي لهب، وتب)) وكان أحمر الوجه، مشرقاً، فلقب في الجاهلية بأبي لهب، مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهداها. انظر: الزركلي، الأعلام، ١٢/٤

(٢) سورة المسد، الآية رقم ١-٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك، ١٧٨٧/٤، رقم ٤٤٩٢. ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين، ١٩٤/١، رقم الحديث ٢٠٨.

(٤) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي البجلي، صحابي جليل مشهور، قدم ((المدينة)) ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبير، فأسلم سنة سبع ولزم صحبة النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، فلقد روى ٥٣٧٤ حديثاً اتفق البخاري ومسلم على ١٢٦ وانفرد الأول ب ٩٣، ومسلم ب ٩٨ وبلغ عدد من حدث عنه ٨٠٠. كان أكثر مقامه بالمدينة وقد تولى إمارتها في بعض الأحيان وبها توفي سنة ٥٥٩ هـ على خلاف. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٧٨/٢ وما بعدها. وابن سعد الطبقات الكبرى، ٣٦٢/٢، ٣٢٥/٤.

(٥) سورة الشعراء، الآية رقم ٢١٤.

شيئاً، يا عباس^(١) بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية^(٢)
 عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة^(٣) بنت محمد - ﷺ -،
 سليمان ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً^(٤).
 بعد هذه النذارة أصبحت الدعوة جهرية يخاطب بها عامة الناس بعد أن كانت
 سرية يخاطب بها الأفراد. ومن هذا اليوم بدأ - ﷺ - يعلن أمره ويظهره
 مستجيباً في ذلك لأمر ربه سبحانه وتعالى، وقد أؤدي - ﷺ - في سبيل ذلك
 أشدَّ الإيذاء وأعظمه وواجه ما لم يواجهه أحدٌ قبله ولا بعده فصبر على ذلك
 ابتغاء مرضات ربه حتى أتاه النصر والفرج من ربه الذي لا يخلف الميعاد.

(١) عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الفضل، ولد قبل الهجرة ب ٥١ سنة، عم الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ومن أكابر
 قريش في الجاهلية والإسلام، خرج مع قومه يوم بدر فأسر يومئذ، فادّعى أنه مسلم، وحسن إسلامه، وهاجر إلى المدينة، وشهد
 حينئذ، فكان ممن ثبت حين انهزم الناس، وشهد فتح مكة، وعمي آخر عمره، وكان عمر وعثمان يجالته. له خمسة وثلاثون حديثاً
 اتفق الشيخان على واحد منها، وفي مسلم ثلاثة. مات في المدينة سنة ٣٢ هـ وعمره ٨٦ سنة، في خلافة عثمان ودفن بالبقيع. انظر
 ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥/٤ - ٣٣. والنهي، سير أعلام النبلاء، ٧٨/٢ - ١٠٣.

(٢) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم : سيدة قرشية، شاعرة باسلة، وهي عمة النبي - صلى الله عليه وسلم - أسلمت قبل الهجرة،
 وهاجرت إلى المدينة. لها مرات رقيقة. وفي شعرها جودة. ماتت في المدينة سنة ٢٠ هـ. وكانت أول مسلمة قتلت يهودياً. وقد
 قتلت يوم أحد. انظر : الزركلي. الأعلام، ٢٠٦/٣.

(٣) فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمها خديجة ((أم المؤمنين الكبرى)) رضي الله عنها كانت أصغر بنات النبي -
 صلى الله عليه وسلم - وكانت سيدة نساء العالمين في زمانها، بعد أمها، ولدت قبل البعثة بقليل. تزوجها الإمام علي - رضي
 الله عنه - في ذي القعدة، أو قبيله... سنة اثنين بعد وقعة بدر.. لها من الأولاد الحسن والحسين، والحسن، وأم كلثوم، وزينب،
 أبناء علي بن أبي طالب. توفيت بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - بخمسة أشهر أو نحوها. وعاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة.
 وأكثر ما قيل : أنها عاشت تسعاً وعشرين سنة والأول أصح. انظر : النهي، سير أعلام النبلاء، ١١٨/٢ - ١١٩. وابن حجر،
 الإصابة، ٧١/١٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب : وأنذر عشيرتكم الأقرين. واخفف جناحك، ١٧٨٨، ١٧٨٧/٤ رقم ٤٤٩٣. ومسلم
 في صحيحه في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى : وأنذر عشيرتكم الأقرين، ١٩٢/١، رقم ٢٠٤.

ثانياً: موقف قريش من الدعوة في بدايتها:

لما استجاب - ﷺ - لأمر ربه ﴿يا أيها المدثر. قم فأندر﴾^(١)، وقام بالإنذار خفية ودعا من يثق به وآمن به من شاء الله له الهداية واستمر على ذلك كما بُيِّن في المرحلة السرية ثلاث سنين، تسربت بعض أخبار الدعوة إلى قريش، وسمعت بها، لكن هذا السماع لم يرعها ولم تلق له أي اهتمام، وذلك لظنها في بداية الأمر أن محمداً - ﷺ - أحد أولئك الحنفاء والربانيين الذين يتكلمون في الألوهية وحقوقها ويبحثون عن دين إبراهيم عليه السلام أمثال زيد بن عمرو بن نفيل^(٢)، وقس بن ساعدة الإيادي^(٣)، وأمّية بن أبي الصلت^(٤)، وأشباههم، وأن الناس مع ذلك عائدون إلى دين آبائهم وأجدادهم.^(٥) هذه هي السمة الأولى التي اتصف بها موقف قريش من الدعوة في بدايتها. ولما أمر الله عز وجل رسوله - ﷺ - بأن يجهر بدعوته ويظهرها وقام بذلك وصدع بها على رؤوس أهل مكة لم ينكر المشركون ذلك ولم يقفوا منه موقفاً

(١) سورة المدثر، الآية رقم ١-٢.

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدا لعزى، القرشي العدوي : نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء. وهو ابن عم عمر بن الخطاب، لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها ورحل إلى الشام باحثاً عن عبادات أهلها. فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية. فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم وجاهر بعبادة الأوثان. فأوذى في ذلك. رآه النبي صلى الله عليه وسلم - قبل النبوة. وسئل عنه بعدها فقال : يعت يوم القيامة أمة وحده. توفي قبل مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم - بخمس سنين. وله شعر قليل. انظر : الزركلي، الأعلام، ٦٠/٣.

(٣) قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد : أحد حكماء العرب ن ومن كبار خطبائهم، في الجاهلية. كان أسقف نجران، ويقال : إنه أول عربي خطب متوكفاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه ((أما بعد)) وكان يفد على قيصر الروم، زائراً، فيكرمه ويعظمه. وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل النبوة، وراه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال : يحشر أمة وحده. وفاته قبل الهجرة ب ٢٣ سنة. انظر الزركلي، الأعلام، ١٩٦/٥.

(٤) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي : شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً. وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر وتبنوا عبادة الأوثان في الجاهلية. قدم مكة بعد البعثة وسمع آيات من القرآن ولكنه لم يسلم، مات بالطائف سنة ٥٥هـ. أخباره كثيرة، وشعره من الطبقة الأولى. انظر : الزركلي، الأعلام، ٢٣/٢.

(٥) انظر صالح الشامي، من معين السيرة، ص ٤٤. وانظر الغزالي، فقه السيرة، ص ٩٦، ط: ٢، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ.

قوياً كما عرف عنهم في آخر الأمر، حيث إن أعظم ما كان منهم هو ما بدر من أبي لهب - قبحه الله - بقوله نبأً لك أما جمعتنا إلا لهذا. وقد اتسم موقفهم هذا بعدم الإنكار مع ارتياعهم منه وكبره عليهم.

وقد استمر المشركون على موقفهم هذا إلى أن عاب الرسول - ﷺ - آلهتهم وسفّه أحلامهم وذم آباءهم وأخبر أنهم في النار. عند ذلك انتقلوا إلى موقف أقوى من الموقفين السابقين، وهو موقف المواجهة فأبغضوه وأجمعوا على خلافه ومعاداته.

جاء في سيرة ابن هشام:

((فلما بادى رسول الله - ﷺ - قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام)).^(١)

وجاء في إمتاع الأسماع للمقريزي^(٢):

((وكانت قريش لما بلغهم ما أكرم الله به رسوله - ﷺ - من النبوة راعهم ذلك وكبر عليهم، ولم ينكروا عليه شيئاً من أمره حتى عاب آلهتهم وسفّه أحلامهم، وذم آباءهم وأخبر أنهم في النار، فأبغضوه عند ذلك وعادوه، وتعرضوا لمن آمن به...)).^(٣) فمما سبق يتضح لنا أن موقف قريش من

^(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٩٥/١.

^(٢) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه) ولد في القاهرة سنة ٧٦٦هـ، ونشأ بها، وتوفي فيها سنة ٨٤٥هـ، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، له كتب عديدة، منها: ((المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)) ويعرف بخطط المقريزي، و((إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع)) تسع مجلدات. وغيرهما كثير. انظر: الزركلي، الأعلام، ١٧٧/١، ١٧٨.

^(٣) المقريزي، إمتاع الأسماع، ٤٣/١.

الدعوة في بدايتها لم يكن ذلك الموقف البذيء القاسي الذي عرف عنها فيما بعد بل كان له ثلاث سمات:

- ١- لم يرعهم ذلك ولم يلقوا له أي اهتمام ظناً منهم أن محمداً -ﷺ- أحد الأحناف الذين كانوا يبحثون عن دين إبراهيم عليه السلام.
- ٢- لم يبعدوا منه، ولم ينكروا شيئاً من ذلك، مع ارتياعهم منه وكبره عليهم.
- ٣- مواجهتهم له، وذلك بعد ما عاب آلهتهم وسفّه أعلامهم وذمّ آباءهم وأخبر أنهم في النار. بعد ذلك كله أبغضوه، وأجمعوا على خلافه ومعاداته واتخذوا كل السبل التي يستطيعونها للصد عن الدعوة الإسلامية. وقد تعددت أساليبهم تلك وتنوعت. ودراسة هذه الأساليب وكيفية مواجهة الدعوة الإسلامية لها ثم مظاهرها في عصرنا الحاضر هو موضوع بحثي في هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

الفصل الأول

أساليب التبركين في العهد الحكي

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول:

الأساليب القولية في العهد من الدعوة

المبحث الثاني:

الأساليب العملية في العهد من الدعوة

تقديم:

لما بدأ الرسول - ﷺ - بتبليغ رسالته، وذلك بدعوة قومه إلى أفراد الله - جل وعلا - بالعبادة، ونبذ ما يعبدون من دونه من آلهة، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عن أن تملكه لغيرها، وقف أكثرهم من ذلك موقف الإنكار، وتصدوا له بكل أسلوب يستطيعونه. كيف لا، وقد جاء ليحرفهم عن طريقة الآباء، وسنة الأجداد كيف لا، وقد سب الآلهة، وسفه العقول والأحلام، وضلل الآباء والأجداد، إن تلك الدعوة لم تسفر عن ذلك فحسب، بل ستسلبهم مكانتهم، وتحرمهم جاههم وكل ماورثوه كبراً عن كابر. بل إنها - زيادة على ذلك تدعو إلى المساواة ونبذ الطبقية، التي يعيشوا من ورائها، ويكسبوا من جرائمها، ومادام الأمر على هذه الحالة، والغاية والهدف ما ذكر فمن الطبيعي أن تدور رحى المواجهة وتستمر على قدم وساق وأن توظف الإمكانيات والقدرات في سبيلها لأجل إطفاء ذلك النور وإخماده كما يخبر تعالى عنهم:

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره

الكافرون﴾^(١)

وفى: هذه المواجهة، نوع المشركون أساليبهم، فهناك الأساليب القولية، وهناك العملية، وتحت كل واحد من هذين النوعين عدد من الأساليب المتعددة والتي فيها الصدُّ عن دين الله تعالى. وفي هذا الفصل - إن شاء الله تعالى - سأتكلم عن هذه الأساليب بنوعها القولي والعملية، ومن ثم أصنّفها حسب مراد أولئك الصادقين. وقبل البدء بذلك، أنبه إلى قضية وهي:

^(١) سورة الصف، الآية رقم ٨.

أن هذه الأساليب لن يسلك فيها الترتيب الزمني حسب وقوعها، وذلك لعدة أمور، منها:

١ - أن أولئك المشاركين - في بعض الأحيان - ينفذون في آن واحد أكثر من أسلوب، سواءً كان قولياً أم عملياً، ترغيبياً أم ترهيبياً مع تكرار ذلك عدة مرات مما يجعل الترتيب الزمني أمراً صعباً.

٢ - أن بعض الأساليب والتي تتدرج تحت مسمى واحد - كأساليب الترغيب مثلاً - لم تكن متعاقبة في التنفيذ زمنياً، فقد ينفذ أحدها في يوم وبعد عدة أيام ينفذ الآخر، وفي المدة التي بينهما يقع أسلوب من نوعية أخرى وهكذا.

والسبب في ذلك، أن هذه الأساليب لم تكن كلها نتيجة خطط مدبّرة ومدروسة من قبل أولئك، بل إن بعضها باجتهادات شخصية وبطريقة عشوائية حيث يقوم - على سبيل المثال - أحدهم بتنفيذ أسلوب تعجيزي، ويقوم الآخر باستهزائي مع التداخل والتكرار مما يجعل حصر أحدها في زمن معين أمراً بعيداً وصعباً.

ولو ألقينا نظرةً إلى أهل السير وهم يسوقون تلك الأساليب لوجدناها غير مرتبة ذلك الترتيب، حيث تجد في أول الكتاب أسلوباً وبعده بصفحات عديدة نفس ذلك الأسلوب وبينهما أساليب من نوع آخر وهكذا.

فلهذا كله لم أسلك ذلك الترتيب حيث لم يتيسر لي، فعمدت إلى ترتيب تقريبي وحسب الجهد والطاقة. وأسأل الله - جل وعلا - أن يعينني على كتابتها وإكمال البحث بصورة مرضية، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أما الأساليب فهي على النحو التالي:

المبحث الأول: الأساليب القولية في الصدّ عن الدعوة.

المبحث الثاني: الأساليب العملية في الصدّ عن الدعوة.

المبحث الأول

أساليب القولية في المدّ عن الدعوة

وفيه تمهيد وعدة مطالب:

المطلب الأول : أساليب الترغيب.

المطلب الثاني: أساليب الترهيب.

المطلب الثالث: أساليب التشويه.

المطلب الرابع : أساليب التعجيز.

المطلب الخامس: أساليب التخذيل.

تقديم:

قام المشركون ضمن مواجهتهم العدائية التي يرمون من ورائها الصّد عن دين -الله تعالى - بالأساليب القولية، والتي جاءت بصور متنوعة وطرق متعددة. وقد بذلوا في تلك الأساليب مهج أنفسهم، وكامل قواهم البدنية والمادية. وبعد دراسة تلك الأساليب القولية، اتضح أنها كانت على صور مختلفة فيما بينها فقمنا بعون الله - تعالى - على بذل الجهد الميسور لتصنيف تلك الأساليب وإرجاعها إلى أساليب أساسية يتناسب بعضها مع بعض. وبعد ذلك خرجنا بمعظم الأساليب التي صدرت من أولئك. فمن ذلك:

المطلب الأول : أساليب الترهيب.

المطلب الثاني : أساليب الترهيب.

المطلب الثالث : أساليب التشويه.

المطلب الرابع : أساليب التعجيز.

المطلب الخامس: أساليب التخذيل.

المطلب الأول

أساليب الترغيب

وفيه عدة مقاصد:

المقصد الأول : أسلوب المساومة.

المقصد الثاني : أسلوب الإنسواء.

المقصد الثالث : أسلوب الضداع.

المطلب الأول: أساليب الترغيب:

التعريف اللغوي:

رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبَةً إِذَا حَرَصَ عَلَى الشَّيْءِ، وَطَمَعَ فِيهِ.

وَأَرْغَبَنِي فِي الشَّيْءِ وَرَغَّبَنِي، بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

وَرَغَّبَهُ: أَعْطَاهُ مَا رَغِبَ، يَقُولُ الشَّاعِرُ:

لَقُلْتُ لِدَهْرِي: إِنَّهُ هُوَ غَزَوَتِي، وَإِنِّي، وَإِنْ رَغَّبْتَنِي، غَيْرُ فَاعِلٍ.

وَالرَّغَائِبُ: مَا يَرْغَبُ فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ.

وَالرَّغِيبَةُ: الْأَمْرُ الْمَرْغُوبُ فِيهِ ^(١).

ولقد عمدت قريش في صدها عن الدعوة الجديدة، التي أقضت مضجعها وأطارت نومها إلى أساليب الترغيب، والتي استخدمتها مرات عديدة، وبطرق مختلفة.

إنها تريد صدّ الداعي أولاً والمدعو ثانياً عن ذلك الدين، الذي أضحى عدواً لها، ومهدداً لأطماعها ومصالحها. إذاً لا بُدَّ من بذل الجهد وتقديم ماترغبه النفوس وتشتتته في سبيل الحفاظ على تلك الأطماع والمصالح، ومن الأساليب التي سلكتها قريش في هذا النوع، ما يلي:

المقصد الأول : أسلوب المساومة.

المقصد الثاني: أسلوب الإغراء.

المقصد الثالث: أسلوب الخداع.

وسأتحدث عن كل نوع من هذه الأنواع. على حدة - إن شاء الله -.

^(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة رغب، ٤٢٢/١، ٤٢٥.

المقصد الأول: أسلوب المساومة:

التعريف اللغوي:

السَّوْمُ أصله: الذهاب في ابتغاء الشيء، فهو لفظ لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء. ومنه السَّوْمُ في البيع، وهو: عرض السلعة على البيع وفي المبايعة، يقال: ساوَمْتُهُ سَواً، واستام عليّ، وتساومنا. ويقال: سُمْتُ فلاناً سلعتي سَواً إذا قلت: أتأخذها بكذا من الثمن؟ ويقال: استام مني سلعتي استياماً إذا كان هو العارض عليك الثمن. والاسم من جميع ذلك: السَّوْمَةُ والسَّيْمَةُ. وقيل: السَّوْمُ: طلب المبيع بالثمن الذي تقرر به البيع. والمساومة: المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة وفصل ثمنها.^(١)

نستخلص من هذا التعريف اللغوي:

أنَّ المساومة هي: أن يُقدّم أحد الطرفين لصاحبه شيئاً معيناً مقابل شيءٍ آخر يُقدّمه الطرف الثاني، وذلك رهن المجاذبة والمفاصلة حتى يتفقا على شيءٍ معين.

ولقد قام المشركون بهذا النوع من الأسلوب، وكلهم أمل أن يتحقق مرادهم منه وأن تكون الدائرة لهم، والربح والفوز من نصيبهم. إن مساومتهم تلك، اتصفت بالحماسة والأناية المتناهية، والبعد عن العدل والإنصاف، ولاغرابة في ذلك فهم أهل الكفر، وليس بعد الكفر ذنب. وقد قاموا بهذا الأسلوب، تجاه مايلي:

المسألة الأولى: تجاه الرسول - ﷺ - .

المسألة الثانية : تجاه المدعوين.

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة سوم، ٣١٠/١٢. والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن تحقيق صفوان داوودي، ص ٤٣٨. والجرجاني، التعريفات، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، ص ١٥، ط: ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

المسألة الأولى: تجاه الرسول - ﷺ - .

بين الله - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم حقيقة حال المشركين، وحقيقة مشاعرهم؛ وهم يخاصمون رسول الله - ﷺ - ويجادلونه فيما معه من حق، وهم متخلطوا العقيدة فيما لديهم من تصورات جاهلية بين أنهم على استعداد للتنازل عن كثير من تلك التصورات في مقابل تنازله عن بعض ما يدعو إليه. كما أنهم مستعدون أن يدهنوا ويلينوا مقابل أن يدهن لهم ويلين. وقد سجل القرآن الكريم مساومة أولئك، وعرضها في عدة آيات، من ذلك:

(١) قوله تعالى ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾^(١).

فالرسول - ﷺ - يقول لأولئك: أفغير الله أعبد بأمركم؟ وذلك حين قالوا له: أسلم ببعض آلهتنا ونؤمن بإلهك.^(٢)

(٢) وقوله تعالى: ﴿ وادّوا لوتدمن فيدهنون ﴾^(٣).

أي: ودّ هؤلاء المشركون يا محمد لوتلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم فيلينون لك في عبادتك إلهك.^(٤)
وقيل: " تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى فتلين لهم ويلينون لك".^(٥)

(١) سورة الزمر، الآية رقم ٦٤.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٢/٢٧، ط: ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٩/٤، ج ب : ط [، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) سورة القلم، الآية رقم ٩.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٢/١٨٢، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٥) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٨٣/٣٠.

(٣) وقوله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أتمر عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أتمر عابدون ما أعبد.

لكم دينكم ولي دين﴾. (١)

ذكر العلماء -رحمهم الله تعالى- في سبب نزولها روايات عديدة ومختلفة. (٢)
هذه الروايات تفيد مايلي:

- أ - أنهم طلبوا أن يعبدوا الله معه عاماً، ويعبد آلهتهم معهم عاماً.
 - ب- أنهم طلبوا أن يعبدوا الله مدة ويعبد آلهتهم معهم مدة، وهذه المدة غير محددة.
 - ج - أن يتبع دينهم، ويتبعوا دينه.
 - د - طلبوا منه الاشتراك في الدين.
 - هـ - طلبوا منه أن يستلم آلهتهم أو بعضها وبالتالي يعبدوا إلهه ويصدقوه.
- كما أن بعض من ينقل ذلك يعين أناساً غير الذي عينهم غيره، فمنهم من يذكر عتبة بن ربيعة، (٣) وطائفة، ومنهم من يذكر الوليد بن المغيرة، (٤) وطائفة، وعلى كل حال، فهذه الروايات كلها متطابقة على معنى واحد، وهو أنهم طلبوا منه أن يدخل في شيء من دينهم مقابل أن يدخلوا في شيء من دينه، وإن كانت

(١) سورة الكافرون.

(٢) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٢٥٢/٩، ط: ٤، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. والرازي، التفسير الكبير، ١٤٤/٣٢. وابن تيمية، الفتاوى، جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه ٥٤٣/١٦ - ٥٤٥، [ب: ط]، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، مكتبة المعارف، الرباط.

(٣) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. كان خطيباً، نافذ القول. أدرك الإسلام، وطغى فشده بدرأ مع المشركين. وكان ضخماً الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم بدر فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل مبارزة فقتل سنة ٢ هـ. انظر الزركلي، الأعلام ٢٠٠/٤.

(٤) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن خزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له "العدل" لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو البيت جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاماً على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته. هلك بعد الفجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد. انظر الزركلي، الأعلام ١٢٢/٨.

كلها صحيحة، فقد طلب منه تارة هذا وتارة هذا، وطائفة هذا، وطائفة هذا.^(١)
إن المشركين بهذا الفعل يريدون أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف
الطريق وبالتالي يكفُّ محمدٌ - ﷺ - عن سبِّ آلهتهم وتسفيه أحلامهم ودم
آبائهم.

وهذا من ضلال القوم وسفه أحلامهم، وسوء معتقدهم، فإن الحق كل لا يتجزأ،
ولا يتبعض، فإما أن يكون ما يعبدون حقاً، وإذن خلطه بشيء دخيل عليه يغير
من صورته ويفسد حقيقته، فلا يكون حقاً، ولا يكون باطلاً، وإنما هو حق
وباطل معاً، وإما أن يكون باطلاً، وإذن فلم يمسكون به، ويحرصون عليه ؟
وإن في تفريطهم في معتقدهم على هذا الوجه لدليلاً على أنه معتقد فاسد،
وأنهم هم أنفسهم لا يجدون فيه ما يقيمهم منه على يقين به، واطمئنان إليه، وأنه
من السهل الميسور عندهم أن يبيعوه بالثمن البخس لأول عارض يعرض
لهم.^(٢)

إن قريشاً لضعف عقلها، وقلة فهمها كانت تجهل من تساوم، إنها تساوم
صاحب عقيدة صحيحة، أجزاءها متكاملة لاتقبل التنازل ولاتقبل التجزئة
ولا يغنى بعضها عن بعضها الآخر ولن يتنازل صاحبها عن أية جزئية منها
مهما كلف الأمر، بل هو الرفض الشديد لأية مساومة، تحاول خلخلة هذه
العقيدة المتكاملة.

^(١) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ١٦/٥٤٤ - ٥٤٥.

^(٢) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٥/١٦٩٦، [ب : ط]، دار الفكر العربي.

المسألة الثانية: تجاه المدعويين:

لم تقتصر قريش في مساومتها تلك على النبي - ﷺ - فحسب، بل التمست وسلكت جميع الطرق التي تظن أنها ستفيدها في ذلك، فانتهجت هذا الأسلوب أيضاً مع المدعويين.

ويتجلى ذلك في: مساومة أبي طالب بقتل محمد - ﷺ -، وإعطائه عمارة بن الوليد^(١) لأنها أدركت أنه في حماية ومأمن منهم، وأن أهله وعشيرته لن يخذلوه ويسلموه لأحد ولو كفهم ذلك فراق قومهم وعشيرتهم، فحرصت كل الحرص أن يكون لها سبيل إليه، فإذا مانالت ذلك وقتلته، لم تحصل المطالبة، ولم يحصل الثأر، وبالتالي يتحقق لها مقصدها من إخماد الدعوة في مهدها، وقطع جذرها الأساسي الذي إذا أثمر سوف يأتي على مصالحها ويسلبها جاهها ومكانتها.

جاء في السيرة النبوية، لابن هشام:

"ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أباطالب قد أبي خذلان رسول الله - ﷺ - وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له - فيما بلغني - : يا أباطالب، هذا عمارة بن الوليد، أنهد^(٢) فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، وإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ماتسومونني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله

(١) عمارة بن الوليد بن المغيرة - كان من فتيان قريش جمالاً وشعراً، وهو الذي بعثته قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاشي، يكلمانه فيمن قدم عليه من المهاجرين على خلاف في ذلك، فلما يس عمرو كاد بعمارة عند النجاشي، فنفع النجاشي في إحليله سحراً فذهب مع الوحش، فيما تقول قريش، فلم يزل مستوحشاً يرد الماء في جزيرة بأرض الحبشة، حتى خرج إليه عبدالله بن أبي ربيعة في جماعة، فرصده على الماء، فأخذه، فجعل يصيح ((يا جبير أرسلني فإني أموت، إن أمسكتني، فأمسكه فمات في يده. انظر: المصعب الزبيري، نسب قريش، تحقيق ليفي برونفسال، ص ٣٢٢، ط: ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.

(٢) أنهد: أشد.

مالايكون أبداً".^(١)

تلك هي الأنانية، والحماسة، والمنطلق الأعمى، والافتراح الفاسد الذي لم يطقه أبوطالب، الذي لا يقلُّ حماساً في دفاعه عن ابن أخيه عن حبهم لولدهم عمارة.^(٢) بل مصرّاً على حمايته والذبّ عنه، ولو أذهله ذلك عن أبنائه وحلائله وكلفه حياته.

^(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٢٩٩، ٣٠٠.

^(٢) انظر رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهد المكي مناهجها وغاياتها، ص ٣٦٨، ط : ٣، دار القلم، الكويت، ١٤٠٢هـ -

المقصد الثاني: أسلوب الإغراء:

التعريف اللغوي:

غَرِيَ بالشيء يَغْرِى غَرًا وِغْرَاءً: أُولِعَ بِهِ، وكذلك أُغْرِى بِهِ إِغْرَاءً وَغَرَاءً وَغَرِّيَّ وَأَغْرَاهُ بِهِ لَا غَيْرُ، وَالاسْمُ الْغَرْوَى، وَقِيلَ: الْاسْمُ الْغَرَاءُ. تقول العرب: أَوْلَعَهُ بِهِ: أَغْرَاهُ. وَهُوَ مُوَلِّعٌ بِهِ، أَي مَغْرِيٌّ بِهِ.

والإغراء: الإيساد. يقال: أُغْرِيتُ الْكَلْبَ بِالصَّيْدِ، إِذَا أَسَدْتَهُ. ويقال: أَسَدَ الْكَلْبَ بِالصَّيْدِ إِيسَادًا: هَيَّجَهُ وَأَغْرَاهُ.

والمؤسد: الْكَلْبُ الَّذِي يُشَلَى كَلْبَهُ لِلصَّيْدِ يَدْعُوهُ وَيَغْرِيهِ. وَأَسَدْتُ الْكَلْبَ وَأَوْسَدْتُهُ: أُغْرِيتُهُ بِالصَّيْدِ. ^(١)

فمن خلال التعريف اللغوي لكلمة الإغراء، يتضح أن المقصود منها والمراد بها: إيلاع النفس بالشيء، المُغْرِى بِهِ، وتحبيبه إليها، وتهيجها إليه. ولما تبين لقريش واتضح أن الإسلام يزداد نموه يوماً بعد يوم، وأن بعضاً ممن لهم القوة والمكانة، دخلوا في هذا الدين الذي زاد أفراده وكثروا، وبدأوا يظهرن إسلامهم، بعد إخفائه، قامت بانتهاج أسلوب يتسم بالموادعة، وهو أسلوب الإغراء.

وقد قامت بذلك تجاه مايلي:

المسألة الأولى: تجاه الرسول - ﷺ - .

المسألة الثانية: تجاه المدعوين.

^(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧٢/٣ و ٤١٠/٨ و ١٢١/١٥.

المسألة الأولى: تجاه الرسول - ﷺ -:

سلك المشركون هذا الأسلوب مع النبي - ﷺ -، حيث اجتمعت مجموعة من أشرفهم واتفقوا على إرسال مندوب من قبلهم وهو عتبة بن ربيعة على أن يعرض عليه من الدنيا ما يشاء ويرغبه بشهواتها، فإن كان فقيراً فسيكون أغنى رجل في مكة، وإن كان إنما يطلب الملك والرياسة فإنها ستجعله ملكاً ورئيساً عليها، وإن كان يريد الشرف والسؤدد فإنها ستبذل له ذلك. وإن كان إنما يريد النساء فإنها ستزوجه أجمل نساؤها. وإن كان الذي فيه رثياً من الجن فإنها ستطلب له الطب حتى يحصل له الشفاء.

جاء في السيرة النبوية لابن هشام:

" أن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله - ﷺ - جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة^(١)، ورأوا أصحاب رسول الله - ﷺ - يزيدون ويكثر، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله - ﷺ -، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة^(٢) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمرٍ عظيم فرقت به جماعتهم وسفّتهم وأحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنتظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال له رسول الله - ﷺ - : قل يا أبا الوليد، أسمع، قال: يا ابن أخي، إن

(١) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أسد الله وأسد رسوله، أبو عمارة ولد قبل الفجرة ب ٥٤ سنة، عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخوه من الرضاع، سيد الشهداء، أحد أبطال قريش والإسلام، وبإسلامه عزّ المسلمون. كان بطل بدر قاتل فيها بسيفين، وكان استشهاد يوم أحد غلراً ومُثل به فحزن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وبكاه، كان استشهاد سنة ٣هـ. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/٣. والنهي، سير أعلام النبلاء، ١/١٧١-١٨٤.

(٢) السطة: الشرف.

كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً^(١) تراه لاتستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع^(٢) على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له...^(٣) وجاء في رواية أخرى: " عن جابر بن عبدالله قال: قال أبو جهل^(٤) والملا من قريش: لقد انتشر علينا أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكهانة والشعر، فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره، فقال عتبة: لقد سمعت بقول السحر والكهانة والشعر وعلمت من ذلك علماً، وما يخفى عليّ إن كان كذلك، فأتاه، فلما أتاه قال له عتبة: يا محمد أنت خير أم هاشم^(٥) أنت خير أم عبدالمطلب^(٦)، أنت خير أم.....

(١) الرثي (بفتح الراء وكسرها) : ما يترأى للإلتسان من الجن.

(٢) التابع : من يتبع الناس من الجن.

(٣) ابن هشام : سيرة النبوة، ١/٢٩٣، ٢٩٤. وقال الألباني عن سند الرواية : حسن إن شاء الله، انظر الغزالي، فقه السيرة، هامش ص ١١٣.

(٤) أبو جهل : عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي : أشدُّ الناس عداوة للنبي -صلى الله عليه وسلم - في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، سوتته قريش ولم يطرّ شاربه فأدخلته دار الندوة مع الكهول، أدرك الإسلام، وكان يقال له " أبو الحكم " فدعاه المسلمون " أبا جهل " استمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، لم يفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فتشهدا مع المشركين، فكان من قتلها سنة ٥٢هـ. انظر الزركلي، الأعلام، ٨٧/٥.

(٥) هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة، من قريش : أحد من انتهت إليهم السيادة في الجاهلية، ومن بنيه النبي -صلى الله عليه وسلم - وكان اسمه عمرو، وغلب عليه لقبه " هاشم " لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات وهو أول من سنَّ الرحلتين لقريش، للتجارة : رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة، ورحلة الصيف إلى غزوة وبلاد الشام وربما بلغ أنقرة. ولد بمكة وساد صغيراً وولادته نحو عام ٥٠٠ م، وتولى بعد موت أبيه سقاية الحاج ورفادته [وهي إطعام الفقراء من الحاج] توفي شاباً في غزوة في فلسطين نحواً من سنة ٥٢٤ م ودفن هناك. انظر الزركلي، الأعلام، ٦٦/٨.

(٦) عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، أبو الحارث ولد عام ٥٠٠ م زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب ومقدميهم. مولده في المدينة ومنشأه بمكة، كان عاقلاً، ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان حاضر القلب، أحبه قومه ورفعوا من شأنه فكانت له السقاية والرفادة. وهو جد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قيل : اسمه شيبه و" عبدالمطلب " لقب غلب عليه. مات بمكة عن نحو ثمانين عاماً أو أكثر عام ٥٧٩ م. انظر الزركلي، الأعلام، ١٥٤/٤.

عبدالله^(١) ؟ فلم يجبه، قال: فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا، فإن كنت إنما بك
الرياسة عقدنا لك ألويتنا، فكنت رأسنا ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوجناك
عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك من
أموالنا ماتستغني به أنت وعقبك من بعدك..".^(٢)

كما أنهم قاموا بذلك مرة أخرى علّه أن يستجيب أو يخضع.^(٣) فالمشركون
وهم يعرضون على رسول الله - ﷺ - ما يعرضون يستعملون أقوى الأسلحة
وأفئتها فكثيراً ما تزعزع الأقوياء أمام تلك المغريات، إنه المال، والجاه،
والنساء، أما المال فكم من ساقط على الطريق تحت بريق المال ولمعانه، في
الإغراء به أو الخوف من فقده، وكم من مالٍ وفيرٍ عرض على أناس ليكفوا
عن دعوتهم ويتخلوا عنها أما من ثبت فهو المتأسي برسول الله - ﷺ -
والمنتهج لنهجه، أما من ركن وتزعزع ولان وخضع فهو المنحرف عن
المنهج والذي حاد عن الطريق، أمّا الجاه وما أدراك ما الجاه، فأى جاه يعرض
لرسول الله - ﷺ - أكبر من أن يكون ملكاً على قريش له الأمر والنهي وأن
لا تقطع الأمور دونه، أمّا النساء فيكفينا حكماً عليها قوله - ﷺ - : "مأدع بعدي
فتنة، أضرت على الرجال من النساء".^(٤) فهام قد وضعوا في طريقه - ﷺ -

(١) عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو قثم الهاشمي القرشي، الملقب بالذبيح : والد الرسول - صلى الله
عليه وسلم - ولد بمكة ب : ٨١ سنة قبل الهجرة، وهو أصغر أبناء عبد المطلب. تزوج أمينة بنت وهب، فحملت بالنبي - صلى
الله عليه وسلم -، ورحل في تجارة إلى غزوة، وعاد يريد مكة، فلما وصل إلى المدينة مرض، ومات بها، وقيل : مات بالأبواء،
بين مكة والمدينة، قبل الهجرة ب : ٥٣ سنة. انظر الزركلي، الأعلام، ١٠٠/٤.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام [السيرة النبوية] تحقيق عمر تدمري، ص ١٥٧-١٥٨، ط : ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩ هـ -
١٩٨٩ م.

(٣) وقد قام بتلك المهمة مجموعة من أشراف قريش، وقد عرضوا الأمور التي عرضها عتبة بن ربيعة، ابن هشام، ١/٣٢٤، ٣٢٥ .

(٤) أخرجه ابن ماجة في أبواب الفتن، باب فتنة النساء، ٢/٣٨٠، رقم ٤٠٤٦، ط : ٢، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض،
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، وقال الألباني: صحيح، انظر صحيح سنن ابن ماجة للألباني، ٢/٣٦٦، رقم ٣٢٣٢. ط : ٣، مكتب
التزينة العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٨-١٩٨٨ م.

الشهوات المغرية التي عددوا صورها، وأبرزوها في أثواب زاهية، قل أن يسلم منها أحدٌ فقد يقول قائل: إنه من خلال المنصب الرفيع، والمركز المرموق سوف يحكم بالإسلام ويدافع عن أفراده، ثم هو بعد ذلك يخاف على مانال من العزِّ والشرف أن يفوت، وقد صار عبداً لما حصل عليه لا يستطيع أن يتنازل عنه بأي حال من الأحوال موهماً غيره بأنه سيصلح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لكن قريشاً المسكينة لم تعلم أن كل ماتطلع عليه الشمس لا يساوي شيئاً أمام تلك الدعوة المباركة، ولتستعمل أسلوبها البراق مع من تسول له نفسه وتنتابه أن يركن إلى مثل تلك الأمور، أما حملة العقيدة، أصحاب الهمم العالية لن تثبيهم همتهم تلك لأن يركنوا لمثل هذه الشهوات ولو خسروا حياتهم.^(١)

إن همة محمد - ﷺ - فوق كل همة، وطاعة ربه فوق كل طاعة، فهو يدعو إلى الحق الذي لا مرية فيه، والذي لا يقبل الإغراء أياً كان بريقه ولمعانه.

(١) انظر: منير محمد غضبان، فقه السيرة النبوية، ص ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ط: ١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م. والشامي، من معين السيرة، ص ٦٩. والمباركفوري، الرحيق المختوم، ص ١٢١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

المسألة الثانية: إغراء المدعويين:

لما بدا لقريش أن محمداً - ﷺ - لم تلق له قناة ولن تلقين أمام إغراءاتهم وأنه ثابت على دينه الذي لا يقبل أي إغراءٍ مهما كانت قيمته ومكانته، وأنه ماضٍ في محاربة الشرك بكل أنواعه ليكون الدين كله لله، وليحقق الحق. انحرفت بهذا الإغراء إلى جماعة المدعويين علّها أن تصيب أو تصادف من يكون عوناً لها في صدّها عن الدعوة خاصة إذا كان ممن له المكانة والمنزلة الرفيعة. وباستقراء السيرة النبوية وجد شيء من هذه النماذج والتي تبين لنا مدى استماتتها في هذا الصد حيث وظفت الأموال والأنفس في ذلك، ومن هذه النماذج:

١ - أن قريشاً ساءها استمرار الرسول - ﷺ - في دعوته محمياً من قبل عمه أبي طالب، وزاد ذلك أن المستضعفين من المسلمين والذين كانت تتال منهم لتطفيء بعض غضبها قد استقروا في أرض الحبشة في مأمن واطمئنان وأنهم اتخذوها داراً وقراراً، كما أنها تخوفت من أن يتخذوا منها مركزاً يحاربهم في المستقبل. فعمدت إلى استخدام هذا الأسلوب، فأرسلت إلى "النجاشي" ^(١) ملك الحبشة في عصرها رجلين من دهاتها بالهدايا والجوائز مقابل طردهم من بلاده ثم تسليمهم لها.

جاء في سيرة ابن هشام:

" فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله - ﷺ - قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ائتمروا بينهم، أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين إلى النجاشي، فيردهم عليهم، ليفتوهم في دينهم،

^(١) النجاشي: هو أضحمة ملك الحبشة. معدود في الصحابة - رضي الله عنهم -، وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - فصرى عليه بالناس صلاة الغائب. انظر النهي، سير أعلام النبلاء، ٤٢٨/١.

ويخرجوهم من دارهم، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها فبعثوا عبدالله^(١) بن أبي ربيعة، وعمرو^(٢) بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقتة^(٣)، ثم بعثوهما إليه فيهم^(٤).

وعن أم سلمة^(٥) بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله - ﷺ - قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدا لله تعالى، لانوذي ولانسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً، انتمروا بينهم أن يبعثوا للنجاشي فينا رجلين منهم جليدين. وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(٦)، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقتة بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم ثم قدما إلى النجاشي

(١) عبدالله بن أبي ربيعة، واسمه عمرو، وقيل: حذيفة، ويلقب ذا الرمحين ابن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو، بن مخزوم يكنى أبا عبد الرحمن، كان اسمه بجيرا، فغيره النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهو أخو عياش بن أبي ربيعة لأبويه، أمهما أسماء بنت مخزومة، وهو والد عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة الشاعر المشهور، ولي الجند لعمر وولاه اليمن، واستمر إلى أن جاء لينصر عثمان فسقط عن راحلته، بقرب مكة فمات، وهو من مسلمة الفتح. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٦/٧٤-٧٥ رقم ٤٦٦٢، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥/٤٤٤.

(٢) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي، أبو عبدالله، صحابي جليل القدر، عظيم الشأن، أسلم طوعاً في الهدنة، وهاجر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستعمله على جيش ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، وبعثه إلى عمان، وأمره عمر بن الخطاب في فتوح الشام، ثم ولاء مصر، وولاه إياها عثمان بن عفان. وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث عدة. وقد تولى مصر لمعاوية حتى مات فيها سنة ٤٣ هـ. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤/٢٥٤-٢٦١. وابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٤/١١٥-١١٨.

(٣) قواده.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٥٩، ٣٦٠.

(٥) أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية، أم المؤمنين، اسمها هند، واسم أبيها حذيفة وقيل: سهيل، ويلقب زاد الركب. وهي أول امرأة خرجت مهاجرة إلى الحبشة وأول طعينة دخلت المدينة. وهي التي أشارت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية أن يخرج إلى أصحابه ويحلق رأسه. روت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أبي سلمة. وفاطمة الزهراء وروى عنها كثير. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/٨٦، ٩٦. وابن الأثير، أسد الغابة، ٥/٥٨٨، ٥٨٩.

(٦) الأدم: الجلود.

هداياهم، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقتة بطريقاً إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، وقالوا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى^(١) إلى بلد الملك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لانعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردوهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا^(٢) وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قدما هدياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لانعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه...."^(٣)

إن قريشاً بفعلها ذلك لتبرهن على مدى عتوها في الصد عن هذا الدين إذ أنها لم تقتصر في ذلك على مكة فحسب بل تعدتها إلى بلاد الحبشة، ولم يزعزعها ذلك البعد فتكبدت مشاق ذلك الطريق الطويل مع ماوظفته من الأموال والأنفس كل ذلك في سبيل الشيطان.

٢- "لما بويع رسول الله ﷺ - ليلة العقبة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، أشفقت قريش أن يعلو أمره، وقالوا: والله لكأنكم به قد كرت عليكم بالرجال، فاجتمع جماعة من أشرافهم ليدخلوا دار الندوة فيتشاوروا في أمره فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا شيخ من أهل نجد، سمعت ما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا من رأيي نصحاً، فقالوا: ادخل، فدخل معهم، فقالوا: انظروا في أمر هذا الرجل، فقال بعضهم: احبسوه في وثاق، وتربصوا به ريب المنون. فقال إبليس: ما هذا برأي يوشك

(١) ضوى: لجأ.

(٢) أي أضر بهم من غيرهم.

(٣) تنظر الإمام أحمد، المسند، ١/٢٥٠، رقم ١١٣٩، وقال أحمد شاكر: اسناد صحيح ١٨٠/٣-٣٦٦/٥، وابن هشام، السيرة النبوية، ١/٢٦٠، ٢٦١.

أن يثب أصحابه فيأخذوه من أيديكم. فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم فقال: ما هذا برأي، يوشك أن يجمع عليكم ثم يسير إليكم. فقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة غلاماً، ثم نعطي كلَّ غلامٍ سيفاً فيضربوه به ضربة رجل واحد، فيفرق دمه في القبائل، فما أظن هذا الحي من قريش يقوى على ضرب قريش كلها، فيقبلون العقل ونستريح. فقال إبليس: هذا والله الرأي. فنفرقوا عن ذلك. وأتى جبريل رسول الله - ﷺ - فأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبيت في مضجعه تلك الليلة، وأمر علياً فبات في مكانه وبات المشركون يحرسونه، فلما أصبح رسول الله - ﷺ -، أذن له الله في الخروج إلى المدينة، وجاء المشركون لما أصبحوا، فرأوا علياً، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره حتى بلغوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا نسيج العنكبوت فقالوا: لو دخله لم يكن عليه نسج العنكبوت".^(١) ولما رأت أنه أفلت من يديها بذلت لمن يأتي به أو بصاحبه^(٢) الغالي والنفيس. روى البخاري في صحيحه بسند أوصله إلى سراقه^(٣) بن جعشم بقوله:

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/٣٤٦، ٣٤٧. وقد روى نحو ذلك مختصراً الإمام أحمد رحمه الله في مسنده ١/٤٣٣، ٤٣٤، رقم ٣٢٥، إشراف: د. سمير المجذوب وإعداد: محمد سمارة وزملاؤه، ط: ١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م. وقال عنه أحمد شاکر في إسناده نظر، من أجل عثمان الجزري ٥/٨٧ والهيتمي، في مجمع الزوائد، ٧/٢٧، وقال: رواه أحمد والطبري وفيه عثمان ابن عمر الجزري، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقي رجاله رجال الصحيح. وابن كثير، في البداية والنهاية، ٣/١٧، وقال: وهذا إسناده حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - وحسنه ابن حجر، في الفتح، ٧/٣٠٠. وحسنه الزرقاني، شرح المواهب اللدنية، ١/٣٢٣. ولقصة نوم علي بدلاً من النبي - صلى الله عليه وسلم - طريق آخر عند الإمام أحمد رحمه الله في مسنده ١/٤١١، ٤١٢، رقم ٣٠٦١، وقال عنه أحمد شاکر إسناده صحيح، ٥/٢٥. والمحاكم في المستدرک، ٣/٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال: النهي في التلخيص ٣/٤: صحيح.

(٢) وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، أبو سفیان: صحابي، له شعر كان ينزل قديماً. له في كتب الحديث ١٩ حديثاً. وكان في الجاهلية قاتماً، أخرجه أبو سفیان ليقترف أثر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين خرج إلى الغار مع أبي بكر. وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨ هـ. وفاته سنة ٢٤ هـ وهو الذي قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (كيف بك إذا ليست سوارى كسرى؟) ولبسها في عهد عمر وبأمره. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/٢٦٤، ٢٦٥. والزرکلي، الأعلام، ٣/٨٠.

" جاءنا رسل كفار قريش، يجعلون في رسول الله - ﷺ - وأبي بكر دية كل واحد منهما، لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال يا سراقه: إني قد رأيت أنفاً أسوداً^(١) بالساحل، أراها محمداً وأصحابه، قال سراقه: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً، انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت، فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة^(٢)، فتحبسها علي، وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر^(٣) البيت، فحططت بزجه^(٤) الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها^(٥) تقرب بي^(٦) حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام^(٧) فاستقسمت^(٨) بها: أضرمهم أم لا، فخرج الذي أكره^(٩).

فركبت فرسي، وعصيت الأزام، تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغنا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها.....

(١) أسودة : أشخاصاً.

(٢) أكمة : رابية مرتفعة عن الأرض.

(٣) من ظهر : من خلف.

(٤) فحططت بزجه : نكست أسفله، والزج : الحديدية التي تكون في أسفل الرمح.

(٥) رفعتها : أسرعت بها السير.

(٦) تقرب بي : من التقريب، وهو نوع من السير، دون العدو وفوق العادة، وقيل : هو أن ترفع يديها معاً وتضعهما معاً.

(٧) الأزام : سهام لا ريش لها ولا نصل، مكتوب عليها : لا، نعم، فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أسراً، ضربوا بها، فإن خرج [لا] تركوا، وإن خرج [نعم] فعلوا.

(٨) فاستقسمت بها : من الإستقسام، وهو طلب معرفة ما قسم.

(٩) الذي أكره : أي لا تضرمهم ولا تقدر عليهم.

عثان^(١) ساطع^(٢) في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جنتهم، ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزاني^(٣) ولم يسألاني، إلا أن قال: (أخف عنا). فسألته أن يكتب لي كتاب أمن. فأمر عامر بن فهيرة^(٤) فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله - ﷺ -^(٥) وجاء في رواية أخرى عنه رضي الله عنه قوله: "لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة، جعلت قريش فيه مائة ناقه لمن رده عليهم. قال: فبينما أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منا، حتى وقف علينا، فقال: والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا عليّ آنفاً، إني لأراهم محمداً وأصحابه، قال: فأومأت إليه بعيني: أن اسكت ثم قلت: إنما هم بنو فلان، يبتغون ضالة لهم قال: لعله، ثم سكت. قال: ثم مكثت قليلاً، ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي، فقيدت لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي، فأخرج لي من دبر حجرتي ثم أخذت قداحي التي استقسم بها، ثم انطلقت، فلبست لأمتي ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره " لا يضره " قال: وكنت أرجو أن أرده على قريش،

(١) عثان : الدخان من غير نار.

(٢) ساطع : منتشر.

(٣) لم يرزاني : لم يأخذ مني شيئاً، ولم ينقص من مالي.

(٤) عامر بن فهيرة التميمي، صحابي، مجاهد، صابر، كان من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم. أسلم وهو مملوك، وكان حسن الإسلام، وعذب في الله تعالى، فاستراه أبو بكر الصديق، فأعتقه، وكان أسود. وكان يرعى لأبي بكر غنمه، وهو الذي كان يروح بغنمه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه حينما خرجا إلى الغار بثور مهاجرين. شهد بدرًا وأحدًا وقتل يوم بدر معونة سنة ٤هـ، وهو ابن أربعين سنة. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٢٣٠، ٢٣١. وابن الأثير، أسد الغابة، ٣/٩٠، ٩١.

(٥) أخرجه البخاري، في كتاب فضائل الصحابة، باب : هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة، ٣/١٤٢٠، ١٤٢١، رقم ٣٦٩٣.

فأخذ المائة الناقة. قال: فركبت على أثره، فبينما فرسي يشتد بي عثر بي، فسقطت عنه قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره " لا يضره ". قال: فأبيت إلا أن أتبعه. قال: فركبت في أثره فبينما فرسي يشتد بي، عثر بي، فسقطت عنه. قال: فقلت ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره " لا يضره " قال: فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي، فذهبت يداه في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض، وتبعهما دخان كالإعصار. قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني، وأنه ظاهر. قال: فناديت القوم: فقلت: أنا سراقه بن جعشم: انظروني أكلمكم، فوالله لا أريكم ولا يأتكم مني شيء تكرهونه. قال: فقال رسول الله - ﷺ - لأبي بكر: " قل له: وماتبغي منا "؟ قال: فقال، ذلك أبوبكر، قال: قلت: تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك. قال: " اكتب له يا أبابكر ". قال: فكتب لي كتاباً في عظم، أو في رقعة، أو في خزفة، ثم ألقاه إلي، فأخذته، فجعلته في كنانتي ثم رجعت، فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان... " (١)

هذا هو النموذج الثاني من النماذج الإغرابية والتي سلكتها قريش مع المدعويين من أجل الصد عن هذا الدين. فلقد أرخصت في سبيل ذلك الثروة الهائلة الطائلة والتي كانت تحسب لها ألف حساب، مئة من حمر النعم مقابل رسول الله - ﷺ -، ومائة أخرى مقابل أبي بكر - رضي الله عنه -، حين كانا أو ميتين. وصدق الله إذ يقول: ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾ (٢). حيث يخبر أن الكفار ينفقون أموالهم

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٣٠/٢، ١٣١.

(٢) سورة الأنفال، الآية رقم ٣٦.

ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فسيفعلون ذلك ثم تذهب أموالهم ثم تكون
عليهم حسرة أي ندامة، حيث لم تجد شيئاً لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور
كلمتهم على كلمة الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه ومعلن
كلمته.^(١)

^(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٠٢، ٥٠١/٢.

المقصد الثالث: أسلوب الخداع:

التعريف اللغوي:

الخدع: إظهار خلاف ما تخفيه. يقال: خدعه يخدعه خدعاً، وخدعاً، وخديعاً وخدعةً، أي أراد به المكره وختله من حيث لا يعلم.^(١)

والخداع: إنزال الغير عما هو بصدده بأمرٍ على خلاف ما يخفيه، قال تعالى:

﴿مخادعون للهِ﴾^(٢) .^(٣)

وهو من أساليب الترغيب التي سلكها المشركون للصدّ عن دين الله - تعالى - حيث قالوا لمن آمن بمحمد - ﷺ - : - ارجعوا عن دينكم إلى ديننا، واتبعوا سبيلنا، واسلكوا طريقتنا ولنحمل آثامكم، إن كانت لكم آثام بل هي علينا وفي رقابنا، كما يقول القائل: افعل هذا وخطيئتك في رقبتى.^(٤) يقول تعالى عن أسلوبهم ذلك:

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء، إنهم لكاذبون﴾^(٥).

إنهم يحاولون صدّ المؤمنين عن دينهم، بترغيبهم عن طريق الخداع، حينما عجزوا عن فتنتهم بالأذى والعذاب إمّا:

أ - لعزتهم، وخشية بأسهم، مثل.....

^(١) انظر: ابن منظور، اللسان، ٦٣/٨.

^(٢) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ٩.

^(٣) انظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٧٦.

^(٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٧٠/٣. والشوكاني، فتح القدير، ١٩٤/٤، [ب : ط]، دار إحياء التراث العربي،

بيروت.

^(٥) سورة العنكبوت، الآية رقم ١٢.

عمر بن الخطاب ^(١) رضي الله عنه فقد قيل: إن هذه المقالة قيلت له.
ب - وإما لكثرتهم، حين كثر المسلمون وأعييت المشركين حيل الصدّ عن
الإسلام. ^(٢)

إن الباعث الذي جعلهم يرغبون المؤمنين ذلك الترغيب:

أولاً: تصورهم بأنه لا حشر ولا بعث ولا نشور:

بخلاف مايعتقده من آمن، فهم قالوا مقولتهم تلك ^(٣) تسليماً لهم وتمشياً مع
معتقدهم بضرورة البعث والنشور. ^(٤)

ومما يدلنا على ذلك:

أ - عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: جئت العاصي بن وائل السهمي ^(٥)
أنقاضه حقاً لي عنده فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد - ﷺ -، فقلت: لا،
حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لميتاً ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إن لي
هناك مالاً وولداً فأقضيكه، فنزلت هذه الآية:.....

^(١) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، ولد قبل الهجرة ب ٤٠ سنة، أبو حفص، الفاروق، ثاني الخلفاء
الراشدين، وأول من لقب بأمر المؤمنين، الصحابي العظيم الشجاع، الحازم، الحكيم، العادل صاحب الفتوحات. كان من أبطال
قريش في الجاهلية وله السفارة فيهم، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وبإسلامه أعتز المسلمون، وكانت له تجارة بين الشام
والحجاز، وبيع بالخلافة، يوم وفاة أبي بكر رضي الله عنه - سنة ١٣ هـ بعهد منه، وأخباره ومواقفه وعظمته معروفة مشهورة،
قتله غيلة أبو لؤلؤة الجوسي غلام المغيرة بن شعبة فعاش ثلاث ليال أوصى فيها بشورى الستة وكانت وفاته سنة ٢٣ هـ. انظر: ابن
سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٢٦٥-٢٧٥. الحاكم، المستدرک، ٣/٨٠ وما بعدها.

^(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠/٢١٩، [ب : ط]، الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،
ليبيا.

^(٣) وهي ((ولنحمل خطاياكم)).

^(٤) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٤١/٢٥.

^(٥) العاص [أو العاصي] بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش: أحد الحكام في الجاهلية. أدرك الإسلام، وظل على الشرك، ويُعد من
المستهزئين ومن الزنادقة الذين ماتوا كفاراً وثنيين. وهو الذي منع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من قريش، حين أظهر
الإسلام، وهو والد الصحابي عمرو بن العاص - رضي الله عنه - مات بالأبواء بين مكة والمدينة على أثر علة أصابت رجله وذلك
قبل الهجرة ب ٣ سنين. انظر الزركلي، الأعلام ٣/٢٤٧.

﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتيت مالا وولداً ﴾. (١) (٢)

ب - أن رجلاً من المشركين جاء إلى النبي - ﷺ - بعظم حائل (٣) ففتته بين يديه، فقال: يا محمد أبيعث الله هذا حياً بعدما أرم (٤)؟ قال: نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم.

قال: ونزلت الآيات: ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من عجبى العظام وهى رميم ﴾ (٥) (٦) وقد اختلف في ذلك الرجل، فقيل: أبي بن خلف (٧) (٨)، وقيل:

(١) سورة مريم، الآية ٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير:

باب: ((أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتيت مالا وولداً)) ٤/١٧٦٠، ١٧٦١، رقم ٤٤٥٥.

وباب: ((أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً)) ٤/١٧٦١، رقم ٤٤٥٦.

وباب: ((كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً)) ٤/١٧٦١، رقم ٤٤٥٧.

رباب: ((ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً)) ٤/١٧٦١، ١٧٦٢، رقم ٤٤٥٨.

وأخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: سؤال اليهود النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الروح، وقوله تعالى: ((يسألونك عن الروح)) الآية ٤/٢١٥٣، رقم ٢٧٩٥.

(٣) حائل: أي متغير الحال والشكل.

(٤) أرم: بلي، وأصبح رميماً.

(٥) سورة يس، الآيتان رقم ٧٧، ٧٨.

(٦) انظر الطبري، جامع البيان، ١٠/٤٦٤.

(٧) انظر المرجع السابق، ١٠/٤٦٤. وانظر الواحدي، أسباب النزول، تحقيق: الجميلي ص ٣٠٣، ط: ٥، دار الكتاب العربي، بيروت

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م. وابن الجوزي، زاد المسير، ٧/٤١. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٣١٤، ط: ١، دار الفجر، دمشق،

بيروت ١٤١٠ - ١٩٩٠ م.

(٨) أبي بن خلف بن وهب الجهمي القرشي، من زعماء قريش الذين تصدوا لدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - طعنه الرسول -

صلى الله عليه وسلم - بحربة يوم أحد وهو يسعى إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - يريد قتله فاحتمله المشركون، ومات بمصر

الظهران على أميال من مكة. انظر الزبير، نسب قريش، ص ٣٨٧.

العاص بن وائل^(١)، وقيل: أبوجهل بن هشام^(٢)، وقيل: أمية بن خلف^(٣)،^(٤)
وقيل: عبدالله بن أبي بن سلول^(٥)،^(٦)

ولعل ذلك تكرر مرات تولى كل واحد من هؤلاء بعضها.^(٧)

وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف أو العاص
بن وائل أو في غيرهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، وهي أيضاً
موضحة لاعتقاد المشركين في تلك القضية.^(٨)

إن المشركين ينكرون البعث ويستبعدونه، وليس لهم في ذلك دليل ولا شبهة،
وقد ذكر الله عنهم ذلك في كثير من المواضع بلفظ الاستبعاد، كما قال تعالى:
﴿وقالوا أنذا ضللنا في الأرض أننا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم

كافرون﴾.^(٩)

(١) انظر الطبري، جامع البيان، ٤٦٤/١٠، وابن الجوزي، زاد المسير، ٤٠/٧. والسيوطي، أسباب النزول، ٣١٤.

(٢) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٤١/٧. والشوكاني، فتح القدير، ٣٨٤/٤. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٧٣/٢٣.

(٣) أمية بن خلف بن وهب، من بني لؤي: أحد جبايرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم. أدرك الإسلام، ولم يسلم. وهو الذي عذب
بالأحباشي في بداية ظهور الإسلام. أسره عبدالرحمن بن عوف يوم بدر، فراه بلال فصاح بالناس يخرضهم على قتله فقتلوه سنة
٢٢ هـ: انظر الزركلي، الأعلام، ٢٢/٩.

(٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٤١/٧.

(٥) عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول جدته لأبيه، من خزاعة: رأس المناقطين في
الإسلام. من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم. وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقية. ولما تهيأ النبي - صلى الله
عليه وسلم - لوقعة أحد، اختزل أبي وكان معه ثلاثمائة رجل، فعاد بهم إلى المدينة. كان عملاقاً، لما توفي صلى عليه النبي - صلى
الله عليه وسلم - سنة ٩ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ٦٥/٤.

(٦) انظر الطبري، جامع البيان، ٤٦٤/١٠. وابن الجوزي، زاد المسير، ٤٠/٧. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٦٠/٣، وقال
مانصه: ((وهذا منكر، لأن السورة مكية وعبدالله بن أبي ابن سلول إنما كان بالمدينة)).

(٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٧٣/٢٣.

(٨) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٦٠/٣.

(٩) سورة السجدة، الآية رقم ١٠.

وقال: ﴿ يقول أنك لمن المصدقين إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا
ملايينون ﴾^(١) وقال: ﴿ وكانوا يقولون أئنا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا
لمبعوثون ﴾^(٢) ونحو ذلك.^(٣)

ثانياً: تصورهم أنه لا جبرية مع الكفر والشرك:

وذلك بخلاف ما يعتقد المؤمنون من أن الكفر والشرك ذنب كبير وظلم عظيم،
فهم قالوا ﴿ ولنحمل خطاياكم ﴾^(٤) تسليماً لهم وتمشياً مع ذلك المعتقد،
وهو ما يحصل من جراء الكفر من خطايا وتبعات.^(٥)
إنهم يسلّمون بذلك^(٦) على أنه مستحيل بزعمهم، ويقولون (ولنحمل
خطاياكم) حتى يحملوا من آمن على الكفر ويرغبوهم فيه وذلك عن
طريق الخداع.

إن من يمعن النظر في الآية السابقة يجد ما يلي:

- (١) تصورهم الفاسد لقضية البعث.
- (٢) تصورهم الفاسد لقضية الجزاء في الآخرة.
- (٣) فتنتهم الإغوائية عن طريق الخداع وهو الشاهد من ذلك الاستدلال.
- (٤) فساد تصورهم للتبعية والجزاء - مالم يحصل ذلك - إذ كانوا يتصورون أن
ذلك نظير ما يحصل في مجتمعهم الجاهلي والقبلي من احتمال العشيرة للديات
المشتركة، والتبعات المشتركة.

(١) سورة الصافات، الأيتان رقم ٥٢، ٥٣.

(٢) سورة الواقعة، الآية رقم ٤٧.

(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٠٩/٢٦.

(٤) سورة العنكبوت، جزء من الآية رقم ١٢.

(٥) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٤١/٢٥.

(٦) وهو ماسلف ذكره: (١) من أن هناك بعثاً ونشوراً، (٢) ما يحصل بسبب الكفر من المعاصي، وهو الذنب الكبير والظلم العظيم.

إنهم يحسبون أنهم قادرون على احتمال جريرة الشرك بالله عن سواهم وإعفائهم منها.

وقد تصدى القرآن الكريم لهذه التصورات الفاسدة، بالردود الحاسمة ليس هذا مكان بسطها، وبسآتي عليها إن شاء الله تعالى في الفصل الثاني من هذا البحث.

المطلب الثاني

أساليب الترهيب

وكانت تجاه مايلي:

المقصد الأول: تجاه الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

المقصد الثاني: تجاه المدعوين.

المطلب الثاني: أساليب الترهيب:

التعريف اللغوي:

رَهَبَ، بالكسر، يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرُهْبًا، بالضم، وَرَهْبًا، بالتحريك أي: خاف.
وَرَهَبَ الشَّيْءَ رَهْبًا وَرُهْبًا وَرَهْبَةً: خَافَهُ. وَتَرَهَّبَ غَيْرَهُ إِذَا تَوَعَّدَهُ، وَأَشَدُّ
أَحَدَهُمْ يَصِفُ عَيْرًا وَأُتُّهُ:

تَعْطِيهِ رَهْبًا إِذَا تَرَهَّبًا عَلَى اضْطِمَارِ الْكُشْحِ بَوَّلًا زَغْرَبًا

عَصَاةَ الْجَزْرِ الَّذِي تَحَلَّبَا

رَهْبًا: الَّذِي تَرَهَّبَهُ، كَمَا يُقَالُ هَالِكٌ وَهَلَكَى. إِذَا تَرَهَّبًا إِذَا تَوَعَّدَا.

وَأَرْهَبَهُ، وَرَهَبَهُ وَاسْتَرْهَبَهُ: أَخَافَهُ وَفَزَعَهُ.

وَاسْتَرْهَبَهُ: اسْتَدْعَى رَهْبَتَهُ حَتَّى رَهَبَهُ النَّاسَ، وَبِذَلِكَ فَسَّرَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾^(١)، أَي: أَرْهَبُوهُمْ.^(٢)

التمهيد والعرض:

لم يأل كفار قريش جهداً في استخدام الأساليب تلو الأساليب للصد عن هذه
الدعوة والتي استمر محمد - ﷺ - في نشرها والدعوة إليها.
فكانت تبذل الجهود للبحث عن أي أسلوب يخدمها في ذلك مادام أنه لم يكف
عن عيب دينها وشتم آلهتها وتسفيه أحلامها. وهي في ذلك لم تتورع ولم تراع
أي قيم تحترمها أو تلتزم بها، مادام أن الأمر قد وصل إلى هذا الحد.
فمما انتهجته في ذلك: أساليب الترهيب، والتي تعددت وتوعدت فكانت:

المقصد الأول: تجاه الرسول - ﷺ - .

المقصد الثاني: تجاه المدعوين.

فكان قصدها من وراء ذلك - غير الصد - تثبيت الهمم وإمانتها في القلوب قبل
النضوج.

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية رقم ١١٦.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤٣٦/١، ٤٣٧.

المقصد الأول: أساليب قريش الترهيبية تجاه الرسول - ﷺ :-

قام المشركون في معرض صدّهم عن الدعوة الإسلامية، بأساليب ترهيبية عديدة، تجاه الرسول - ﷺ - وذلك لتثني عزمه الشديد على تبليغ تلك الدعوة المباركة. فمن ذلك:

المسألة الأولى : التهديد بمنازلته.

المسألة الثانية : التهديد بشتم الإله - سبحانه وتعالى -.

المسألة الثالثة : التهديد بوطء عنقه.

المسألة الرابعة : التهديد بتعفير وجهه بالتراب.

المسألة الخامسة : التهديد بكثرة الأتباع.

المسألة السادسة : التهديد بإزهاق روحه.

المسألة الأولى: التهديد بالمنزلة: [وهي الحرب]:

لما رأى المشركون مايقوم به النبي -ﷺ- من سب الآلهة وعيب الدين وتسفيه الأحلام، وتضليل الآباء مشوا إلى أبي طالب حتى يكفه عن ذلك، أو يُخَلِّي بينهم وبينه، حيث ذهب وفدٌ منهم إلى أبي طالب وقال له: ((يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أعلامنا، وضلَّ آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تُخَلِّي بيننا وبينه، فإنك على مثل مانحن عليه من خلافه، فنكفيك، فقال لهم أبوطالب قولاً رقيقاً وردَّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه)).^(١)

ولكن هذه السفارة لم تسفر عن أي نتيجة إيجابية لدى كفار قريش.

((ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنتهه عنا، وإنا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أعلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا - ثم انصرفوا عنه..)).^(٢)

فمن خلال هذا النص - النص الأخير - يتبين لنا أول أسلوب ترهيب قام به قريش ألا وهو: التهديد بالمنزلة، وهي الحرب التي تعني هلاك الأنفس والأموال إنها فعلت ذلك لتصد عن دين الله - تعالى - من خلال أمرين أساسيين، كانت تقوم الدعوة عليهما - بعد الله - آنذاك، وهما:

أ - تثبيط همة الرسول -ﷺ- المتوقدة في تبليغ الدعوة.

ب - تثبيط همة أبي طالب في حماية ابن أخيه والذب عنه وهو يبلغ دعوة ربه. لكن هذا الأسلوب لم يثمر الثمرة المرجوة لدى كفار قريش، فمحمد -ﷺ- لم يتزعزع عن طريقته تلك بمجرد ذلك الأسلوب، فمن لوازم التبليغ لديه بيان

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٩٨/١.

(٢) المرجع السابق، ٢٩٨/١.

ذلك وإيضاحه مهما كلف الأمر. كما أن أبا طالب لم يتزعزع هو الآخر عن
حماية ابن أخيه والذنب عنه، يثبت ذلك قوله في قصيدة له:

كذبتم وبيت الله نُبِرَى^(١) محمداً

ولما نطاعن دونه وتناضل^(٢)

ونسلمه حتى نُصَرَّعَ حوله

ونذهل عن أنبائنا والحلائل

وينهض قوم في الحديد إليكم

نهوض الروايا^(٣) تحت ذات الصلاصل^(٤).^(٥)

(١) نبرى محمداً: بالبناء للمجهول، أي: نسلبه وتغلب عليه، وفي رواية: ايزرى محمداً بالياء، وفي الكلام حذف ((لا)) أي:

لانسلمه، ولانغلب عليه حتى يكون ما ذكره.

(٢) تناضل: نترامى بالسهام.

(٣) الروايا: جمع راوية، وهي البعير الذي يحمل الماء.

(٤) الصلاصل: المرادات التي لها صلصلة بالماء.

(٥) المرجع السابق، ٣٠٧/١.

المسألة الثانية: التهديد بشتيم الإله - سبحانه وتعالى -:

لما رأت قريش عدم جدوى تهديدها الأول، بل إن محمداً - ﷺ - مستمر على طريقته من شتم آلهتها وعبها وتضليل آبائها وتسفيه أحلامها سلكت في تهديدها مسلكاً آخر وهو:

مقابلة محمد - ﷺ - بمثل أسلوبه، كي يكف عن ذلك الشتم والعيب. إذ رأت تعلق المسلمين بربهم، وحبهم له، ورعايتهم لأوامره ونواهيه، وليس كذلك شأنها مع آلهتها التي لا تنتظر إليها تلك النظرة الخاشعة، التي ينظر بها المسلمون إلى ربهم، ولا ترى في آلهتها ما يراه المسلمون في ربهم، من قدسية وعظمة وجلال.

يقول تعالى عن تهديدهم ذلك:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١).

حيث ورد في سبب نزولها، أن المشركين قالوا: يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا، أو لنهجون ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدواً بغير علم.^(٢)

وقيل: إنهم قالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا، أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك.^(٣) فالله - تعالى - ينبه رسوله - ﷺ - والمؤمنين، عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وأمرهم أن يبعدوا أنفسهم عن تلك المواطن التي يقفون فيها مع السفهاء موقف الخصومة والتلاحي لأن السفه الساقط المروءة، يجد في التناول على أهل الحكمة وأصحاب الشأن في الناس فرصته، في الاستعلاء بنفسه، حين يكون هو ومن فوقه في منزلة سواءً. وفي هذا يقول الشاعر:

(١) سورة الأنعام جزء من الآية رقم ١٠٨.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ٣٠٤/٥. وابن الجوزي، زاد المسير، ١٠٢/٣. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٧١/٢ - ٢٧٢.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٠٥/٥. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٧٢/٢.

بَلِّغْ لَيْسَ يَعْدِلُ لَهُ بَلٌّ
يَبِيعُكَ مِنْهُ عَرْضاً لَمْ يَصْنَهُ
عِدَاوَةٌ غَيْرُ ذِي حَسَبٍ وَدِينٍ
لِيَرْتَعِ مِنْكَ فِي عَرْضٍ مَكُونٍ

فإذا سبَّ المشركون الله في مجلسٍ من مجالسهم مع المسلمين، شعروا أنهم أصابوا من المسلمين مقتلاً، وإذا سبَّ المسلمون أئمتهم لم يكن في ذلك ما يزعجهم أو يقلقهم، وإن يكن شيء من ذلك فهو شيء قليل لا يكاد يحس له أثر، شأن اللئيم يتناول على الكريم، فإذا ناله الكريم بأذى لم يتأثر له.^(١)

^(١) انظر : المرجع السابق، ٢/٢٧١. والخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٢/٢٥٨.

المسألة الثالثة: التهديد بوطء عنقه - ﷺ - :-

إن المشركين لم يستكروا ذلك السبّ والتضليل فحسب، وليس هو الأمر الوحيد الذي ينكرونه ويريدون الخلاص منه، بل هناك أمور غير ذلك قد ظهرت وبدت للناس وهي تريد أن تكبتها وتتخلص منها مهما كلف الأمر. إن من تلك الأمور ((الصلاة جهرية)) والتي كان يؤديها - ﷺ - في البيت الحرام وعند المقام.

لقد توعدته بأن لوقام بذلك لتطأن عنقه. فقد روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي - ﷺ - فقال: [لو فعله لأخذته الملائكة].^(١)

وروى مسلم^(٢) رحمه الله - عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال أبو جهل: ((هل يعفر محمد وجهه))^(٣) بين أظهركم ؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيتك يفعل ذلك لأطأن على رقبتك^(٤).

(١) أخرجه البخاري - رحمه الله - في كتاب التفسير، باب: ((كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية...))، ١٨٩٦/٤، رقم ٤٦٧٥.

(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين: حافظ من أئمة الحديث. ولد بنيسابور سنة ٢٠٤هـ ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور. أشهر كتبه ((صحيح مسلم)) جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمس عشرة سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة، في الحديث، وقد شرحه كثيرون. توفي رحمه الله - سنة ٢٦١هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ٧/٢٢٢، ٢٢١.

(٣) [هل يعفر محمد وجهه]: أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر، وهو التراب.

(٤) أخرجه مسلم - رحمه الله - في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله: ((إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى))،

٢١٥٤/٤، رقم ٢٧٩٧.

المسألة الرابعة: التهديد بتعفير وجهه بالتراب:

واستمرت التهديدات القرشية، والتي تقصد من ورائها منع شعائر الإسلام من الظهور أمام الناس وبينهم.

ففي الحديث السابق الذي رواه الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم. قال: فقيل: نعم. فقال: واللوات والعزى! لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن على رقبته. أو لأعفرنَّ وجهه في التراب....^(١)

إن أباجهل ومن على شاكلته ليسوؤهم اعتناق هذا الدين، والالتزام به، والقيام بشعائره فضلاً عن الاستعلان بها في نواديهم وبين أظهرهم. ففي ذلك الأثر العظيم عليهم وعلى مصالحتهم.

إن من يقوم بذلك فله الجزاء الرادع والعقاب الأليم - والذي لن يتأخروا به - كائناً من كان.

^(١) انظر: المرجع السابق، ٤/٢١٥٤، رقم ٢٧٩٧.

المسألة الخامسة: التهديد بكثرة الأتباع:

خلال هذا الجو الملبّد بتلك التهديدات، وحينما أتقل أبوجهل على الرسول - ﷺ - في نهيهِ عن الصلاة عند المقام، لم يملك نفسه - ﷺ - فانتهر أباجهل، وأغلظ له، فما كان منه إلا أن هدده بأتباعه.

يقول تعالى عن ذلك: ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى. أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى. أرأيت إن كذب وتولى ألر يعلم بأن الله يرى كلا لن لمر يتته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾^(١).

حيث ورد في سبب نزولها مارواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله - ﷺ - يصلى عند المقام، فمرّ به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد، ألم أنك عن هذا؟ وتوّعه، فأغلظ له رسول الله - ﷺ - وانتهره، فقال: يا محمد بأي شيء تهددنى؟ أما والله إنى لأكثر هذا الوادي نادياً، فأنزل الله: ﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾، قال ابن عباس: لو دعا ناديه، لأخذته زبانية العذاب.^(٢)

ومع ذلك كله لم يضعف رسول الله - ﷺ - ولم يرعوي بل استمر في بيان قيمة تلك الآلهة، وقيمة عقول من ارتضى عبادتها، واستمر في عبادة ربه في أظهر بقعة على وجه الأرض.

(١) سورة العلق، الآيات من ٩ - ١٩ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد رحمه الله - في مسنده، ٤٠٩/١، رقم ٣٠٤٤، وقال العلامة أحمد شاكر في شرحه للمسنَد: إسناده صحيح،

٩١/٤، رقم ٢٣٢١ و ١٨/٥، رقم ٣٠٤٥. وانظر الطبري، جامع البيان، ٦٤٨/١٢ - ٣١٩/١، رقم ٢٣٢٠.

المسألة السادسة: التهديد بإزهاق روحه:

لم يكتف المشركون بهذا التدر من التهديد، بل عمدوا إلى تهديد أعظم مما سبق حيث هددوا بإزهاق روحه وإهلاكه، إن هو استعلن بصلاته واستمر بها، ويتمثل ذلك بما يلي:

أ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال أبو جهل: لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه.^(١)

ب- وذكر ابن هشام في السيرة النبوية، قصة طويلة جرت بين المشركين، وبين النبي - ﷺ - وقال بعدها:

((فلما قام عنهم رسول الله - ﷺ - قال أبو جهل: يامعشر قريش، إن محمداً قد أبي إلا ماترون من عيب ديننا وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله - أو كما قال - فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. قالوا: والله لانسلمك لشيء أبداً، فامض لماتريد)).^(٢)

كل هذه التهديدات محاولات من ملأ قريش ومن على شاكلتهم، لزعة محمد - ﷺ - عن منهجه الذي رسمه له ربه، لكن هيهات هيهات، فالله - جل وعلا - ناصر دينه، ومُعَلِّ كَلِمَتِهِ، وعاصم نبيه - ﷺ - من كيد الكفار، وحقد الفجار.

^(١) انظر: المرجع السابق، ٦٤٩/١٢.

^(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٢٧/١، وروى نحو ذلك النهي في السيرة النبوية، ص ١٥٣. وابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/١٩٩.

المقصد الثاني: تجاه المدعويين:

لم يكتف المشركون أن هددوا الرسول - ﷺ - فحسب، بل كان للمدعويين نصيب من تلك التهديدات. فمن ذلك:

المسألة الأولى: التهديد بتسفيه الحطم. وتضعيف الرأي. ووضع الشرف. وإهلاك المال. وتكديس التجارة.

المسألة الثانية: التهديد بالمجران وعدم المصاحبة.

المسألة الثالثة: التهديد بقطع القوت.

وسألني الضوء على كل مسألة من تلك المسائل.

- إن شاء الله-

المسألة الأولى: التهديد بتسفيه الحلم، وتضعيف الرأي، ووضع

الشرف، وإهلاك المال، وتكديس التجارة:

فما إن تسمع قريش برجل يريد أن يعتق هذا الدين الجديد أو اعتقه، إلا وقد وضعت أمام تلك الأمور التي لامفرّ منها. فقد جاء في السيرة النبوية لابن هشام:

((وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أبه وأخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفنّ حلمك، ولنفيلن^(١) رأيك ولنضعنّ شرفك. وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدنّ تجارتك، ولنهلكنّ مالك.))^(٢) إنها لم تحدد تلك الأمور عبثاً، بل هي التي تكبرها وتضرب لها ألف حساب فماذا بعد الحلم والرأي؟ والشرف والمال؟ إنها انطلقت في تلك الأساليب من تصور خاطيء، ومن قاعدة هشة، فمن فقد ذلك - في نظرها - فقد فقد الخير كله. ففطرط جهلها لم تعرف حقيقة تلك الأمور وهنا يرد سؤال: ما الأمور التي تبقى للحلم والرأي قيمته؟ والتي تُذهب تلك القيمة؟ وما الأمور، التي ترفع الشرف؟ وتضعه؟، حتى نقول: إن تلك الأساليب قائمة ولها تأثيرها في المنظور الشرعي الحقيقي، بخلاف منظورها الجاهلي الذي تعيشه. لقد جاء الإسلام فصّح تلك المفاهيم، والتي دخلت على الناس من مظاهر التفاوت المادي والعقلي بين جماعاتهم.

فهي لم تعرف أن العقل - مع زنته وقيّمته بوصفه أداة من أدوات المعرفة لدى الإنسان - بدون نور يستنير به، وهدى يهتدى به، لاقيمة له أبداً إنه بذاته لايستقيم، فلا بد له من ميزان ثابت يرجع إليه فيعرف الخير والشر، بل له لوازمه التي يحكم عليه من خلالها، وإن من لوازمه: القلب، والبصر، والسمع فلا بد للقلب أن يعقل، وللبصر أن يبصر، وللسمع أن يسمع.

(١) لنفيلن: لنفيلن.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٧/١.

إن الإنسان إذا لم يفتح ذلك القلب -الذي أعطي ليفقه به - ودلائل الإيمان والهدى حاضرة في الوجود وفي الرسائل تدركها القلوب المفتوحة والبصائر المكشوفة، ويفتح عينه ليصير آيات الله الكونية، ويفتح أذنيه ليسمع آيات الله المتلوة، فإنه قد عطل تلك النعم، فإذا ما عطلها فإنه سيهبط من رتبة البشرية إلى رتبة الأنعام.

بل قد يكون أضلّ من الأنعام الموكولة إلى استعداداتها الفطرية الهادية، لأنها استعملت تلك الأدوات والاستعدادات فيما يصلح أمرها، ويحقق ذاتها ويحفظ وجودها، وهؤلاء لم يستعملوا هذه الأدوات والاستعدادات إلا فيما يضرهم ويفسد وجودهم^١.

كما أنها لم تعرف حقيقة الشرف، هل هو بالنسب؟ أم بالحرية؟ أم بكثرة المال والعرض؟

إن تلك الأمور وسائرهما ليس لها حساب في ميزان الله -تعالى- إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس ﴿..إن أكرمكم عند الله أتقاكم..﴾^(٢) فمن كان لله أتقى كان عند الله - وينبغي أن يكون كذلك عند الناس أفضل وأكرم، ففي مجال التقوى ينبغي أن يتنافس المتنافسون، وعلى ميزان التقوى يجب أن تقوم منازلهم وتحدد مراتبهم.

فالكريم حقاً هو الكريم عند الله، وصاحب الشرف حقاً هو صاحب الشرف عند الله لا كما ينظر إليه أولئك الجاهليون.

وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد، بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان^٣.

(١) انظر عبدالكريم الخطيب، التفسير القرآن للقرآن، ٥٢٦/٢، ٥٢٧.

(٢) سورة الحجرات، جزء من الآية رقم ١٣.

(٣) انظر عبدالكريم الخطيب، التفسير القرآن للقرآن، ٤٥٤/٥.

المسألة الثانية: التهديد بالمجران وعدم المصاحبة:

ولنعد مرة أخرى إلى استخدام الأساليب، فلم يقتصر الأمر على ماسبق، بل تعدى ذلك إلى الترهيب بـ:
الهجران وعدم المصاحبة. إذا ما كان هناك أية تفكير لاتباع أو خاطرة لاستماع.

ويتجلى هذا في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي. وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾^(١).

فقد ذكر المفسرون - رحمهم الله تعالى - في سبب نزول هذه الآيات ما يلي:

- ١- أن أبي بن خلف كان يحضر عند رسول الله - ﷺ - ويجالسه من غير أن يؤمن به، فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك، فنزلت هذه الآية.^(٢)
- ٢- أن عقبة^(٣) دعا قوماً فيهم رسول الله - ﷺ - لطعام فأكلوا وأبي رسول الله - ﷺ - أن يأكل، وقال: ((لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله))، فشهد بذلك عقبة، فبلغ ذلك أبي بن خلف، وكان خليلاً له، فقال:

(١) سورة الفرقان، الآيات من ٢٧-٢٩.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ٨٥/٦. وانظر الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٧٦. والطبري، جامع البيان، ٣٨٤/٩.

(٣) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس: من مقدمي قريش في الجاهلية. كنيته أبو الوليد. وكنية أبيه أبو معيط. كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة، فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الإسلام وكان قتله سنة ٢هـ. انظر الزركلي، الأعلام ٢٤٠/٤.

صبوت يا عقبة ؟ فقال: لا والله، ولكنه أبي أن يأكل حتى قلت ذلك، وليس من نفسي، فنزلت هذه الآية.^(١)

٣ - أن عقبة كان خليلاً لأمية بن خلف، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً، فكفر وارتدَّ لرضى أمية، فنزلت هذه الآية.^(٢)

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ٨٥/٦. وانظر الطبري، جامع البيان، ٣٨٥/٩. وروى نحوه الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٧٧.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ٨٦/٦، والواحدي، أسباب النزول، ص ٢٧٦-٢٧٧، والطبري، جامع البيان، ٣٨٤/٩.

المسألة الثالثة: التهديد بقطع القوت:

لما أسلم خالد بن^(١) سعيد بن العاص - رضي الله عنه - وكان أبوه ممن بقي على الكفر - لم يرض بذلك، فضربه وأنبه، وهدده بقطع القوت:

يقول الإمام البيهقي^(٢) - رحمه الله - في دلائل النبوة:

كان إسلام خالد يعني ابن سعيد بن العاص قديماً وكان أول إخوته إسلاماً وكان بدء إسلامه أنه رأى في النوم أنه وقف به على شفير النار فذكر من سعتها ما الله أعلم به، ويرى كأن أباه يدفعه فيها، ويرى رسول الله - ﷺ - قد أخذ بحقوقه كي لا يقع. ففرغ من نومه، فقال: أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق. فلقني أبا بكر بن أبي قحافة - رضي الله عنه - فذكر ذلك له فقال أبو بكر: أريد بك خير. هذا رسول الله - ﷺ - فاتبعه فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام والإسلام يحجزك أن تدخل فيها. وأبوك واقع فيها.

فلقي رسول الله - ﷺ - وهو بأجباد، فقال: يا محمد! إلى من تدعو فقال: أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لم يعبده. قال خالد: ((فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فسر رسول الله - ﷺ - يا سلامه وتعتب خالد، وعلم أبوه يا سلامه فأرسل في طلبه، فأتى به

(١) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. السيد الكبير أبو سعيد القرشي الأموي، أحد السابقين الأولين. روي عن أم خالد بنت خالد، قالت: كان أبي خامساً في الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة، وأقام بها بضع عشرة سنة، وولدت أنا بها. وروي أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - استعمله على صنعاء. وأن أبا بكر أمره على بعض الجيش في غزو الشام. استشهد - رضي الله عنه - يوم أحدادين. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٥٩/١ - ٢٦٠.

(٢) أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث. ولد في قرية من قرى يهق، بنيسابور سنة ٣٨٤هـ. ونشأ في يهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات. سنة ٤٥٨هـ ونقل جثمانه إلى بلده. صنف زهاء ألف جزء، منها: ((السنن الكبرى)) عشر مجلدات، و((السنن الصغرى))، و((دلائل النبوة)) وغيرها. انظر: الزركلي، الأعلام، ١١٦/١.

فأنبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه، وقال والله لأمنعك
القوت)).^(١)

تلك عداوتهم في الدين، حتى ولو كان الذي أمامهم أقرب الناس إليهم إلا أن
قوة العقيدة لدى الرسول - ﷺ - ومن آمن به لا تتلثم ولا تتزعزع أمام
الترهيب والوعيد.

لقد وقف - ﷺ - ومن معه عند النقطة التي لا يملكون أن يتزحزحوا وراءها
خطوة، وما يملكون هذا التزحزح والتراجع تحت أي ضغط أو أي ترهيب من
الطواغيت.

^(١) البيهقي، دلائل النبوة، ١٧٢/٢-١٧٣، تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

المطلب الثالث

أساليب التثويب

وفيها تمهيد، وثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: أسلوب الاتهامات الباطلة.

المقصد الثاني: أسلوب الاعتراض.

المقصد الثالث: أسلوب المعارضة.

المطلب الثالث: أساليب التشويه:

التعريف اللغوي:

شوه: رجل أشوّه: قبيح الوجه. يقال: شاه وجهه يشوه، وقد شوّهه الله - عز وجل، فهو مُشوّه. وشاهت الوجوه تشوّه شوهاً: قَبَحَتْ. ورجل أشوّه وامرأة شوهاً إذا كانت قبيحةً، والاسم الشوّهة.

ويقال للخطبة التي لا يُصلّى فيها على النبي - ﷺ -: **شوهاً**.^(١) فمن خلال هذا التعريف يتضح لنا أنّ التشويه هو: التقييح. فالقرشيون يشوهون الدعوة أي يُقَبِّحونها في أعين الناس، ويظهرونها في مظهر قبيح لا ترتضيه النفوس ولا تقبله.

التمهيد:

لما رأى المشركون مالدعوة الإسلامية من قبول كبير في أوساط الناس، ودخول الكثير منهم تحت رايتها، شمروا عن سواعدهم لتشويهها وإظهارها بالمظهر السيء كي ينفر الناس منها، وحيث إنّ هذا التشويه تم بأساليب عديدة، فسيكون الكلام عن هذا الأسلوب من خلالها، فمن هذه الأساليب:

المقصد الأول: أسلوب الاتهامات الباطلة.

المقصد الثاني: أسلوب الاعتراض.

المقصد الثالث: أسلوب المعارضة.

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٥٠٨/١٣.

المقصد الأول

أسلوب الاتهامات الباطلة

وقد قامت قريش بتلك الاتهامات، تجاه مايلي:

المسألة الأولى: **تجاه القرآن الكريم - والرسول - ﷺ** -

المسألة الثانية: **تجاه المدعوين.**

حيث وصفت الجميع بأوصاف دنيئة تليق بحالهم ومقامهم.

المسألة الأولى: تجاه القرآن الكريم، والرسول - ﷺ :-

في هذا الموضوع - أسلوب الاتهامات الباطلة - سيكون الحديث عن اتهامهم لـ(القرآن الكريم) ولـ(محمد - ﷺ-) في فقرة واحدة، وذلك:

١- أن بعض الاتهامات التي قام بها كفار قريش تجاه القرآن الكريم هي بعض ماواجهوا به محمداً - ﷺ-.

فعلى سبيل المثال: قالوا عن القرآن الكريم إنه سحر يؤثر، وفي المقابل قالوا عن محمد - ﷺ- إنه ساحر، ونظير ذلك كثير.

٢- أن كلَّ موصوفٍ بصفةٍ، يدلُّ الموصوف على صفته، وصفته عليه^(١) لذا كان دمج الأمرين لاجتماع المناسبة أولى من التفريق^(٢)، إلا ماخرج عن هذه القاعدة فإنه سيفرد في موضعه.

وقد مرَّ اتهامهم للقرآن الكريم ولمحمد - ﷺ- - بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة إطلاق تلك الاتهامات في مجتمعهم المكي.

المرحلة الثانية: مرحلة بث الاتهامات وترويجها داخل^(٣) وخارج مكة.

(١) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٢٩/٦ .

(٢) لو فرّق بينهما لم يكتمل المعنى ولكان هناك تكرار.

(٣) قد يقول قائل: أن قولك في المرحلة الثانية "داخل" في الأول، والجواب: أن هناك من يأتي لمكة وليس من أهلها ثم يطلعونه على تلك الاتهامات وهذا بثٌ وترويج لاتهاماتهم فكان مرحلة ثانية غير الأولى.

أولاً المرحلة الأولى: وهي إطلاق تلك الاتهامات في مجتمعهم المكي:

فلقد قام كفار قريش في معرض صدّهم عن دعوة الإسلام باتهامات باطلة تجاه محمد - ﷺ -، والكتاب الذي جاء به، وكانت مقصورة داخل مجتمعهم المكي، وذلك كمرحلة أولى من مراحل هذا الأسلوب،^(١) ودافعهم إلى مثل ذلك هو الخطر المحدق بمصالحهم الدنيوية والتي تيقنوا زوالها مالم تكن هناك مواجهة من قبلهم. فكان لزاماً عيبُ هذا الأمر مادام أنهم لم يدخلوا فيه ولم يكونوا من أتباعه، عن طريق تلك الاتهامات الباطلة. والتي تتبع منها الحيرة والتخبط والاختلاف فيما بينهم، فكل طائفة منهم، تتعق باتهام لآتراء الطائفة الأخرى مناسباً، فحينما حضر الموسم الذي أعقب دعوة الرسول - ﷺ - واجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغيرة قال لهم مخاطباً:

(يامعشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأياً تقول به، قال: بل أنتم فقولوا أسع، قالوا: نقول ككاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكُهّان فما هو بزمنة^(٢) الكاهن ولا سجمه، قالوا: فنقول: مجنون، قال ما هو مجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضة وميسوطة، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا الساحر وسحرهم، فما هو بنقثهم ولا عقدهم^(٣)، قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟..^(٤))

(١) أي: أسلوب الاتهامات الباطلة.

(٢) زمزمة الكاهن: كلامه الخفي.

(٣) العقْد والنقْث: هو أن يعقد الساحر خيطاً وينقث فيه بغمه.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية ١/٣٠٢-٣٠٣. والبيهقي، الدلائل ٢/٢٠٠ والنهي السيرة النبوية ص ٢٠٠ و ٢٠١.

هذا ما كان من حيرتهم وتخبطهم واختلافهم في تلك الاتهامات وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، بقوله تعالى: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر...﴾^(١) فهذا إخبار منه عن تعنتهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن، ومحمداً - ﷺ - وحيرتهم في ذلك وضلالهم عنه، فتارة يجعلون القرآن سحراً، محمداً ساحراً، وتارة يجعلونه شعراً، ومحمداً شاعراً، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام رآها في منامه، وتارة يجعلونه مفترى من قبله، كما قال تعالى ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾^(٢) (٣)

وقبل الدخول في بيان هذه الاتهامات، أريد الإشارة إلى أمر وهو: أن جميع الاتهامات الموجهة للقرآن الكريم، ولمحمد - ﷺ - معاً تصب في مجرى واحد وهو: **تكذيب محمد - ﷺ - في أمرين:**

(١) فيما ينسبه إلى ربه من قرآن.

(٢) في قوله: إنه رسول من قبل الله سواء كان ذلك الاتهام باللفظ الصريح وشبهه، أو ما كان بلفظ آخر مستلزم لذلك.

وحيث إن هذه الاتهامات عديدة ومتنوعة وبعضها داخل في بعض، فقد سلكت فيها تصنيفاً مختصراً، بحيث تتبع كل مجموعة من الاتهامات اتهاماً رئيساً يصلح لأن يكون أصلاً لها وعلى ذلك قسّمت اتهاماتهم إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: قولهم إن القرآن: (قول شيطان).

القسم الثاني: قولهم إنه: (قول بشر).

وسأتحدث عن هذين القسمين بالتفصيل - إن شاء الله تعالى -.

(١) سورة الأنبياء جزء من الآية رقم ٥ .

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٤٨ .

(٣) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٨٦/٣ .

القسم الأول: أن القرآن قول شيطان، جاء به إبي محمد - ﷺ - .

وقد جاء هذا الاتهام بعدة ألفاظ منها:

الأمر الأول : الصريح. الأمر الثاني : غير الصريح.

الأمر الأول: فالصريح جاء مفهوماً من قوله تعالى: ﴿ وما هو بقول شيطانٍ

رجيمٍ ﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾^(٢)، فالقرشيون

يزعمون أنما تجيء بهذا القرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمد - ﷺ - .^(٣)

وقد ثبت هذا الاتهام منهم في السنة، فقد روى البخاري - رحمه الله - في

صحيحه ومسلم في صحيحه واللفظ للبخاري عن جندب بن سفيان^(٤) - رَجُلٌ مِنْ

قال: ((اشتكى رسول الله - ﷺ - ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت:

يا محمد، إنني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أراه قريبك منذ ليلتين أو

ثلاثاً))^(٥). وفي الرواية الأخرى: ((احتس جميل - ﷺ - . على النبي - ﷺ - . فقالت

امرأة من قريش: أبطأ عليه شيطانه))^(٦).

وهذه المرأة هي: أم جميل العوراء^(٧) بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان

^(١) سورة التكوير، آية رقم ٢٥.

^(٢) سورة الشعراء، آية رقم ٢١٠.

^(٣) انظر ابن الجوزي، زاد المسير ١٤٦/٦ - ١٤٧.

^(٤) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقمي.. أبو عبد الله، وقد ينسب إلى جده، فيقال: جندب بن سفيان، سكن الكوفة، ثم

البصرة، قدمها مع مصعب بن الزبير، وروى عنه أهل المصرين. وقد روى عنه من أهل الشام شهر بن حوشب، فقال: حدثني

جندب بن سفيان، قال ابن السكن: وأهل البصرة، يقولون: جندب الخير، وجندب الفاروق، وجندب ابن أم جندب، وقيل:

جندب بن خالد بن سفيان. انظر: ابن حجر الإصابة، ١٠٤/٢، ١٠٥، رقم ١٢٢٠.

^(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الضحى، ١٨٩٢/٤، ورقم ٤٦٦٧ ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب

ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - من أذى المشركين والمنافقين ١٤٢٢/٣، رقم ١٧٩٧.

^(٦) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب ترك القيام للمريض، ٣٧٩/١، ورقم ١٠٧٣.

^(٧) أم جميل العوراء، أروى بنت حرب بن أمية بن عبد شمس أخت أبي سفيان بن حرب، وزوجة أبي هب. وهي حمالة الحطب، سماها

الله بذلك، لأنها كانت تحمل الشوك والسعدان فتطرحه على طريق النبي - صلى الله عليه وسلم - توفيت على الكفر.

انظر: النهي، السيرة النبوية، ص ١٤٦.

بن حرب^(١)، وامرأة أبي لهب^(٢).

هذا ما كان صراحة من قبل كفار قريش، من أن القرآن قول شيطان.

الأمر الثاني: أمّا غير الصريح: فقد جاءت اتهامات أخرى غير صريحة في ذلك، ولكنها تصب في هذا المجرى فمنها:

أ- **قولهم: إن القرآن قول كاهن. هو محمد ﷺ** ..

وقد جاء بيان اتهامهم ذلك فيما يلي:

أولاً: القرآن الكريم:

أ- **اتهامهم للقرآن:**

جاء اتهامهم للقرآن الكريم بذلك مفهوماً من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ

قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣)، حيث نفى الله - جلّ وعلا - كون القرآن الكريم

كذلك، مُطَهَّرًا له من هذه الصفة المشينة، عاصماً له منها^(٤) وهذا إنما يكون

بعد وقوعه من كفار قريش.

ب- **اتهامهم لمحمد ﷺ** ..

قال تعالى مبيناً مقولتهم تلك عن طريق نفيها: ﴿فَذَكَرْنَاكَ أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

بِكَاهِنٍ..﴾^(٥).

^(١) صخر بن حرب بن أمية القرشي المكي، أبو سفيان، له صحبة، أسلم ليلة الفتح، وكان شيخ مكة إذ ذاك، ورئيس قريش. وقد حسن إسلامه، وشهد حينئذ، وأعطاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية وقال له: والله إنك لكريم، فذاك أبي وأمي. وشهد الطائف، وفقت عينة يومئذ، وفقت الأخرى يوم اليرموك مات بالمدينة، سنة ٣١ هـ أو ٣٢ هـ وعمره ثلاث وتسعون أو ثمان وثمانون سنة. وصلى عليه عثمان - رضي الله عنهما -، وهو أبو معاوية، وأم حبيبة أم المؤمنين. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٢٧/٥، ١٣٠. وابن الأثير، أسد الغابة، ١٢/٣، ١٣.

^(٢) انظر ابن حجر، الفتح، ١١/٣، حيث ذكر رحمه الله روايه عند الحاكم تفيد أن قاتلة ذلك هي أم جميل وقال عن الرواية: رجاها ثقة.

^(٣) سورة الحاقة آيه رقم ٤٢ .

^(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٢٢٢/١٢.

^(٥) سورة الطور جزء من الآية رقم ٢٩.

فنفى عنه، مايرميه به أهل البهتان والفجور من أنه كاهن^(١) ونفيه جلاً وعلا
لذلك إنما هو نتيجة اتهام شخصه - ﷺ - بهذه الصفة.

ثانياً - كتب السنة والنسرة:

أ - روى مسلم - رحمه الله - في صحيحه، عن أبي ذر^(٢) - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حيث
ذكر قصة إسلامه وفيه: ((فانطلق أنيس^(٣) حتى أتى مكة فراه^(٤) عليّ. ثم
جاء فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك. يزعم أن الله أرسله.
قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن..)).^(٥)

ب - وروى الإمام أحمد^(٦) - رحمه الله - في مسنده عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -
قال: خرجت أتعرض رسول الله - ﷺ - قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى
المسجد، فقامت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن،
قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ: ﴿ إنه لقول رسول
كريم. وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ﴾.^(٧)

قال: فقلت: كاهن، قال: ﴿ ولا يقول كاهن قليلاً ﴾

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/٣٩٥.

(٢) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، صحابي جليل مشهور، هاجر إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من بني غفار إلى مكة واختفى
في أستان الكعبة أياماً حتى رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالليل فآمن به، وهو أول من حياه بتحية الإسلام، ثم هاجر إلى
المدينة وشهد المشاهد كلها وكان يفي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، واشتهر بزهده وفضله. مات بالريلة سنة ٣٢ هـ
وصلى عليه عبدالله بن مسعود. وقد روى له البخاري ومسلم ٢٨١ حديثاً. وهو من السابقين إلى الإسلام أسلم بعد أربعة
وكان خامساً.

(٣) هو أخو أبي ذر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -.

(٤) أي أبطأ.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر - رضي الله عنه - ٤/١٩٢٠، رقم ٢٤٧٣.

(٦) أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، وكان أبوه والي
سرخس. وولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ. فتشأ منكباً على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفراً كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة
والمدينة واليمن والشام والقفور والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجبال والأطراف. له مصنفات كثيرة، منها:
المسند في ستة مجلدات، يحتوي على ثلاثين ألف حديث. توفي رحمه الله سنة ٢٤١ هـ. انظر الزركلي، الأعلام، ١/٢٠٣.

(٧) سورة الحاقة الآيتان رقم ٤٠، ٤١.

ماتذكرون... ﴿١﴾. (٢)

ج - الرواية السابقة والتي تبين اجتماع قريش ليجمعوا في محمد ﷺ - رأياً واحداً، ولا يختلفوا فيكذب بعضهم بعضاً ويرد بعضهم قول بعض، فمما قالوا: إنه كاهن (٣).

هذا ماكان من اتهام قريش للقرآن الكريم، ولمحمد ﷺ - بهذا القول الكاذب وهو الكهانة والتكهن.

وقبل أن انتقل إلى اتهام آخر لابد من بيان امرين:

أ - بيان مقصود قريش بنوع الكهانة التي اتهمت بها القرآن الكريم ومحمداً ﷺ - (٤).

ب - بيان المناسبة بين هذا الاتهام ' الكهانة ' وبين الاتهام الرئيس ' قول شيطان '.
فأقول:

من المعلوم أن القرآن الكريم جاء بأمر كثيرة وعديدة، ومن هذه الأمور: أمور غيبية لايعرفها القرشيون، فهم حينما رأوا ذلك، ورأوا ما يحصل في بيئتهم من أناس يطلق عليهم الكهنة وأنهم يخبرونهم بأن الشياطين تأتيهم بمثل هذه الأمور، حدث بهم تلك الرؤية إلى أن يقولوا عن القرآن الكريم: كهانة، وعن محمد ﷺ - كاهن، ((المراد أنهم يقيسون حال النبي ﷺ - على حال سائر الكهنة)) (٥). فهم قاسوا في هذه القضية قياساً فاسداً باطلاً (٦).

فمن خلال هذا القياس الفاسد يتضح لنا:

(١) سورة الحاقة آية رقم ٤٢.

(٢) الإمام أحمد، المسند، ٢٢/١، رقم ١٠٧. وقال أحمد شاكر: إسناده ضعيف، ٢٠١/١، رقم ١٠٧. وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقة إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر. انظر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/٦٢، ط: ٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٠٢/١، ٣٠٣، والبيهقي، الدلائل، ٢٠٠/٢ والنهي، السيرة النبوية، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٤) من المعلوم أن الكهانة أنواع عديدة انظر ابن حجر، الفتح، ١٠/٢٦٦.

(٥) الرازي، التفسير الكبير، ٢٤/١٧٤.

(٦) انظر ابن تيمية، النبوات تحقيق محمد عوض، ص ٣٣٧، ط: ١ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

أ - مقصودهم من هذه الكهانة، وهي: ماكانت مرتبطة بالشياطين، دون غيرها، لأن الإخبار بمثل تلك الأمور - الاستراق - لايتأتى إلا من هذا الطريق، طريق الشياطين، بخلاف الأنواع الأخرى.

ب - كما يتضح من خلال ذلك مناسبة ذكر هذا الاتهام تحت الاتهام الرئيس (قول شيطان) حيث إنه يصبُّ فيه لوجود أصله وهو الشيطان. وليس هذا هو الدليل الوحيد على تلك المناسبة وعلى مقصود قريش من ذلك النوع، بل هناك أدلة كثيرة، تبين لنا ذلك، منها:

١ - قوله تعالى ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ﴾^(١)، فحينما نزه الله سبحانه وتعالى رسوله - ﷺ - عن قول المشركين وافترائهم من أن الشياطين قد نزلت بالقرآن عليه، ونبّه أن ماجاء به إنما هو من عنده، وأنه تنزيله ووحيه، نزل به ملك كريم، أمين عظيم، وأنه ليس من قبل الشياطين، وذلك بقوله: ﴿ وما تنزل به الشياطين ﴾^(٢) وقوله: ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾، ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾^(٣) بيّن سبحانه في هذه الآية: ﴿ هل أنبئكم .. ﴾ أن الشياطين إنما تنزل على من يشاكلهم من الكهان الكذبة، ولهذا قال تعالى: ﴿ هل أنبئكم ﴾ أي: أخبركم، ﴿ على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاكٍ أثيم ﴾^(٤)، أي: كذوب في قوله، وهو الأفاك. (أثيم)، وهو: الفاجر في أفعاله، فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان، وماجرى مجراهم من الكذبة الفسقة.^(٥) فهذا التفسير يبيّن اعتماد

(١) سورة الشعراء، آية رقم ٢٢١.

(٢) سورة الشعراء، آية رقم ٢١٠.

(٣) سورة التكويز الأيتان ١٩ ، ٢٥ .

(٤) سورة الشعراء، آية رقم ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٥) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٨٣/٣ .

أولئك الكهان في كهانتهم تلك على الشياطين وماتجيتهم به كما يُبين انتشار هذا النوع من الكهانة في ذلك الوقت.

٢ - مارواه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، من حديث عائشة - رضي الله عنها - عن النبي - ﷺ - قال: (الملائكة تتحدث في العنان - والعنان هو الغمام - بالأمر يكون في الأرض، فتستمع الشياطين الكلمة فتقرؤها في أذن الكاهن كما تُقرُّ القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة^(١)).

٣ - مارواه البخاري عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: إن نبيَّ الله - ﷺ - قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحقُّ، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع. هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان^(٢) بكفه فحرَّفها، وبدَّد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فرمى أدرك الشهابُ قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا: يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيصدِّقُ بتلك الكلمة التي سمع من السماء^(٣)).

٤ - مارواه الإمام أحمد - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ((كان الجن يسمعون الوحي، فيستمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرًا، فيكون ماسموا حقًا وما زادوا باطلاً^(٤))).

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ١١٩٧/٣، رقم ٣١١٤

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو عماد: محدث الحرم المكي. من السوالي. ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظاً ثقة، واسع العلم، كبير القدر، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لنهب علم الحجاز. وكان أعور. وحج سبعين سنة. له: ((الجامع)) في الحديث، وكتاب في ((التفسير)) انظر: الزركلي، الأعلام، ١٠٥/٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير)، ١٨٠٤/٤، رقم ٤٥٢٢.

(٤) الإمام أحمد، المسند ٣٤٠/١، رقم ٢٤٨١. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، ١٦٠/٤، رقم ٢٤٨٢.

٥ - مارواه الترمذي^(١) - رحمه الله - عن ابن عباس - قال: ((كان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسماً، فأما الكلمة فتكون حقاً، وأما مازادوا فيكون باطلاً...))^(٢).

٦- مارواه الإمام أحمد - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (كانت للشياطين مقاعد في السماء، فكانوا يستمعون الوحي، وكانت النجوم لا تجرى، وكانت الشياطين لا تُرْمَى، قال: فإذا سمعوا الوحي، نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسماً..)^(٣).

فبمجموع هذه الأدلة تتضح لنا المناسبة من ذكر هذا الاتهام، تحت الاتهام الرئيس ((قول شيطان)) لما رأيناه من الارتباط الوثيق بين الكهنة والشياطين، وذلك من خلال اعتمادهم في تلك الكهانة عليهم وبما تجيبهم به. كما يتضح مقصود القرشيين لهذا النوع من الكهانة التي اتهمت بها القرآن الكريم، ومحمداً - ﷺ -، وأنها ماكان مرتبطاً بالشياطين، وذلك:

١ - لوجود العامل المشترك بين محمد - ﷺ - وبين الكهنة، وهو: الإخبار بالأمور الغيبية - كما يزعمون.

٢ - لذبوح ذلك النوع آنذاك وانتشاره ولكونه الأشهر والأكثر مما يضيفي دلالة قوية على مقصود قریش من تلك الكهانة.

(١) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البوغى الترمذى، أبو عيسى: من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمى في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ. مات بتزمذ سنة ٢٧٩هـ. من تصانيفه ((الجامع الكبير)) باسم ((سنن الترمذى)) في الحديث، مجلدان و ((الشمائل النبوية)) و ((التاريخ)) و ((العلل)) في الحديث. كانت ولادته سنة ٢٠٩هـ - رحمه الله - . انظر الزركلي، الأعلام، ٦/٣٢٢.

(٢) أخرجه الترمذى في كتاب التفسير، باب: ومن سورة الجن ٣٩٨/٥ رقم ٣٣٢٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح. دار الحديث، القاهرة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ١/٤٠٢، رقم ٢٩٧٨. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، ٤/٣٥٢، رقم ٢٩٧٩.

ب- قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْقُرْآنَ سِحْرٌ، وَإِنْ مُحَمَّدًا - ﷺ - سَاحِرٌ.

ولقد أكثر المشركون من هذه المقولة، وجاء بيان ذلك فيما يلي:

أولاً: القرآن الكريم:

يقول تعالى: حاكياً قولهم ذلك عن القرآن: ﴿قَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ

يُؤْتِرُ﴾^(١).

وصاحب هذه المقالة هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش، وكان من خبره في هذا أنه دخل على أبي بكر بن أبي قحافة يسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك نفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبا الوليد لتصبأنا قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد: ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ قال: أأست أكثرهم مالاً وولداً؟ فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، فقال الوليد: أقد تحدثت به عشيرتي! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر^(٢).

كما أن هذه الفرية وجهت لمحمد - ﷺ -، يقول تعالى: ﴿.. قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ

هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾^(٣) ويقول تعالى: ﴿- وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ

كَذَّابٌ﴾^(٤) فالقائل هم كفار قريش، والمعني هو محمد - ﷺ -^(٥).

(١) سورة المدثر، آية رقم ٢٤.

(٢) انظر الطبري، الجامع، ٣: ٩/١٢. وانظر الذهبي، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ص ١٥٤/١٥٥ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧٣٠/٤ - وانظر البيهقي، الدلائل، ١٩٨/٢ - ١٩٩.

(٣) سورة يونس جزء من الآية رقم ٢.

(٤) سورة ص جزء من الآية رقم ٤.

(٥) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٥٠/١٠.

ثانياً: كتب السنة والنسيرة:

أ- مرواه الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه عن أبي ذر - رضي الله عنه - وذكر حديثاً طويلاً وفيه: ((فانطلق أنيس، حتى أتى مكة فراك علي^(١)، ثم جاء، فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً ممكاً على دينك. يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر..))^(٢).

ب- حينما اجتمعت قريش في دار الندوة قبل الموسم الذي أعقب دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وذلك لتجمع فيه رأياً واحداً تقوله للناس قبل أن تقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه فقال قائلون شاعر، وقال آخرون: كاهن، وقال آخرون: مجنون، وقائلون: ساحر، كل ذلك والوليد يفكر فيما يقوله فيه، ففكر وقدر، ونظر وعبس وسر، ثم قال: إنكم ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر، فتقولوا هو ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وبين زوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك..))^(٣).

هذا ما كان من رصد القرآن الكريم والسنة والسيرة لهذا الاتهام الذي أطلقته قريش على القرآن الكريم وعلى محمد - صلى الله عليه وسلم -، والذي تولى كبره الوليد بن المغيرة.

* وقبل الانتقال من هذا الاتهام إلى غيره، لئبّد من بيان مايلي:

- ١ - مقصود قريش بنوع السحر الذي اتهمت به القرآن الكريم، ومحمداً - صلى الله عليه وسلم -^(٤)
- ٢ - مناسبة ذكر هذا الاتهام تحت الاتهام الرئيس (قول شيطان).

(١) أي: أبطأ عليّ.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، ٤/١٩٢٠، رقم ٢٤٧٣.

(٣) انظر البيهقي، دلائل النبوة، ٢/٢٠٠، والذهبي، تاريخ الإسلام ((السيرة النبوية)) ص ١٥٥-١٥٦ وابن كثير، البداية والنهاية ٧٣٠/٤.

(٤) من المعلوم أن السحر أنواعٌ عديدة، انظر ابن حجر الفتح، ١٠/٢٧٢.

وبيان ذلك بالأدلة التالية:

أ - أن القرشيين وهم يطلقون على محمد - ﷺ - هذا الاتهام كانوا يقولون: هو ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته^(١). وهذه التأثيرات المذكورة إنما تنشأ من النوع الذي يكون بمعاونة الشياطين وتعليمهم، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى:

﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا. يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله...﴾^(٢).

فبيِّنَ جَلَّ وَعَلَا - في هذه الآية أن تعلَّم السحر الذي تنشأ منه أمور عدة، والتي منها: التفريق بين المرء وزوجه، إنما هو من قبل هؤلاء الشياطين، وذلك بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾، وقوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفْرَقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾.

ب - قوله تعالى حكاية عن اتهامهم للقرآن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾^(٣) فوصفوا ذلك السحر بكلمة ﴿يؤثر﴾، وهذه تفيد بأنه كان ينقله ويأثره ويحكيه عن غيره، وهم الشياطين وذلك بدليل الآية السابقة والقول السابق^(٤) ^(٥)

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٠٣/١.

(٢) سورة البقرة جزء من الآية رقم ١٠٢.

(٣) سورة المدثر، آية رقم ٢٤.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان ٣١٠/١٢ وابن كثير تفسير القرآن العظيم ٧٣٠/٤.

(٥) الآية السابقة هي ((واتبعوا ما تتلوا الشياطين)) والقول السابق هو قول الوليد (يفرق بين المرء وزوجه)

ج- مارواه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يبلغ به النبي - ﷺ - قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، ((كالسلسلة على صفوان - قال علي: وقال غيره: صفوان، ينفذهم ذلك - فإذا فُزِعَ عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبر. فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر - ووصف سفیان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض - فرما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقتها إلى الأرض - وربما قال سفیان: حتى تنتهي إلى الأرض - فتلقى على فم الساحر)^(١).

إنه من خلال الدليلين الأولين يتبين لنا مقصود المشركين بنوع هذا السحر وأنه ماكان مرتبطاً بالشياطين.

وبمجموعهما يتضح مايلي:

١ - المناسبة من ذكر هذا الاتهام تحت الاتهام الرئيس ((قول شيطان)) لما رأيناه من الارتباط الوثيق بين السحرة والشياطين. وذلك من خلال تعليمهم لهم.

٢ - ذبوع وانتشار هذا النوع من السحر آنذاك، والذي يضاف دليلاً غير ماسبق على بيان مقصود قریش بهذا النوع لأنه الأشهر والأكثر.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) (١٧٣٦/٤، ١٧٣٧، رقم ٤٤٢٤).

ج - قولهم عن محمد - ﷺ - إنه مجنون.

وقد بين القرآن الكريم مقولتهم تلك بأسلوبين:

١ - حكاية قولهم.. يقول تعالى ﴿ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر

إنك لمجنون ﴾^(١)، ويقول تعالى: ﴿ أمر يقولون به جنة... ﴾^(٢)، ويقول تعالى:

﴿ ويقولون إنه لمجنون.. ﴾^(٣).

٢ - نفي ذلك الاتهام. بقوله تعالى: ﴿ أولم يتفكروا ما بصاحبيهم من جنة إن

هو إلا نذير مبين ﴾^(٤)، ويقول تعالى: ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن

تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبيهم من جنة.. ﴾^(٥)،

ويقول تعالى: ﴿ وما صاحبيهم مجنون ﴾^(٦).

ذكر الطبري - رحمه الله - في تفسيره، عند تأويل قوله تعالى: ﴿ أولم

يتفكروا ما بصاحبيهم من جنة إن هو إلا نذير مبين ﴾.

قوله: ذكر لنا أن نبي الله - ﷺ - كان على الصفا، فدعا قريشاً فجعل

بفخذهم فخذاً فخذاً: ((يابني فلان، يابني فلان.)) فحذرهم بأس الله ووقائع الله،

فقال قائلهم: (إن صاحبيكم هذا لمجنون ؟ بات يُصَوِّتُ إلى الصباح - أو: حتى

أصبح) فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ أولم يتفكروا ما

بصاحبيهم.....

(١) سورة الحجر آية رقم ٦.

(٢) سورة المؤمنون جزء من الآية رقم ٧٠.

(٣) سورة القلم جزء من الآية رقم ٥١.

(٤) سورة الأعراف آية رقم ١٨٤.

(٥) سورة سبأ، جزء من الآية رقم ٤٦.

(٦) سورة التكويد، آية رقم ٢٢.

من جنة إن هو إلا نذير مبين^(١)

إن قولهم عن الرسول - ﷺ: بأنه مجنون مستلزم أن ماجاء به هلوسة وجنون، لأن كل موصوف بصفة، يدل الموصوف على صفته، وصفته عليه^(٢).

وقد يرد سؤال وهو:

() ما العلاقة بين المجنون وبين الشيطان ؟ أو بصيغة أخرى:
() ما المناسبة من ذكر هذا النوع من الاتهام تحت الاتهام الرئيس ؟ ((قول
شيطان)) ؟

والإجابة على ذلك بمايلي:

١ - لقد أطلقت قريش، على الرسول - ﷺ - لفظة ((مجنون))، ولفظة ((جنة)) كما في الأدلة السابقة - فالجنون: حائل بين النفس والعقل، وجن فلان قيل: أصابه الجن فجن عقله بذلك^(٣).

- **والجننة** - بكسر الجيم - اسم للجنون وهو الخبال الذي يعتري الإنسان من أثر مس الجن إياه في عرف الناس، يقال: به جننة وجنون ومجننه، يقول الشاعر:
من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المجنة والحبل
وهي أيضاً: طائف الجن، وقد جن جنأ وجنونا واستجن، فالاسم والمصدر على صورة واحدة، ومعنى واحد^(٤).

فمن خلال التعريف اللغوي يتضح لنا المعنى لهذا الاتهام وهو: دخول الجني في المجنون وسيطرته عليه سيطرة تامة شاملة لأقواله وأفعاله.
وعلى هذا فالذي يصدر من المجنون فعلاً كان أم قولاً حال صرعه إنما هو من فعل الشيطان المتلبس فيه.

(١) انظر الطبري جامع البيان، ١٣٤/٦ - ١٣٥

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٢٩/٦.

(٣) انظر الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٢٠٥

(٤) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٩٥/١٣ وابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٩٤/٩

(يقول شيخ الإسلام ابن تيمية^(١)) - رحمه الله تعالى :-

وجود الجن ثابت بكتاب الله، وسنة رسوله - ﷺ - واتفاق سلف الأمة، وأئمتها. وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾^(٢).

وعن النبي - ﷺ - : ((إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم))^(٣) وقال: عبدالله^(٤) بن الإمام أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن أقواماً يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه. وهذا الذي قاله أمر مشهور، فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضرباً عظيماً. لو ضرب به جمل لأثر به أثراً والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب، ولا بالكلام الذي يقوله. وقد يجر المصروع، وغير المصروع، ويجر البساط الذي يجلس عليه ويحول آلات، وينقل من مكان إلى مكان، ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها، أفادته علماً ضرورياً، بأن الناطق على لسان الإنسي والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان.^(٥)

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحضرمي النعمري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران سنة ٦٦١هـ، وتحوّل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. مات معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ، فخرجت دمشق كلها في جنازته. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، أفتى ودرّس وهو دون العشرين. تصانيفه ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة - رحمه الله رحمة واسعة. انظر: الزركلي، الأعلام، ١/١٤٤.

(٢) سورة البقرة جزء من الآية رقم ٢٧٥

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ١١٩٥/٣، رقم ٣١٠٧

(٤) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو عبد الرحمن: حافظ للحديث، من أهل بغداد. له ((الزوائد)) على كتاب الزهد لأبيه، و((زوائد المستدرك))، زاد به على مسند أبيه نحو عشرة آلاف حديث. ولادته سنة ٢١٣، ووفاته سنة ٢٩٠هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ٤/٦٥.

(٥) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٧٦/٢٤، ٢٧٧.

٢- جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ﴾^(١)

أقوالٌ عدةٌ منها:

أ - إنما هو مجنون علّم هذا الكلام.^(٢)

ومن المعلوم أن المجنون ليس لديه القدرة على التعلم ممن هو بشر مثله بل

هو محل تصرف وتعليم وتوجيه الشيطان المتلبس فيه كما هو موضح سابقاً

ب- ضامّة من يعلمه من الجن^(٣).

ج- إنه مجنون والجن يلقون عليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي.^(٤)

فمن خلال ماسبق: من أن قريشاً قد اتهمت محمداً - ﷺ - بهذا الاتهام، وأنه

مستلزم للقول: بأن ما جاء به هلوسة وجنون. ومثبت من أن قول المجنون

وفعله حال صرعه إنما هو من فعل الشيطان المتلبس به. وما ورد في تفسير

آية الدخان ﴿ ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ﴾ من أقوال لبعض أهل

العلم: من أن القرآن ما هو إلاّ تعليم وإلقاء الجن عليه حال ما يعرض له

الغشي. فإنه من خلال ذلك كله تتضح لنا المناسبة، من ذكر هذا النوع من

الاتهام، تحت الاتهام الرئيس وهو قولهم عن القرآن الكريم: ((قول

شيطان)).

(١) سورة الدخان، آية رقم ١٤.

(٢) الطبري، جامع البيان، ٢٢٩/١١.

(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٠٥.

(٤) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٤٤/٢٧.

القسم الثاني: قولهم: إن القرآن قول بشر.

وقد جاء هذا الاتهام بعدة ألفاظ منها:

الأمر الأول الصريح. الأمر الثاني غير الصريح.

الأمر الأول: الصريح: فيقول تعالى: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾^(١).

وصاحب هذه المقولة هو الوليد بن المغيرة المخزومي، أحد رؤساء قريش يقول: ما هذا الذي يتلوه محمد إلا قول البشر^(٢).

كما أنهم لم يجعلوا المصدر الوحيد لهذا الكلام هو محمد ﷺ - فحسب بل جعلوا له مصادر أخرى، فقالوا:

١- إن محمداً - ﷺ - قد تعلمه من بشر، يقول تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم

يقولون إنما يعلمه بشر﴾^(٣).

٢- إنه استعان على افتراءه بقوم آخرين. يقول تعالى ﴿وقال الذين كفروا

إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾^(٤) ففي الاتهام الأول يخبر تعالى أن هؤلاء المشركين يقولون جهلاً منهم: إنما يعلم محمداً - صلى الله عليه وسلم - هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله^(٥) ويذكر بعض المفسرين أن الذي افتري ذلك: رجل كاتب لرسول الله - ﷺ - ارتدَّ عن الإسلام^(٦).

وكان من قصته: أن رسول الله ﷺ - كان يملي عليه: سميعٌ عليم، عزيزٌ حكيم، وغير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسول الله - ﷺ - وهو

(١) سورة المدثر، آية رقم ٢٥.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٣١٠/١٢.

(٣) سورة النحل، جزء من الآية رقم ١٠٣. وهناك من الآيات ما هو نظير ذلك، سورة الأنعام آية ١٠٥.

(٤) سورة الفرقان جزء من الآية رقم ٤.

(٥) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٤٧/٧ - ٦٤٨.

(٦) انظر المرجع السابق، ٦٤٩/٧، وابن الجوزي، زاد المسير، ٤٩٢/٤، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٥٧/٢.

على الوحي، فيستفهم رسول الله - ﷺ -، فيقول: أعزير حكيم، أو سميع عليم، أو عزير عليم؟ فيقول رسول الله - ﷺ - أي ذلك كتبت فهو كذلك، ففتته ذلك، فقال إن محمداً يكل ذلك إليّ، فأكتب ما شئت. (١)

أما المُعَلَّمُ المزعوم فقد اختلف المفسرون - رحمهم الله تعالى - في اسمه على أقوال عديدة منها:

- أ- قال بعضهم: بلعام. (٢)
- ب- وقال بعضهم: اسمه يعيش. (٣)
- ج- وقال آخرون: بل كان اسمه جبر. (٤)
- د- وقال آخرون: بل كانا غلامين اسم أحدهما يسار والآخر جبر. (٥)
- هـ- وقال آخرون: بل كان ذلك سلمان الفارسي. (٦) (٧)

(١) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٤٩/٧.

(٢) انظر الجوزي، زاد المسير، ٤٩٢/٤ والسيوطي، أسباب النزول، ص ٢٢٣.

وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٥٧/٢ وهو قين بمكة نص "أعجمي اللسان. انظر الطبري جامع البيان ٦٤٨/٧.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٤٨/٧ وابن الجوزي، زاد المسير، ٤٩٢/٤.

وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٥٦/٢ وهو غلام لبني المغيرة أعجمي وقيل عبد لبني الحضرمي. انظر الطبري جامع البيان ٦٤٨/٧.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٤٩/٧ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٥٦/٢ وابن هشام، السيرة النبوية، ٤٣/٢ وهو عبد لبني بياضة الحضرمي وكان صاحب كتاب. انظر الطبري جامع البيان ٦٤٨/٧.

(٥) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٤٩/٧ والواحدي، أسباب النزول، ص ٢٣١. وقيل إن يسار وجبر: عبدان لبني الحضرمي من أهل عبر اليمن، وكانا يقرآن التوراة. انظر الطبري، جامع البيان، ٦٤٩/٧ والسيوطي أسباب النزول، ص ٢٢٣ وابن كثير تفسير القرآن العظيم، ٩٥٧/٢.

(٦) أبو عبد الله سلمان الفارسي، أصله من مجوس أصبهان، قرأ كتب الفرس والروم، ورحل إلى الشام فالموصل، وقصد بلاد العرب فلقبه ركب من بني كلب فاستخدموه وباعوه، فاشتره رجل من بني قريظة فحاه به إلى المدينة، وأسلم حين مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - إليها وكان أول مشاهدته الخندق الذي دلّ المسلمين على حفره في غزوة الأحزاب، صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - وخدمه. وحدث عنه أحاديث أخرج له البخاري منها أربعة ومسلم ثلاثة، وفي مسند بقي ستون حديثاً، وكان نبياً، وحازماً، نبياً، عاقلاً عابداً، توفي في المدائن آخر خلافة عثمان وهو أمير عليها سنة ٣٥ هـ وقيل ٣٦ هـ. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧٥/٤ - ٨٢ والحاكم، المستدرک، ٥٥٩/٣. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/٥٥٨ - ٥٥٨.

(٧) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٤٩/٧، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٥٧/٢. ويقول: هذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسلمان إنما أسلم بالمدينة..

وعلى كل حال فإن الرجل الذي تتسبب إليه قريش تعليم رسول الله - ﷺ - إنما هو أعجمي، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر. لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾^(١)، فالله تعالى يبين كذبهم بتلك العلة، فلسان الذي يميلون إليه بأنه يعلم محمداً - ﷺ - أعجمي، وهذا القرآن لسان عربي مبين.^(٢)

أمّا الاتهام الثاني فيخبر تعالى أنهم يقولون: إن هناك أناساً قد استعان بهم محمد - ﷺ - في افتراءه لهذا الإفك - أي القرآن - .

وقد ذكر المفسرون - رحمهم الله - أن المعنى بقوله تعالى: ﴿ وأعانه عليه قوم آخرون ﴾^(٣):

١ - هم اليهود^(٤).

٢ - وقيل: أشاروا إلى عدّاس^(٥)، ويسار وجبر وكان الثلاثة من أهل الكتاب، وكانوا يقرأون التوراة ويحدثون أحاديث منها فلما أسلموا، كان النبي - ﷺ - يتعهدهم، فمن أجل ذلك قالوا ما قالوا.^(٦) وصاحب هذه المقولة كما ذكر بعض المفسرين، هو النضر بن الحارث.^{(٧) (٨)}

(١) سورة النحل، الآية رقم ١٠٣.

(٢) انظر الطبري، الجامع ٦٤٨/٧.

(٣) سورة الفرقان جزء من الآية رقم ٤.

(٤) انظر الطبري، الجامع ٣٦٤/٧، ٣٦٥ وابن الجوزي، زاد المسير ٧٢/٦.

(٥) عداس هو مولى حويطب بن عبد العزى وهو من أهل الكتاب وكان يقرأ التوراة. انظر المرجع السابق ٧٢/٦.

(٦) انظر المرجع السابق، ٧٢/٦، ٧٣ والرازي، التفسير الكبير، ٥٠/٢٤.

(٧) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين بيدرس. كان من شجعان قريش ووجهها، ومن شياطينها، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم. وهو ابن خالة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وأذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيراً. وهو الذي يزعم أن القرآن الكريم أساطير الأولين. شهد بدرًا مع المشركين، فأسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) بعد انصرافهم من الواقعة سنة ٢ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ٣٣/٨.

(٨) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٧٢/٦ والرازي، التفسير الكبير، ٥٠/٢٤.

هذا ما كان صراحة من قبل كفار قريش من أن القرآن الكريم: ﴿قول بشر﴾
وهو الاتهام الرئيس الثاني.

الأمر الثاني: غير الصريح:

فقد جاءت اتهامات أخرى غير صريحة في ذلك ، ولكنها تصبُّ في هذا
المجرى، منها:

أ - القول بأن القرآن الكريم إفكٌ، من كذب محمد - ﷺ ..

وقد جاء بيان اتهامهم ذلك فيما يلي:

١ - القرآن الكريم:

يقول تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراء ﴾^(١)، ويقول
تعالى: ﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾^(٢)، ويقول تعالى: ﴿ ما
سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ﴾^(٣)، ويقول تعالى: ﴿ أمر
يقولون تقوله ﴾^(٤).

فهذه مجموعة اتهامات قصدوا بها القرآن الكريم، ومحمداً - ﷺ - منها
الصريح ومنها شبه الصريح. فالإفك^(٥) والافتراء^(٦) والاختلاق^(٧).....

(١) سورة الفرقان جزء من الآية رقم ٤.

(٢) سورة ص جزء من الآية رقم ٥.

(٣) سورة ص آية رقم ٧.

(٤) سورة الطور جزء من الآية رقم ٣٣.

(٥) الإفك: الكذب. ويقال أفك كذب. انظر ابن منظور، لسان العرب، ١٠/٣٩٠.

(٦) افتراء: اختلقه، يقال: فرى فلان الكذب يفره إذا اختلقه، والفرية من الكذب انظر المرجع السابق ١٥/١٥٤.

(٧) الخلق: الكذب. وخلق الكذب والإفك يخلق ويخلق ويخلق ويخلق ويخلق ويخلق: حدثنا فلان بأحاديث الخلق، وهي الخرافات من الأحاديث المفصلة، وكذلك قوله تعالى: (إن هذا إلا اختلاق) أي: تخرص. وفي حديث أبي طالب: إن هذا إلا
بإختلاف أي: كذب المرجع السابق، ١٠/٨٨.

والتقول ^(١) كلها ألفاظ تعني أمراً واحداً وهو الكذب.

وهذا الاتهام القصد منه: أن القرآن الكريم كذب، وأن محمداً - ﷺ - كاذب. فهم لسوء خلقهم ولضعف نفوسهم كانوا يجمعون بين الأمرين وهذا يدل على مدى تفانيهم في تشويه صورة الدعوة المتمثلة بالقرآن الكريم وبصاحبها محمد - ﷺ .

وهذا هو الملحوظ في معظم أساليبهم، فلو اقتصرنا على رمي أحدهما باتهام لكان مستلزماً للآخر فإذا ما قالوا عن القرآن الكريم إفاك، فهذا يلزم أن محمداً - هو المفتري له والكاذب به لأن القرآن إنما جاء عن طريقه، ولو اقتصرنا على وسم محمد بهذا الخلق الرديء وهو الكذب، لكان الأمر مستلزماً بأن يكون القرآن من بعض كذبه وافترائه، لأن كل موصوف بصفة، يدل الموصوف على صفته، وصفته عليه ^(٢).

٢- كتب السنة:

فقد روى الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده، عن ربيعة بن عباد بنى الدليل ^(٣)، وكان جاهلياً قال: رأيت النبي - ﷺ - في الجاهلية في سوق ذي المجاز ^٤ وهو يقول: (يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا) ، والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابيء كاذب يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فذكروا لي نسب رسول الله - ﷺ - وقالوا لي هذا عمه أبو لهب ^(٥).

(١) التقول: تقول قولاً: ابتدعه كذباً. وتقول فلاناً عليّ باطلاً أي قال عليّ ما لم أكن قلت كذب عليّ. ومنه قوله تعالى ((ولوتقول علينا بعض الأقاويل)) الحاقة آية ٤٤ انظر المرجع السابق، ٥٧٤/١١ - ٥٧٥.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٢٩/٦.

(٣) ربيعة بن عباد الديلي الحجازي، رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - بسوق ذي المجاز قبل أن يسلم، ثم أسلم، وشهد اليرموك، بقي إلى حدود سنة تسعين، فوفاته في خلافة الوليد بن عبد الملك.

انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥١٦/٣، ٥١٧.

^٤ ذي المجاز: من أشهر أسواق العرب في الجاهلية، ولازال موضعه معروفاً بسفح جبل كيبك من الغرب يراه من يفرج من مكة على طريق نخلة اليمانية، كانت تقوم فيه السوق في الأيام الثمانية الأولى من شهر ذي الحجة. انظر: البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢٧٩.

(٥) الإمام أحمد، المسند، ٤٦١/٤ ورقم ١٨٩٥٦.

هذا هو الاتهام الأول بصيغته العديدة لمحمد - ﷺ - وما جاء به، والذي يندرج

تحت قولهم عن القرآن الكريم ﴿ قول بشر ﴾.

فكفار قريش يريدون أن يثبتوا للناس وبأي أسلوب أن القرآن الكريم إفاك من كذب محمد - صلى الله عليه وسلم، حيث كذب في نسبته إلهي الله - تعالى - وكذب في قوله: إنه رسول من قبله.

وأكذب شيء أن يقول كفار قريش هذه المقالة، وهم يوقنون في أنفسهم أنها الفرية التي لا تقوم على أساس. فما يمكن أن يخفى على كبرائهم الذين يلقنونهم هذا القول أن القرآن الذي يتلوه عليهم محمد - ﷺ - ليس كلاماً مكذوباً، وهم كانوا يعرفون ذلك أشدَّ المعرفة، فهذا الاتهام لسخافته وكذبه وبهته منهم كل أحد يعلم بطلانه، فإنه قد علم بالتواتر والضرورة أن محمداً رسول الله - ﷺ - لم يكن يعاني شيئاً من ذلك الكذب لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلهي أن بعثه الله - تعالى - نحواً من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه ونزاهته وبره وأمانته وبعده عن الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة، وحتى إنهم كانوا يسمونه في صغره وإلهي أن بعث الأمين، لما يعلمون من صدقه وبره، فلما أكرمه الله بما أكرمه به نصبوا له العداوة ورموه بذلك القول الذي يعلم كل عاقل براءته منه. ^(١)

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥١١/٣.

ب- القول: بأن القرآن قول شاعر، هو محمد - ﷺ ..

وقد جاء بيان ذلك فيما يلي:

أولاً: القرآن الكريم:

أ- اتهامهم للقرآن الكريم: وهو مفهوم من قوله تعالى ﴿ وما هو بقول شاعر

قليلاً ما تؤمنون ﴾^(١) فسياق الآية جاء بصورة النفي، والنفي للشيء لا يأتي

إلا بعد إثباته من قبل الخصم، وهذا فيه دلالة واضحة على أنهم قالوا ذلك

تجاه القرآن الكريم، وإلا لما ردَّ الله عليهم بقوله ﴿ وما هو بقول شاعر .. ﴾،

لأن محمداً - ﷺ - لا يحسن قيل الشعر^(٢)، كما قال تعالى: ﴿ وما علمناه

الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبين ﴾^(٣)

ب- أما اتهامهم لمحمد - ﷺ - بأنه شاعر فجاء ذكره بقوله تعالى ﴿ ويقولون

أنا لتاركوا آلمتنا لشاعر مجنون ﴾^(٤)، وقوله ﴿ أمر يقولون شاعر

نتريص به ريب المنون ﴾^(٥)، فهم يزعمون أن محمداً - ﷺ - شاعر من

عرض هؤلاء الشعراء وأن حوادث الدهر له بالمرصاد^(٦)

(١) سورة الحاقة آية رقم ٤١.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٢٢٢/١٢.

(٣) سورة يس آية رقم ٦٩.

(٤) سورة الصافات آية رقم ٣٦..

(٥) سورة الطور آية رقم ٣٠.

(٦) انظر الطبري، الجامع، ٤٩٣/١١.

ثانياً: كتب السنة:

أ - فقد روى مسلم في صحيحه، عن أبي ذر - رضي الله عنه - وساق حديثاً طويلاً في قصة إسلامه وفيه:

(فانطلق أنيس حتى أتى مكة. فراث^(١) عليّ. ثم جاء فقلت: ما صنعت ؟
قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك. يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟
قال: يقولون شاعر..))^(٢)

ب- وروى الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه -
قال: خرجت أتعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى
المسجد، فقامت خلفه فاستفتح سورة الحافة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن،
قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش..))^(٣).

^(١) فراث عليّ: أي أبطأ.

^(٢) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر - رضي الله عنه، ٤/١٩٢٠، ورقم ٢٤٧٣.

^(٣) الإمام أحمد، المسند، ٢٢/١، رقم ١٠٧. وقال احمد شاكر: إسناده ضعيف، ٢٠١/١، رقم ١٠٧. وقال الهيثمي في المجمع ٦٢/٩ رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقة إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر.

ج- القول: بأن القرآن الكريم أساطير الأولين، اكتتبها محمد ﷺ ..

وقد جاء بيان ذلك فيما يلي:

أولاً: القرآن الكريم:

حيث ذكر الله تعالى- مقولتهم تلك في تسعة^(١) مواضع من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾^(٢) وقد أجمع المفسرون عند تفسيرهم لتلك الآيات، أن صاحب هذه المقولة هو: النضر بن الحارث^(٣).

ثانياً: السيرة النبوية:

فعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: كان النضر من شياطين قريش، ممن يؤدي رسول الله - ﷺ -، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك فارس، وأحاديث رستم، وأسفنديار، فكان رسول الله - ﷺ - إذا جلس مجلساً، فذكر بالله، وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم، من نعمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم يقول: أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثاً منه، وما حديثه إلا أساطير الأولين، اكتتبها كما اكتتبها، فاهلوا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار، وكل ما ذكر فيه الأساطير ففيه نزل^(٤). والأساطير: الأباطيل، وهي أحاديث لانظام لها، واحديثها إسطار وإسطارة، بالكسر. وسطرّها: ألفها. وسطرّ علينا: أتانا بالأساطير^(٥).

(١) وهذه السور: الأنعام ٢٥ والأنفال ٣١ والنحل ٢٤ والمؤمنون ٨٣ والفرقان ٥ والنمل ٦٨ والأحقاف ١٧ والقلم ١٥ والمطففين ١٣.

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٥.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان ٣٦٥/٩ والسيوطي أسباب النزول ١٧٩ والواحدي وأسباب النزول ١٧٥ وابن كثير تفسير القرآن العظيم ٤٩٦/٢.

(٤) انظر الطبري جامع البيان ٣٦٦، ٣٦٥/٩ وابن هشام، السيرة النبوية ١/٣٢٨، ١٢/٢.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ٤/٣٦٣.

وأما الاكتتاب، ففهم البعض أن المقصود من هذه اللفظة، هو فعل الكتابة من المتهم وهذا يقتضي أن محمداً - ﷺ - يقرأ ويكتب، فردَّ هذه الفرية بكون النبي - ﷺ - قد علم عنه بالتواتر والضرورة أنه لم يكن يعاني شيئاً من ذلك لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحواً من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه^(١).

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن المقصود غير ذلك، لأن الاكتتاب افتعال من الكتابة، وصيغة الافتعال تدل على التكلف لحصول الفعل، أي حصوله من فاعل الفعل، فيفيد قوله (اكتبها) أنه تكلف أن يكتبها. ومعنى هذا التكلف أن النبي - ﷺ - لما كان أمياً كان إسناد الكتابة إليه إسناداً مجازياً فيؤول المعنى: أنه سأل من يكتبها له، أي ينقلها، فكان إسناد الاكتتاب إليه إسناداً مجازياً لأنه سببه، والقرينة ما هو مقرر لدى الجميع من أنه أمي لا يكتب، ومن قوله ((فهي تلى عليه)) لأنه لو كتبها لنفسه لكان يقرأها بنفسه فالمعنى: استنسخها. وهذا كله حكاية لكلام النضر بلفظه أو بمعناه. ومراد النضر بهذا الوصف ترويح بهتانه لأنه علم أن هذا الزور مكشوف قد لا يقبل عند الناس لعلمهم بأن النبي أمي فكيف يستمد قرآنه من كتب الأولين فهياً لقبول ذلك أنه كتبت له، فاتخذها، عنده فهو يناولها لمن يحسن القراءة فيملي عليه ما يقصه القرآن.

والإملاء: هو الإملاء وهو إلقاء الكلام لمن يكتب ألفاظه أو يرويها أو يحفظها، وتفريع الإملاء على الاكتتاب كان بالنظر إلى أن إملاءها عليه ليقرأها أو ليحفظها^(٢).

إن كفار قريش كانوا يعلمون جيداً أن هذا القرآن ليس بأساطير الأولين. ولكنهم إنما كانوا يجادلون، ويبحثون عن أسباب الرد والتكذيب، ويتلمسون أوجه الشبهات البعيدة.. وكانوا يجدون فيما يتلى عليهم من القرآن قصصاً عن

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥١١/٣.

(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٢٥/١٨.

الرسل وأقوامهم، وعن مصارع الغابرين من المكذبين، فمن باب التَّمَحُل
والتَّماس أوهى الأسباب، قالوا عن هذه القصص، وعن القرآن كله: ﴿إِنْ
هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١)

ولم يتوقف سفههم إلى هذا الحدّ من إطلاق هذه التهمة الكاذبة، بل أضافوا
إليها سماجة هابطة ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ
لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(٢) فهم يقدرّون لو شاءوا، لكن رفعوا أنفسهم عن هذا
المستوى، مستوى القرآن، فلو كان يوازي مستواهم لقالوا مثله، وهذا خور
وعجز منهم، وإلّا ما المانع بأن يأتيوا بمثله مادام أن التحدي قائم على أن يأتيوا
بمثله أو بجزء منه، ولكن هو التملق والتضليل لستر العيون عن تلك المعجزة
العظيمة، للهروب من محاكاته التي لو كانوا يستطيعون إليها سبيلا لما ترددوا
في ذلك ولبذلوا مهج أنفسهم وكرائم أموالهم للحصول عليها لاسيما - بعد هذا
التحدي - وهم العرب الذين كانوا يخشون العار ومن يجري فيهم الفخر
مجرى الدم لكن هيهات هيهات.

(١) سورة الأنفال جزء من الآية رقم ٣١.

(٢) سورة الأنفال جزء من الآية رقم ٣١.

د- القول: **بأن القرآن أضغاث أحلام رأها محمد - ﷺ - في منامه.**

يقول تعالى حاكياً ذلك عنهم ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام ﴾^(١).

فالأضغاث: الحلم الذي لاتأويل له، ولاخير فيه والجمع أضغاث. ﴿وأضغاث

أحلام﴾:

أ- الرؤيا التي لايصح تأويلها لاختلاطها والتباسها، فمأراه دخل بعضه ببعض واختلط، فلم تتميز المخارج، ولم يستقم التأويل^(٢).

ب- وقيل: ﴿أضغاث أحلام﴾ أي: مشتبهة -^(٣).

وأضغاث الرؤيا: أهويلها^(٤).

وهذا بعض الشيء من تيار الاتهامات التي ألصقوها بالقرآن، وبمحمد ﷺ - فكانوا يزعمون أن ما يخبر به من أنه أوحى إليه ومن أخبار البعث والحساب ويوم القيامة، إنما هو أخلط أحلام رأها في منامه ثم يحكيها ويرويها لنا^(٥) ولم يكن الحق في يوم من الأيام ضالَّتْهم، ولو كان الأمر كذلك لما صدر مثل هذه السماجة، فما وجه القرابة بين الكلام العظيم، وكلام رب العالمين - والذي استعصى على بلغاء الأرض محاكاة - وبين مجموعة خرافات وأضغاث يراها من لم يذكر الله عند نومه إنه التعنت، والهروب عن الخضوع لمثل محمد - ﷺ - والذي اختاره الله - جل وعلا - لحمل هذه الرسالة العظيمة، التي فيها سعادتهم في الدنيا والآخرة لو كانوا يعقلون لكن ثمة دوافع^(٦) حالت بينهم وبين

^(١) سورة الأنبياء جزء من الآية رقم ٥.

^(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب ١٦٣/٢.

^(٣) انظر الطبري، جامع البيان ٥/٩.

^(٤) انظر ابن منظور، لسان العرب ١٦٣/٢.

^(٥) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٦٠١٥/١٧.

(٦) مثل الحسد والكبر والعادات والتقاليد التي كان عليها الآباء والأجداد ونحو ذلك.

هذا الهدى والنور، والذي يكمن في خلجات أنفسهم وفي سويداء قلوبهم أنه الحق،
وصدق الله القائل: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾^(١).

(١) سورة النمل جزء من الآية رقم ١٤ وسبب نزول الآية ليس في قريش وإنما في فرعون وقومه لكن هي صالحة للاستشهاد هنا لوجود المشابهة بين كفار قريش وبين فرعون ومن شايعه وهذا واضح أيما وضوح، والله يقول (تشابهت قلوبهم) (البقرة جزء من الآية رقم ١١٨) ويقول (أتواصوا به) (الذاريات جزء من الآية رقم ٥٣).

هـ - القول : بأن القرآن بدعة وضلالة، جاء به الصابي، الغاوي
محمد - ﷺ وقد جاء بيان ذلك في السنة:

أ- اتهامهم للقرآن الكريم:

جاء في السنة مارواه الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده، عن ربيعة بن عباد
الدِّيَلِي قال: إني لمع أبي رجل شاب انظر إلى رسول الله - ﷺ - يتبع القبائل
وراءه رجل أحول وضيء ذو جمّة، يقف رسول الله - ﷺ - على القبيلة
ويقول: ((يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئاً وأن تصدقوني حتى أفند عن الله ما بعثني به)) فإذا فرغ رسول الله - ﷺ - من
مقالته، قال الآخر من خلفه: يا بني فلان إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات
والعزى وحلفاءكم من الحي بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة
والضلالة، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه، فقلت لأبي: من هذا؟ قال عمه أبو لهب.^(١)
هذا ما كان تجاه القرآن الكريم.

ب- أمّا قولهم عن محمد - ﷺ - بأنه: صابئ وعاو، فقد جاء في الروايات التالية:

١ - مارواه الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده، عن ربيعة بن عباد الدِّيَلِي وكان
جاهلياً أسلم فقال: رأيت رسول الله - ﷺ - بصر عيني، بسوق ذي المجاز
يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ويدخل في فجاجها الناس
مُتَقَصِّفُونَ عليه، فمارأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت يقول: (أيها الناس
قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه ذا غديرتين
يقول: إنه صابئ كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله وهو يذكر
النبوة، قلت: ومن هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب.^(٢)

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦٤٧/٣، رقم ١٦٠٠٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦٤٧/٣، رقم ١٦٠٠٣.

٢ - مارواه أيضاً عن ربيعة بن عباد الدبلي أنه قال: رأيت أبالهب بعكاظ ^(١) وهو يتبع رسول الله - ﷺ - وهو يقول: يا أيها الناس إن هذا قد غوى، فلا يغوينكم عن آلهة آبائكم، ورسول الله - ﷺ - يفر منه وهو على إثره، ونحن نتبعه ونحن غلمان كأني انظر إليه أحول ذا غديرتين أبيض الناس وأجملهم ^(٢). وهذان اللفظان (صائب، غاو) لفظان مترادفان، يقصد منهما المشركون: الضلال. يدلُّ على ذلك قوله تعالى حاكياً قول المشركين عن النبي - ﷺ -: ﴿إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلَمْنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ ^(٣)، يعنون أنه كاد يثنيهم عن عبادة الأصنام، لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا عليها ^(٤). وهذا المفهوم ينبئ عن خلل في العقول، وانقلاب في المفاهيم، وفساد في التصور لدى أولئك الجهلاء، فالدعوة إلى الخير والعدل، ونشر القيم الفضيلة والأخلاق الرفيعة هو الضلال - في نظرهم - أمّا البقاء على الشرِّ والجور، والفسق والغدر والفجور، وإقرار القيم الدنيئة والرذائل الوضيعة هو الهدى، ألا ساء ما يحكمون. ولو لم ترصد السنة هذين الاتهامين تجاه محمد - ﷺ - فإن اتهامهم للقرآن الكريم، مستلزم لوصفه بهما. فهو قد جاء بما يخالف ما هم عليه، وهذا هو الابتداع والضلال كما يزعمون. تلك هي المرحلة الأولى من مراحل الأسلوب الأول - أسلوب الاتهامات الباطلة - والتي كانت مقصورة داخل مكة، حيث أطلقوا خلالها عدة اتهامات تجاه محمد - ﷺ - وما جاء به والتي يعلم كل عاقل بطلانها وفسادها.

^(١) عكاظ: من أشهر أسواق العرب في الجاهلية، كان يوجد في الجهة الشرقية الشمالية من بلدة الحوية اليوم، شمال شرقي الطائف على قرابة خمسة وثلاثين كيلاً في أسفل وادي شرب، تجتمع فيه قبائل العرب كل سنة ينشرون الشعر وينفخرون يقيمون فيه أسواقهم عشرين يوماً من شهر ذي القعدة. انظر البلادي، معجم العالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢١٥

^(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٦٤٦/٣، رقم ١٦٠٠٠.

^(٣) سورة الفرقان جزء من الآية رقم ٤٢.

^(٤) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٢٨/٣.

ثانياً: المرحلة الثانية:

مرحلة بثّ وترويح تلك الاتهامات داخل وخارج مكة:

إن أمر قريش مع القرآن ومن جاء به، لم يتوقف على إطلاق الاتهامات فحسب، فهي لما رأت:

- ١ - أن الله - تعالى - قد منع محمداً - ﷺ - منها.
- ٢ - وحرصه الشديد على هداية الناس، بهمة عالية لم تتزعزع أمام أساليبها - من ترغيب وترهيب وغير ذلك - طرفة عين وهو في أحلك الظروف.
- ٣ - وما يملكه - ﷺ - من ملكة بيان، وحديث يأخذ بشغاف القلوب، ولباب العقول، قلماً يسمعه أحدٌ إلا واستجاب لأمره، ودخل في دينه، فضلاً عن أن ما يثقله من كلام هو معجزة كبرى وآية عظيمة، عجز أرباب البلاغة والبيان عن محاكاته ولو بشيء يسير.
- ٤ - زيادة على ذلك قرب الموسم - موسم الحج - والذي تقدم فيه قبائل العرب إلى مكة لاسيما وقد سمعت بطرف من خبره - ﷺ - .

من أجل ذلك كان لزاماً أن تسخر جميع إمكانياتها، وتبذل جهودها للحيلولة بينه وبينهم وبأي أسلوب.

لذا نحت منحاً آخر كمرحلة ثانية لأساليبها الاتهامية الباطلة وهو: بثّ الدعايات الكاذبة حيث قامت ببث تلك الاتهامات الباطلة عن طريق الدعاية والإعلان وقبل أن ندخل في ذكر بعض النماذج على ذلك، ألقى الضوء على أحد الاجتماعات التي قام بها الملأ من قريش لتنفيذ هذه المرحلة.

فقد جاء في السيرة النبوية لأبن هشام وغيرها:

أنه لما حضر الموسم، اجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغيرة، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم:

((يامعشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب

بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأياً نقول به، قال: بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا:
نقول كاهن، قال لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة^(١)
الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون
وعرفناه، ما هو بخنقه، ولاتخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال:
ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه، فما
هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار
وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم^(٢)، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال:
والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجنابة - قال ابن هشام:
ويقال لعذقه - وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب
القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه،
وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فنفرقوا عنه
بذلك^(٣).

فهذا اجتماع تداولوا فيه الآراء وتناقشوا من أجل أن يخرجوا منه بقول واحد
متفق عليه يذيعوه بين الناس لتتوحد كلمتهم فنؤدي ثمارها، ولاتختلف فيظهر
التناقض. بعد ذلك شمرّوا عن سواعدهم، وشهروا ألسنتهم، لتنفيذ هذه المهمة
والتي اجتمعوا من أجلها فكانوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم،
لايمر بهم أحدٌ إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره^(٤) وهذا الأسلوب منه ما كان
داخل مكة لمن قدم إليها، ومنه ما كان خارجها سواء كان في أسواق العرب،
أو بقية المشاعر كمنى وغيرها، أو في الطائف.

(١) زمزمة الكاهن: كلامه الخفيّ.

(٢) العقدة والنفش: هو أن يعقد الساحر خيطاً وينفث فيه بضمه.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية ٣٠٢/١، ٣٠٣.

(٤) انظر المرجع السابق ٣٠٣/١.

أما الأول: أ - داخل مكة:

وهذا يتمثل في النموذجين التاليين:

١ - **مارواه الإمام مسلم** - رحمه الله - في صحيحه، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن ضماداً^(١) قدم مكة. وكان من أزد شنوءة. وكان يرقى^(٢) من هذه الريح^(٣). سمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون. فقال لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي. فقال: فلقية. فقال يامحمد! إنني أرقى من هذه الريح وإن الله يشفي على يدي من شاء الخ... ((^(٤).

٢ - **كان الطفيل بن عمرو الدوسي**^(٥) يحدث: أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ - بها فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا^(٦)، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وأنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمع منه شيئاً قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لأسمع منه شيئاً ولأكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً^(٧) فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لأأريد

(١) ضماد بن تلبية الأزدي نسبة لأزد شنوءة قبيلة مشهورة باليمن، قدم مكة في أول بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأسلم، وكان عاقلاً متطيّباً، ویرقی، ویطلب العلم. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤/٢٤١. وابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٤١/٣، ٤٢.

(٢) يرقى: من الرقبه وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة.

(٣) (من هذه الريح) المراد بالريح، هنا، الجنون ومس الجن.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٣/٢، رقم ٨٦٨.

(٥) الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الدوسي الأزدي، صحابي جليل شريف في الجاهلية والإسلام أسلم بمكة. وكان شاعراً غنياً، كثير الضيافة، مطاعاً في قومه فحينما دعاهم للإسلام أسلموا. استشهد في الإمامة سنة ١١ هـ انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤/٢٣٧، ٢٤٠. والزركلی، الأعلام، ٣/٢٢٧.

(٦) أعضل بنا: احتد أمره.

(٧) الكرسف: القطن.

أن أسمع..) (^(١) هذه هي الدعاية الداخلية التي قام بها كفار قريش للصدّ عن هذا الدين من خلال تشويه صورة صاحب الدعوة، وجعله في أعين الناس مصدراً للإيذاء، والتفريق بين الأحاب.

أما الثاني: ب - **خارج مكة:**

فالأمثلة عديدة وكثيرة منها ماكان مصاحباً للاتهام ومنها ماكان تحذيراً فحسب، ومن ذلك :

١- **عن طارق بن عبدالله** ^(٢) **قال:** إني بسوق ذي المجاز إذمرّ رجل بي عليه حلة من برد أحمر وهو يقول: ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. ورجل خلفه قد أدمى عرقوبيه، يقول ياأيها الناس، إنه كذاب فلاتطيعوه. فقلت من هذا؟ قالوا غلام بني هاشم الذي يزعم أنه رسول الله، وهذا عمه عبد العزى ^(٣).

٢ - **عن ربيعة بن عباد الدّيلي وكان جاهلياً فأسلم، قال:** رأيت رسول الله - ﷺ - **بصر عيني بسوق ذي المجاز، يقول:** (ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول

(١) انظر ابن هشام. السيرة النبوية ٣٤/٢.

(٢) طارق بن عبد الله المحاربي من محارب خَصَفَةَ. صحابي، نزل الكوفة. روى عنه أبو الشعثاء، وربيعي بن خراش، وأبو ضمرة، قال ابن الرقي: له حديثان. وقال ابن السكن: له ثلاثة، حديثه في الكوفيين. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢١٤/٥ رقم ٤٢٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في الكتاب المصنف، في الأحاديث والآثار، في كتاب المغازي، في أذى قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ومالقي منهم ٣٠٠/١٤ رقم ١٨٤١٤، تحقيق مختار الندوي، ط: ١، الدار السلفية، الهند، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. والحاكم في المستدرک في کتاب التاريخ ٦١٢/٢ وقال هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال النهي: صحيح وروى النسائي بعضه وابن ماجه بعضه، انظر النهي، التلخيص، ٦١٢/٢. وابن حجر، المطالب العالی، باب ماأذى المشركون به النبي صلى الله عليه وسلم وتباته على أمره ١٩١/٤، رقم ٤٢٧٧، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط: ١، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م. وقال البوصيري: رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح وأبو يعلى وابن حبان والحاكم ورواه النسائي وابن ماجه مختصراً، انظر المرجع السابق، ١٩١/٤.

شيئاً، وهو لايسكت يقول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه ذا غديرتين يقول إنه صابيء كاذب، فقلت: من هذا، قالوا محمد بن عبد الله وهو يذكر النبوة، قلت: ومن هذا الذي يكذبه، قالوا عمه أبو لهب. (١)

٣ - عن ربيعة بن عباد الدبلي، أنه قال: رأيت أبا لهب بعكاظ وهو يتبع رسول الله - ﷺ - وهو يقول: يا أيها الناس إن هذا قد غوى، فلا يغوينكم عن آلهة آبائكم، ورسول الله - ﷺ - يفر منه وهو على أثره. (٢)

٤ - وعنه أيضاً: إني لمع أبي رجل شاب انظر إلى رسول الله - ﷺ - يتبع القبائل ووراءه رجلٌ أحول وضيء ذو جُمَّة يقف رسول الله - ﷺ - على القبيلة ويقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تصدقوني حتى أنفذ عن الله مابعثني به، فإذا فرغ رسول الله - ﷺ - من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الحيّ بني مالك بن أقيش إلى ماجاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه (٣).

٥ - لما دعا - ﷺ - بكر بن (٤) وائل ورغيبهم، ثم انطلق وولى عنهم، مرّ أبو لهب عليهم، فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم، هذا في الذروة منّا فعن أي شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا: زعم أنه رسول الله، قال: ألا لا ترفعوا برأسه قولاً فإنه مجنون يهذي من أم رأسه (٥).

(١) انظر الإمام أحمد المسند ٦٤٧/٣ ورقم ١٦٠٠٣.

(٢) المرجع السابق ٦٤٦/٣ ورقم ١٦٠٠٠.

(٣) انظر المرجع السابق ٦٤٧/٣ ورقم ١٦٠٠٥.

(٤) بكر بن وائل بن قاسط، من بني ربيعة، من عدنان: جدُّ جاهلي، من نسله ((بنو يشكر))، و((حنيفة))، و((الدول))، و((

مرة))، و((بنو عجل))، و((تيم الله))، و((ذهل بن شيان))، انظر الزركلي، الأعلام، ٧١/٢.

(٥) انظر بن كثير، البداية والنهاية ١٣٨/٣.

٦ - عن ربيعة بن عباد قال: رأيت النبي - ﷺ - بذي المجاز يدعو الناس وخلفه رجل أحول يقول: لا يصدنكم هذا عن دين آلهمكم. ^(١)

٧ - وعنه أيضاً قال: رأيت رسول الله - ﷺ - وهو يدعو الناس إلى الإسلام بذي المجاز، وخلفه رجل أحول يقول: لا يغلبنكم هذا عن دينكم، ودين آبائكم ^(٢).

٨ - لما ذهب - ﷺ - إلى الطائف ودعا أهلها وردوا عليه بما ردوا وسلطوا عليه سفهاءهم، خلص منهم ثمَّ عمد إلى حائط من حوائطهم، وهو مكروب موجه فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة، وشيبة ^(٣) أخوه، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما، فلما رآياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عداساً، وهو نصراني من أهل نينوى، معه عنب، فلما جاء عداس، دار بينهما حديث عرف عداس منه أنه نبي، ثمَّ خرَّ ساجداً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء، فلما أبصر عتبة، وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا، فلما أتاهما قالوا: ما شأنك سجدت لمحمد وقبَّلت قدميه؟ قال: هذا رجل صالح، أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى، فضحكا به وقالوا: لا يفتنك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع، فرجع رسول الله - ﷺ - إلى مكة. ^(٤)

هذه هي الدعاية الخارجية، التي قام بها كفار قريش للصدِّ عن هذا الدين من خلال بثِّ الاتهامات الكاذبة بين القبائل، والتي من ورائها التشويه لمحمد - ﷺ - وما جاء به. وعلى الرغم من هذا الجهد الجهيد، فإنه قد لا يتحقق الغرض المطلوب، ولا يحصل الأمر المنشود - بكل حال - والذي أرادت قريش للصدِّ عن هذا الدين، كما أن النبي - ﷺ - لم يعبأ بذلك منهم، بل استمر في تبليغ

^(١) انظر الإمام أحمد المسند ٦٤٦/٣ ورقم ١٦٠٠١.

^(٢) المرجع السابق ٦٤٦/٣ ورقم ١٦٠٠٢.

^(٣) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس: من زعماء قريش في الجاهلية أدرك الإسلام، وقتل على الوثنية. حضر غزوة بدر مع المشركين، وغر تسع ذبائح لإطعام رجالهم، وقتل فيها سنة ٢ هـ انظر الزركلي، الأعلام، ١٨١/٣.

^(٤) انظر الذهبي، تاريخ الإسلام، "السيرة النبوية"، ص ٢٨٣.

دعوتہ رغم كل هذه المحاولات من قريش، ورغم كُلهذا الإباء من قبائل
العرب في قبول دعوتہ.

المسألة الثانية: الاتهامات الموجهة للمدعويين:

لم يقتصر المشركون في جعل القرآن الكريم، ومن جاء به، موضعاً لاتهاماتهم الباطلة بل كان للمدعويين نصيباً من ذلك، حيث أطلقوا عليهم بعض الاتهامات والتي لا تقل عن ماسبقها كذباً وبهتاً وجوراً. ومن ذلك:

١ - اتهامهم بالضلال. وقد ذكر الله - عز وجل - ذلك عنهم - بعد ماساق عدة اتهامات صدرت منهم - بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾^(١). فالمجرمون إذا رأوا المؤمنين قالوا لهم: إن هؤلاء لضالون عن محجة الحق وسبيل القصد^(٢).

فكانهم يقولون: إن هؤلاء سيئي الرأي إذ اتبعوا الإسلام وانسلخوا عن قومهم، وفرطوا في نعيم الحياة الحاضرة طمعاً في نعيم بعد الموت لا يدري هل له وجود أم لا؟ وأقبلوا على الصلاة والتخلق بالأخلاق التي يراها المشركون أوهاماً وعتناً لأنهم بمعزل عن مقدرة الكمال النفساني وما همهم إلا التلذذ الجثماني^(٣) وما يعلم أولئك أن سوء الرأي عندهم، ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سويّاً على صراط مستقيم﴾^(٤)، فهل الذي يمشي في هذه الحياة لا يدري أين يسلك؟ ولا كيف يذهب؟، بل تائه حائر ضال، أهو أهدى وأسلم رأياً؟ أم من يمشي فيها على طريق واضح بيّن؟ وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة^(٥).

(١) سورة المطففين آية رقم ٢٢.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٠٢/١٢.

(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٠٢/٣١، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١٣/٣٠.

(٤) سورة الملك آية رقم ٢٢.

(٥) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٥٦/٤.

إنهم وهم يطلقون هذا الاتهام يظنون أن محجة الطريق، وسبيل القصد، هو ماكان عليه آباؤهم وأجدادهم، لذا قالوا في غير موضع ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾^(١).

كما يظنون أن استقامة الرأي في اتباع القوم، والسعي في هذه الحياة إلى تنعيم النفس باستغلال الفرص المتاحة، والإعراض عن مرغبات لايقين على حصولها في نظرهم، وهذا الرأي الفاسد والظن الخاطئ أوردتهم المهالك فسيندمون حين لاينفع الندم. واتهامهم ذلك تبعه عدة اتهامات، كلها تعني هذا الأمر وهو ضلال من انحرف عن دين الآباء وجاء بشيء مخالف له.

ومن هذه الاتهامات:

أ - اتهامهم بالسفه:

وهذا الاتهام لم يكن ليفارق أفواه المشركين فهم يصفون من آمن بمحمد ﷺ - بخفة الحلم والجهل،^(٢) وقد جاء هذا مراراً وتكراراً وفي مناسبات عديدة، منها:

١ - كان عثمان بن مظعون - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بجوار الوليد بن المغيرة فلما رأى مايصيب أصحاب رسول الله - ﷺ - من البلاء وهو يروح ويغدو في أمان من الوليد بن المغيرة قال: والله إن غدوي ورواحي في جوار رجل من أهل الشرك وأصحابي، وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كثير في نفسي فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت إليك جوارك. قال: لم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي، قال لا ولكنني أَرْضَى بجوار الله - عز وجل - ولا أريد

(١) سورة الزخرف أية رقم ٢٢.

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٤٩٧/١٣.

أن أستجير بغيره، قال: فانطلق إلى المسجد فاردد عليّ جوارِي علانية كما أجزتك علانية قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد بن المغيرة: هذا عثمان قد جاء يرد عليّ جوارِي. قال صدق قد وجدته وفيأ كريم الجوار ولكني قد أحببت أن لأستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره. ثم أنصرف عثمان - رَضِيحَةً - ولييد بن ربيعة بن مالك^(١) بن جعفر في مجلس قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان فقال: لييد:

إلا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان: صدقت. فقال لييد: وكل نعيم لإمحالة زائل

فقال عثمان: كذبت نعيم الجنة لا يزول. فقال لييد: يامعشر قريش والله ما كان يؤذى جليصكم فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلاتجدن في نفسك من قوله.. ((^(٢)).

٢ - لما هاجر المسلمون الهجرة الثانية إلى الحبشة، ورأت قريش أنهم قد أصابوا داراً وأمنأ شقّ عليهم ذلك وانتمروا أن يبعثوا للنجاشي رجلين جليدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا الأدم الكثير وبعثوه مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه - وكانوا قد بعثوا لكل بطريق من بطارقتة هديّة - ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم، فخرجا فقدموا على النجاشي، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلاّ دفعا إليه هديته قبل أن يكلم النجاشي، ثم قالوا لكل بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في

(١) لييد بن ربيعة بن عامر بن مالك الكلابي، وفد على النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأسلم وحسن إسلامه، وكان فارساً شجاعاً، شاعراً من فحول الشعراء، قال الشعر في الجاهلية دهرأ. كان سخياً. يقال: إنه ما قال في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً: ما عاتب المرء الليب كفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح مات بالكوفة سنة ٤١ هـ. وكان عمره ١٤٥ سنة.

انظر ابن الأثير أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٤/٢٦٠ - ٢٦٢ وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٩/١٠٦ - ١٠٧ رقم ٧٥٣٥

(٢) انظر ابن كثير، البداية والنهاية ٣/٩٠، وابن هشام السيرة النبوية، ٢١/٢ - ٢٣.

دينكم، وجاؤا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم
أشراف قومهم ليردوهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فتشيروا عليه بأن يسلمهم
إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما:
نعم، ثم إنهما قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها
الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في
دينك وجاؤا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنت..))^(١).

إنَّ القاريء لهاتين القصتين يجد أنَّ المشركين يربطون سبب هذا السَّقه بقضية
أساسية هي السبب لجميع هذه الاتهامات وهي مفارقة دين القوم من الآباء
والأجداد وهذا هو الضلال بعينه وعلمه في نظرهم القاصر.

ب- اتهامهم بالابتداع:

وهذا يتجلى في القصة الثانية السابقة عند قوله: ((إنه قد صبا إلى بلد الملك منا
غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤا بدين مبتدع لانعرفه نحن
ولا أنتم..))^(٢)، وقالوا ذلك أيضاً في مخاطبتهم للنجاشي.
وهنا أيضاً نجد أنَّ سبب هذا الاتهام وهو الابتداع إنما هو: مفارقة دين الآباء
والأجداد.

ج - القول بأنهم صباه:

وهذا الاتهام هو الآخر كان منطبعاً ومتأصلاً في مفهوم أولئك المشركين،
وعلامه بيّنة لديهم لمن دخل في هذا الدين الجديد ((صبا فلان))، ((دخل
في دين الصباه))، كما أن سببه مثل ماسبق وهو: مفارقة دين الآباء
والأجداد. وقد تكرر مثل ذلك كثيراً بل يكاد يكون اللفظ الدائم والمتكرر على
السنة قريش تجاه المؤمنين بالدعوة ومن ذلك:

(١) انظر الإمام أحمد، المسند، ١/٢٥٠ رقم ١٧٣٩، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ١٨٠/٣ - ٣٦٦/٥، رقم ٢٢٤٩٤ والبيهقي،
دلائل النبوة، ٢/٣٠١، ٣٠٢، والهيتمي، مجمع الزوائد، ٦/٢٤-٢٧، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير اسحق وقد
صرّح بالسماع.

(٢) انظر المرجع السابق.

١ - **مارواه البخاري رحمه الله** - في صحيحة، في قصة إسلام أبي ذر - رضي الله عنه - وفيه: ((.. فقلت له - أي للنبي صلى الله عليه وسلم: اعرض عليّ الإسلام، فعرضه فأسلمت مكاني، فقال لي: (ياأبذر، اكنتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل) فقلت: والذي بعثك بالحق، لأصرخن بها بين أظهرهم، فجاء إلى المسجد وقريش فيه فقال: يامعشر قريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فقالوا: قوموا إلى هذا الصابي، فضربت لأموت، فأدركني العباس فأكب عليّ ثم أقبل عليهم فقال ويلكم، تقتلون رجلاً من غفار، ومتجركم وممركم على غفار، فأقلعوا عني فلما أن أصبحت الغد رجعت، فقلت مثل ماقلت بالأمس، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابي..)).^(١)

٢ - **مارواه أيضاً في قصة إسلام عمر بن الخطاب** - رضي الله عنه: فعن عبد الله بن عمر^(٢) عن أبيه - رضي الله عنهما - قال بينما هو في الدار خائفاً، إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو، عليه حُلَّةٌ حَبْرَةٌ وقميص مكفوف بحريز، وهو من بني سهم، وهم حلفاؤنا في الجاهلية، فقال له: ما بالك؟ قال زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت قال: لاسبيل إليك، بعد أن قالها أمنت، فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادي فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبا، قال: لاسبيل إليه، فكرّ الناس).^(٣)

فحينما انتقل هؤلاء من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور، زعموا بأنهم صباه لهذا الانتقال، فهم في ضلالٍ وظلمةٍ بحدّ زعمهم هذا هو الأسلوب الأول من أساليب التشويه، وهو أسلوب الاتهامات الباطلة بطرقه العديدة

(١) أخرجه البخاري في صحيحة في كتاب المناقب، باب قصة إسلام أبي ذر - رضي الله عنه ١٢٩٤/٣، رقم ٣٣٢٨.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي، العدوي، المكي، المدني، أبو عبد الرحمن أسلم صغيراً وهاجر مع أبيه أول غزواته (الحندي) وكان عالماً فقيهاً، عظيماً، أفتى الناس في الإسلام أكثر من ستين سنة له في مسند بقي ٢٦٣٠ حديثاً، واتفق له في الصحيحين على ١٦٨، وانفرد (البخاري) بأحد وثمانين و (مسلم) بأحد وثلثين وقد كف بصره آخر عمره وتوفي بمكة شيخاً حليلاً في الخامسة والثمانين من عمره سنة ٥٧٣ هـ. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٧٣/٢ و ١٤٢/٤ - ١٨٨ والحاكم، المستدرک، ٥٥٦/٣. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٠٣/٣ - ٢٣٩.

(٣) أخرجه البخاري - رحمه الله - في كتاب فضائل الصحابة، باب: إسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ١٤٠٣/٣، رقم ٣٦٥١

وألفاظه الكثيرة. والمتمعن في ذلك ليجد الكذب المخالف للواقع، والذي لم يكن له دليل يعززه، أو قرينة تثبته، ولن يكون ذلك. فصاحب الحق يلمح منه الصدق في كل حركة يتحركها، وكل كلمة يتكلم بها، لأنه ينطلق من منهج مستقيم ومنطق سليم فضلاً عن أن يكون مؤيداً من رب العالمين، أمّا صاحب الباطل الذي ينعق بباطله ليكبت حقاً هو للعالمين نورٌ وهدى، وصلاح وتقى، فإن الكذب ليُستشف من وصفه للحق ومن جاء به باتهامات باطلة يتخللها التخبُّط والاحتيار والكذب والبهتان، فضلاً عن أن يكون ذلك مقبولاً لدى العقلاء.

وبعد ذلك كله، سأعرِّج القول على أسلوب آخر من أساليب التشويه قام به أولئك المشركون، وهو ما يسمى بـ ((أسلوب الاعتراضات)).

المقصد الثاني: أسلوب الاعتراضات:

التعريف اللغوي:

الاعتراض: هو المنع، والأصل فيه أن الطريق إذا اعترض فيه بناءً أو غيره منع السابلة من سلوكه، واعتراض صار وقت العرض راكباً وصار كالخشبة المعترضة في النهر، وعن امرأته أصابه عارض من الجن أو من مرض يمنعه عن إتيانها، واعتراض الشيء دون الشيء أي حال دونه.

ويقال: اعترض الفرس في رسنه وتعرض: لم يستقم لقائده.

ويقال: رجل فيه اعتراض: هو الظهور والدخول في الباطل والامتناع من الحق. ^(١)

فمن خلال هذا التعريف اللغوي يتضح أن الاعتراض: المنع. وعدم الاستقامة للشيء المعترض عليه والدخول فيه، فيكون اعتراض قريش إنما هو لمنع مسمى النبوة على محمد - ﷺ - ولمنع إمكان نزول القرآن عليه، وعدم الاستقامة لأي أمر من أموره والدخول فيه، بل الظهور منه والدخول في مقابله وهو الباطل.

فلم يكن الاتهام الكاذب وترويجه الوسيلة الوحيدة في تشويه صورة الدعوة الإسلامية، بل دُعْمٌ ذلك بعدة اعتراضات، تناولت:

المسألة الأولى: القرآن الكريم

المسألة الثانية: الرسول ﷺ .

^(١) انظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة عرض، ٢/٣٣٥، ٣٣٦، (ب)، دار الحديث، القاهرة. وابن منظور، لسان العرب،

مادة عرض، ١٦٨/٧، ١٦٩.

المسألة الأولى: الاعتراض الموجه للقرآن الكريم:

حينما رأى المشركون أن اتهاماتهم الباطلة تجاه القرآن الكريم لاتعدوا أن تكون كذباً، قد اتضح زوره وبهته وجوره، وأن القرآن بنسقه العجيب ولفظه البديع قد أعجزهم عن محاكاته والوصول إلى مرتبته، وهم أرباب الكلام وأهل الفصاحة والبلاغة والبيان، لما رأوا ذلك كله، عمدوا إلى نبش أي اعتراض أو ملحوظة يتقدموا بها كي يقدحوا فيه، ولو لم يكن ذلك في ذات القرآن، فكان من ذلك: أن أعترضوا على نزول القرآن جملة واحدة يقول تعالى حاكياً ذلك عنهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴿١﴾).

جاء في سبب نزولها:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبياً فلم يعذبه ربه ؟ ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، ينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله هذه الآية (٢).
فالقصد من هذا الأسلوب بيان العجز والقصور في نزوله بهذه الطريقة المجزأة المقطعة، وهذا الاعتراض منهم، اعتراض تعتريه الركاكة، وينبع منه الجهل، فضلاً عن أن يكون تدخلاً فيما لايعني. وقد صدر ممن لايلتمس الحق، ولايبحث عنه بأي حال، ولو كان دأبه ذلك لوصل إليه بأيسر الطرق، لكنها الغاية المفصوحة، ﴿ يرويدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمر نوره ولو كره الكافرون ﴾ (٣).

وقد تصدى القرآن الكريم لهذا الاعتراض المشين، فنفضه بطرق عديدة، وأساليب بديعة، مبيناً ومعدداً الحكم لنزوله بهذه الطريقة، وسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله - تعالى - .

(١) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٢٢.

(٢) انظر السيوطي، أسباب النزول، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٣) سورة الصف، آية رقم ٨.

المسألة الثانية: الاعتراضات الموجهة للرسول - ﷺ -

وقد جاء على صورتين:

أ- الاعتراض الذي جاء بصورة التعجب

ب- الاعتراض الذي جاء بصورة التحقير

فالأول وهو:

أ - الاعتراض الذي جاء بصورة التعجب: تناول أموراً عديدة:

١ - كون رسولهم من البشر.

وقد جاء في القرآن الكريم آيات عديدة تبين وتوضح ذلك، منها:

أ- قوله تعالى: ﴿ أَكَا نَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ

النَّاسَ وَيَشِرَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدْرٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ - ﴿^(١)

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: لما بعث الله محمداً - ﷺ - رسولاً،

أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فأنزل الله هذه الآية ^(١).

ب- قوله تعالى: ﴿ وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ .. ﴿^(٢)

وهذا تعجب آخر من أولئك المشركين، من أن يأتيهم منذرٌ منهم ينذرهم بأس

الله على كفرهم به ولم يأتيهم ملك من السماء. ^(٤)

ونظير هذه الآيات في القرآن كثير ^(٥) ونكتفي بما ذكر.

^(١) سورة يونس، جزء من الآية رقم ٢.

^(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٢٧/٦ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٥٦/٢ والسيوطي، أسباب النزول، ص ٢٠٩.

^(٣) سورة ص، جزء من الآية رقم ٤.

^(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٥٠/١٠.

^(٥) مثل قوله تعالى: ((هل هذا إلا بشر مثلكم..)) الأنبياء جزء من الآية ٣ وقوله: ((إن هذا إلا رجل يريد أن يصدكم..)) جزء

من الآية ٤٣ من سورة سبأ. وغير ذلك.

وقصة عجبهم تلك قصة قديمة مكرورة معادة، قالها كل قوم وتعللوا بها منذ بدء الرسالات وتكرر إرسال الرسل من البشر، وظل البشر مع هذا يكررون الاعتراض.

وقد نشأ هذا الوهم من عدم إدراك الناس لقيمة بشريتهم وكرامتها على الله، فاستكثروا على بشر أن يكون رسولاً من عند الله.

فهذه النظرة الدنيئة، وهذا التصور الفاسد، لينبيء عن قصور في العقل، ونقص في الإدراك، وضعف في النفس. فهم لو تفكروا في آيات الله المتلوة، والتي فيها سعادتهم الأولى والأخرى، لانجلي عنهم هذا القصور، وذهب عنهم هذا النقص والضعف بتلك الآيات، فالله تعالى يقول: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم﴾^(١)، ويقول: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾^(٢)، ويقول تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾^(٣).

فبيّن سبحانه إمكان وقوع هذا الأمر، فهو قد أرسل إلى الأمم السابقة رسلاً وهم من البشر، فما المانع من أن يكون رسولهم من البشر؟ كما بيّن سبحانه الحكمة في ذلك والتي قصرت عقولهم عن معرفتها، ووضح لهم تكريمه لبني آدم، على سائر الحيوانات، وأصناف المخلوقات وقد استدل بالآية الأخيرة، على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة^(٤)

(١) سورة النحل، جزء من الآية رقم ٤٣.

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٧٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية رقم ٩٠، ٨.

(٤) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٨٦/٣.

ورغم كل هذه الأدلة، وكل هذه البيانات المفحمة لهم، إلا أنهم مازالوا يعاندون ويعارضون ويكابرون، ففسقهم وعصيانهم سكر أبصارهم وغطى بصائرهم فلا ترى النور، فهم في طغيانهم يعمهون، وفي سكرتهم يترددون. ولم يزل المشركون ينتقلون من تعجب إلى آخر، فلقد أعقب هذا التعجب تعجب آخر مرتبط به، وهو:

٢ - أكله - ﷺ - للطعام. ومشييه في الأسواق.

فإذا ما أكل الطعام، ومشى في الأسواق ليكتسب فهو بشر، وهذا هو أصل تعجبهم، فهو مرتبط بما قبله، يقول تعالى في بيان ذلك: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق..﴾^(١)، وهذا الاستفهام منهم للتعجب، فهم يعنون أنه يأكل كما يأكلون، ويحتاج إلى ما يحتاجون إليه، ويتردد في الأسواق مثلهم للتكسب والتجارة، وكنوا بأكل الطعام والمشي في الأسواق عن مماثلة أحواله لأحوال الناس تدرعاً منهم إلى إبطال كونه رسولاً لزعمتهم أن الرسول عن الله تكون أحواله غير مماثلة لأحوال الناس، فعجبوا أن يكون كذلك وهو مساوٍ للبشر لا يتميز عليهم بشيء. وخصوا هذين الأمرين لأنهما من الأحوال المشاهدة المتكررة^(٢)

ومن اعتراضاتهم:

٣ - اعتراضهم على جعل الأئمة إلهاً واحداً.

يقول تعالى عنهم: ﴿أجعل الأئمة إلهاً واحداً. إن هذا لشيء عجاب﴾^(٣) وقد جاء في سبب نزولها: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش، منهم أبو جهل، فقالوا: يا أبا طالب، ابن أخيك يشتم آلهتنا، يقول ويقول ويفعل ويفعل، فأرسل إليه فأنهه،

(١) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٧

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥١٢/٣ وابن الجوزي، زاد المسير، ٧٣/٦، ٧٤ وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٢٧/١٨

(٣) سورة ص، آية رقم ٥.

قال: فأرسل إليه أبوطالب وكان قرب أبي طالب موضع رجل، فخشي إن دخل النبي - ﷺ - على عمه أن يكون أرقاً له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، فلما دخل النبي - ﷺ - لم يجد مجلساً إلا عند الباب فجلس، فقال أبوطالب: يا بن أخي إن قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول وتفعل وتفعل، فقال: ((يا عم إني إنما أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتودي إليهم بها العجم الجزية))، قالوا: وما هي؟ نعم وأبيك عشراً، قال: ((لا إله إلا الله))، قال: فقاموا وهم ينفضون ثيابهم وهم يقولون: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾^(١). قال: ثم قرأ حتى بلغ ﴿لما يذوقوا عذاب﴾^(٢).

فمراد المشركين من هذه المقولة: أي أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو؟ أنكروا ذلك وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان واشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول - ﷺ - إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا، مقولتهم تلك. فهذا الأفراد غير معقول، وغير مقبول عندهم. إذ كيف تكون الآلهة إلهاً واحداً؟ وكيف ينزل كل إله عن سلطانه؟ إن شيخ القبيلة، أو زعيم الجماعة لا يقبل أن ينزل عن مكانه من الرياسة لزعيم آخر، ولو كان هذا معقولاً ومقبولاً لكانت قريش مثلاً تحت زعيم واحد. فإذا كان هذا غير ممكن في مجتمع القبائل فكيف يمكن هذا في مجتمع الآلهة، إن هذا لشيء عجاب.^(٤)

(١) سورة ص، آية رقم ٥.

(٢) سورة ص، جزء من الآية رقم ٨.

(٣) انظر الإمام أحمد، المسند، ٢٨٣/١ و ٤٥٢ برقم ٢٠٠٧ ورقم ٣٤١٨. وقال أحمد شاكر: استاده صحيح ٣/٣١٤ و ٥/١٤٠ والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، ٣٤١/٥، رقم ٣٢٣٢. وقال: هذا حديث حسن وقال أحمد شاكر عند كلامة عن الحديث في المسند ٣/٣١٥: قال الترمذي: حسن، والذي في الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٤٤ والخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٤/١٠٥٠.

فهذا ماتزينه شياطينهم، وما تمليه أهواؤهم، وما تعتقده عقولهم، تلك الشياطين الضالة والأهواء الزائغة، والعقول الفاسدة القاصرة. ولم يكتفوا بهذا الضلال والزيغ والقصور، بل استدلوا على ذلك باستدلال فاسد باطل وهو: ﴿ ما سمحنا بهذا في الملة الآخرة ﴾^(١)، ويقصدون بالملة الآخرة: دين النصارى.^(٢) فدينهم - أي النصارى - الذي ظهر قبل الإسلام أثبت تعدد الآلهة، كما يزعمون فهاهم أولاء يرون أتباع المسيحية - وهم أهل الكتاب - يجعلون لله ابناً، هو المسيح، ويجعلونه إلهاً، كما يجعلون أمه إلهاً. فكيف إذن يكون الإله إلهاً واحداً؟ وأين تذهب ألوهية المسيح وأم المسيح؟ فلو كان الله يأبى أن يكون معه آلهة لما قبل أن يكون المسيح، وأم المسيح إلهين معه، فالحجة هي: ﴿ ما سمحنا بهذا في الملة الآخرة.. ﴾^(٣)، فيكون نفي السماع كناية عن سماع ضده وهو تعدد الآلهة.^(٤)

ويجوز أن يريدوا بـ(الملة الآخرة) الملة التي هم عليها، وهي: دين قريش^(٥) ويكون إشارة إلى قول ملاً قريش لأبي طالب في حين احتضاره، حين قال له النبي - ﷺ: ((يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالوا له جميعاً: أترغب عن ملة عبد المطلب^(٦)، فقولهم ﴿ في الملة الآخرة ﴾ كناية عن استمرار انتفاء هذا إلى الزمن الأخير فيعلم أن انتفاءه في ملتهم الأولى بالأحرى^(٧).

هذا هو النوع الأول من اعتراضهم والذي جاء بصورة التعجب.

(١) سورة ص، جزء من الآية رقم ٧.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٥٢/١٠.

(٣) سورة ص، جزء من الآية رقم ٧.

(٤) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/٢١٢، ٢١٣ والحطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٠٥٠/٤.

(٥) انظر الطبري، الجامع، ٥٥٢/١٠.

(٦) انظر البيهقي، الدلائل، ٣٤٢/٢، ٣٤٣.

(٧) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/٢١٣.

أما النوع الثاني، وهو:

ب - الاعتراض الذي جاء بصورة التحقير، فهو الآخر تناول أموراً عدة وهي:

١ - الاعتراض على تخصيصه - ﷺ - بنزول القرآن عليه على أن هناك - في

نظرهم - من هو أكفأ، وأفضل منه. وقد جاء ذلك فيما يلي:

أ - قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾^(١).

أي: هلاً نزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين مكة أو الطائف؟
اختلف في الرجل الذي وصفوه بأنه عظيم:

١- فقال بعضهم: هلاً نزل على الوليد بن المغيرة المخزومي من أهل مكة، أو

حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي^(٢) من أهل الطائف؟

٢- وقال آخرون: بل عني به من أهل مكة: الوليد بن المغيرة، ومن أهل الطائف:
ابن مسعود، وهو عروة.^(٣)

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه مخبراً عن هؤلاء

المشركين: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين

عظيم﴾^(٤)، إذ كان جائزاً أن يكون بعض هؤلاء، ولم يضع الله تبارك

وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه، ولا على لسان رسوله -

(١) سورة الزخرف، آية رقم ٣١.

(٢) حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن غيرة بن عوف بن تقيف الثقفي وقد روى ابن جرير الطبري من طريق عكرمة في قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذرُوا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين)) (البقرة ٢٧٨) قال: نزلت في تقيف، منهم مسعود، وحبيب، وربيعة وعبد ياليل بنو عمرو بن عمير. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢/٢٠٥ رقم ١٥٨٦.

(٣) عروة بن مسعود بن معتب الثقفي: صحابي مشهور، كان كبيراً في قومه بالطائف. لما أسلم استأذن النبي - ﷺ - أن يرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام، فقال: إني أخاف أن يقتلوك. قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني، فأذن له، فرجع فدعاهم إلى الإسلام، فخالفوه، ورماه أحدهم بسهم فقتله سنة ٩ هـ. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥/٥٠٣ - ٥٠٤. والزركلي، الأعلام، ٤/٢٢٧.

(٤) سورة الزخرف، آية رقم ٣١.

ﷺ - والاختلاف فيه موجود كما ذكر ^(١) والمفهوم من هذا الاعتراض، أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان ^(٢).

ب- قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا..﴾ ^(٣)، فهم في غير موضع، يرفضون هذا التخصيص، وينكرونه تحقيراً له - ﷺ - ويرجعون ذلك لأمرٍ عدة:

(١) أنه - ﷺ - ليس بأعلام نسباً.

(٢) أنه - ﷺ - ليس بأعظمهم شرفاً. ^(٤)

(٣) أنه - ﷺ - ليس بأكثرهم مالاً وولداً.

فهم على فرض التسليم بصدق ماجاء به، أنه ليس أهلاً لأن يتلقى من الله هذا الذكر وفيهم من يحاكيه بالنسب والشرف، ومن هو أكثر منه مالاً وولداً. فكيف يتخير الله دونهم؟ وأين عين الله عن هؤلاء السادة منهم؟ فهؤلاء المساكين قالوا: منصب رسالة الله منصب شريف فلا يليق إلاً برجل شريف، وقد صدقوا في ذلك إلاً أنهم ضموا إليه مقدمة فاسدة وهي أن الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه، ومحمد - ﷺ - ليس كذلك فلا تليق رسالة الله به، وإنما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال في إحدى القريتين وهي مكة أو الطائف.

إنهم لم ينظروا إلى القيم الإنسانية العالية التي يشتمل عليها كيانه، من مكارم الأخلاق، وصفاء الروح، وعظمة النفس، فكل هذا لاحساب له في موازينهم - الخاطئة - التي يزنون بها الرجال، تلك الموازين التي لايقام وزن الرجال فيها إلاً بكثرة المال والأولاد، ومحمد - ﷺ - إذا وزن بهذا الميزان المادي،

(١) انظر الطبري، جامع البيان، ١١/١٨١، ١٨٢.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٢٠٣.

(٣) سورة ص، جزء من الآية رقم ٨.

(٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٧/١٠٤.

لا يكاد يقام له وزن، ولو أنه كان في ميزان الروح والنفس يرجح العالمين جميعاً^(١).

هذا ما حكاه القرآن الكريم، عن هذا النوع، والذي كان وراءه دوافع كالحسد والكبر وغيرهما، وقد سجلت لنا السيرة النبوية شيئاً من هذا التحقير الموجه له ﷺ :-

فحينما انتهى - ﷺ - إلى الطائف، عمد إلى نفرٍ من تقيف، هم يومئذ سادة تقيف وأشرفهم وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل^(٢) ابن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير،^(٣) وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن تقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم رسول الله - ﷺ -، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة، إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً..^(٤)

هذا هو اعتراضهم على تخصيص محمد - ﷺ - بالقرآن والرسالة، والذي أرادوا به التحقير، لأنه لم يبلغ - في نظرهم - تلك المنزلة التي يرونها مناسبة

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠٩/٢٧ وانظر الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٠٥٦/٤، ١٠٥٢.

(٢) عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن تقيف التقيفي وكان رأس وفد تقيف الذين قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسلموا. وكان عبد ياليل سن عروة بن مسعود. وقد ذكر ابن حبان أنه في الصحابة، وقال كانت له صحبة، وكان من الوفد، وأمه خالدة ابنة سلمة. أمّا ابن حبيب البغدادي فيذكر أن أمه كانت: قلابة بنت الحارث. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥٠٦/٥. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٣٣٧/٧، رقم ٦٧٢١. وابن حبيب البغدادي، المحرر، باعتناء د. ايلزه ليختن شتير ص ٤٦٠ المكتب التجاري، بيروت.

(٣) مسعود بن عمرو بن عمير التقيفي، نزل فيه: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين)) . (البقرة ٢٧٨). وكان له ولاخوته ربا عند بني المغيرة بن عبد الله، فلما أسلموا طالبوهم، فقالوا: مانعطي الربا في الإسلام واختصموا إلى عتاب بن أسيد، فكتب به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فنزلت وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق ابن عباس أن قوله تعالى: ((وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم)) (الزخرف ٣١)، نزلت في رجلٍ من تقيف، ورجل من قريش، والتقيفي هو مسعود بن عمرو. وفي ترجمة عروة بن مسعود شيء من هذا. انظر: ابن حجر، الإصابة، ١٩٠/٩، رقم ٧٩٥١.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٦٧/٢.

لهذا المقام، والتي حدّوها ووضعوا شروطها من خلال عقليتهم الضيقة وأحلامهم السّفِيهة.

ومما تناولته حملاتهم الاعتراضية، والتي هي بصورة التحقير: أتباع محمد - ﷺ - حيث قالوا:

٢ - إنما أتباعه الضعفاء والمساكين.

ذلك أن رسول الله - ﷺ - كان غالب من اتبعه في أول بعثته ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء، ولم يتبعه من الأشراف إلاّ النادر القليل^(١) وهذا ليس غريباً، بل ليس عيباً، إنما هو من الدلالات على صدق رسالته - ﷺ - ، جاء في صحيح البخاري من حديث أبي سفيان بن حرب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أن هرقل^(٢) أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام، في المدة التي كان رسول الله - ﷺ - مادّاً فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بابلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائلٌ هذا عن هذا الرجل، فإن كذبتني فكذبوه. فوالله لو لا الحياء من أن يأتروا عليّ كذباً لكذبت عنه. ثم كان أوّل ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحدٌ قطُّ قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملكٍ؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. ثم سأله أسئلةً كثيرةً ودار بينهما حوار طويل،

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٢٢٥.

(٢) هو ملك الروم، وهرقل اسمه، وهو بكسر الهمزة وفتح الراء وسكون القاف، ولقبه قيصر، كما يلقب ملك الفرس كسرى ونحوه

انظر: ابن حجر، الفتوح، ١/٤٥.

وكان ممّا قاله:وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن
ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.. ((^(١))

فهؤلاء الأتباع الضعفاء من الدلالات التي استدلت بها هرقل على صدق رسالة
محمد - ﷺ -، ولما كان الأمر كذلك، أصبح محلاً لاعتراض المشركين، وقد
جاء ذلك في آيات عديدة:

١- قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من
شيء، فتطردهم فتكون من الظالمين﴾^(٢).

ورد في سبب نزولها روايات عديدة:

١- عن سعد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في نزلت: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي﴾^(٣). قال: نزلت في ستة: أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون
قالوا له: تدني هؤلاء.^(٤)

٢- عن سعد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: كنا مع النبي - ﷺ - ستة نفر. فقال المشركون
للنبي - ﷺ -: اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود،
ورجل من هذيل، وبلال^(٥)، ورجلان لست اسميهما فوقع في نفس رسول الله
- ﷺ - ما شاء الله أن يقع. فحدّث نفسه. فأنزل الله عز وجل:

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي على رسول الله - ﷺ -، ٧/١، ٨ رقم ٧.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٥٢.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٥٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -، ٤/١٨٧٨، رقم
٢٤١٣.

(٥) بلال بن رباح الحبشي أبو عبد الله، مؤذن رسول الله - ﷺ - وخازنه على بيت ماله، من مولدي السراة، أحد السابقين الأولين إلى
الإسلام ومن أودى وعذب في دينه من قريش. شهد المشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ - وكان آخر أذان له يوم توفي - صلى الله
عليه وسلم - توفي بدمشق أو داريا له ٤٤ حديثاً منها في الصحيحين أربعة ووفاته سنة ٢٠ هـ - انظر: ابن سعد، الطبقات
الكبرى، ٢/٢٣٢ - ٢٣٩. والحاكم، المستدرک، ٣/٢٨٢. والنهي، سير أعلام النبلاء، ١/٣٤٧ - ٣٦٠.

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾^(١)

٣ - عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: مرّ الملائمة من قريش على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء؟ فنزل فيهم القرآن ﴿ وأندر به الذين مخافون أن محشروا إلى ربهم ﴾^(٢) إلى قوله ﴿..ولله أعلم الظالمين ﴾^(٣).

وجميع هذه الروايات مفادها أن الملائمة من قريش لما رأوا أن معظم أتباعه - من الضعفاء والمساكين كالموالي والحلفاء والعبيد، جعلوا ذلك مدخلاً للاعتراض تحقيراً وازدراءً، كما جعلوه حاجزاً لإيمانهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وإتباعهم له، وقد جاءت رواية مخالفة للروايات السابقة، تفيد أن قائل ذلك هما: الأقرع بن حابس التميمي^(٤)، وعيينة بن حصن الفزاري^(٥)، وهو سبب نزول هذه الآية^(٦).

^(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -، ٤/١٨٧٨، رقم ٢٤١٣.

^(٢) سورة الأنعام جزء من الآية رقم ٥١.

^(٣) سورة الأنعام جزء من الآية رقم ٥٨.

^(٤) الإمام أحمد، المسند، ١/٥٢٥، رقم ٣٩٨٥. وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه عليه: إسناده صحيح، ٦٠/٣٦ نفس رقم الحديث..

^(٥) الأقرع بن حابس بن عقال الجاشعي الدارمي التميمي: صحابي، من سادات العرب في الجاهلية. قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وفد من بني دارم (من تميم) فأسلموا. وشهد حينئذ فتح مكة والطائف. وسكن المدينة. وكان من المؤلفين قلوبهم. ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر. وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعته حتى اليمامة. واستشهد بالجزعان. وقيل اسمه: فراس، والأقرع لقب له، لقرع كان برأسه. وكان حكماً في الجاهلية. استشهاده سنة ٣١ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ٥/٢.

^(٦) عيينة بن حصن، بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن لودان بن ثعلبة بن فزارة الفزاري، أبو مالك. يقال: كان اسمه حذيفة، فلقب عينة لأنه كان أصابته شحة، فحفظت عيناه. قال ابن السكن: له صحة، وكان من المؤلفين. ولم يصح له رواية. أسلم قبل الفتح، وشهدا، وشهد حينئذ والطائف، وبعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - لبني تميم، فسبى بعض بني العنبر، ثم كان ممن ارتد في عهد أبي بكر - رضي الله عنه - ومال إلى طليحة فبايعه، ثم عاد إلى الإسلام، وكان فيه حياء سكان البوادي. انظر: ابن حجر، الإصابة، ٧/١٩٥، رقم ٦١٤٦.

^(٧) انظر الحديث في سنن ابن ماجه، أبواب الزهد، باب مجالسه الفقراء، ٢/٤١٢، رقم ٤١٧٩.

وذكر ابن كثير - رحمه الله - حينما ساق هذا الحديث، أنه حديث غريب، لأن الآية مكية والأقرع، وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر^(١)، ويمكن الجمع بين ذلك فيقال: لعله وقع منهما، فأجابهم رسول الله - ﷺ بهذه الآية التي نزلت في نظير اقتراحهما.^(٢)

بذلك يتبين أن سبب نزولها هو ما دلت عليه الروايات الأولى، وذلك لعدة أسباب:

(١) أن ما ورد في الصحيح يثبت ذلك، وما ورد في الصحيح مقدّم على غيره.
(٢) أن هذه الآية في سورة الأنعام، ومن المعلوم أن سورة الأنعام أنزلت في مكة جملة واحدة^(٣) فتكون أحداثها مرتبطة بقریش لا بالأقرع وعيينة فإنهما إنما أسلما بعد الهجرة بدهر.

(٣) ورود روايات عديدة في مواضع عدة تشهد بذلك، وهي الروايات السابقة.
(٤) أن هذا الأسلوب هو الشبيه بحال كفار قریش لاسيما وقد صدر منهم أساليب عديدة وكثيرة من هذا النوع وغيره بدافع الكبر والغرور واللذان يولدان احتقار الآخرين.

ب- قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالخداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم﴾^(٤) ومما ورد في سبب نزولها: أن أشرف قریش حين طلبوا من النبي - ﷺ - أن يجلس معهم وحده، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه، كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلس على حدة، فنهاه الله عن ذلك فقال:

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالخداة والعشي﴾^(٥)

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٢٤/٢.

(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤٦/٧.

(٣) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٠٤/٢.

(٤) سورة الكهف، جزء من الآية رقم ٢٨.

(٥) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٥٢.

وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء، فقال ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾^(١)، فبين هذه الآية، وآية الأنعام توافق ومناسبة وارتباط، ففي الأولى ((الأنعام)) نهى الرسول - ﷺ - عن طردهم، وفي الثانية ((الكهف)) أمر بمجالستهم والمصابرة معهم، فقوله: ﴿واصبر نفسك﴾ أصل الصبر الحبس.^(٢)

ج- قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾^(٣)، ورد في سبب نزولها أقوال عدة:

(١) أن المشركين قالوا عن القرآن: لو كان خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، يعنون بلالاً وعماراً وصهيباً وخباباً - رضي الله عنهم - وأشباهم وأضرابهم من المستضعفين والعبيد والإماء، فنزلت.^(٤)

(٢) أن اليهود قالوا: لو كان دين محمد خيراً ما سبقتمونا إليه، لأنه لا علم لكم بذلك، ولو كان حقاً لدخلنا فيه.^(٥)

وأظهر أقوال العلماء في هذه الآية الكريمة، أن الكافرين الذين قالوا للمؤمنين لو كان خيراً ما سبقونا إليه، أنهم كفار مكة، وأن مرادهم أن فقراء المسلمين، وضعفاءهم كبلال وعمار وصهيب وخباب ونحوهم، أحقر عند الله من أن يختار لهم الطريق الذي فيه الخير وأنهم هم الذين لهم عند الله عظمة وجاه واستحقاق السبق لكل خير لزعيمهم أن الله أكرمهم في الدنيا بالمال والجاه، وأن أولئك الفقراء لا مال لهم ولا جاه، وأن ذلك التفضيل في الدنيا يستلزم التفضيل في الآخرة.

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٣٢/٣.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١١٥/٢١.

(٣) سورة الأحقاف، جزء من الآية رقم ١١.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٢٨١/١١ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٥١/٤ والسيوطي، الدر المنثور، ٧/٤٤٠، ط: ١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

(٥) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٧٥/٧ والطبري، جامع البيان، ٢٨١/١١.

وهذا المعنى الذي استظهرناه في هذه الآية الكريمة تدل له آيات كثيرة من كتاب الله، وخير ما يفسر به القرآن القرآن. ^(١) أمّا ادعاؤهم أنّ ما أعطوا من المال، والأولاد والجاه، في الدنيا دليل على أنهم سيعطون مثله في الآخرة، وتكذيب الله لهم في ذلك، فقد جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿أَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾ ^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالاً وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْرًا تَأْخُذُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا. كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَعُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ ^(٤)، مع قوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ ^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلئن رَجَعْتَ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ فَلَننَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمَلُوا وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابِ غَلِيظٍ﴾ ^(٦)، وزيادة على ما ذكر، هناك من الدلالات الكثيرة التي توضح اختصاص نزول هذه الآية بكفار قريش بمكة، وهي:

(١) وجود آيات عديدة، ثبت اختصاص نزولها بكفار قريش، وهي من جنسها وفي موضوعها، كآية الأنعام، وآية الكهف السابقتين.

^(١) انظر الشنقيطي، أضواء البيان، ٣٨١/٧، (ب: ط) الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

^(٢) سورة المؤمنون، الآيات رقم ٥٦، ٥٥.

^(٣) سورة مريم، الآيات من ٧٧-٧٩.

^(٤) سورة سبأ، جزء من الآية رقم ٣٥.

^(٥) سورة سبأ، جزء من الآية رقم ٣٧.

^(٦) سورة فصلت، جزء من الآية رقم ٥٠.

^(٧) انظر الشنقيطي، أضواء البيان، ٣٨١/٧، ٣٨٢.

(٢) كثرة الروايات التي تثبت اختصاص نزول هذه الآية ﴿ آية الأحقاف ﴾ في كفار قريش. (١)

(٣) قوله تعالى في آخر الآية: ﴿واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ (٢) وهذا القول اتهم للقرآن الكريم، وهو شبيه بحال كفار قريش وأساليبهم تجاه الدعوة حيث صدر منهم مثل ذلك مراراً وتكراراً. فالإفك: الكذب (٣)، والقديم: المأثور (٤). وقد ذكر الطبري في تفسيرها:

((فسيقولون هذا القرآن الذي جاء به محمد - ﷺ - أكاذيب من أخبار الأولين قديمة))، (٥) وقيل: ﴿إفك قديم﴾ أي: كذب متقدم، يعنون أساطير الأولين، (٦) وقد جاء ذلك عنهم في مواضع عدة، من ذلك: قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه..﴾ (٧) وقوله تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها..﴾ (٨) وقوله تعالى: ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر﴾. (٩)

(٤) أن قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا..﴾ (١٠)، في سياق الكلام عن مشركي قريش، والسورة كما هو معروف.....

(١) انظر الطبري، جامع البيان، ٢٨١/١١ وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٧٥/٧. والسيوطي، الدر المنثور، ٤٤٠/٧.

(٢) سورة الأحقاف، جزء من الآية رقم ١١.

(٣) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٣٩٠/١٠.

(٤) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٥٢/٤.

(٥) الطبري، جامع البيان، ٢٨٢/١١.

(٦) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٧٦/٧.

(٧) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٤.

(٨) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٥.

(٩) سورة المدثر، جزء من الآية رقم ٢٤.

(١٠) سورة الأحقاف جزء من الآية رقم ١١.

مكية^(١).

هذا ماكان من اعتراضهم تجاه أتباع المصطفى - ﷺ - وهو من سفهم
وجهلهم حيث كانوا يزعمون أنهم أعزُّ وأفضل لأنهم حازوا العظمة، وملكوا
الجاه دونهم، فالخير بحذافيره محصورٌ فيهم لهذه الأسباب ولم يتوقف سفهم
وجهلهم إلى هذا الحدّ، بل قاموا يطلقون الأحكام على هذا القرآن، وهذا الدين،
فجرّدوه من الخيرية. والسبب: سَبَقُ هؤلاء إليه.

إنهم يزنون هذه الأمور بميزانهم الفاسد وينظرون إليها بمنظارهم الضيق، ثم
يحكمون عليها من خلال عقولهم المتحجّرة عن قبول الحق، وهذا الحكم لا
يخفى على عاقلٍ جوره، ولا يغيب عن لبيب عوره، فهو منطلق من معتقداتٍ
ودوافعٍ جاهليةٍ مبناها الفخر والكبر والغرور.

هذا هو الأسلوب الثاني من أساليب التشويه، وهو أسلوب الاعتراضات،
وسنُعرِّج القول على الأسلوب الثالث وهو:

((أسلوب المعارضة))

^(١) انظر الطري، جامع البيان، ٢٢٨/١١.

المقصد الثالث: أسلوب المعارضة:

التعريف اللغوي:

المعارضة: يقال: عارضه، أي: جانبه وعدل عنه، وسار حiale. ويقال: عارضته بمثل ما صنع أي: أتيت إليه بمثل ما أتى وفعلت مثل ما فعل. وعارض الشيء بالشيء معارضةً: قابله، وعارضت كتابي بكتابه أي قابلته. وفلان يعارضني أي يباريني. وعارضه في البيع فعرضه يعرضه عرضاً: غبنه.^(١)

فمن خلال هذا التعريف اللغوي، يتضح أن المعارضة هي: مقابلة الشيء بشيء آخر على سبيل المباراة والمحاكاة، بقصد المخالفة والعدول عن طريقه، مع وجود الغبن في تلك المقابلة والمماثلة. وهكذا حال قریش في هذا الأسلوب، حيث عارضت القرآن بشيء لا يرتفع إلى منزلته، ولا يصل إلى قدره.

التمهيد:

لم تتوقف أساليب التشويه لدى المشركين إلى هذا الحد، بل أضافوا إلى ماسبق ((أسلوب المعارضة))، فبعد أن تحدّاهم: القرآن الكريم في غير موضع أن يأتوا بمثله، ثم بعشر سور، ثم بسورة كل ذلك لم يستطع المشركون عليه، وهم يدركون ذلك أشدّ الإدراك، ويتيقنونه أشدّ اليقين، ولو استطاعوا إلى ذلك سبيلاً لفعّلوا ماوسعهم ولو مجرد المحاكاة والقرب، لكن لما رأوا حالتهم تلك مع القرآن دأبوا لإيجاد مايمكنهم معارضته به وصدّ الناس عنه، وإن كان ذلك في تصورهم غير مقنع لهم ولكن ولو ثمة شيء ليصدوا به عن تلك المعجزة العظيمة، مع تهوين أمره وتقليل شأنه وأنه لا يعدو أن يكون من تلك الأساطير القديمة والتي باستطاعتهم أن يأتوا بمثها بل لديهم ما هو أفضل منها بحدّ زعمهم - فهم قرأوا ودرسوا وسافروا واطلعوا، وعلموا القصص والأحاديث وحفظوها، وباستطاعتهم أن يملّوها

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٦٧/٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٥، ١٨٦.

على غيرهم، هذا ما انتطوت عليه بعض سرائرهم في صدهم عن دين الله بكل ما يملكون.

وقد سلكوا بهذا الأسلوب طريقتين:

الطريقة الأولى: إدعاء معارضة القرآن بمثله.

الطريقة الثانية: معارضة القرآن بـ:

أ - أساطير الأولين. ب - اللغو عند سماعه.

أولاً: الطريقة الأولى: إدعاء معارضة القرآن بمثله:

فهم يعلنونها صريحة أمام الجماهير، بأنهم قد سمعوا قول محمد - ﷺ - وفهموه، وأن الإتيان بمثله أمرٌ ميسور، ومتحقق لكل من يريده، وأنهم باستطاعتهم أن يكونوا من فرسان هذا الأمر لو شاؤوا وأرادوا.

وقد حكى الله ذلك عنهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا. إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١) وهذا منهم قول بلا فعل، وإلا فقد تحدوا غير مرة، فلا يجدون إلى ذلك سبيلاً وإنما هذا القول منهم يغرون به أنفسهم ومن تبعهم على باطلهم، وقد قيل إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث، فقد كان يختلف تاجراً إلى فارس، فيمرُّ بالعباد وهم يقرأون الإنجيل ويركعون ويسجدون. فجاء مكة فوجد محمداً - ﷺ - قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد، فقال النضر: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا، للذي سمع من العباد.^(٢)

^(١) سورة الأنفال، آية رقم ٣١.

^(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٦/٢٢٩. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٤٩٦.

ثانياً: الطريقة الثانية: معارضة القرآن بـ:

أ - أساطير الأولين. ب - اللغو عند سماعه .

فلم يتوقف أولئك المشركون على هذا الادعاء الكاذب، بل أرادوا أن يدعموا دعواهم بأي شيء يملكونه ليثبتوا للناس صدقها، لاسيما وهم الحريصون على إطفاء نور الله بكل ما يملكون وبكل ما يستطيعون ولو كان ذلك بأغلى الأثمان. فكان من شأنهم أن عارضوا القرآن الكريم بـ:

أ . أساطير الأولين:

حيث جاؤا بما يدعون أنه موازي للقرآن - بل كما يزعمون أنه أحسن منه - من قصص الأولين وغيرها فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان النضر من شياطين قريش، ممن يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ - مجلساً فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يامعشر قريش، أحسن حديثاً منه، فاهلموا إليّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس، ورستم واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟^(١)

(١) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٦٥/٩، ٣٦٦. وابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٢٨. ١٢/٢.

أمّا معارضة القرآن بـ :

ب - اللغو عند سماعه :

فيقول تعالى عن ذلك :

﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾^(١) فهذه الآية تحكي حالاً من أحوال إعراض المشركين عن الدعوة المحمدية، فهم لم يقصروا الأمر على إعراضهم في أنفسهم بل انتقلوا إلى مرحلة أخرى وهي تلقين الناس أساليب الإعراض. فالذين كفروا هنا هم أئمة الكفر يقولون لعامتهم : لا تسمعوا لهذا القرآن، فإنهم علموا أن القرآن كلامٌ هو أكملُ الكلام، شريفُ المعاني، بليغُ التراكيب، فصيحُ الألفاظ، وأيقنوا أن كل من يسمعه وتداخل نفسه جزالة ألفاظه وسمو أغراضه قضى له فهمه أنه حقٌّ إتباعه، وقد أدركوا ذلك بأنفسهم ولكنهم غالبتهم محبة الدوام على سيادة قومهم فتمالؤا ودبروا تدبيراً لمنع الناس من استماعه.^(٢) فمن خلال هذا الأسلوب يتضح أنهم رهبوا أمراً ورغبوا آخر.

فالأول رهبوا:

١ - امتنان الناس وتأثرهم بكلام الله - تعالى - :

فحينما رأوا أن من يسمع القرآن يرق قلبه ويلين وبالتالي يؤمن، عمدوا إلى هذا الأسلوب كي يحجبوا الناس عن سماع هذا الأمر العظيم، فلا يصل إلى آذانهم، وإن كان ولا بد من وصوله فلا يصل إلاً مضطرباً أو بصورة مشوهة. فهم يظنون أنهم بهذا العبث يسدون منافذ الضوء من تلك الشمس الساطعة إذا هم مدّوا أيديهم إليها وحجبوها عن عيونهم.^(٣)

(١) سورة فصلت آية رقم ٢٦.

(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤/٢٧٦، ٢٧٧.

(٣) انظر الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٤/١٣١١.

وقد جاء في صحيح البخاري ما يثبت هذه الرهبة منهم، وذلك في قصة جوار ابن الدغنة^(١) سيد القارة لأبي بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - من حديث عائشة - رضي الله عنها- وفيه : ((فلم تُكذِّب قريش ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها وليقرأ ماشياً، ولا يؤذينا بذلك ولا يستملن به، إنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبنائنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فليث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستملن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فينقذ عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بَكَّاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن الصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبنائنا، فانه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبي إلا أن يعلن بذلك، فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مُقرِّين لأبي بكر الاستملاء)).^(٢)

هذه رهبتهم من القرآن وتأثيره، فهم يبذلون ما يبذلون، ويفعلون ما يفعلون، وإن وصل ذلك إلى خفر الذمم المتعارفة بينهم، كل ذلك من أجل عدم وصول القرآن إلى الآخرين.

أما الذي رغبوه : فطالما تطلعوا له وسعوا من أجله وطلبوه بكل أساليبهم وهو :

^(١) هو الحارث بن يزيد وقيل اسمه مالك، وهو سيد القارة وهي قبيلة مشهورة من بني الهون من خزيمة بن مدركة، وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش، ويضرب بهم المثل في قوة الرمي. وابن الدغنة نسبة إلى أمه أو أم أبيه أو دابته. انظر : السهيلي، الروض الأنف، ١٢٧/٢. وابن حجر، الفتح، ٢٩٤/٧.

^(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في كتاب فضائل الصحابة، باب : هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة، ١٤١٨/٣، رقم ٣٦٩٢.

٢ - غلبة محمد - ﷺ :-

وذلك بصدّ من أراد استماع القرآن الكريم عن ذلك. لأنه استقر في نفوسهم أن القرآن غالبهم لاسيما ومن يسمعه يداخل قلبه فيؤمن. فإذا ما فعلوا ذلك تحققت لديهم الغلبة، وإن لم يفعلوا فهو غالبهم، لذا سعوا جاهدين لتطبيق هذا الأسلوب الجديد وهو اللغو والتشويش عندما يقرأ محمد - ﷺ - آيات القرآن. ((وهذا من شأن دعاة الضلال والباطل أن يكُمّوا أفواه الناطقين بالحق والحجة عما يستطيعون من تحويف وتسويل، وترغيب وترهيب ولا يدعوا الناس يتجادلون بالحجة ويتراجعون بالأدلة لأنهم يوقنون أن حجة خصومهم أنهض، فهم يسترونها ويدافعونها لامثلها ولكن بأساليب من البهتان والتضليل فإذا أعمتهم الحيل ورأوا بوارق الحق تحقق خشوا أن يُعمّ نورها الناس الذين فيهم بقية من خير ورشد عدلوا إلى لغو الكلام ونضحوا في أبواق اللغو والجمجمة لعلهم يغلبون بذلك على حجج الحق ويمغرون الكلام القول الصالح باللغو، وكذلك شأن هؤلاء)).^(١)

وقد ذكر المفسرون - رحمهم الله تعالى - عدة معانٍ لقولهم ((والغوا فيه)) وهي :

أ - ((والغوا فيه)) ، يعني: بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله - ﷺ - إذا قرأ القرآن.^(٢)

ب - ((والغوا فيه))، أي: اجحدوا به وأنكروه وعادوه.^(٣)

ج - ((والغوا فيه))، أي: تحدثوا وصيحوا كيما لاتسمعوه.^(٤)

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٤/٢٧٧.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ١١/١٠٤. وابن الجوزي، زاد المسير، ٧/٢٥٢. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/١٥٦.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ١١/١٠٤. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/١٥٦.

(٤) انظر الطبري، الجامع، ١١/١٠٥.

د - ((والغوا فيه)) : أي عيبوه.^(١)

هـ - ((والغوا فيه)) : أي عارضوه باللغو، وهو الكلام الخالي عن فائدة.^(٢)

وعلى كل حال فإنَّ المفهوم من تفسير العلماء السابق هو معارضة القرآن باللغو سواءً كان هذا اللغو مكاءً وصغيراً وتخليطاً أو كان صياحاً كلُّ ذلك لغاية واحدة وهي : التشويه رجاء غلبته بصرف من يُتوقع أن يتبعه إذا سمع قراءته، كما قال تعالى عنهم ﴿ لعلكم تغلبون ﴾^(٣) فهذه الغاية من هذه المعارضة.^(٤)

ولاشك أن ذلك يُفسرُ بالجدد، والإنكار منهم والمعاداة، والعيب له لاسيما وقد عرفت الدوافع لذلك.

هذه هي أساليب التشويه بأنواعها، والتي امتلأت كذباً وبهتاً وزوراً فبان عورها واتضح بطلانها لدى من يملك أدنى عقل يفكر فيه.

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٥٦/٤.

(٢) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٢٥٢/٧.

(٣) سورة فصلت، جزء من الآية رقم ٢٦.

(٤) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧٨/٢٤.

المطلب الرابع

أساليب التعجيز

وفيه تمهيد، ومقصدان:

المقصد الأول : أسلوب الأسئلة التعنتية.

المقصد الثاني : أسلوب طلب الخوارق.

المطلب الرابع : أساليب التعجيز :

التعريف اللغوي :

التعجيز :نسبة إلى العجز، وعَجَزَ الرجل وعاجز : ذهب فلم يوصل إليه.
والعجز : أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عَجَزِ الأمر، أي : مؤخرَةً. وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، قال تعالى : ﴿ أعجزت أن أكون .. ﴾^(١)، والمُعْجَزَةُ ، بفتح الجيم وكسرهما، مفعلة من العجز : عدم القدرة. وأعجزت فلاناً وعَجَزْتُهُ : جعلته عاجزاً. قال تعالى : ﴿ واعلموا أنكم غير معجزي الله ﴾^(٢)، وقال تعالى : ﴿ وما أتمر معجزين في الأرض ﴾^(٣).

ويقال : عَجَزَ يَعْجِزُ عن الأمر إذا قصر عنه.
وفعلٌ عجيز : عاجز عن الضراب. وأعجزه الشيء : عجز عنه.
والعجوز سميت بذلك : لعجزها في كثيرٍ من الأمور.^(٤)

التمهيد :

ماسبق ذكره أكبر دليل على تمادي قريش وتفانيها في الصّدِّ عن دين الله - تعالى - بكل ما تستطيع وتملك.
لكن ومع ذلك مازال العجز والقصور رفيقها وسمة لها، لأسباب عديدة جعلتها مكتوفة الأيدي أمام محمد - ﷺ - ومن هذه الأسباب :

(١) سورة المائدة، جزء من الآية رقم ٣١.

(٢) سورة التوبة، جزء من الآية رقم ٢.

(٣) سورة الشورى، جزء من الآية رقم ٣١.

(٤) انظر : الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٤٧، ٥٤٨ وابن منظور، لسان العرب، ٣٦٩/٥، ٣٧٠.

(١) صبره - ﷺ - .

فلم تعد قريش تطيق ذلك، ولم تر مثله في حياتها. حيث ضرب - ﷺ - أروع الأمثلة في الصبر، فحياته وسيرته مليئة بمثل ذلك. فقد كان يؤدي أشدَّ الإيذاء حسياً ومعنوياً وهو مع ذلك مستمر في دعوته لم يتزعزع طرفة عين.

(٢) **أما معجزته الكبرى**، وما أدراك ما معجزته الكبرى؟ فقد طلب منهم أن يأتوا بمثله بل بعشر سور منه، بل بسورة. وما هو إلا العجز فالأمر ليس بتلك السهولة.

ذلك كله جعل قريشاً تتحرف بأساليبها قليلاً، فلا بُدَّ من تغيير المنهج وتنويع الأساليب، ومقابلة الخصم بمثل أسلوبه، إن استطاعوا ليكن الطالب مطلوباً ومن ثمَّ وضعه في موضع العجز والقصور.

لذا ما كان منها إلا أن قابلته بأساليب التعجيز، التي تفننت في تنويعها فهي تريد تعجيزه - كما هو حالها معه - كي تصرف الناس عن عجزها، فلا يروا سقوطها وإخفاقها. فكان من ذلك :

المقصد الأول : أسلوب الاسئلة التعنيتية.

المقصد الثاني : أسلوب طلب الخوارق.

المقصد الأول : الأسئلة التعنيتية:

حيث سألوه - ﷺ - عن عدة أسئلة قاصدين بذلك إعجازه عن الجواب فكان من ذلك :

المسألة الأولى : سؤالهم عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب.

المسألة الثانية : سؤالهم عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها.

المسألة الثالثة : سؤالهم عن الروح.

وقد جاءت الآيات القرآنية موضحة ومبينة لهذه الأسئلة :

١ - ففي سؤالهم عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، نزلت سورة الكهف، حيث ورد في سبب نزولها : مارواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن مشركي قريش بعثوا النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم : سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجوا حتى قدموا المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله - ﷺ -، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا : إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل منقول، فرؤوا فيه رأيكم! سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ماكان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ماكان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك، فإنه نبي فاتبعوه ، وإن هو لم يخبركم ، فهو رجل منقول ، فاصنعوا في أمره ماابدا لكم. فأقبل النضر، وعقبة حتى قدما مكة على قريش، فقالوا : يامعشر قريش قد جئناكم بفصل مايبينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور،

فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله - ﷺ - فقالوا : يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله - ﷺ - : أخبركم غداً بما سألتكم عنه، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله - ﷺ - خمس عشرة ليلة، لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً ولاياتيه جبرائيل - عليه السلام -، حتى أرفج أهل مكة وقالوا : وعدنا محمدًا غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألتناه عنه، وحتى أحزن رسول الله - ﷺ - . مكث الوحي عنه، وشقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام، من الله عز وجل، بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقول الله عز وجل : ﴿ويسألونك عن الروح . قل الروح من أمر ربي . وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾^(١) .^(٢)، فالمراد من قوله : ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾^(٣) هو ذلك السؤال الذي سألته قريش، لأن افتتاح هذه القصة بـ ﴿يسألونك﴾ يدلُّ على أنها مما نزلت السورة للجواب عنه، كما كان الابتداء بقصة أصحاب الكهف اقتضاباً، تنبيهاً على مثل ذلك.^(٤)

كما أنه في السورة نفسها قرينة تشير إلى ذلك، وهي قوله تعالى : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله...﴾^(٥).

(١) سورة الإسراء، آية رقم ٨٥.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ١٧٤/٨، ١٧٥ والسيوطي، أسباب النزول، ص ٢٣٩، ٢٤٠ وابن هشام، السيرة النبوية، ٣٢٨/١،

٣٢٩ والنهي، السيرة النبوية، ص ٢١٢، ٢١٣ والبيهقي، الدلائل، ٢٧٠/٢.

(٣) سورة الكهف، جزء من الآية رقم ٨٣.

(٤) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٦٣/٢١ وانظر، ابن عاشور التحرير والتنوير، ١٧/١٦.

(٥) سورة الكهف، آية رقم ٢٣ وجزء من الآية رقم ٢٤.

فهي تدلُّ على ما في الرواية السابقة من عدم استثناء النبي - ﷺ - في وعده قريشاً بالإجابة.

٢ - وفي سؤالهم عن الروح، نزل قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ. قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).
وقد ورد في سبب نزولها قولان :

أ - عن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : بينا أنا مع النبي - ﷺ - في حرتٍ، وهو متكئ على عسيبٍ، إذ مرَّ اليهود، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح..؟، فقال : ما را بكم إليه ؟ وقال بعضهم : لا يستقبلكم بشيءٍ تكرهونه، فقالوا : سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي - ﷺ - فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحي إليه، فقامت مقامي، فلما نزل الوحي قال : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ. قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢).

ب - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال : فسألوه عن الروح، فأنزل الله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ. قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣)، فمن المعلوم أن هذه الآية في سورة مكية وهي

^(١) سورة الإسراء، آية رقم ٨٥.

^(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ((ويسألونك عن الروح))، ١٧٤٩/٤، رقم ٤٤٤٤. ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الروح، وقوله تعالى : يسألونك عن الروح، الآية، ٢١٥٢/٤، رقم ٢٧٩٤.

^(٣) سورة الإسراء، آية رقم ٨٥.

^(٤) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ((ومن سورة بني إسرائيل))، ٢٨٤/٥، رقم ٣١٤٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح وقال عنه ابن حجر : ورجاله رجال مسلم. الفتح ٥١١/٨ والإمام أحمد في مسنده، ٣١٨/١، رقم ٢٣٠٨ وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

الإسراء، وَوَقَّعَهَا بَيْنَ الْآيِ التِّي مَعَهَا يِقْتَضِي نَظْمَهُ أَنْ مَرَجَعَ ضَمِيرُ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ هُوَ مَرَجَعَ الضَّمَائِرَ الْمُتَقَدِّمَةَ، فَالسَّائِلُونَ عَنِ الرُّوحِ هُمُ قَرِيشٌ^(١) وَهَذَا مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الرَّوَايَةُ الثَّانِيَّةُ.

لَكِنِ الرَّوَايَةُ الْأُولَى فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، تَقْتَضِي فِيْمَا يَظْهَرُ أَنَّهَا مَدْنِيَّةٌ، وَأَنَّهَا نَزَلَتْ حِينَ سَأَلَهُ الْيَهُودُ عَنِ ذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ، مَعَ أَنَّ السُّورَةَ كَمَا تَقْدَمُ كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ.

وَقَدْ يَجَابُ عَنِ هَذَا :

١ - بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مره ثانية، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك.
٢ - أو نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ..﴾^(٢)، فيحمل سكوته - ﷺ - في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك^(٣)، ظناً منه أنهم - أي اليهود - أقرب من قريش إلى فهم معنى الروح، فانتظر أن ينزل عليه الوحي بما يجيبهم به أيبين مما أجاب به قريشاً^(٤) وقد يرد إشكال وهو : أن الرواية التي وردت في سبب نزول سورة الكهف تجمع بين الأسئلة الثلاثة، وقد سألت قريش النبي - ﷺ - عنها، فأجاب عن أهل الكهف وعن ذي القرنين بما في سورة الكهف، وأجاب عن الروح بما في سورة الإسراء. فهذه الرواية تثير إشكالاً في وجه فصل جواب سؤال الروح عن المسألتين الأخرين، بذكر جواب مسألة الروح في سورة الإسراء وهي متقدمة في النزول على سورة الكهف. ويدفع الإشكال أنه يجوز أن يكون السؤال عن الروح وقع منفرداً أول مرة ثم جمع

(١) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٩٤/١٥.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/١٠٠، ١٠١.

(٣) انظر ابن حجر الفتح، ٥١٢/٨.

(٤) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٩٦/١٥.

مع المسألتين الأخرتين ثاني مرة ويجوز أن تكون آية سؤال الروح مما أُلحق
بسورة الإسراء، والجمهور على أن الجميع نزل بمكة.^(١)

(١) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٥/١٩٥.

المقصد الثاني : أسلوب طلب الخوارق :

وقد جاء الحديث عن طلباتهم تلك في آيات وأحاديث عديدة ومتفرقة، حيث تفننوا في ذلك ونوعوا. ومما ورد في ذلك من الآيات :

١ - قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تمجيراً. أو تستقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبلاً. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه. قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾^(١).

فقد ورد في سبب نزولها : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبا البختري^(٢) أخوا بني أسد، والأسود بن المطلب^(٣) وزمعة بن الأسود^(٤)،

^(١) سورة الإسراء، الآيات من ٩٠ - ٩٣.

^(٢) العاصي (أو العاصي) بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، أبو البختري : من زعماء قريش في الجاهلية، وأمه أروى بنت الحارث بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار. كان ممن نقض الصحيفة التي تعاقدها فيها مشتركو قريش على مقاطعة بني هاشم وبني النطلب حتى يسلموا إليهم محمداً - صلى الله عليه وسلم - واتفق مع آخرين على تمزيقها. فشقوها، ولم يعرف عنه إبداء للرسول - صلى الله عليه وسلم - بل كان في بدء الدعوة يكف الناس عنه. خرج مع المشركين إلى بدر، ونحر لهم على ماء بدر عشرة جزر. ونهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن قتله، إلا إن المخزوم بن ذياب البلوي قتله، في خير طويل سنة ٢ هـ. انظر : الزبير، نسب قريش، ص ٢١٣. والزركلي، الأعلام، ٢٤٧/٣.

^(٣) الأسود بن المطلب، أبو زمعه، وأمه فهيرة بنت أبي قيس راكب البريد بن عبد مناف بن زهرة. كان أحد المستهزين الذين ذكر الله عز وجل فقال : ((إنا كفييناك المستهزين))، الحجر ٩٥، وذكروا أن جبريل عليه السلام - رمى في وجهه بورقة فعمي. وكان من كبار قريش وأشرفها. انظر : الزبير، نسب قريش، ص ٢١٨. والزرير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، شرح وتحقيق عمود محمد شاكر، ٤٦٣/١، (ب: ط)، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨١ هـ.

^(٤) زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، من كبار قريش، وعظماؤها، كان ممن ساهم في نقض الصحيفة التي كتبها قريش على بني هاشم وبني المطلب، شهد بدرًا مع المشركين وقتل فيها كافرًا قتله نابت بن الجذع أخو بني حرام. ويقال : اشترك فيه حمزة وعلي ابن أبي طالب ونابت. انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٩، ٢٨/٢، و٣٤٨.

والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية^(١)، وأمّية بن خلف والعاص بن وائل، ونبهياً^(٢) ومنبهياً^(٣) ابني الحجاج السهميين اجتمعوا، أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك فجاءهم رسول الله - ﷺ - سريعاً وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بداء، وكان عليهم حريصاً، يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وسفّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة فدار بينهم حديث طويل إلى أن قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيّق بلاداً، ولا أقلّ مالاً، ولا أشدّ عيشاً منا، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليُسّر لنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام

^(١) عبد الله بن أبي أمية، واسمه حذيفة، وقيل: سهل بن المغيرة، بن عبد الله، بن عمرو بن مخزوم، المخزومي، صهر النبي - صلى الله عليه وسلم - وابن عمته عاتكة، وأخو أم سلمة. قال البخاري: له صحبة، وله ذكر في الصحيحين، من طريق زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة، قالت: دخل عليّ النبي - صلى الله عليه وسلم - وعندي مُحْنُثٌ، فسمعت يقول لعبد الله بن أبي أمية أخي: إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بآبنة غيلان، الحديث، وله ذكر وحديث آخر في الصحيح: أنه قال لأبي طالب: أتُرغب عن ملة عبد المطلب، الحديث في قصة موت أبي طالب. كان شديداً على المسلمين. وهو الذي قال للنبي - صلى الله عليه وسلم -: لن نُؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، وكان شديد العداوة له ثم هداه الله للإسلام، وهاجر قبل الفتح، ثم شهده، وشهد حينئذٍ الطائف وقد استشهد في الطائف. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٦/ ١١ - ١٣ رقم ٤٥٣٤.

^(٢) نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة السعدي السهمي القرشي، أبو الرزّام، شاعر، من ذوي الوجهة في قريش قبل الإسلام. كان نديماً للنضر بن الحارث. ثم كان هو وأخوه منبه من ((المقتسمين)) وهم سبعة عشر رجلاً من قريش اقتسموا أعقاب مكة يصدون الناس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيهم نزلت الآية: (كما أنزلنا على المقتسمين)، (الحجر ٩٠) وقتل مع أخيه، مشركين، في وقعة بدر (بين مكة والمدينة) سنة ٢ هـ. أورد البغدادي نفاً من شعره، وقال: له شعر كثير. انظر الزركلي، الأعلام، ٨/ ٩٠٨.

^(٣) منبه بن الحجاج السهمي: نديم جاهلي، من أشرف قريش في الجاهلية وزنادقتها. قال ابن حبيب: تعلموا الزنلقة من نصارى الحيرة. وكان (منبه) نديماً لطعيمة بن عددي وحضر مع المشركين وقعة بدر، وغرهم عشراً من الإبل، وقتله أبو قيس الأنصاري في تلك الوقعة سنة ٢ هـ انظر: الزركلي، الأعلام، ٧/ ٢٨٩، ٢٩٠.

والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب^(١)، فإنه كان شيخاً صدوقاً فنسألهم عما تقول، حق هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألتناك، وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك بالحق رسولاً كما تقول فقال لهم رسول الله - ﷺ - : ((ما بهذا بعثت، إنما جئتكم من الله بما يعني به، فقد بلمتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصير لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم)) . قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا، فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وأسأله، فليجعل لك جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، ويغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم رسول الله - ﷺ - : ((ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا ماجتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصير لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم))، قالوا: فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لانؤمن لك إلا أن تفعل، فقال رسول الله - ﷺ - : ((ذلك إلى الله إن شاء، فعل بكم ذلك)) . فقالوا : يامحمد، فما علم ربك أننا سنجلس معك، ونسألك عما سألتناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك، ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به.

(١) قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي : سيد قريش في عصره، ورئيسهم قيل : هو أول من كان له ملك من بني كنانة. وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي. كان موصوفاً بالهياء. وولي البيت الحرام. فهدم الكعبة وجدد بنيانها. وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء. وكانت قريش تيمين برأيه، فلا تبرم أمراً إلا في داره. مات بحكة ودفن بالحجون. انظر الزركلي، الأعلام، ١٩٨/٥، ١٩٩.

ثم دار بينهم حديث طويل إلى أن قام - ﷺ - وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو ابن عمته، هو لعاتكة بنت عبد المطلب^(١) فقال له : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ماتخوفهم به من العذاب، فوالله لا أومن لك أبداً، حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيه وأنا انظر، حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول : وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت ألا أصدقك...)).^(٢)

٢ - قوله تعالى : ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً. أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها. وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾.^(٣)

وسبب نزول هذه الآيات مرتبط بسبب نزول آيات الإسراء السابقة، حيث ذكر الطبري - رحمه الله - عند هذه الآيات قوله : ((فأنزل الله في قولهم : أن خذْ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لها : أن يجعل له جناناً وقصوراً وكنوزاً، أو يبعث معه ملكاً يصدقه بما يقول، ويرد عنه من خاصمه،)) وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً....

(١) عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم : شاعرة، ها في ديوان (الحماسة) أبيات مختارة. وهي من عمات النبي - صلى الله عليه وسلم - اختلف في إسلامها، والثابت أنها كانت يوم وقعة بدر (سنة ٢ هـ) بمكة، مع مشركي قريش. وقال الذهبي : أسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينة. وهي صاحبة تلك الرؤيا في مهلك أهل بدر. وتلك الرؤيا تبطل أحابها أبا هب عن شهود بدر. النظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٢٧٢. والزركلي الأعلام، ٣/٢٤٢.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٨/١٤٩ - ١٥١.

(٣) سورة الفرقان، الأيتان رقم ٧، ٨.

مسحورا ((^(١)).

ونظير هذه الطلبات في القرآن كثير، سنأتي على ذكرها، عند تقسيم طلباتهم إلى مفردات - إن شاء الله -.

أما الأحاديث فمع ما سبق من أسباب النزول :-

١- روى البخاري في صحيحه، عن أنس بن مالك^(٢) - رضي الله عنه - : أن أهل مكة سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يرهبهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما ((^(٣) كما ذكره الإمام أحمد،^(٤) والترمذي^(٥) - رحمهما الله - سبباً في نزول قوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾^(٦).

٢- وروى الإمام أحمد - رحمه الله - أيضاً في مسنده، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : سأل أهل مكة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا.. ((^(٧).

(١) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٦٧/٩

(٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، الحزرجي الأنصاري، أبو حمزة، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخادمه، مولده بالمدينة وأسلم صغيراً، وخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة فمات بها، فكان آخر من مات بالبصرة من الصحابة. له في مسند بقي ٢٢٨٦ حديثاً. أخرج له البخاري منها ٨٠ حديثاً وانفرد مسلم بـ ٧٠ اتفاقاً على ١٢٨ حديثاً واختلف في سنة وفاته والأصح أنها سنة ٩٣ هـ. انظر : ابن سعد الطبقات الكبرى، ١٧/٧. وابن الأثير، أسد الغابة، ١٢٧/١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب انشقاق القمر، ١٤٠٤/٣، رقم ٣٦٥٥.

(٤) انظر الإمام أحمد - المسند، ٢٠٨/٣، رقم ١٢٦٧٢.

(٥) الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب : ومن سورة القمر، ٣٧١/٥، رقم ٣٢٨٦. وقال : حديث حسن صحيح.

(٦) سورة القمر، الآيتان رقم ٢٠١.

(٧) الإمام أحمد، المسند، ٣٢١/١، رقم ٢٣٣٢. وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ٩٦/٤ برقم ٢٣٣٣. والحاكم في المستدرک، ٣١٤/٢ وقال : حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٢٤٧.

هذا بعض مما ورد في طلبهم للخوارق، وحيث إنها متعددة ومتفرقة كما هو الملاحظ من سياق الآيات، وماورد في سبب نزولها وغيرها من الأحاديث، فسأقوم بتقسيم تلك الطلبات إلى فقرات وذلك ليسهل التعرف عليها والوقوف على أنواعها. وهي كالتالي :

١- طلبهم إنزال آية. وقد جاء طلبهم في آيات عديدة منها :

أ- قوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه.. ﴾^(١).

ب- قوله تعالى : ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه.. ﴾^(٢).

فهؤلاء المشركون يقولون : هلاً أنزل على محمد آية من ربه تكون علماً ودليلاً نعلم به صدقه فيما يقول^(٣).

كما جاء طلبهم ذلك في الرواية السابقة وهي :

مارواه أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : أن أهل مكة سألوا رسول الله - ﷺ - أن يريهم آية.. ((^(٤).

والمفهوم من هذه النصوص في طلبهم للآية، أنها أي آية تدل على صدقه سوى القرآن، فهو طلب عام. لكن جاء التخصيص منهم لهذا الطلب في آيات أخر، وهي :

أ - قوله ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾^(٥).

(١) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٣٧.

(٢) سورة يونس، جزء من الآية رقم ٢٠.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٤٣/٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب : انشقاق القمر، ١٤٠٤/٣، رقم ٣٦٥٥. والإمام أحمد، المسند، ٢٠٨/٣ رقم ١٢٦٧٢. والترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن، باب : ومن سورة القمر، ٣٧١/٥، رقم ٣٢٨٦ وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) سورة الأنبياء، جزء من الآية رقم ٥.

أي : فإن كان محمد - ﷺ - صادقاً في قوله من أن الله بعثه رسولاً إليهم وأن مايتلوه عليهم وحى من الله أوحاه إليه فليأتنا بحجة ودلالة على حقيقة مايقول ويدّعي، كما جاءت به الرسل الأولون من قبله من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وكفاقة صالح - عليه السلام - ، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله، ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - .^(١)

ب - وقوله : ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ﴾ .^(٢)

أي : مثل ما أوتي موسى بن عمران من الكتاب والعصا واليد والطوفان والجراد والقمل وغيرها من الآيات الباهرة .^(٣)

٢ - طلبهم إنزال ملك :

ويتجلى هذا الطلب في الآيات التالية :

أ - قوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك - ﴾ .^(٤)

ب - وقوله تعالى : ﴿ أو جاء معه ملك .. ﴾ .^(٥)

ج - وقوله تعالى : ﴿ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ﴾ .^(٦)

فهؤلاء المشركون يقولون : هلاً أنزل إليه ملك إن كان صادقاً من السماء، فيكون معه منذراً للناس، مصداقاً له على مايقول .^(٧)

^(١) انظر الطبري، جامع البيان، ٥/٩ .

^(٢) سورة القصص جزء من الآية رقم ٤٨ .

^(٣) انظر المرجع السابق ٧٩/١٠ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٤٨/٣ .

^(٤) سورة الأنعام جزء من الآية رقم ٨ .

^(٥) سورة هود، جزء من الآية رقم ١٢ .

^(٦) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٧ .

وقد تقدّم في الرواية السابقة في سبب نزول آيات الفرقان، قولهم: ((..فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ويرد عنك من خاصمك)).^(١)
 ولم يقتصر طلبهم على إنزال ملك فحسب، بل طلبوا في مواضع أخرى نزول عدد من الملائكة، يقول تعالى: ﴿لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾^(٢)، ويقول تعالى: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة﴾^(٣).

أبي : هلاً تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول، فإن كنت صادقاً في أن الله - تعالى - بعثك إلينا رسولاً، وأنزل عليك كتاباً فإن الرب الذي فعل ما تقول بك، لا يتعذر عليه إرسال ملائكة من ملائكته معك حجة لك علينا، وآية لك على نبوتك، وصدق مقالتك.^(٤)

وصاحب هذا الطلب، هو عبد الله بن أبي أمية، ابن عاتكة بنت عبد المطلب حيث قال: ((.. فوالله لا أؤمن لك أبداً، حتى تتخذ إلي السماء سلماً ترقى فيه وأنا انظر، حتى تأتيها وتأتي معك نسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول : وايم الله لو فعلت ذلك لظننت ألا أصدقك..)).^(٥)

فالغاية من إنزال الملك، والإتيان بالملائكة :

أ - النذارة. فلا بد أن يكون مع محمد - ﷺ - ملك لينذر معه.

(٧) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٦٧/٩.

(١) المرجع السابق، ٣٦٧/٩.

(٢) سورة الحجر، آية رقم ٧.

(٣) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٢١.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٤٩٢/٧ و ٣٧٨/٩.

(٥) المرجع السابق، ١٥١/٨.

يقول تعالى : ﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾^(١).

ب- الدلالة على الصدق. فلا بد أن يأتي بملائكة يشهدوا على صدقه.

يقول تعالى : ﴿لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾^(٢).

٣ - طلبهم إنزال كتاب :

يقول تعالى : ﴿ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾^(٣).

أي : منشوراً نقرؤه فيه أمرنا باتباعك والإيمان بك.^(٤)

وقد تقدم ذكر طلبهم ذلك في الرواية السابقة، حيث طلبوا منه الصعود إلى

السماء وهم ينظرون، حتى يأتيها، ويأتي معه بنسخة منشورة.^(٥)

ولم يقف تعنتهم إلى هذا الحد، بل زاد وارتفع، فليس المطلوب كتاباً واحداً، بل

لابد لكل امرئ منهم أن يُعطى كتاباً خاصاً به. يقول تعالى عن ذلك:

﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسرة﴾^(٦).

فالغاية من ذلك ما ذكره أهل التفسير - رحمهم الله - في سبب نزول

هذه الآية من أقوال، وهي :

أ- أنهم قالوا للنبي - ﷺ - إن سرّك أن نتبعك، فليصبح عند رأس كل رجل منا

كتاب منشور من الله تعالى، إلى فلان بن فلان يؤمر فيه باتباعك وهو قول

الجمهور^(٧) فذلك غايتهم من إنزال الكتاب.

(١) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٧.

(٢) سورة الحجر، آية رقم ٧.

(٣) سورة الإسراء، جزء من الآية رقم ٩٣.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ١٤٩/٨.

(٥) المرجع السابق، ١٥١/٨.

(٦) سورة المدثر، آية رقم ٥٢.

(٧) انظر الطبري، جامع البيان، ١٢ / ٣٢٣. وابن الجوزي، زاد المسير، ٤١٣/٨.

ب- **أنهم قالوا** : لئن كان محمد صادقاً فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار، فنزلت. ^(١)

ج- **أنهم قالوا** : كان الرجل إذا أذنب في بني إسرائيل، وجده مكتوباً إذا أصبح في رقعة. فما بالناس لا ترى ذلك ؟ فنزلت هذه الآية. ^(٢)

وقولهم عن الكتاب ((منشوراً))، وعن الصحف ((منشورة))، أي: لا يكتفون بشيء مطوي لا يعلمون ما كتب فيه. ^(٣)

٤ - **طلبهم الإتيان بقرآن غير هذا أو تبديله:**

لقد جاء القرآن الكريم المشركين بأساليب قوية دامغة، تحمل في طياتها:

أ - الوعيد الشديد بالعذاب الأليم.

ب - العيب لآلهتهم، والتسفيه لعقولهم، والتضليل لآبائهم.

ج - مع ما يقرره من أمور لا يقرها أولئك المشركون ولا يؤمنون بها، كما فراد الله عز وجل بالعبادة والإخبار بالبعث والنشور ووقوعه، ونحو ذلك مما لا يؤمن به أولئك.

لذا وغيره جاء هذا الأسلوب، والذي يكشف تحرجهم من هذا القرآن فلسان مقالهم يقول: لم هذا الوعيد ؟ لم هذا العيب والتسفيه والتضليل ؟ لم هذه التقريرات ؟

إنهم لا يريدون ذلك، بل يريدون ما يوافق أهواءهم، ويتمشى مع معتقداتهم، وبالتالي يستجيبون ويذعنون.

ولقد رصد القرآن الكريم أسلوبهم ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ

آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَىٰ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا.....

^(١) انظر الطبري، جامع البيان، ١٢/٣٢٣. وابن الجوزي، زاد المسير، ٨/٤١٣. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٤٠٧.

^(٢) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٨/٤١٣. والرازي، التفسير الكبير، ٣٠/٢١٢.

^(٣) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩/٣٣١.

أوبدله ﴿١﴾.

فمعنى ((غير هذا)) مخالفه. والمراد المخالفة للقرآن كله بالإعراض عنه وابتداء كتاب آخر بأساليب أخرى، كمثّل كتب قصص الفرس وملاحمهم إذ لا يحتمل كلامهم غير ذلك، إذ ليس مرادهم أن يأتي بسور أخرى غير التي نزلت من قبل لأنّ ذلك حاصل، ولا غرض لهم فيه إذا كان معناها من نوع ماسبقها. (٢)

والتبديل : التغيير. وقد يكون في الذوات، كما نقول : بدلت الدينار دراهم. ويكون في الأوصاف، كما نقول : بدلت الحلقة خاتماً فلما ذكر الإتيان بغيره من قبل تعيّن أن المراد بالتبديل المعنى الآخر وهو تبديل الوصف، فكان المراد بالغير في قولهم ((غير هذا)) كلاماً غير الذي جاء به من قبل لا يكون فيه ما يكرهونه ويغيظهم.

والمراد بالتبديل أن يعمد إلى القرآن الموجود فيغير الآيات المشتملة على عبارات ذمّ الشرك بمدحه، وعبارات ذمّ أصنامهم وعيبيها، وتسفيه عقولهم بالثناء عليها، وعبارات البعث والنشور بضعها وعبارات الوعيد لهم بعبارات بشارة. (٣)

فمما سبق يتضح أن التبديل غير الإتيان بغيره، فتبديله لا يجوز أن يكون معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه. (٤)

(١) سورة يونس، جزء من الآية رقم ١٥.

(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتوير، ١١٦/١١.

(٣) انظر المرجع السابق، ١١٦/١١.

(٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ١٤/٤.

٥- **طلبهم أنزل كنز:**

يقول تعالى: ﴿لولا أنزل عليه كنز..﴾^(١) ويقول: ﴿أولتقى إليه كنز..﴾^(٢)

فهم يقولون: إن كان محمدٌ صادقاً في أنه رسول الإله الذي يصفه بالقدرة على كل شيء وأنه عزيز عنده، فهلاً أنزل عليه كنزاً من فضة أو ذهب فيغني نفسه فلا يحتاج إلى التصرف والتردد لطلب المعاش ويغني أحبابه من الكدِّ والعناء، ويستعين به على مهماته ويعين أنصاره.^(٣)

٦- **طلبهم أن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً:**

يقول تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾^(٤) فهم علقوا إيمانهم به وتصديقهم له، بأن يفجر لهم من أرضهم عيناً تتبع لهم بالماء، وأنهاراً كأنهار الشام والعراق.^(٥)

٧- **طلبهم أن تكون له جنة من نخيلٍ وعنبٍ فتفجر الأنهار خلالها تفسيراً:**

يقول تعالى: ﴿أو تكون لك جنة من نخيلٍ وعنبٍ فتفجر الأنهار خلالها تفسيراً﴾^(٦)، ويقول تعالى: ﴿أو تكون له جنة يأكل منها..﴾^(٧) أي: أو يكون لك بستان، وهو الجنة، من نخيلٍ وعنبٍ، فتفجر الأنهار خلالها

(١) سورة هود، جزء من الآية رقم ١٢.

(٢) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٨.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٦٧/٩. والرازي، التفسير الكبير، ١٩٤/١٧ و ٥٢/٢٤.

(٤) سورة الإسراء، آية رقم ٩٠.

(٥) انظر الطبري، الجامع، ١٥٠ و ١٤٥/٨.

(٦) سورة الإسراء آية رقم ٩١.

(٧) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٨.

تفجيراً بأرضنا، هذه التي نحن بها. (١)
والغرض من هذه الجنة، كما هو مذكور في الآية الثانية، وهو : الأكل منها
حتى يستغني عن الكدح والطلب في طلب المعيشة وبالتالي لايمانل أحوالهم.

٨- طلبهم أن يسقط السماء عليهم كسفاً:

يقول تعالى : ﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً .. ﴾. (٢)
إنهم يريدون أن يسقط السماء عليهم قطعاً كما زعم أن ربه إن شاء فعل، وذلك
أنه - ﷺ - أخبرهم أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتتهي وتدلي أطرافها، فهم
يريدون ذلك في الدنيا. (٣).

٩- طلبهم رؤية الله والملائكة:

يقول تعالى : ﴿ أو تأتي بالله والملائكة قبلاً ﴾. (٤)
وقد جاء ذلك عنهم في سبب نزول آيات الإسراء السابق، وهو قولهم : ((وقال
قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلاً ..)) (٥).
وهذا القول - قبلاً - له معانٍ عدة، منها :
أ - أي : كقبلاً أنك رسول الله. (٦)
ب - وقال بعضهم معناه : حتى يأتي الله والملائكة كلَّ قبيلة منَّا قبيلة قبيلة
فيعابنونهم. (٧)

(١) انظر الطبري، جامع البيان، ١٤٦/٨.

(٢) سورة الإسراء، جزء من الآية رقم ٩٢.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ١٤٧/٨، و١٥٠. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٠٦/٣.

(٤) سورة الإسراء، جزء من الآية رقم ٩٢.

(٥) الطبري، جامع البيان، ١٥١/٨.

(٦) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٨٨/٥.

(٧) انظر الطبري، الجامع، ١٤٧/٨ وابن الجوزي، زاد المسير، ٨٨/٥.

ج - وقيل : أو تأتي بالله والملائكة عياناً نقابلهم مقابلة فعينهم معاينة. ^(١)
وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب، هو القول الثالث، من أنه بمعنى المعاينة. من
قولهم قابلت فلاناً مقابلة، وفلان قبيل فلان، بمعنى قبالته، كما قال الشاعر:

نصالحكم حتى تبوؤا أمثالها كصرخة جبلى يسررتها قبيلها ^(٢).

ويدل على هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا

أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ..﴾ ^(٣). ^(٤)

أي : هلاً أنزل علينا ملائكة، فتخبرنا أن محمداً محقٌ فيما يقول، وأن ما جاءنا

به صدق، أو نرى ربنا، فيكلمنا ويقول : هذا رسولي فاتبعوه. ^(٥)

فالغرض من الرؤية كما هو ملاحظ الشهادة لمحمد ﷺ - بأنه رسول.

١٠ - طلبهم أن يكون له بيت من زخرف:

يقول تعالى : ﴿أويكون لك بيت من زخرف﴾ ^(٦).

أي : أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب وهو الزخرف. ^(٧)

١١ - طلبهم أن يرقسى في السماء:

يقول تعالى : ﴿أوترقى في السماء﴾ ^(٨).

^(١) انظر الطبري، الجامع، ١٤٨/٨. وابن الجوزي، زاد السير، ٨٧/٥.

^(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ١٤٨/٨.

^(٣) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٢١.

^(٤) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٥٨/٢١.

^(٥) انظر الطبري، الجامع، ٣٧٨/٩. وابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٤٧٠/٥، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية

والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٠ هـ.

^(٦) سورة الإسراء، جزء من الآية رقم ٩٣.

^(٧) انظر الطبري، الجامع، ١٤٨/٨.

^(٨) سورة الإسراء، جزء من الآية رقم ٩٣.

يعني : أو تصعد في درج إلى السماء، وإنما قيل في السماء، وإنما يرقى إليها
لافيها، لأن القوم قالوا : أو ترقى في سلم إلى السماء، فأدخلت ((في)) في
الكلام ليدل على معنى الكلام، يقال : رقيت في السلم، فأنا أرقى رقياً ورقياً
ورقياً، كما قال الشاعر :

أنت الذي كلفتني رقى الدَّج على الكلال والمشيب والعرج.^(١)

١٢ - طلبهم تسيير الجبال عنهم، وبسط البلاد لهم:

وجاء طلبهم هذا في الرواية السابقة التي هي سبب نزول آيات الإسراء، حيث
قالوا : ((.. يامحمد، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه
ليس أحد من الناس أضيّق بلاداً، ولا أقلّ مالاً، ولا أشدّ عيشاً منا، فسل ربك
الذي بعثك بما بعثك به، فليسيّر عنا هذه الجبال التي قد ضيّقت علينا، ويبسط
لنا بلادنا..)).^(٢)

كما جاء ذلك فيما رواه الإمام أحمد - رحمه الله - ((عن ابن عباس - رضي
الله عنهما - قال سأل أهل مكة النبي - ﷺ - أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن
ينحّي الجبال عنهم فيزدرعوا..)).^(٣)

١٣ - طلبهم أن يبعث من مضى عن آبائهم فيكلموهم:

وقد تعرّض القرآن الكريم لذلك بقوله تعالى : ﴿ ولوأننا نزلنا إليهم
الملائكة وكلمهم الموتى ﴾.^(٤)

(١) الطبري، جامع البيان، ١٤٩/٨.

(٢) المرجع السابق، ١٥٠/٨.

(٣) الإمام أحمد، المسند، ٣٢١/١، رقم ٢٣٣٢. وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ٩٦/٤. برقم ٢٣٣٣. وانظر الحاكم، المستدرک،

٣١٤/٢، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ١١١.

حيث طلبوا أن تنزل عليهم الملائكة تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل، وأن يكلمهم الموتى فيخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل.^(١) كما أن قولهم هذا جاء في الرواية التي هي سبب نزول آيات الإسراء، حيث قالوا: ((.. وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسأله عما تقول، حق هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألتك، وصدقتك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك بالحق رسولاً كما تقول)).^(٢)

١٤ - طلبهم أن يجعل الصفات لهم ذهباً:

وقد جاء طلبهم ذلك فيما يلي :

- ١ - روى الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ((سأل أهل مكة النبي ﷺ - أن يجعل لهم الصفات ذهباً..)).^(٣)
 - ٢ - مارواه الإمام الطبري - رحمه الله - في تفسيره وغيره، في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.^(٤)
- وهو أن قريشاً قالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصاً يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن قوم صالح كانت لهم ناقه، فاتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك! فقال النبي ﷺ - : ((أي شيء تحبون أن آتيكم به)) ؟ قالوا : تجعل لنا الصفات

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٧٤/٢.

(٢) الطبري، جامع البيان، ١٥٠/٨.

(٣) الإمام أحمد - المسند، ٣٢١/١، رقم ٢٣٣٢. وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ١٦/٤. رقم ٢٣٣٣.

والحاكم، المستدرک، ٣١٤/٢ وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) سورة الأنعام، آية رقم ١٠٩.

ذهباً.. ((^(١)).

١٥ - **طلبهم أن تأتيهم الملائكة بالرسالة، كما أتت الرسل:**

يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ

رَسُولَ اللَّهِ ﴾^(٢).

وللمفسرين في تفسير هذه الآية، أقوال عدة :

١ - وهو المشهور، أراد القوم أن تحصل لهم النبوة والرسالة، كما حصلت لمحمد

- ﷺ، وأن يكونوا متبوعين لا تابعين، ومخدومين لا خادمين.^(٣)

٢ - أي : لن نؤمن ولن نصدق ((**حتى نؤتى**)) يعنون : حتى يعطيهم الله من

المعجزات مثل الذي أعطى موسى -عليه السلام- من فلق البحر، وعيسى

-عليه السلام- من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص.^(٤)

٣ - أن المعنى، وإذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم بإتباع النبي - ﷺ - قالوا:

﴿ لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾^(٥).

وهو قول مشركي العرب ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ

يَنْبُوعًا ﴾، إلى قوله : ﴿ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤَهُ ﴾^(٦).

من الله إلى أبي جهل وإلى فلان وفلان كتاباً على حدة، فالقوم ما طلبوا النبوة

وإنما طلبوا أن تأتيهم آيات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الأنبياء

^(١) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٠٦/٥ . وابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ٢/٢٦٦ ط: ١، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ / والسيوطي، أسباب النزول، ص ١٦٦.

^(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ١٢٤.

^(٣) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ١١٨/٣ . والرازي، التفسير الكبير، ١٧٥/١٣ . وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٢٨٦ .

^(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٥/٣٣٤.

^(٥) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ١٢٤.

^(٦) سورة الإسراء، الآيات من ٩٠-٩٢.

المتقدمين كي تدل على صحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام.^(١)
قال المحققون : والقول الأول أقوى وأولى، لأن قوله : ﴿لله اعلم حيث
يجعل رسالته-﴾^(٢)، لا يليق إلا بالقول الأول.^(٣)

وبهذا يتعين القول الأول وهو طلبهم للنبوة والرسالة، والذي له شواهد عديدة
في حياتهم من خلال أقوالهم فمن ذلك :

- ١ - ماورد في سبب نزول الآية السابقة ﴿آية الأنعام﴾، وهو : أن أبا جهل قال:
زاحمتنا بنوعبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كفرسي: رهان، قالوا : منا
نبيٌّ يوحي إليه، والله لانؤمن به ولا نتبعه أو أن يأتينا وحي كما يأتيه.^(٤)
- ٢ - كما سبق أيضاً في أسلوب الاعتراض، اعتراضهم على تخصيص محمد
- ﷺ - بالنبوة والرسالة دونهم، ففيه من هو أولى منه - في نظرهم - وفيه من
لا يقلُّ عنه.

وقد جاء ذلك في الآيات التالية :

أ - قوله تعالى : ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القرينتين
عظيم﴾.^(٥)

أي : هلاً كان الرسول رجلاً عظيماً من إحدى هاتين القرينتين مكة أو
الطائف.^(٦)

وقد قال الوليد بن المغيرة مرةً للرسول - ﷺ - : والله لو كانت النبوة حقاً

(١) الرازي، التفسير الكبير، ١٣/١٧٥، ١٧٦.

(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ١٢٤.

(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٣/١٧٦.

(٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/١١٨.

(٥) سورة الزخرف، آية رقم ٣١.

(٦) انظر الطبري، جامع البيان، ١١/١٨١.

لكنت أولى بها منك، لأنني أكبر منك سناً، وأكثر منك مالاً.^(١)

ب - قوله تعالى : ﴿ أنزل عليه الذكر من بيننا - ﴾.^(٢)

فهم يرفضون تخصيصه بذلك من بينهم، فليس بأعلام نسباً، ولا بأعظمتهم شرفاً^(٣)، ولا بأكثرهم مالاً ولا ولداً،^(٤) فإذا كان ذلك منهم، وتلك هي منزلتهم عند أنفسهم، فلا يستغرب طلبهم لهذا الأمر.

تلك هي الخوارق التي طلبها المشركون، فلو أنهم عقلوا لعرفوا أن الله - سبحانه وتعالى - قد رفع قدرهم، وأعلى في الناس منزلتهم، إذ جاءهم بمعجزة تخاطب عقولهم، وتتعامل مع مدركاتهم، ولم يأتهم بمعجزة تجبّه حواسهم، وتستولي على عقولهم، وتشل حركة تفكيرهم إن الله - سبحانه وتعالى - قد ندبهم للتعامل مع هذه المعجزة العقلية، يدركون إعجازها ببصائرهم وأبصارهم، ويتناولون قطافها بمدركاتهم ولكنهم أبوا إلا أن يكونوا جهلاء لا عقلاء.

وقد أنكر الله - تعالى - عليهم هذا الموقف، الذي وقفوه من القرآن الكريم، ورأوا أنه غير مقنع لهم، كدليل سماوي، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله. وإنما أنا نذير مبين أو لم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾.^(٥)

(١) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ١١٨/٣.

(٢) سورة ص، جزء من الآية رقم ٨.

(٣) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ١٠٤/٧.

(٤) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٧ / ٢٠٩.

(٥) سورة العنكبوت، الآيتان رقم ٥٠-٥١.

فهذه الطلبات التي يطلبونها من النبي - ﷺ - إن هي إلا تعلّات يتعللون بها لأنفسهم، ويرضونها بهذه العلل، حتى لاتنزع بهم إلى الاستسلام لهذه القوة القاهرة التي تطلّ عليهم من عل، في كلمات الله، وآيات الله.

وقد كشف الله - سبحانه وتعالى - عن هذا الشعور المتسلط عليهم، والذي يسوقهم إلى ركوب هذا الأمر والتعلل بهذه العلل، فقال تعالى: ﴿ ولوفتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾^(١)، وقال: ﴿ ولونزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾^(٢).

إنّ هذه الطلبات التي طلبها المشركون من النبي - ﷺ - لم يكن مراداً بها إلا التحدي الذي يريدون منه تعجيز محمد - ﷺ - حتى ولو كان في ذلك هلاكهم.^(٣)

ومع ذلك كله فقد خابوا وخسروا، وكانوا موضع الردود الحاسمة، بالبراهين الناصعة القاطعة والتي سأعرضها في موضعها إن شاء الله - تعالى -.

(١) سورة الحجر الآيتان رقم ١٤-١٥.

(٢) سورة الأنعام، آية رقم ٧.

(٣) انظر الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٢/٩٧٩-٩٨٠ و ٣/٥٤٨-٥٤٩.

المطلب الخامس

أساليب التثنية

وفيها تمهيد، وثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: أسلوب الاستهزاء والسخرية والتهكم.

المقصد الثاني: أسلوب الهمز واللمز والغمز.

المقصد الثالث: أسلوب التوبيخ.

المقصد الرابع: أسلوب التئيس.

المطلب الخامس : أساليب التخذيل :

التعريف اللغوي :

الخاذل : ضد الناصر. خَذَلَ وَخَذَلَّ عَنْهُ يَخْذُلُهُ خَذْلًا وَخِذْلَانًا : ترك نصرته وِعُونَهُ.

والتخذيل : حَمَلُ الرَّجُلِ عَلَى خِذْلَانِ صَاحِبِهِ وَتَثْبِيطُهُ عَنْ نَصْرَتِهِ. وَخَذَلْتَ الطَّيْبَةَ وَالْبَقْرَةَ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الدَّوَابِّ، وَهِيَ خَاذِلٌ وَخِذُولٌ : تخلفت عن صواحبها وانفردت. وَقِيلَ : تخلفت فلم تلحق. وَخَذَلَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ تَخْذِيلًا أَي حَمَلَهُمْ عَلَى خِذْلَانِهِ. وَتَخَاذَلُوا أَي خَذَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

فَالخِذْلُ : ترك الإعانة والنصرة. ويقال: تخاذلت رجلا الشيخ: ضعفتا. ^(١)

فمن خلال هذا التعريف يتضح أن التخذيل هو: التثبيط والتضعيف والتخلف.

فقريش تريد بأساليب التخذيل تثبيط همة الرسول ﷺ — في دعوته، وتضعيفها، بل والتخلف عن نصرته وِعُونَهُ في تلك الدعوة.

التهديد :

استمر المشركون في مجابهة الدعوة الإسلامية بالأساليب العديدة والمتنوعة للصدِّ عنها، حيث كانوا لا يدعون شاردة ولا واردة إلاَّ واجهوا بها غير متورعين، وإن كان ذلك مخالفاً لما هم عليه من عاداتٍ وتقاليد.

فالأمر ليس بالهين، والمصيبة تكبر في أعينهم حيناً بعد حين ويوماً بعد يوم، فهم ينظرون إلى سلطانهم يزول رويداً رويداً، ولن يقفوا حيال ذلك مكتوفي الأيدي.

^(١) انظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٧٧. وابن منظور، لسان العرب، ٢٠٢/١١.

لهذه الأسباب لجأوا إلى أسلوب جديد، ألا وهو أساليب التخذيل، تخذيل صاحب الدعوة وأتباعه، للحيلولة بينهم وبين القيام بهذا الأمر العظيم الذي هدد مصالحهم وأطماعهم وذلك بقتل الهمم العالية وكتبها عن طريق تلك الأساليب. لقد جعلوا تخذيلهم ذلك نوعاً من أنواع أساليبهم تجاه أولئك الدعاة طمعاً في أن يلجأهم الملل من ذلك، إلى الانصراف عن الإسلام والرجوع إلى الشرك، إلا ساء ما يحكمون.

وهذا النوع من الأساليب تتدرج تحته أساليب عديدة ومتنوعة، تتمثل فيما يلي:

- المقصد الأول : **أسلوب الاستهزاء والسخرية والتمكيم.**
- المقصد الثاني : **أسلوب الممز واللمز والغمز.**
- المقصد الثالث : **أسلوب التوبيخ.**
- المقصد الرابع : **أسلوب التيهين.**

المقصد الأول : أسلوب الاستهزاء والسخرية والتسكيم.

وقبل الكلام عن هذا الأسلوب، يرد سؤال وهو : هل هناك فوارق لغوية بين هذه الألفاظ الثلاثة أم أنها مترادفة ؟
وللإجابة على ذلك، نقف على كلام أهل اللغة عن هذه الألفاظ كل لفظٍ على حدة.

أولاً : الاستهزاء :

الهزء والهزء السخرية هزئ به ومنه وهزأ يهزأ منهما هزءاً وهزؤاً ومهزأةً، وتهزأ واستهزأ به سخر^(١).

ثانياً السخرية : سخر منه وبه سخرأ وسخرأ ومسخرأ وسخرأ، بالضم وسخرأ وسخرئاً وسخرئاً وسخرئة هزئ به.

وسخرئت منه وسخرئت به، وضحكك منه وضحكك به، وهزئت منه وهزئت به، كل يقال، والاسم السخرية، والسخرئ والسخرئ، وقرئ بهما قوله تعالى : ﴿ ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾^(٢).

وفي الحديث : ((أتسخرمئى وأنت الملك))^(٣).

أى : أتستهزئ بي^(٤).

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١/١٨٣.

(٢) سورة الزخرف، آية رقم ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ٥/٢٤٠٢، رقم ٦٢٠٢.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً، ١/١٧٥، رقم ٣١٠.

(٤) انظر : صحيح مسلم، المطبوع بشرح النووي، ٣/٤٠. وابن حجر، الفتح، ١١/٥٤٢. وابن منظور، اللسان، ٤/٣٥٢ - ٣٥٣.

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾^(١) أي : يسخرون ويستهبزون،

كما تقول : عجب وتعجب واستعجب بمعنى واحد.^(٢)

ثالثاً التَّهْكُمُ : الاستهزاء. وفي حديث أسامة^(٣) : ((فخرجت في أثر رجل

منهم جَمَلٌ يَتَهَكَّمُ بي..))^(٤)، أي : يستهزيء ويستخفُّ ومثله حديث عبد الله

بن أبي حدرد^(٥) : ((وهو يمشي القهقري ويقول هلمَّ إلى الجنة، يتهكم

بنا..))^(٦).

فمما سبق يتضح أن هذه الألفاظ الثلاثة مترادفة وأنها بمعنى واحد، فالاستهزاء

هو السخرية، والسخرية هي الاستهزاء، والتهكم هو الاستهزاء وهكذا.

وهناك من ذكر فرقاً بين الاستهزاء والسخرية، وهو : أن سخر يتعدى إلى

المفعول بـ (من) فلا يتعدى غيرها، وأن هزأ يتعدى إلى المفعول بالباء.

والأصح أن كلا الفعلين يتعدى بحرف (من) والباء، وأنَّ الغالب في (هزأ) أن

(١) سورة الصافات، آية رقم ١٤.

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٣٥٣/٤.

(٣) أسامة بن زيد بن حارثة الحبُّ بن الحب، المولى الأمير الكبير، حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومولاه وابن مولاه، أبو محمد ولد مكة قبل الهجرة بسبع سنين، ونشأ على الإسلام لأنَّ أباه كان من أول الناس إسلاماً، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محبه حباً جماً وينظر إليه نظرة إلى سيِّطه الحسن والحسين. أمَّره النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يبلغ العشرين من عمره وكان في الجيش عمر والكبار من الصحابة. رحل بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى وادي القرى فسكنه ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن المزة، مات في المدينة في آخر خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ. روى له البخاري ومسلم (١٢٨) حديثاً انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦١/٤ - ٧٢. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٩٦/٢.

(٤) انظر الواقدي، المغازي النبوية، ٧٢٤/٢، ط: ٣، عالم الكتب، ١٤٠٤ هـ..

(٥) أبو محمد عبد الله بن سلامة أبي حدرد بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن مساب، أول مشهد شهده مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - الحديبية ثم خبير وما بعد ذلك من المشاهد. توفي سنة ٧١ هـ، وهو ابن ٨١ سنة. وهو من بني رفاعة بطن من أسلم. انظر: ابن سعد، الطبقات، ٣٠٩/٤ - ٣١٠. والحاكم، المستدرک، ٥٧٢/٣، ٥٧٣.

(٦) انظر الواقدي، المغازي النبوية، ٧٧٨/٢، ٧٧٩.

(٧) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٦١٧/١٢.

يتعدى بالباء، وفي (سخر) أن يتعدى بـ (من) ^(١)، وبالتالي ليس هناك ثمة فرق يُذكر.

وبعد الاطلاع على ما بدر من المشركين في هذا الأسلوب، وبعد جمع المادة العلمية في ذلك، اتضح مايلي :

- ١- أن استهزاءهم تناول قضايا عديدة ومتنوعة، جاء تقريرها وبيانها وإثباتها، من قبله - ﷺ - ولم يقتنعوا بها فكانت محلاً لاستهزائهم وسخريتهم.
- ٢- أنهم لم يكتفوا بذلك القدر، بل تناولوا شخصه - ﷺ -، وأشخاص المدعويين بذلك الاستهزاء والذي سأفرده بعنوانٍ مستقلٍ في آخر المبحث.

وعلى هذا سيكون التصنيف لهذا الأسلوب، على النحو التالي :

المسألة الأولى : استهزأؤهم وسخريتهم تجاه القضايا، وتشمل:

- أ - قضية تخصيصه - ﷺ - بالرسالة.
- ب - قضية تقرير عقيدة البعث والنشور.
- ج - قضية الوعيد.
- د - قضية الوعيد.

المسألة الثانية : استهزأؤهم وسخريتهم تجاه الأشخاص :

- أ - تجاه الرسول - ﷺ -.
- ب- تجاه المدعويين.

^(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٤/٣٥٣. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٧/١٤٧. وصحيح مسلم المطبوع بشرح النووي، ٣/٤٠.

المسألة الأولى : استهزأوهم وسخريتهم تجاه القضايا :

لقد كان - ﷺ - وهو يدعو قريشاً، يقرّر أموراً عديدة، لم تدخل أذهانهم، ولم تقبلها نفوسهم، فكانت محلاً لاستهزائهم وسخريتهم.

فقد كان يقرّر لهم أنه مرسلٌ من الله - تعالى - ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الطريق القويم والمنهج المستقيم.

كما كان يخبرهم بنهاية هذه الحياة وفنائها، وأنهم صائرون إلى دارٍ لازوال لها، مقرراً بذلك لهم عقيدة البعث والنشور، ومابعده من نعيم إن هم أطاعوه، أو عذاب إن هم عصوه.

لكن رغم كل هذا البيان، وكل هذه التوجيهات والتعليمات، فالقوم مازالوا في طغيانهم يعمهون، وفي تجبرهم وعنادهم يسرحون، فاتخذوا من تلك الحقائق، وتلك القضايا محلاً لاستهزائهم وسخريتهم. مجنّدين ذلك للصدّ عن هذا الدين الذي يقرّر تلك الأمور، وللتعرّف على هذا الأسلوب وكشف النقاب عنه لا بُدّ من عرض تلك الحقائق، وتلك القضايا قضية قضية لنعرف موقفهم ذلك حيالها، وهذه القضايا هي :

أ - قضية تخصّيصه - ﷺ - بالرسالة.

ب - قضية تقرير عقيدة البعث والنشور.

ج - قضية الوعد.

د - قضية الوعيد.

أ - استهزأوهم وسخريتهم من تخصيصه - ﷺ - بالرسالة :

لما أشرقت على محمد - ﷺ - أنوار النبوة، وأكرمه الله - تعالى - برسالته، وبعثه إلى خلقه، واختصه بكرامته، وجعله أمينه على وحيه، وقف المشركون من ذلك مواقف متعددة، كان منها موقف الاستهزاء والسخرية. ^(١)

وقد جاءت الآيات والآثار متضمنة ذلك الأسلوب منهم، فمن ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾. ^(٢)

ورد في سبب نزولها :

أن النبي - ﷺ - مرَّ على أبي جهل، وأبي سفيان وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك وقال لأبي سفيان : هذا نبيُّ بني عبد مناف، فغضب أبو سفيان وقال : أنتكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي، فسمعها النبي - ﷺ - فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوِّفه، وقال : ما أراك منتهياً حتى يصيبك ما أصاب من غيرٍ عهده، فنزلت. ^(٣)

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾. ^(٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد - ﷺ - : وإِذَا رَأَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَصَصْتَ عَلَيْكَ قِصَصَهُمْ مَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا وَسُخْرِيَةً يَقُولُونَ : أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ. ^(٥)

(١) انظر ابن القيم، زاد المعاد، ١٨/١.

(٢) سورة الأنبياء، جزء من الآية رقم ٣٦.

(٣) انظر السيوطي، أسباب النزول، ص ٢٤٨. وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٥٠/٥. والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٥٥/١.

(٤) سورة الفرقان، آية رقم ٤١.

(٥) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٩٢/٩. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٢٨/٣.

٣ - مرواه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن جندب بن سفيان - رضي الله عنه - قال : اشتكى رسول الله - ﷺ - فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إنني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أراه قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً^(١).

وفي الرواية الأخرى : (احتبس جبريل - ﷺ - على النبي - ﷺ - فقالت امرأة من قريش : أبطأ عليه شيطانه..)^(٢).

وهذه المرأة هي : أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان ابن حرب وامرأة أبي لهب، وقد قالت ذلك استهزاءً وتهكماً به - ﷺ - بكونه رسولاً يوحي إليه من قبل الله - تعالى^(٣).

٤ - **ما ذكره البلاذري**^(٤) في أنساب الأشراف، من أن الأسود بن عبد يغوث^(٥)

كان إذا لقي النبي - ﷺ - يقول له : أما كلمت اليوم من السماء يا محمد^(٦). هذا ما كان من استهزائهم وسخريتهم من تخصيصه - ﷺ - بهذا الأمر العظيم، والذي لم تُطقه نفوسهم ولم تحتمله مشاعرهم وأحاسيسهم، فمن محمد حتى

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الضحى، ١٨٩٢/٤، رقم ٤٦٦٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب ترك القيام للمريض، ٣٧٩/١، رقم ١٠٧٣.

(٣) انظر ابن حجر، فتح الباري، ١١/٣.

(٤) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري : مؤرخ، جغرافي نسابه، له شعر. من أهل بغداد. جالس المتوكل العباسي، ومات في أيام المعتد، وله في المأمون مدائح. من كتبه : ((فتوح البلدان)) و ((أنساب الأشراف)) توفي سنة ٢٧٩هـ. انظر : الزركلي، الأعلام، ٢٦٧/١.

(٥) الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري كان أحد المستهزين، ابن خال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد هلك كافراً، واختلف في سبب هلاكه قيل : أوما جبريل إلى رأسه فضربته الأكلة فامتخض رأسه قبحاً. وقيل عمي. وقيل : حتى جبريل ظهره حتى أحقوق صدره وذلك في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انظر : البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣١/١، ١٣٢. تحقيق : محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م. والزبير، نسب قريش، ٢٦٢. وابن يوسف، سبل الهدى والرشاد، ٦٠٦/٢.

(٦) انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٢/١.

يتسنى له ذلك دونهم ؟ أليسوا أكثر مالاً وولداً ؟ أليسوا الكبراء والعظماء ؟
أليسوا رؤساء الأندية ؟

لكن هيهات هيهات، ففي القلوب نارٌ وحرقة، وغلٌ وحسد، فلا بُدَّ من التبريد
والتنفيس ولو بشيء يسير من ذلك الاستهزاء وتلك السخرية.

ب - استهزأؤهم وسخريتهم بقضية البعث والنشور :

إن قضية البعث والنشور، المتحتم وقوعها، لم تكن أمراً مسلماً به لدى
المشركين، فهم يستبعدون رجوع الأرواح إلى تلك الأجساد البالية والأشلاء
المتفرقة. فلما رأوا تقرير ذلك وإثباته وقفوا منه المواقف المتعددة، والتي منها
استهزأؤهم وسخريتهم، فمن ذلك :

١ - قوله تعالى: ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفةٍ فإذا هو خصيمٌ
مبينٌ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من عجي العظام مروهي رميم ﴾^(١).
جاء في سبب نزولها :

أن أبي بن خلف،^(٢) وقيل : العاص بن وائل. جاء إلى النبي - ﷺ - بعظم
حائل، ففته بين يديه، فقال : يا محمد أبيعث الله هذا حياً بعد ما أرم ؟ قال : نعم،
يبعث الله هذا، ثم يمينك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم، ونزلت الآيات.^(٣)

٢ - **مارواه البخاري** - رحمه الله - في صحيحه، عن خباب بن الارت - رضي الله عنه -
قال : جئت العاصي بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده فقال : لا أعطيك

(١) سورة ياسين، الأيتان رقم ٧٧ - ٧٨.

(٢) والجمهور أنه أبي بن خلف وعليه المفسرون، انظر ابن الجوزي، زاد المسير ٤١/٧ .

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ٤٦٤/١٠. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٣١٤. والواحدي، أسباب النزول، ص ٣٠٣. والحاكم،
المستدرک، ٤٢٩/٢، وقال على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

حتى تكفر بمحمد - ﷺ -، فقلت : لا، حتى تموت ثم تبعث، قال : وإني لميت

ثم مبعوث؟ قلت : نعم، قال : إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيكه.. ((^(١)).

٣ - ماقاله الحارث بن قيس^(٢)، وهو من أشهر المستهزئين الذين نزل فيهم قوله

تعالى : ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾^(٣)، فقد قال : لقد غرَّ محمد نفسه

وأصحابه أن وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر ومرور

الأيام والأحداث.^(٤)

٤ - لما اجتمع المشركون ليلة الهجرة على قتل رسول الله - ﷺ - وفيهم أبو جهل

ابن هشام، فقال وهم على بابه مستهزئاً : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على

أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم.. ((^(٥)).

فهذه النصوص تعكس لنا صورة من صور استهزاء المشركين بتلك القضية

الكبيرة والتي وقفوا منها موقف الإنكار والجحود.

فهم وإن سلّموا بذلك أو حكوه لغيرهم أو جعلوه محلاً لاستفهامهم واستفسارهم

فإنه تمشياً مع الخصم لبيان استحالتهم عن طريق الاستهزاء والسخرية.

^(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (أقرأيت الذي كفر بآياتنا..)، ١٧٦٠/٤، رقم ٤٤٥٥.. وباب : (اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) ١٧٦١/٤، رقم ٤٤٥٦. وباب : (كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً)، ١٧٦١/٤، رقم ٤٤٥٧. وباب : (ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً)، ١٧٦١/٤، ١٧٦٢، رقم ٤٤٥٨ وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب : سؤال اليهود النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الروح، وقوله تعالى : (يسألونك عن الروح) الآية، ٢١٥٣/٤، رقم ٢٧٩٥.

^(٢) الحارث بن قيس السهمي، كان أحد المستهزئين المشهورين بالنبي - صلى الله عليه وسلم - نزلت فيه آيات من القرآن، كان هلاكه بأن أكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب عليه الماء حتى مات في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم -.. انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٢/١. وابن يوسف، سبل الهدى والرشاد، ٦٠٦/٢.

^(٣) سورة الحجر، آية رقم ٩٥.

^(٤) انظر ابن يوسف، سبل الهدى والرشاد، ٦٠٦/٢.

^(٥) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١٢٤/٢.

ج- استهزأؤنهم وسخریتهم بقضية الوعد :

أمّا قضية الوعد، فقد نالها مانال غيرها من القضايا الأخرى، فلم يكن المشركون ليستسيغوا حصول مثل هذه الوعود، لا في دنيا ولا أخرى.

أمّا الوعد الدنيوي، فكيف بعرب في صحراء قاحلة، وعيشة مجدبة، كيف لها أن تملك العرب والعجم ؟ وما الذي يقفز بها تلك القفزة الهائلة ؟ بل من أين لها تلك القوة الصارخة العاجلة ؟

وأمّا الأخرى : فإذا كانوا لا يُقرُّون بالدنيوي فالأخروي من باب أولى، لأن ذلك أبعد في أذهانهم، أضف إلى ذلك عدم إقرارهم أصلاً بتلك الحياة ووجودها.

إنهم يجعلون ذلك بمثابة الحلم والخيال، الذي يغري به محمدٌ - ﷺ - من يدعوهم، ويرسمه لهم، من أجل أن يتابعوه ويدخلوا في دينه.

لقد بنوا ذلك على أفكار ناقصة، وعقول قاصرة، والتي أعملوها في هذه الأمور، فلم يجدوا من إنكارها بدءاً، لأنها لم تتمش مع تجربتهم في الحياة.

فلم يكن الإيمان ليدخل بشاشة قلوبهم، وبسر يوماً في عروقهم، كي يخضعوا ويسلموا بتلك الأمور وإن لم توافق عقولهم وأهواءهم.

لهذه الأسباب ركبوا ظهور السخرية المسرحية، وأرخوا أعنة التهكم وسدّدوا سهام الاستهزاء تجاه هذه الوعود الصادقة، فمن ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ﴾^(١).

والكلام على هذه الآية من طريقتين :

أولاً: أقوال المفسرين في المعنى الذي أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم بتعجيل القط لهم.

(١) سورة ص، آية رقم ١٦.

ثانياً: المعاني التي ذكرها أهل اللغة في كلمة قطّ.

أولاً: أقوال المفسرين في المعنى الذي أراد هؤلاء المشركون، وهي:

أ - أنهم إنما سألوا ربهم تعجيل حظهم من العذاب الذي أعد لهم في الآخرة، في الدنيا، كما قال بعضهم: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾. (١) (٢)

ب - وقال آخرون: بل إنما سألوا ربهم تعجيل أنصبتهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمدٌ ﷺ فيؤمنوا حينئذ به ويصدقوه.

ج - وقال آخرون: مسألتهم نصيبهم من الجنة، ولكنهم سألوا تعجيله لهم في الدنيا. (٣)

د - وقال آخرون: بل سألوا ربهم تعجيل الرزق. (٤)

هـ - وقال آخرون: سألوا أن يعجل لهم كتبهم التي قال الله: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾، (٥) ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾. (٦) في الدنيا، لينظروا بأيمانهم يعطونها أم بشمائلهم، ولينظروا من أهل الجنة هم، أم من أهل النار قبل يوم القيامة، استهزاءً منهم بالقرآن وبوعد الله. (٧)

(١) سورة الأنفال. جزء من الآية رقم ٣٢.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٥٩/١٠. ابن الجوزي، زاد المسير، ١٠٩/٧.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٦٠، ٥٥٩/١٠. وابن الجوزي، زاد المسير، ١٠٨/٧.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٦٠/١٠.

(٥) سورة الحاقة، جزء من الآية رقم ١٩.

(٦) سورة الحاقة، جزء من الآية رقم ٢٥.

(٧) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٦٠/١٠. وابن الجوزي، زاد المسير، ١٠٨/٧.

ثانياً : المعاني اللغوية لكلمة ((قَطَّ)) :

- ورد لهذه الكلمة عند أهل اللغة معان عديدة، منها :

- أ - النصيب، وأصله الصحيفة للإنسان بصلة يوصل بها.
ب - وقيل : القَطُّ في كلام العرب : الصكُّ وهو الحظُّ، وقيل الصكُّ بالجائزة،
يقول الأعرشي^(١) :

ولا الملك النعمان، يوم لقيته بغبطته، يُعْطَى القَطوط ويأْفِقُ

قوله: يأفق: أي يفضل بعضهم على بعض في العطاء المكتوب في القطوط.

ج - وقيل : الكتاب، وقيل : كتاب المحاسبة، يقول أمية بن أبي الصلت:

قومٌ لهم ساحةُ العراقِ جميعاً والقِطُّ والقلم

د - وقيل : الصحيفة المكتوبة.^(٢)

هذا ماكان حول الآية، من كلام أهل التفسير، واللغة، وإن كان الأمران متداخلين، إلا أن في أحدهما زيادة بيان عن الآخر.

وقد رجَّح الإمام الطبري - رحمه الله - القول الرابع، من أقوال المفسرين، فقال: ((وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال : إن القوم سألوا ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاءً بوعيد الله. وإنما قلنا

^(١) ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن تعله الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له : أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير : من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب الملقبات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس. عاش عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام ولم يسلم. ولقب بالأعشى لضعف بصره. وعمي في آخر عمره. مولده ووفاته في قرية منفوحة باليمامة قرب مدينة الرياض، وفيها داره وبها قبره، كانت وفاته سنة ٧ هـ . انظر : الزركلي، الأعلام، ٣٤١/٧.

^(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٣٨٢/٧. والشنقيطي، أضواء البيان، ٢٤/٧.

إن ذلك كذلك، لأن القطّ هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه: ﴿اصبر على ما يقولون﴾^(١) فكان معلوماً بذلك أن مسألتهم ماسألوه النبي

- ﷺ - لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاءً، وكان فيه لرسول الله - ﷺ - أذى، أمره الله بالصبر عليه منهم حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله ((عجل لنا قطناً))^(٢) بيان أيّ القطوط إرادتهم، لم يكن لنا توجيه ذلك إلى أنه معنيٌّ به القطوط ببعض معاني الخير أو الشر، فلذلك قلنا إنّ مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر))^(٣).

والذي يظهر - والله أعلم - مما سبق، أن القطّ، يطلق على ما يكتب فيه عطاءً أو عقاب، كما قال المتلمس^(٤) في صحيفة عمرو بن هند^(٥) التي أعطاه إياها إلى عامله بالبحرين يومه أنها أمرٌ بالعطاء، وإنما هي أمرٌ بقتله، وعرف المتلمس ماتحتوي عليه فألقاها في النهر وقال في صحيفته المضروب بها

(١) سورة ص، جزء من الآية ١٧.

(٢) سورة ص، جزء من الآية رقم ١٦.

(٣) الطري، جامع البيان، ١٠/٥٦٠.

(٤) المتلمس : هو جرير بن عبد العزى - أو عبد المسيح - من بني ضُبَيْعة، من ربيعة : شاعر جاهلي، من أهل البحرين. وهو خال طرفة بن العبد. كان ينادم عمرو بن هند (ملك العراق) ثم هجاه، فأراد عمرو قتله ففر إلى الشام، ولحق بآل حنيفة (ملوكها) ومات ببصرى (من أعمال حوران - في سورية) قبل الهجرة بنحو ٥٠ سنة. انظر : الزركلي، الأعلام، ١١٩/٢.

(٥) عمرو بن هند : هو عمرو بن المنذر اللخمي : ملك الحيرة في الجاهلية. عرف بنسبه إلى أمه هند (عمه امرئ القيس الشاعر) تمييزاً له عن أخيه عمرو الأصغر (ابن أمية). من بني لحم، من كهلان. ويلقب بالخرق الثاني، لإحراقه بعض بني تميم في حنيفة واحد منهم اسمه سويد الدارمي، قتل ابناً (أو أخاً) صغيراً لعمرو. ملك بعد أبيه، وهو قاتل طرفة بن العبد الشاعر. كان شديد البأس. كثير الفتك، هابته العرب وأطاعته القبائل. وفي أيامه ولد النبي - صلى الله عليه وسلم - وأستمر ملكه خمسة عشر عاماً. وقتله عمرو بن كلثوم (الشاعر، صاحب المعلقة) أنفة وغضباً لأمه في خير طويل قبل الهجرة بنحو ٤٥ سنة. انظر : الزركلي، الأعلام، ٨٧، ٨٦/٥.

المثل :

وألقيتها بالثني من جنب كافر كذلك يلقي كلُّ قطٍّ مضللٍّ

فهو مستعملٌ في الأمرين، لكن الأكثر أنه ورقة العطاء، قال الأعشى :

ولا الملك النعمان ^(١) يوم لقيته بغبطته يعطى القطوط ويأفق

ولهذا قال بعض المفسرين في تفسير الآية : إنما عنوا عجلٌ لنا النعيم الذي وعدتنا به على الإيمان حتى نراه الآن فنوقن.

وعلى تسليم اختصاص القطِّ بصك العطاء لا يكون ذلك مانعاً من قصدهم تعجيل العقاب بأن يكونوا سموا الحظ من العقاب قطاً على طريق التهكم، كما قال عمرو بن كلثوم ^(٢) إذ جعل القتال قري :

قريناكم فجعّلنا قراكم قبيل الصبح مرّداة طحونا

فيكون قد أدمجوا تهكماً في تهكم إغراقاً في التهكم. ^(٣) وعلى جميع الأقوال، إنما سألوا ذلك استهزاءً لتكذيبهم بالقيامة. ^(٤)

وقد صنفتُ هذه الآية تحت قضية الوعد، مع اشتراكها في بعض الأقوال في قضية الوعيد، لكونها أقرب إلى الوعد من غيره، كما مرّ وسبق، والله أعلم.

^(١) النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث الغساني : من ملوك الغسانيين في أطراف الشام. كان ممدوحاً في الجاهلية. كنيته ((أبو كرب)) . ملك بعد أبيه (نحو سنة. ٥٧ م)، وفاته كانت قبل الهجرة بنحو ٤٣ سنة. انظر : الزركلي، الأعلام، ٣٧/٨.

^(٢) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، من بني تغلب، أبو الأسود : شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة. وتحوّل فيها وفي الشام والعراق ونجد. وكان من أعز الناس نفساً، وهو من الفتاك الشجعان. ساد قومه (تغلب) وهو فتي، وعمر طويلاً، وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند. أشهر شعره معلقته التي مطلعها :

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي حمور إلا ندرينا يقال : إنها كانت في نحو ألف بيت. وإنما بقي منها ما حفظه الرواة، وفيها من الفخر والحماسة العجب. مات في الجزيرة الفراتية قبل الهجرة بنحو ٤٠ سنة. انظر : الزركلي، الأعلام، ٨٤/٥.

^(٣) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/٢٢٥، ٢٢٦.

^(٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ١٠٩/٧.

- ٢ - لما اجتمع المشركون ليلة الهجرة على قتل رسول الله - ﷺ - وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه مستهزئاً: ((إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن..)).^(١)
- ٣ - وكان المشركون إذا رأوا رسول الله - ﷺ -، وأصحابه، قالوا : جاءكم ملوك الأرض، ثم يمكؤون ويصفرون، وذلك استهزاءً بوعدة - ﷺ.^(٢)
- ٤ - وكان أبو لهب يقول : يعدني محمدٌ أشياءً لأراها يزعم أنها كائنة بعد الموت، فماذا وضع في يديّ بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول : تَبّاً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد. ^(٣)
- ٥ - ما قاله العاص بن وائل لخبّاب بن الأرت حينما طلب منه أن يقضيه حقّه : ياخباب أليس يزعم محمدٌ صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أنّ في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب، أو فضة، أو ثياب أو خدم. قال خباب : بلى. قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة ياخباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هناك حقّك. ^(٤)

^(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١٢٤/٢.

^(٢) انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ١٤٨/١.

^(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٦/٢.

^(٤) انظر المرجع السابق، ١١/٢.

د - استهزأؤهم وسخریتهم بقضية الوعيد :

لقد جاءت الآيات الكثيرة تحمل الوعيد الشديد للمشركين نتيجة إعراضهم وصددهم عن دين الله - تعالى - .

لكن الغرور قد تمكن من نفوسهم، واستوطن في قلوبهم، فغرثهم قوتهم الواهية، وسلطتهم الفانية، والتي بنوا عليها استهزاءهم بتلك التهديدات.

إن الذي حدى بهم لذلك هو سوء فهمهم لتلك التهديدات، وسوء ظنهم بصاحبها، فهم يظنون أن قبيلة من عرض تلك القبائل المتفرقة في جزيرتهم، قد ناصبتهم العدا، وأن الأمر لا يعدو أن يكون غارة تلو غارة باستطاعتهم القيام بمثلها بل بأمثالها.

وقد أوضح الله - جلَّ وعلا - استهزاءهم ذلك على وجه العموم، حينما يرون العذاب، ويبدو لهم نتاج السيئات التي كانوا يعملونها، فمما جاء في ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿وإذا لهم سيئات ما كسبوا وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾^(١).

٢ - وقوله تعالى: ﴿وإذا لهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾^(٢).

أي: وبدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا في الدنيا من الأعمال إذا أعطوا كتبهم بشمائلهم، وظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرأوا تلك الكتب التي كانت الحفظة تنسخها في الدنيا، ولزمهم عذاب الله الذي كان نبيُّ الله - ﷺ - يعدهم به في الدنيا على كفرهم بربهم، فكانوا به يسخرون

(١) سورة الزمر، آية رقم ٤٨.

(٢) سورة المجانية، آية رقم، ٣٣.

ويستهزؤون، إنكاراً أن يصيبهم ذلك، أو ينالهم تكذيباً منهم به. ^(١)
فبهذه المفاهيم الخاطئة، والتعليقات الباطلة، والتأويلات الكاذبة، في دار الدنيا
صدر منهم هذا الاستهزاء والتهكم، ومن النماذج على استهزائهم وسخريرتهم
تجاه هذه القضية في دار الدنيا، مايلي :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قُلُوبَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾. ^(٢)

وذلك على قول من قال : إنهم إنما سألوا ربهم تعجيل حظهم من العذاب الذي
أعدَّ لهم في الآخرة، في الدنيا، كما قال تعالى حكاية عن بعضهم: ﴿ إِنْ كَانَ
هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴾ ^(٣)، وسؤالهم ذلك من باب الاستهزاء لأنهم يكذبون بيوم القيامة. ^(٤)

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ
عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.
وقد اختلفوا فيمن نزلت على أقوالٍ عدَّةٍ :

الأول: أنها نزلت في أبي جهل، فقد روى البخاري ومسلم - رحمهما الله - في
صحيحيهما، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال أبو جهل : اللهم إن كان هذا هو
الحق من عندك، فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم. فنزلت :

^(١) انظر الطبري، جامع البيان، ١٢/١١ و ٢٦٩.

^(٢) سورة ص، الآية رقم ١٦.

^(٣) سورة الأنفال، جزء من الآية رقم ٣٢.

^(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٥٩/١٠. وابن الجوزي، زاد المسير، ١٠٩/٧.

﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾. (١) (٢) الآية.

الثاني : أنها نزلت في النَّضْر بن الحارث. (٣)

الثالث : أنها نزلت في قريش قالوا هذا، ثم ندموا، فقالوا : غفرانك اللهم، فأنزل الله : ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم....﴾ الآية. (٤)

الرابع: قال ذلك سفهة هذه الأمة، وجهلتها، فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها. (٥)

وأقوى هذه الأقوال هو القول الأول، والذي يفيد أنَّ القائل لذلك، هو أبو جهل، لوروده في الصحيحين دون غيره، وإن كان هذا القول نسب إلى جماعة فلعله بدأ به ورضي الباقيون فنسب إليهم، أو من حيث أنهم كانوا يؤيدونه ويحكونه ويحاكونه.

أمَّا ما جاء من أن القائل : النَّضْر أو غيره، لاينافي مافي الصحيح، لاحتمال أن يكون قد قيل مرة أخرى، فإن كان الذي ابتكره هو أبو جهل فليس يمتنع أن يصدر أمثال هذا القول من أمثاله وأتباعه.

(١) سورة الأنفال، الآيات ٣٣، ٣٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب : (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)، ٤/١٧٠، ١٧٠٥، رقم ٤٣٧١. وباب : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)، ٤/١٧٠، ١٧٠٥، رقم ٤٣٧٢ ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في قوله تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الآية، ٤/٢١٥٤، رقم ٢٧٩٦.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ٦/٢٣٠. وابن الجوزي، زاد المسير، ٣/٣٤٨، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٤٩٧.

(٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/٣٤٩. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٤٩٨.

(٥) انظر الطبري، جامع البيان، ٦/٢٣١. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٤٩٧.

ولكن نسبته إلى أبي جهل أولى. (١)

فهذه صورة من صور استهزائهم، حيث إنهم يستبعدون أن يكون القرآن، وما يقوله محمداً - ﷺ - حقيقة، وإن كان كذلك فليأتهم بعض ما يقول وبعض ما يتوعد. (٢)

والآيات في هذا الباب كثيرة وعديدة (٣)، وما ذكر فيه الاكتفاء - إن شاء الله.

٣ - لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم فيما ذكره من وعيد المشركين وعذابهم، كقوله تعالى: ﴿أذلك خير نزلًا أم شجرة الزقوم، إنا جعلناها فتنة للظالمين، إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. طلعتها كأنه رؤوس الشياطين، فإنهم لا ياكلون منها، فمالؤن منها البطون﴾. (٤)

وقوله: ﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لا تاكلون من شجر من زقوم، فمالؤن منها البطون﴾. (٥)

استهزأ المشركون بهذا النوع من العذاب فكان أبو جهل يقول: يامعشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا، قال: عجوا، يثرب بالزبد، والله لئن استمكننا منها لنتزقمنها (٦) تزقماً. فأنزل الله تعالى:

(١) انظر ابن حجر، فتح الباري، ٨/٣٩٣. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٩/٣٣٠.

(٢) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/٣٤٩.

(٣) انظر الآيات التالية: الحج ٤٧، العنكبوت ٥٣، المعارج ١ وغيرها.

(٤) سورة الصافات الآيات من ٦٢-٦٦.

(٥) سورة الواقعة الآيات من ٥١-٥٣.

(٦) تزقم: ابتلع.

﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم. كالمهل يغلي في البطون كغلي الحمير﴾^(١) الآيات.

فالأثيم أي : في قوله وفعله، وهو الكافر، وذكر غير واحد أنه أبو جهل، ولاشك في دخوله في هذه الآية، ولكن ليست خاصة به.^(٢)

٤- ولما سمع المشركون قوله جلّ وعلا : ﴿سأصليه سقر. وما أدراك ما سقر. لا تبقي ولا تذر. لواحة للبشر. عليها تسعة عشر﴾.^(٣)

قال أبو جهل : يامعشر قريش يزعم محمدٌ أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار، ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة، أفيعجز كل مائة رجل منكم على رجل منهم؟

فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا...﴾^(٤) الآية.

وقيل : إن أبا الأشدين واسمه كلدة بن أسيد بن خلف^(٥) قال : يامعشر قريش، اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه واستهزاء بأصحاب النار.^(٦)

(١) سورة الدخان، الآيات من ٤٣-٤٦.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٣٣/٤. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٣٣٣ وابن هشام، السيرة النبوية، ١٦/٢.

(٣) سورة المدثر، الآيات ٢٦ - ٣٠.

(٤) سورة المدثر، جزء من الآية رقم ٣١.

(٥) لم أعتز على ترجمة له.

(٦) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧٣٢/٤. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٤٠٦ وابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٠/١.

٥- لما اجتمع المشركون ليلة الهجرة على قتل رسول الله - ﷺ - وفيهم أبو جهل ابن هشام، فقال وهم على بابهِ مستهزئاً : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها. ^(١)

^(١) انظر المرجع السابق، ١٢٤/٢.

المسألة الثانية: استهزأوهم وسخريتهم بالأشخاص :

وقد شمل هذا :

أ - استهزأوهم تجاه الرسول - ﷺ ..

ب - استهزأوهم تجاه المدعوين.

أ - استهزأوهم تجاه الرسول - ﷺ .:

لم يخل شخصه - ﷺ - من تلك السفاهة، فغير مرة استهزؤا به وسخروا منه، فمن ذلك :

١ - أن رجلاً من إراش قدم بابل له مكة، فابتاعها منه أبو جهل، فمطله بأثمانها.

فأقبل الإراشي حتى وقف على نادٍ من قريش، ورسول الله - ﷺ - في ناحية

المسجد جالس، فقال : يامعشر قريش، من رجل يؤدّيني^(١) على أبي الحكم بن

هشام فإني رجلٌ غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟ قال : فقال له أهل

ذلك المجلس أترى ذلك الرجل الجالس - لرسول الله - ﷺ -، وهم يهزون به

لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه فإنه يؤدبك

عليه. فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله - ﷺ - فقال يا عبد الله إن أبا

الحكم ابن هشام قد غلبني على حق لي قبله، وأنا رجل غريب ابن سبيل، وقد

سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدّيني عليه، يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي

إليك، فخذ لي حقي منه، يرحمك الله، قال : انطلق إليه، وقام معه رسول الله

- ﷺ -، فلما رأوه قام معه. قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه، فانظر ماذا يصنع.

قال : وخرج رسول الله - ﷺ - حتى جاءه فضرب عليه بابيه،

(١) يؤدّيني : يساعديني على استرداد حقي.

فقال : من هذا ؟

قال: محمد، فأخرج إليّ، فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة (١)، قد انتقع لونه فقال : أعط هذا الرجل حقّه. قال نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال : فدخل، فخرج إليه. قال : ثم انصرف رسول الله - ﷺ - وقال للإراشي : الحق بشأنك، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال : جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقّي. (٢)

٢- أن رسول الله - ﷺ - مرَّ بجماعة من زعماء قريش كالوليد ابن المغيرة، وأمّية بن خلف، وأبي جهل بن هشام، فهمزوه، واستهزؤا به، فغاضه ذلك. فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم: ﴿ ولقد استهزيء برسلك من قبلك. فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾. (٣) (٤)

(١) ليس فيه قطرة دم.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٠/٢. وابن كثير، البداية والنهاية، ٤٣/٣، ٤٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية رقم ١٠.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٦/٢. وابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٣/٣.

ب - استهزاؤهم تجاه المدعوين :

وكما أنهم استهزؤا به - ﷺ - فمن الطبيعي أن يكون لأصحابه، وأتباعه نصيباً من ذلك، والأمثلة على ذلك عديدة، منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا . فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جِزِيَتُهُمُ الْيَوْمَ عَمَّا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾^(١).

معنى ذلك : فاتخذتم أهل الإيمان بي في الدنيا هُزُؤاً ولعباً، تهزؤون بهم، وتسخرون منهم، فلم يزل استهزاؤكم بهم، حتى أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري، فألهاكم عنه، ثم إنني جزيتهم بصبرهم على ما كانوا يلقون من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا، أنهم هم الفائزون.^(٢)

فقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي.. ﴾ يدل فيه لفظ ﴿ إِنَّ ﴾ المكسورة المشددة على أن من الأسباب التي أدخلتهم النار هو استهزاؤهم وسخريتهم من هذا الفريق المؤمن الذي يقول : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ لأن ﴿ إِنَّ ﴾ المكسورة المشددة من حروف التعليل، كقولك عاقبه إنه مسيء أي: لأجل إساءته، فالكفار - كما سبق - يسخرون من ضعفاء المؤمنين في الدنيا حتى ينسيهم ذلك ذكر الله، والإيمان به فيدخلون بذلك النار.^(٣)

(١) سورة المؤمنون، الآيات ١٠٩ - ١١١.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٩/٢٥٠، ٢٥١.

(٣) انظر الشنقيطي، أضواء البيان، ٥/٨٢٧، ٨٢٨.

٢ - وقوله تعالى : ﴿ وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار

اتخذناهم سخرى أمرزأغت عنهم الأبصار ﴾ .^(١)

هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفتقدون رجالاً كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم، وقد كانوا يستهزؤون بهم ويسخرون منهم. فيقولون : مالنا لانراهم معنا في النار ؟ وهو قول أبي جهل : مالي لا أرى بلالاً وعماراً وصهيباً وفلاناً وفلاناً.

وهذا ضرب مثل وإلاً فالكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخلوها افتقدوهم فلم يجدوهم وقالوا مقولتهم تلك.^(٢)

٣ - وقوله تعالى : ﴿ إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا

يضحكون ﴾ .^(٣)

يقول تعالى ذكره : إن الذين اكتسبوا المآثم، فكفروا بالله في الدنيا، كانوا فيها من أصحاب رسول الله - ﷺ - الذين أقرؤا بوحداية الله، وصدقوا به، مثل عمار وبلال وخباب وغيرهم، يضحكون استهزاءً منهم بهم، وبدينهم.^(٤)

٤ - وكان رسول الله - ﷺ - إذا جلس في المسجد، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خباب، وعمار، وصهيب، وأشباهم من المسلمين، هزئت بهم قريش.^(٥)

(١) سورة ص، الأيتان : ٦٢، ٦٣.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٠٢/١٠. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٨/٤.

(٣) سورة المطففين، آية رقم ٢٩.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٠١/١٢. والرازي، التفسير الكبير، ١٠١/٣١، وابن الجوزي، زاد المسير، ٦٠/٩ - ٦١.

(٥) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٣/٢. وابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٢/٣.

المقصد الثاني : أسلوب التميز واللمز والغمز :

وقبل الكلام عن استخدام المشركين لهذا الأسلوب، لا بد من التعرف على هذه

الألفاظ من حيث معناها اللغوي، هل هي مترادفة ؟ أم متغايرة ؟

وبالرجوع إلى كلام أهل اللغة، وأهل التفسير عن هذه الألفاظ تبين لي الآتي :

أولاً : الهمزة واللمزة، أن هناك :

أ - من جعلهما بمعنى واحد .

ب - من جعل معنهما واحداً. وفرق بينهما في الوسيلة والزمن .

ج - من جعل لكل واحد منهما معنى يختلف عن الآخر .

ففي الفقرة ((أ)) جاءت الأقوال التالية :

١ - الهمزة للهمزة الذي يغتاب الناس ويغضُّهم . كما قال زياد الأعجم^(١) :

تدلى بودى إذا لاقتنى كذباً وإن أغيب فانت الهامز اللُّمزة^(٢)

^(١) زياد بن سليمان - أو سليم - الأعجم، أبو أمانة العبدي، مولى بني عبد القيس : من شعراء الدولة الأموية. جزل الشعر، كانت في

لسانه عجمة فلقب بالأعجم. ولد ونشأ في أصفهان، وانتقل إلى خراسان، فسكنها وطال عمره، ومات فيها سنة ١٠٠ هـ عاصر

المهلب بن أبي صفرة، وله فيه مدائح ومرات يهايه الناس أميرهم وشاعرهم خوفاً من شعره. انظر : الزركلي، الأعلام، ٥٤/٣.

^(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٨٧/١٢. وابن منظور، لسان العرب، ٤٠٦/٥.

٢ - وقيل : الأصل في الهمز واللمز : الدفع . يقال همزته ولمزته إذا دفعته . قال رؤبة: ^(١)

ومن همزنا عزّه تبركاً على
استه زوبعةً، أوزوبعا ^(٢)

٣ - وقيل : الهمزة للهمزة : المشاء بالنميمة، المنفرق بين الجماعة، المغربي بين الأحبة، الباغي أكبر العيب. ^(٣)

٤ - وقيل : الهمّاز اللّمّاز : الذي يزدري الناس وينتقصهم. ^(٤)

٥ - وقيل : همزة لمزة : طعّانٌ معيب . ^(٥)

٦ - وحينما ذكر ابن منظور ^(٦) الترجمة للهمز، قال : الهمز مثل اللمز . ^(٧)

وفي الفقرة ((ب)) جاء مايلي :

١ - منهم من قال : الهمّاز بالقول، واللمّاز بالفعل . ^(٨)

٢ - ومنهم من قال : الهمز بالفعل، واللمز بالقول . ^(٩)

^(١) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الحجّاف، أو أبو محمد : راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة. مات في البادية، وقد أسنّ، سنة ١٤٥ هـ. انظر : الزركلي، الأعلام، ٣/٣٤.

^(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٥/٤٠٦ و ٤٢٦.

^(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ١٢/٦٨٦. وابن حجر، الفتح، ٨/٩٤٦. وابن منظور، لسان العرب، ٥/٤٢٦.

^(٤) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٩١٧.

^(٥) انظر المرجع السابق، ٤/٩١٧. وابن منظور، اللسان، ٥/٤٠٦.

^(٦) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب ((لسان العرب)) : الإمام اللغوي الحجة، من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر سنة ٦٣٠ هـ (وقيل في طرابلس الغرب)، ولي القضاء في طرابلس وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة ٧١١ هـ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد وعمي في آخر عمره، وكان مغرّياً باختصار كتب الأدب المطولة. انظر الزركلي، الأعلام، ٧/١٠٨.

^(٧) انظر المرجع السابق، ٥/٤٢٦.

^(٨) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٩١٧.

^(٩) انظر المرجع السابق، ٤/٣٤٣.

- ٣ - وقيل : الهمزة باليد والعين، واللمزة باللسان. (١)
- ٤ - وقيل : الهمزة في ظهر الغيب، واللمزة في الاستقبال والمواجهة، وقيل : العكس. (٢)

٥ - وقيل : الهمزة جهراً، واللمزة سرّاً بالحاجب والعين. (٣)

وفي الفقرة ((ج)) جاء مايلي :

١- الهمّاز : المغتاب. (٤)

واللّماز : الطّعان العيّاب. (٥)

٢ - وقيل : الهمّاز : العيّابون.

واللّماز : المغتابون. (٦)

ثانياً : الغمز : وهو الإشارة بالعين والحاجب والجفن، غَمَزَهُ، يَغْمِزُهُ غَمْزاً. (٧)

وهناك من جعله بمعنى الهمز واللمز :

أ - فحينما تكلم صاحب اللسان عن الهمز، قال في معرض كلامه :

والهمز مثل الغمز .

كما ذكر أنّ الهمز يكون بالشدق والعين والرأس، وهذا فيه التقاء مع الغمز. (٨)

ب- وحينما تكلم عن اللمز قال : كالغمز في الوجه، تلمزه بفيك بكلامٍ خفي،

وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلامٍ خفي،.....

(١) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٣/١٢. والرازي، التفسير الكبير، ٣٢ / ٩١-٩٢ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩١٧/٤.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٩٢/٣٢. وابن منظور، لسان العرب، ٤٠٦/٥، ٤٢٦.

(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٩٢/٣٢.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٣/١٢. والرازي، التفسير الكبير، ٩١/٣٢. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٦٤/٤.

(٥) انظر الطبري، الجامع، ٣٩٣/٦، ٣٩٠/١١. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٩٠/٢، ٣٤٣/٤.

(٦) انظر ابن منظور، اللسان، ٤٢٦/٥.

(٧) انظر المرجع السابق، ٣٨٨/٥.

(٨) انظر المرجع السابق، ٤٢٦/٥.

وهذا أيضاً كسابقه. ^(١)

وعلى كل حال فجميع هذه الوجوه متقاربة، راجعة إلى أصل واحد، وهو الطعن وإظهار العيب وتقصُّ الآخرين، سواء كان ذلك بالجدِّ أو الهزل، متعلقاً بأمر الدين أو بغيره، بحضرة أو بغيبة، باللفظ أو بالفعل . فكلُّ ذلك داخل تحت النهي والزجر، ومصنَّفٌ من أساليب الصدِّ. ^(٢)

وقد قام المشركون بهذا الأسلوب تجاه الآتي :

المسألة الأولى : تجاه الرسول - ﷺ - .

المسألة الثانية : تجاه المدعوين .

^(١) انظر المرجع السابق، ٤٠٦/٥ .

^(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٩٢/٣٢ .

المسألة الأولى : تجاه الرسول - ﷺ . :

وقد ثبت استخدامهم لهذا الأسلوب مع النبي - ﷺ - بالآيات والآثار فمن ذلك :

- ١ - قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْعَ كُلَّ حَلَاْفٍ مِهْدَنَ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾^(١) .
فقوله ﴿ هَمَّازٍ ﴾ تقدم الكلام عن معناه في مقدمة الأسلوب . أمَّا فيمن نزلت ، فقد اختلف المفسرون في ذلك على أقوال عدة :
- ١ - أنه الأخنس بن شريق ،^(٢) رجل من ثقيف .^(٣)
- ٢ - وقيل : الوليد بن المغيرة .^(٤)
- ٣ - وقيل : الأسود بن عبد يغوث .^(٥)

هذا ماورد من أقوال فيمن نزلت . لكن في سياق الآيات قرينة تدلُّ على أنَّ المقصود غير الأسود بن عبد يغوث ، وهي قوله : ﴿ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾^(٦) فالزنيمة الدعوي والملصق بالقوم وليس منهم ، والأسود ليس كذلك ، ولم يؤثر عنه شيء من ذلك . وقد نصَّ الطبري وغيره أنه ليس هو .^(٧)

(١) سورة القلم، الآيات ١٠-١١ .

(٢) الأخنس بن شريق الثقفي، واسمه أبي، كان من أشرف قريش، ومن يصيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويؤذيه، قيل إنه أسلم بعد ذلك . انظر : ابن يوسف، سيل الهدى، ٦١٤/٢ - ٦١٥ .

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٤/١٢ . وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣١/٨ . وابن حجر، الفتح، ٨٥٦/٨ . والسيوطي، أسباب النزول، ص ٣٩٥ .

(٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣١/٨ . والبلنسي، تفسير مبهمات القرآن تحقيق عبد الله محمد، ٦٣٩/٢ ط : ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م . وابن حجر، الفتح ٨٥٦/٨ .

(٥) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣١/٨ . والسيوطي، أسباب النزول، ص ٣٩٥ . والبلنسي، تفسير مبهمات القرآن الكريم، ٦٣٩/٢ .

(٦) سورة القلم، الآية رقم ١٣ .

(٧) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٦/١٢ . والرازي، التفسير الكبير، ٨٤/٣٠ . وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٦٦، ٦٦٥/٤ . وابن منظور، اللسان، ٢٧٧/١٢ .

فيبقى لدينا الوليد، والأخنس، فمن حكى أنه الوليد قال : إنه كان دعياً في قريش، وليس من سخنهم ادّعاه أبوه بعد ثمان عشرة ليلة من مولده وقيل : بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية. (١)

ومن حكى أنه الأخنس قال : لأنه من تقيف فحالف قريشاً وحلّ بينهم. (٢) والذي يهمننا من ذلك، هو استخدام المشركين لهذا الأسلوب تجاه الرسول - ﷺ - سواء كان هذا النموذج من قبل الأخنس أو غيره، حيث ثبت ذلك من قبلهم بنص هذه الآية.

٢ - قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزَةٍ لَمَزَةٍ﴾. (٣)

والهمزة واللمزة، سبق الكلام عنهما في مقدمة الأسلوب . وقد اختلف المفسرون، هل نزلت في حق شخص بعينه. أم نزلت عامة؟ على قولين :

القول الأول: أنها نزلت في حق شخص بعينه، ثمّ فيه ستة أقوال : (٤)

١ - أنه الأخنس بن شريق . (٥)

٢ - أنه العاص بن وائل السهمي . (٦)

٣ - أنه جميل بن عامر

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٨٥/٣٠.

(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٧٥/٢٩.

(٣) سورة الضحى، آية رقم ١.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٨٧/١٢. وابن الجوزي، زاد المسير، ٢٢٦/٩.

(٥) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٨٧/١٢. وابن الجوزي، زاد المسير، ٢٢٦/٩. والرازي، التفسير الكبير، ٩١/٣٢. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٤٣٨.

(٦) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٢٢٦/٩.

الجمحي. (١) (٢)

٤ - أنه الوليد بن المغيرة . (٣)

٥ - أنه أمية بن خلف . (٤)

٦ - أنه أبي بن خلف . (٥)

وكون اللفظ عاماً لاينافي أن يكون المراد منه شخصاً معيناً، قال بعض أهل العربية : هذا من نوع ماتذكر العرب اسم الشيء العام، وهي تقصد به الواحد، كما يقال في الكلام، إذا قال رجل لأحدٍ لا أزورك أبداً : كل من لم يزرني، فلست بزائره، وقائل ذلك يقصد جواب صاحبه القائل له : لا أزورك أبداً، وهذا هو المسمى في أصول الفقه بتخصيص العام بقريضة العرف. (٦)

القول الثاني: أنها نزلت عامة لا في شخص بعينه، بل كل من كانت هذه الصفة صفته. (٧)

والصواب من القول في ذلك، أن يقال : إن الله عمَّ بالقول كل همزة لمزة، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها، سبيله سبيله كائناً من كان من الناس .

وهو قول المحققين، لأن خصوص السبب لايقدم في عموم

(١) جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، أمه من أهل اليمن، شهد حنيناً مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فقتل زهير بن الأعز الغنلي، وكان يقال له : ذو القليلين، لعقله، وهو الذي أخبر قريشاً بإسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - انظر : الزبيرى. نسب قريش، ص ٣٩٤، ٣٩٥.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٨٧/١٢. وابن الجوزي، زاد المسير، ٢٢٦/٩. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٤٣٨.

(٣) انظر المرجع السابق، ٢٢٦/٩. والرازي، التفسير الكبير، ٩١/٣٢.

(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١٠/٢. وابن الجوزي، زاد المسير، ٢٢٦/٩. والرازي، التفسير الكبير، ٩١/٣٢. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٤٣٨.

(٥) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٢٢٦/٩. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٤٣٨.

(٦) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٨٨/١٢. والرازي، التفسير الكبير، ٩١/٣٢.

(٧) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٨٨/١٢. وابن الجوزي، زاد المسير، ٢٢٧/٩.

اللفظ ^(١) والله أعلم.

وهذه الآية كسابقتها، تثبت لنا نموذجاً من نماذج استخدام المشركين لهذا الأسلوب تجاه المصطفى - ﷺ - وهو الغرض من إيراد هذه الآية والاستشهاد بها سواء كان ذلك أمية بن خلف أو الأحنس بن شريق أو غيرهما .

٣ - عن عروة بن الزبير - ^(٢) رحمه الله - أنه سأل عبد الله بن عمرو بن العاص ^(٣) - ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول الله - ﷺ - فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله - ﷺ - ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، سفه أعلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب أهتنا، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم، أو كما قالوا : فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله - ﷺ - ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض القول . قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله - ﷺ - . قال : ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله - ﷺ - ، ثم

^(١) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٨٨/١٢. والرازي، التفسير الكبير، ٩١/٣٢.

^(٢) عروة بن حواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن عمته صفية، الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، الإمام. عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي الأسدي، المدني، النقي، أحد الفقهاء السبعة. ولد سنة ٢٣ هـ وتوفي رحمه الله سنة ٩٣ هـ وقيل ٩٤ هـ وقيل ٩٥ هـ، وهو ابن ٦٧ سنة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/٤٢١ - ٤٣٧.

^(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي، الصحابي الجليل، والحير الإمام العابد، صاحب بن صاحب، أبو محمد، أسلم قبل أبيه، يقال : كان اسمه العاص، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (عبد الله) له مناقب وفضائل، ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - علماً جمًّا، وكتب الكثير بإذن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان يصوم الدهر، ويقوم الليل، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : (صُمْ وَأُفْطِرْ، وصل ونَمْ) توفي رضي الله عنه ليالي الحرّة سنة ثلاث وستين من شهر ذي الحجة. وقد شهد مع أبيه فتوح الشام، وكان معه الراية يوم اليرموك. وكان يلوم أباه في ملابسة الفتن. انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤/٢٦١، ٢٦٨ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/٧٩ - ٩٤.

مرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ...)) .^(١)

٤ - كما جاء في السيرة النبوية - لابن هشام - وغيرها، عن ابن إسحاق :
((ومرّ رسول الله - ﷺ - فيما بلغني - بالوليد بن المغيرة، وأمّية بن خلف وأبي
جهل بن هشام، فغمزوه واستهزؤا به، فغاظه ذلك)) .^(٢)

^(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢٨٧/٢، رقم ٧٠٣٣، وقال عنه أحمد شاكر : إسناده صحيح. ٢٠٣/١١. وذكره أهيمى في مجمع الزوائد، ١٦، ١٥/٦، وقال عنه : في الصحيح طرف منه، ورواه أحمد وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وبقية رجاله رجال الصحيح. وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣١٩/١، ٣٢٠.

^(٢) انظر المرجع السابق، ٤٦/٢. وابن كثير، البداية والنهاية، ١٠٣/٣.

المسألة الثانية : تجاه المدعويين :

وقد كان للمدعويين نصيباً من هذا الأسلوب، فقد كانوا محلاً لهمز المشركين وغمزهم ولمزهم، فمن ذلك : قوله تعالى : ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾^(١).

يقول تعالى ذكره : وكان هؤلاء الذين أجرموا - وهم صناديد قريش - إذا مرّ الذين آمنوا من صحابة رسول الله - ﷺ - بهم يتغامزون . أي : يتفاعلون من الغمز، وهو الإشارة بالجفن والحاجب، والمعنى : أنهم يشيرون إليهم بالأعين استهزاءً ويعيبونهم ويقولون : انظروا إلى هؤلاء يتعبون أنفسهم ويحرمونها لذاتها ويخاطرون بأنفسهم في طلب ثوابٍ لا يتيقنونه.^(٢)

(١) سورة المطففين، الآيتان رقم ٢٩، ٣٠.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٠١/١٢. والرازي، التفسير الكبير، ١٠١/٣١.

المقصد الثالث : أسلوب التوبيخ :

التعريف اللغوي : وبَّخه : لامه وعذله، وأبَّخه لغة فيه .

والتوبيخ : التأنيب واللوم، يقال : وبَّخت فلاناً بسوء فعله توبيخاً^(١).

التهديد :

لقد كان من ضمن أساليب التخذيل، والتي استخدمها المشركون للصدِّ عن الدعوة الإسلامية، أسلوب التوبيخ .

فقد كانوا يستخدمون هذا السلاح التوبيخي عن طريق إلهاب العاطفة وتحريك الضمير، وذلك بنبذ هذا الطريق الجديد، لأنه مخالف لما عليه الآباء والأجداد، ومخالف للعادات والتقاليد المتبعة فهم يفعلون ذلك ليُخذلوا من اعتنق هذا الدين الجديد، أو من يهْمُ بذلك.

وقد استخدموا هذا الأسلوب تجاه مايلي :

المسألة الأولى : تجاه الرسول - ﷺ - .

المسألة الثانية : تجاه الدعيين .

^(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٣/٦٥، ٦٦.

المسألة الأولى : تجاه الرسول - ﷺ - :

فمن ذلك :

١ - مرواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما نزلت : ﴿وأنذر عشيرتَك الأقرَبِينَ﴾^(١) ، صعد النبي - ﷺ - على الصفا، فجعل ينادي : (يا بني فهر، يا بني عدي) لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل، إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش . فقال : (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصدقين). قالوا : نعم، ماجرئنا عليك إلا صدقاً، قال : (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد). فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتمنا، فنزلت : ﴿تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾^{(٢) (٣)}.

٢ - وفي رواية أبي هريرة، قال : قام رسول الله ﷺ - حين أنزل الله : ﴿وأنذر عشيرتَك الأقرَبِينَ﴾ . قال : (يامعشر قريش، أو كلمة نحوها، اشترؤا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، وياصفية عمه رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويافاطمة بنت محمد - ﷺ - سليني ماشئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً).^(٤)

(١) سورة الشعراء، آية رقم ٢١٤.

(٢) سورة المسد، الأيتان رقم ٢٤١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب : ((وأنذر عشيرتَك الأقرَبِينَ))، ١٧٨٧/٤، رقم ٤٤٩٢. ومسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله : ((وأنذر عشيرتَك الأقرَبِينَ))، ١٩٤/١ رقم ٣٥٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب : ((وأنذر عشيرتَك الأقرَبِينَ ..))، ١٧٨٧/٤، ١٧٨٨، رقم ٤٤٩٣. ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان، باب قوله : ((وأنذر عشيرتَك الأقرَبِينَ))، ١٩٢/١، رقم ٣٤٨.

٣- اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، أخو بني عبد الدار، وأبو البخترى بن هشام، والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان، وأمّية بن خلف، أو من اجتمع منهم، اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه : إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فأتهم، فجاءهم رسول الله - ﷺ - سريعاً، وهو يظنّ أن قد بداهم فيما كلّمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصاً يحبّ رشدهم، ويعزّز عليه عنّتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا له : يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلّمك، وإنا والله مانعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفّهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلاّ قد جنته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له. ^(١)

إن المتمعن في هذه النصوص ليستشفّ التوبيخ اللاذع، والعتاب القارع الصارخ، تجاه مايقوم به - ﷺ - من دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وذلك ليخذلوه عن أمره، ويثتوه عن عزيّمته وهمته، وبالتالي يصدوا عن سبيل الله القويم، وطريقه المستقيم، كل ذلك لأجل مصالحهم المادية الفانية .

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٢٤ والطبري، جامع البيان، ١٤٩/٨، ١٥٠. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٢٣٥.

المسألة الثانية : تجاه المدعوين :

فمن ذلك :

١- قدم على رسول الله - ﷺ -، وهو بمكة، عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أندية حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله - ﷺ - عما أرادوا دعاهم رسول الله - ﷺ - إلى الله عزوجل وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ماكان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم : خيِّبكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده، حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، مانعلم ركباً أحق منكم، أو كما قالوا .^(١)

٢ - ((لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله - ﷺ - فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة. فقال: (أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله) . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله - ﷺ - يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ماكلمهم : على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول: لا إله إلا الله ...))^(٢)

^(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٢/٢.

^(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب : (إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)، ١٧٨٨/٤، ١٧٨٩ رقم ٤٤٩٤.

وفي كتاب فضائل الصحابة، باب : قصة أبي طالب، ١٤٠٩/٣، رقم ٣٦٧١.

٣ - ((أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمرو ابن وهب الثقفي، حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله - ﷺ، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لاتعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لانبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا))^(١).

٤ - كان أبو جهل الفاسق، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة، أنبّه وأخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهنّ حلمك، ولنفيّلن^(٢) رأيك، ولنضعنّ شرفك^(٣).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٢/١.

(٢) لنفيّلن : لنقبحنّ.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٧/١.

المقصد الرابع : أسلوب التينيسي :

التعريف اللغوي : اليأس : القنوط، وقيل انتفاء الطمع، يقال: يئس واستئياس.

وقيل اليأس : نقيض الرجاء وضده.^(١)

فمن خلال هذا التعريف اللغوي يتضح أن التينيس هو التقنيط، ونفي طمع الطامع بالأمر الذي يطمع فيه وقطع رجائه منه.

فالقرشيون يقصدون من هذا الأسلوب تقنيط رسول الله - ﷺ - من إيمانهم ونفي طمعه به وقطع رجائه منه .

التمهيد:

إن هذا الأسلوب كغيره من أساليب التخذيل، والذي أرادوا به تخذيل صاحب الدعوة عن دعوته، وذلك بتبئيسه من إيمانهم وتصديقهم، فبذلك تموت الهمة وتضعف العزيمة .

وقد تطرّق القرآن الكريم لموقفهم ذلك، عن طريق بيان حالهم، وأنهم لن يؤمنوا مهما جاءتهم الآيات والمحسوسات، وحققت لهم الطلبات والرغبات، والتي طلبوها وجعلوها شرطاً لإيمانهم وتصديقهم . فمن الآيات في ذلك :

١- قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا .. ﴾.^(٢)

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ - ﴾.^(٣)

٣ - وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ

(١) انظر : الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٩٢ . وابن منظور، لسان العرب، ٢٥٩/٦، ٢٦٠.

(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٢٥.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ١١١.

جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴿١﴾ .

فيقول تعالى ذكره لنبيه محمد - ﷺ - يا محمد آيس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، القائلين لك : ﴿ لئن جئنا بأية لنؤمنن لك ﴾، فإننا لو نزلنا إليهم الملائكة حتى يروها عياناً، وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم حجةً لك، ودلالة على نبوتك، وأخبروهم أنك محقٌ فيما تقول، وأن ماجتتهم به حق من عند الله، وحشرنا عليهم كل شيء فجعلناهم لك قبلاً، وأتيناهم المواعظ والعبر، ما آمنوا ولا صدقوك ولا اتبعوك إلا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم. (١)

٤ - وقوله تعالى: ﴿أفلم يأتس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس

جميعاً﴾. (٢)، حيث ورد في معنى قوله : ﴿ أفلم يأتس ﴾ معانٍ عدةٍ منها :

أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء المشركين الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون، لأنه لو شاء لهدى الناس جميعاً. (٣)
والآيات في بيان ذلك الموقف، وتوضيح تلك الحالة عديدة وكثيرة وما ذكر فيه الإكتفاء، إن شاء الله تعالى.

كما أنه صدر منهم ما يفيد استخدامهم لهذا الأسلوب، أسلوب التينيس وقد كان تجاه الآتي :

المسألة الأولى : تجاه الرسول - ﷺ - .

المسألة الثانية : تجاه المدعوين .

وسأتحدث - إن شاء الله تعالى - عن كل قسم بنماذجه

(١) سورة يونس، الأيتان رقم ٩٦ - ٩٧ .

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٥/٣١١ و ٦/٦١١ .

(٣) سورة الرعد، جزء من الآية رقم ٣١ .

(٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٤/٣٣٢ .

المسألة الأولى : تجاه الرسول - ﷺ . :

وقد قاموا بذلك كي يثتوا من عزيمته - ﷺ - في التبليغ فكأنهم يقولون: مهما دعوت، ومهما فعلت فلن نؤمن بك ولن نصدقك، ومن ذلك:

١ - حينما طلب المشركون، من الرسول - ﷺ - ما طلبوا من الخوارق، قالوا له: إنه قد بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن^(١)، وأنا والله لانؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد.^(٢)

٢ - وفي نفس القصة السابقة، وحينما قام الرسول - ﷺ - عن المشركين، قام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته، فهو لعانكة بنت عبد المطلب - فقال له: يا محمد. عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم، ومنزلتك من الله، فلم تفعل، ثم سألوك أن تُعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب، فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً، ثم ترقى فيه وأنا انظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله، لو فعلت ذلك ماظننت أنني أصدقك.^(٣)

(١) هو مسيلمة بن غنمة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة : متني من المعمرين. ولد ونشأ باليمامة في نجد، وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعرف برحمان اليمامة، وأدعى النبوة وأكثر من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن، وتوفي النبي - صلى الله عليه وسلم -، قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الأمر لأبي بكر، انتدب له خالد بن الوليد على رأس جيش قسوي فحصلت معركة شديدة انتهت بمقتل مسيلمة سنة ١٢هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ٧/٢٢٦.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٢٦.

(٣) انظر المرجع السابق، ١/٣٢٦. والسيوطي، أسباب النزول، ص ٢٣٦.

٣ - عن المغيرة بن شعبة^(١) - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: إن أول يوم عرفت رسول الله - ﷺ -
أنني أمشي أنا وأبو جهل، إذ لقينا رسول الله ﷺ - فقال لأبي جهل: يا أبا الحكم
هلم إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله . فقال أبو جهل : يا محمد هل أنت
منتهٍ عن سبِّ آلهتنا، هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أنني أعلم أن
ماتقول حق ما اتبعتك.^(٢)

^(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، صحابي جليل كان ضخم القامة، عَظُمَ الذراعين، بعيد ما بين المنكبين، أصهب الشعر جعده، وكان لا يفرقه. أسلم قبل عمرة الحديبية، وشهد بيعة الرضوان، وله فيها ذكر، وحدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم، روى عنه أولاده. ولاء عمر رضي الله عنه البصرة ففتح ميسان وهمذان، وعدة بلاد إلى أن عزله. وكان أول من وضع ديوان البصرة. مات وهو والٍ على الكوفة لمعاوية سنة ٥٠ هـ وكان عمره ٧٠ عاماً. انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤/٢٨٤ - ٢٨٦. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٩/٢٦٩ - ٢٧١ رقم ٨١٧٤.

^(٢) انظر الذهبي، تاريخ الإسلام ((السيرة النبوية))، ص ١٦١.

المسألة الثانية : تجاه المدعويين :

كما أن هذا الأسلوب، وهو التبييس، قام به المشركون تجاه المدعويين، وذلك لقطع أي رجاء، وأي أمل في انتمائهم لهذا الدين الجديد. فمما جاء في ذلك:

١ - ما قاله أبو جهل للأخنس بن شريق في قصة استماعهم لقراءة النبي - ﷺ -
فحينما أصبح الأخنس من اليوم الثالث لاستماعهم لقراءة النبي - ﷺ - جاء إلى أبي جهل، فدخل عليه بيته، فقال: ياأبا الحكم، مارأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تتازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه، والله لانؤمن به أبداً ولانصدّقه، فقام عنه الأخنس وتركه. (١)

٢ - عن المغيرة بن شعبة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: إن أول يومٍ عرفت رسول الله - ﷺ - أني أمشي أنا وأبو جهل، إذ لقينا رسول الله ﷺ - فقال لأبي جهل: ياأبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله. فقال أبو جهل: يامحمد هل أنت منتهٍ عن سبّ آلهتنا، هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أني أعلم أن ماتقول حقّ ماتبعنك، فانصرف رسول الله - ﷺ -، وأقبل عليّ فقال: والله إنني لأعلم أنّ مايقول حقّ، ولكن بنو قصي: قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم، قالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللّواء، فقلنا: نعم، وقالوا: فينا السّقاية، فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منّا نبيٌّ، والله لأفعل. (٢)

تلك هي أساليب التخذيل بأنواعها، والتي قام بها المشركون تجاه الدعوة الإسلامية

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٢/١، ٣٤٣. وابن كثير، البداية والنهاية، ٦٢/٣.

(٢) انظر الذهبي، تاريخ الإسلام ((السيرة النبوية))، ص ١٦١.

بغرض الصدّ. ولكن مع تلك المواجهة القوية، وذلك التنويع في الأساليب، إلاّ أنهم خابوا وخسروا، وكانوا كما قال القائل:

كنا طح صخرة يوماً ليوهنا فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وكما قال القائل:

صادف درّ السيل درّ يدفعه يهيضه حيناً وحيناً يرفعه

إنّ المشركين يضربون عزيمة شديدة، وهمّة صلبة بمطارق من خشب، وكيف لها أن تلين ؟

فلقد صادفت أساليبهم تلك سيلاً متدفقاً لا تقف في وجهه الحشائش وأوراق الشجر. إنهم يلوحون لمن ارتوى بروح الإيمان ونوره بسراب قد اتضح كذبه وظهر جوره وبهته . هذا ماكان من حاله - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - مع أولئك المشركين الذين ينفخون في قرية مخرومة، ويدورون في حلقة مفرغة.

المبحث الثاني

الأساليب العملية

وفيه تمهيد، ومطلبان:

المطلب الأول : أساليب المشاركين العملية العامة.

المطلب الثاني : أساليب المشاركين العملية الخاصة.

المبحث الثاني : الأساليب العملية :

تمهيد :

لم يقتصر المشركون في مواجهتهم للرسول - ﷺ - وما جاء به، وفي مواجهة أتباعه بالأساليب القولية فحسب، بل أضافوا إلى ذلك الأساليب العملية . فقد سجلت لنا نصوص القرآن والسنة، مافعله أولئك المشركون بالرسول - ﷺ - وأتباعه من صنوف الأذى والعذاب والفتنة .

أما ما كان تجاهه - ﷺ - :

فرغم ما يتمتع به - ﷺ - من أخلاق عالية، وصفات رفيعة عاش بها بين ظهرانيهم سنين طويلة، وأزمة مديدة، ورغم ما يجده من حماية عمه أبي طالب الذي حذب عليه، وقام دونه وحنا عليه، وأحسن إليه، وحامى عنه، وخالف قومه في ذلك - مع أنه كان على دينهم وعلى ملتهم ولكن الله تعالى وضع حُبّه في قلبه حباً طبيعياً لا شرعياً^(١) .

رغم ذلك كله، إلا أنه - ﷺ - لم يسلم من أذاهم ومن فتنهم، بل ناله ما ناله من ذلك، واشتد أمرهم الشقاء الذي أصابهم في عداوته - ﷺ - حيث أغروا به السفهاء، فكذبوه وآذوه أشد الإيذاء، حتى بلغوا بذلك الذروة.^(٢)

لقد كان إيذاؤهم له - ﷺ - أشدّ إيذاء من أصحابه - رضي الله عنهم، جاء في الحديث الذي رواه الإمامان الترمذي، وابن ماجه^(٣) - رحمهما الله، عن سعد

(١) انظر ابن كثير، السيرة النبوية، ٢٢٦/١ .

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣١٩/١ .

(٣) محمد بن يزيد الربيعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجه : أحد الأئمة في علم الحديث. من أهل قزوين. رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري، في طلب الحديث. وصنف كتابه : ((سنن ابن ماجه))، وهو مجلدان، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة. وله : ((تفسير القرآن)) وكتاب في : ((تاريخ قزوين)) . ولادته سنة ٢٠٩هـ ووفاته سنة ٢٧٣هـ. انظر : الزركلي، الأعلام، ١٤٤/٧ .

ابن أبي وقاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قلت : يا رسول الله، أي الناس أشدُّ بلاءً ؟ قال :
الأنبياء ثم الأمتل فالأمتل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً
اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقةً ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد
حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة))^(١).

فالحديث صريح في أن النبي، يلقي ما لايلقى غيره من البلاء . كما أنه صريح
في أن البلاء درجات، وتلك الدرجات مقياسها درجة الإيمان لدى الشخص
المبتلى، فكلما زاد الإيمان زاد الابتلاء، والرسول - ﷺ - هو أعلى الناس
إيماناً.^(٢)

أما ما كان تجاه أتباعه :

فلما أسلم من أسلم لم يرق ذلك لقريش، ولم يكن ليرضيها أتباع محمد - ﷺ -
حيث قامت بمهمة الصّدِّ بكل وسيلةٍ تستطيعها، وكلّ أسلوبٍ تملكه، حتى جرّعت
أولئك المؤمنين ألواناً من الأذى، وأصنافاً من العذاب، حتى بلغ بهم الجهد مبلغه.
وقد جاءت النصوص الكثيرة، والتي تبيّن لنا حالتهم من الفتنة والأذى آنذاك،

فمن ذلك :

١- عن خباب بن الأرت - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : أتيت النبي - ﷺ - وهو متوسّدٌ بردةً وهو
في ظلّ الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدةً، فقلت : يا رسول الله، ألا تدعو الله،
فقعده وهو محمراً وجهه، فقال : (لقد كان من قبلكم ليمشط عشاط الحديد، مادون
عظامه من لحمٍ أو عصبٍ، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه،

^(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، في كتاب الزهد، باب : ماجاء في الصر على البلاء، ٤/٥٢٠، رقم ٢٣٩٨ وقال عنه : هذا حديثٌ
حسنٌ صحيح. وذكره الألباني، في صحيح سنن الترمذي، ٢/٢٨٦، برقم ١٩٥٦ ط:١، مكتب التزوية العربي لدون الخليج الرياض،
والمكتب الإسلامي، بيروت، وقال : حسن صحيح. وابن ماجه في سننه، في أبواب الفتن، باب : الصر على البلاء، ٢/٣٨٦، رقم
٤٠٧٢. وذكره الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/٣٧١، برقم ٣٢٤٩.

^(٢) قد يعترض معترض فيقول : قد وردت روايات عديدة تبيّن أن بعض الصحابة أودى بأكثر مما أودى به - صلى الله عليه وسلم،
فيحاج عن ذلك : (بأن جميع ما أودى به أصحابه كان يتأذى هو به لكونه بسببه. انظر ابن حجر، الفتح، ٧/٢١١).

فيشقُّ باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسر الراكب من صنعا، إلى حضرموت ما يخاف إلا الله).

وفي زيادة: (والذئب على غنمه).^(١)

٢ - ما قالته عائشة - رضي الله عنها - وقد سئلت عن الهجرة: ((لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله - ﷺ - مخافة أن يفتن عليه)).^(٢)

٣ - قول ابن عمر - رضي الله عنهما - في مناقشة بينه وبين رجل، حينما طلب منه الاشتراك في فتنة ابن الزبير^(٣) - رضي الله عنهما - مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿ .. وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة - ﴾^(٤)، وهو:

((فعلنا على عهد رسول الله - ﷺ - وكان الإسلام قليلاً، فكان الرجل يفتن في دينه إمّا قتلوه وإمّا يعذبونه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة)).^(٥)

^(١) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ١٣٢٢/٣، رقم ٣٤١٦. وكتاب فضائل الصحابة، باب مالقي النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من المشركين بمكة، ١٣٩٨/٣، رقم ٣٦٣٩. وكتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل وأهوان على الكفر، ٢٥٤٦/٦، رقم ٦٥٤٤.

^(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ - وأصحابه إلى المدينة، ١٤١٦/٣، رقم ٣٦٨٧.

^(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، صحابي جليل القدر، أبو الزبير أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق. كان أول مولود ولد في الإسلام، ولد عام الهجرة، وحفظ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو صغير، وحدث عنه جملة من الحديث. وهو أحد العبادة!! وأحد الشجعان من الصحابة!! وأحد من ولي الخلافة منهم. وبويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ، عقب موت يزيد بن معاوية، ولم يتخلف عنه إلا بعض أهل الشام، وكان يكنى أبا بكر بكنية جده أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما، وكان عمره حين بايع النبي - صلى الله عليه وسلم - ٨ سنوات، وكان أول شيء دخل جوفه بعد ولادته ريق النبي - صلى الله عليه وسلم - قتلته الحجاج بن يوسف الثقفي، وصلبه في أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ هـ، وعمره ٧٣ سنة - رضي الله عنه وأرضاه. انظر: ابن حجر الإصابة، ٨٣/٦ - ٨٨، رقم ٤٦٧٣. وابن الأثير، أسد الغابة، ١٦١/٣ - ١٦٤.

^(٤) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٩٣، والأنفال جزء من الآية رقم ٣٩.

^(٥) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب التفسير، باب: ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين))، ١٦٤/٤ - ١٦٥/٤، رقم ٤٢٤٣. وباب: ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله))، ١٧٠٦/٤، رقم ٤٣٧٣.

٤- عن سعيد بن جبير^(١) - رحمه الله - قال : قلت لأبي عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله - ﷺ - من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله، إن كانوا ليضربون أدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرّ الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم، حتى إنّ الجعل ليمرّ بهم، فيقولون له : أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم، افتدأء منهم مما يبلغون من جهده.^(٢)

٥ - عن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : كان أوّل من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله - ﷺ، وأبو بكر، وعمّار، وأمه سمية^(٣)، وصهيب، وبلال، والمقداد.^(٤) فأما رسول الله - ﷺ - فمنعه الله بعمه أبي طالب . وأما أبو بكر، فمنعه بقومه . وأما سائرهم، فأخذهم المشركون وألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس . فما منهم من أحدٍ إلاّ وقد وآتاهم على ما أرادوا، إلاّ بلالاً

(١) سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ، المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال : أبو عبد الله الأسدي الواسطي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام. قتله الحجاج بن يوسف الثقفي أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ٥ هـ. انظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٢١/٤ - ٣٤٣.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٧/١. والذهبي، السيرة النبوية، ص ٢١٩.

(٣) سمية بنت خياط، مولاة أبي حذيفة بن المعيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والدة عمار بن ياسر كانت سابعة سبعة في الإسلام، عذبتها أبو جهل وطعنها في قلبها فماتت، فكانت أول شهيدة في الإسلام، وكان ياسر حليفاً لأبي حذيفة، فزوجه سمية فولدت له عمارة فأعتقه، وكان ياسر وزوجه وولده ممن سبق إلى الإسلام. انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٦٤/٨، ٢٦٥ وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٣١٦/١٢.

(٤) المقداد بن عمرو بن تلبية الكندي، أبو عمرو الحضرمي. وكان حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية فتناه، فكان يقال له المقداد بن الأسود، فلما نزل القرآن ادعوههم لأبائهم، قيل المقداد بن عمرو. كان أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله، وأحد الأربعة الذين أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يجهم، كما جاء في الحديث. شهد بدرًا و غيرها، وسكن المدينة حيث توفي على مقربة منها، فحمل إليها ودفن بها، وصلى عليه عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - وكان يوم مات ابن سبعين سنة أو نحوها وقد هاجر مهاجرتين، وفاته سنة ٢٣ هـ. انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٦٢/٣. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٨٥/١.

فإنه قد هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه . فأخذوه، فأعطوه
الولدان. فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أَحَدًا، أَحَدًا .^(١)
هذه مقتطفات سريعة تصور لنا تلك الحالة السيئة التي مرَّ بها أتباعه - ﷺ -
حيث العذاب الأليم، والأذى الشديد، وهي سنة الله في عباده المؤمنين، فليس
الهدف هو تعذيبهم، وإهانتهم بل هو التمحيص، لتمييز الصادق من المنافق،
وتمييز الخبيث من الطيب، وتمييز الصابر من غيره، يقول تعالى: ﴿إِنْ
يَمْسُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلْمَا بَيْنَ النَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ . وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
وَلِيَمْحَصَ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْرٌ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ
وَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ﴾^(٢)،
ويقول: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ لِيَذِرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَتَمَّ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ
الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُطَّلِعَ عَلَيْكَ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رِسَالِهِ
مَنْ يَشَاءُ .﴾^(٣) ويقول: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ... ﴾^(٤) ويقول: ﴿الرَّ
أَحْسَبُ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٥) ويقول :

^(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، في أبواب مقدمة الكتاب، باب فضل سلمان وأبي ذرٍ والمقداد - رضي الله عنهم، ٢٩/١. رقم ١٣٧
وذكره الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٣٠/١، رقم ١٢٢ في باب فضائل أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقال :
حسن . والحاكم في المستدرک، ٢٨٤/٣. وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. والذهبي في السيرة النبوية، ص ٢١٨،
وقال : صحيح.

^(٢) سورة آل عمران، الآيات من ١٤٠ - ١٤٢.

^(٣) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ١٧٩.

^(٤) سورة الأنفال، جزء من الآية رقم ٣٧.

^(٥) سورة العنكبوت، الآيات من ١-٣.

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصرٌ من ربك ليقولن إنا كنا محكمين. أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾. (١)

إن النبي - ﷺ - وأتباعه - رضوان الله عليهم - صبروا في ذات الله وصابروا حتى ضربوا في ذلك أروع الأمثلة . لقد أناخ الصبر في رحالهم، وألقى إليهم بجرانه، واستقرَّ بأركانه، وتشعبوا بظلاله، فهم كما يقول القائل :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فقال الصبور يا صبر صبرا

إنَّ هذا الابتلاء، وهذه الفتنة، سنةٌ ماضية، وأمرٌ محتوم، فالمعادن لأبدٍ لها أن تختبر، وتصهر بالنار لتتضح جودتها من خساستها . وهذه السنة، وذلك الأمر، إنما هو لحكمة إلهية يريد بها - جلَّ وعلا - فالدعوة لأبدٍ وأن تقوم على أساس قوي متين، وقاعدة صلبة، لاتزعزعها أيُّ قوةٍ ولاتسفيها أيُّ عاصفة . فبذلك كله خرج ذلك المجتمع، مجتمع النبي - ﷺ - وأصحابه - رضوان الله عليهم -، والذي قام بالدعوة خير قيام، وأدَّى مهمتها على أكمل وجه، فكان بحقٍ وحقيقةً معدناً نفيساً لا يجاريه أي معدن .

وسيكون الكلام عن ذلك - إن شاء الله - (٢) مفصلاً حسب الآتي :

المطلب الأول : أساليب المشركين العملية العامة .

المطلب الثاني : أساليب المشركين العملية الخاصة .

(١) سورة العنكبوت، الآيتان رقم ١٠، ١١ .

(٢) أي الأساليب العملية في الصد عن الدعوة .

المطلب الأول

أساليب المثركين العمليية العامة

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: أسلوب المقاطعة العامة.

المقصد الثاني : أسلوب المنع من الهجرة.

المقصد الثالث : أسلوب الملاحقة خارج مكة.

المطلب الأول : أساليب المشاركين العملية العامة :
والمقصود بذلك، ماكان أسلوباً عاماً موجهاً لغير واحد . ويتكون هذا المطلب مما يلي :

المقصد الأول : أسلوب المقاطعة العامة .

المقصد الثاني : أسلوب المنع من الهجرة .

المقصد الثالث : أسلوب الملاحقة خارج مكة .

المقصد الأول : أسلوب المقاطعة العامة .

لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله - ﷺ - قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، وجعل الإسلام يفسو في القبائل، اجتمعوا وانتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواتقوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم .

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه في شعبة واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب، إلى قريش موافقاً ومؤيداً لهم على هذه المقاطعة الظالمة .

وكان من شدة عداوتهم للمسلمين أن أحكموا ذلك الحصار إحكاماً شديداً فقد لقي أبو جهل بن هشام أحد القرشيين ومعه غلام له يحمل قمحاً يريد به أهل الشعب، فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة . فجاءه أبو البخترى بن هاشم بن الحارث بن أسد، فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال أبو البخترى : خلّ سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبة، فأخذ أبو البخترى لحيّ بعيرٍ فضربه به فشجّه، ووطنه وطاً شديداً .^(١)

وقد أقاموا على حالتهم تلك وفي ذلك الشعب ثلاث سنين، حيث قطعت عنهم الميرة والمادة حتى جهدوا فلا يصل إليهم شيء، إلا سراً مُستخفياً به من أراد صلتهم من قريش، وحتى بلغ بهم الجهد مبلغه وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب، والقرشيون منهم من سرّه ذلك ومنهم من

(١) انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٨٥ . وابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/٢٠٨ - ٢٠٩ . والنهي، السيرة النبوية، ص ٢٢، ٢٢٣ .

لقد بلغ من جهدهم أن أكلوا الخبط وورق السمر حتى إنَّ أحدهم ليضع كما تضع الشاة، وكان فيهم سعد بن أبي وقاص روى أنه قال لقد جعت حتى إنني وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعتة في فمي وبلعته وما أدري ما هو إلى الآن. وفي رواية قال : خرجت ذات ليلة لابلول فسمعت قعقة تحت البول فإذا قطع من جلد بعير يابسة فأخذتها وغسلتها ثم أحرقتها ثم رضضتها وسففتها بالماء فقويت بها ثلاثاً.

وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام لعيلة فيقوم أبو لهب فيقول : يامعشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يديه شيء يطعمهم به، ويغدوا التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرياً. (٢)

هذا ما كان من مشركي قريش من مقاطعة عامة تجاه المؤمنين ومن وقف معهم، وذلك من أجل الصدّ عن دين الله - تعالى - ولو كان ذلك على حساب العادات والقيم التي يعتدّون ويضربون لها ألف حساب، فالأمر مستلزم لذلك، والوضع في غاية الخطورة .

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٨/٢. وابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٠٩/١.

(٢) انظر السهيلي، الروض الأنف، ٢٣٢/١.

المقصد الثاني : أسلوب المنع من الهجرة .

مما لا شك فيه أنّ المشركين كانوا يتخوفون من هذا الدين العظيم، ومن معتقيه الخوف الشديد على مصالحهم ومنافعهم، وهذا الخوف والمسلمون قلة، وبين أظهرهم يراقبونهم ويرصدون تحركاتهم وسكناتهم.

لكن مبالك وإن كانوا في بلدٍ آخر وقد كثروا وكونوا قوّة بعيدة عن أنظارهم وإشرافهم لا شك أن الخوف سيتضاعف . يؤيد ذلك ما قاله إبليس حينما اجتمع مع أشرف قريش في دار الندوة في صورة شيخ من نجد رداً على أحد الاقتراحات التي تقضي: بإخراج الرسول - ﷺ - من مكة، حيث قال : يوشك أن يجمع عليكم ثم يسير إليكم .^(١)

لذا حرصوا كلّ الحرص أن لا يسمحوا لكل من اعتنق هذا الدين - سواء من كان تحت عذابهم أو لم يكن كذلك - بأن يذهب خارج مكة عن طريق الهجرة أو غيرها، حيث لا بُدّ من وأد هذا الأمر في مهده فهم يخشون من تكون تلك القوة التي تعاديهم وتقطع مصالحهم خارج بلادهم كقطع طريق تجارتهم ونحو ذلك .

ومن نماذج أسلوبهم ذلك، ما يلي :

١ - لما بويع رسول الله - ﷺ - ليلة العقبة، وأصحابه أن يلحقوا بالمدينة، أشفقت قريش أن يعلو أمره، وقالوا: والله لكانكم به قد كرّ عليكم بالرجال، فاجتمع جماعة من أشرفهم ليدخلوا في دار الندوة فيتشاوروا في أمره، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير، فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا شيخ من أهل نجد، سمعت ما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم ولن تعدموا من رأيي نصحاً، فقالوا: ادخل، فدخل معهم . ثم تشاوروا في أمره، واجتمعوا على رأي يقضي بقتله وعدم تمكينه من الخروج خارج مكة لئلا يستفحل أمره.^(٢)

^(١) انظر : ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/٣٤٦، ٣٤٧.

^(٢) انظر المرجع السابق، ٣/٣٤٦، ٣٤٧.

٢ - عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيرة ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة^(١) بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبك هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت فتجاذبوا بُني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي، حتى أمسي : سنة أو قريباً منها حتى مرَّ بي رجل من بني عمي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحماني فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها قالت : فقالوا لي، الحقي بزوجك إن شئت . قالت : وردَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني . قالت : فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعتة في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة .^(٢)

٣ - وعن عبد الله بن عمر، عن أبيه - رضي الله عنهما، قال : أتعدتُّ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعيَّاش^(٣) بن أبي ربيعة، وهشام بن

(١) سلمة بن أبي سلمة بن عبد الأسد، صحابي جليل القدر، كبير الشأن، ربيب النبي - صلى الله عليه وسلم، وأمه ((أم سلمة)) أم المؤمنين - رضي الله عنهما - . طال عمره، فعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان، وهو أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة وكان سلمة قد هاجر مع أمه (أم سلمة) وأبيه (أبي سلمة) إلى المدينة، وهو صغير وبه كانا يكتيان. انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٦٠/٨ و ٨/٣. وابن حجر، الإصابة، ٢٣١/٤ رقم ٣٣٧٦.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١١٠/٢.

(٣) عيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، صحابي جليل، كان من السابقين الأولين هاجر الهجرتين، وهو ابن عم خالد بن الوليد. كان إسلامه قديماً، قبل أن يدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم. وكان رسول الله - ﷺ - يدعو له في القنوت حينما

العاصي^(١) بن وائل السهمي التناضب من أضاة بني غفار، فوق سرف وقلنا :
أينالم يصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه. قال : فأصبحت أنا وعياش بن أبي
ربيعة عند التناضب، وحبس عنا هشام، وفتن فافتتن.^(٢)
هذا ماكان منهم تجاه أولئك المؤمنين ليمنعوهم من الهجرة، كي يصدوا عن دين
الله - تعالى - ويطفئوا نور الله بأيديهم بكل ما يستطيعون ويملكون .

خدعة المشركون وردوه عن الفجرة فأوثقوه وحبسوه بمكة. مات شهيداً في اليرموك بزييت وأرضاه. نظر : ابن سعد، الطبقات
الكبرى، ١٢٩/٤. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٨٤/٧ - ١٨٥، رقم ٦١١٧.

^(١) هشام بن العاص بن وائل السهمي، صحابي جليل، كان يكنى أبا العاص، فكناه النبي - ﷺ - أبا مطيع. كان - رَجِيًّا لِلنَّبِيِّ - قديم
الإسلام، وهاجر إلى الحبشة. استشهد في أحنادين رحمه الله. وهو أخو عمرو بن العاص - رضي الله عنهما. انظر : ابن سعد،
الطبقات الكبرى، ١٩١/٤. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٠/٢٤٦ - ٢٤٨، رقم ٨٩٦٦.

^(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١١٥/٢

المقصد الثالث : أسلوب الملاحقة خارج مكة :

لم يكتف أولئك المشركون بأسلوب المنع من الهجرة فحسب بل زاد عتوهم وصددهم عن دين الله - تعالى - حيث سخروا إمكانياتهم وقواهم لمطاردة من انسل من بين أيديهم ودون علمهم كي يردوه إلى بلادهم ومن ثم يفتتوه عن دينه . ومن نماذج ذلك مايلي :

١ - روى البخاري في صحيحه بسند أوصله إلى سراقه بن جعشم بقوله: ((جاءنا رسل كفار قريش، يجعلون في رسول الله - ﷺ - وأبي بكر، دية كل واحد منهما، لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال ياسراقة : إني قد رأيت أنفاً أسودة^(١) بالساحل، أراها محمداً وأصحابه، قال سراقه : فعرفت أنهم هم، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً، انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت، فأمرت جاريتي أن تخرج بفرس وهي من وراء أكمة^(٢)، فتحبسها على، وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر^(٣) البيت، فحطت بزجه^(٤) الأرض، وخفضت عالية، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها^(٥) تقرب بي^(٦)، حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام^(٧)

(١) أسودة : أشخاصاً.

(٢) أكمة : رابية مرتفعة عن الأرض.

(٣) من ظهر : من خلف.

(٤) فحطت بزجه : نكست أسفله، والزج : الحديدية التي تكون في أسفل الرمح.

(٥) فرفعتها : أسرع بها السير.

(٦) تقرب بي : من التقريب، وهو نوع من السير، دون العدو وفوق العادة، وقيل : هو أن ترفع يديها معاً وتضعهما معاً.

(٧) الأزلام : سهام لاريشها ولائصل، مكتوب عليها : لا، نعم، فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمراً، ضربوا بها، فإن خرج (لا) تركوا، وإن خرج (نعم) فعلوا.

فاستقسمت^(١) بها: أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره^(٢)، فركبت فرسي، وعصيت الأزلام، تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله - ﷺ - وهو لا يلتفت، وأبوبكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغت الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة، إذ لأثر يديها عثان^(٣) ساطع^(٤) في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله - ﷺ - . فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يزراني^(٥) ولم يسألاني، إلا أن قال: (أخف عنا). فسألته أن يكتب لي كتاب أمن. فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله - ﷺ - .^(٦)

٢ - ((وعن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله - ﷺ - قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النجاشي، أمناً على ديننا، وعبدا لله تعالى، لانوذي ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً، انتمروا بينهم أن يبعثوا للنجاشي فينا رجلين منهم جليدين. وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(٧)، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقه بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي

(١) فاستقسمت بها: من الاستقسام، وهو طلب معرفة ما قسم.

(٢) الذي أكره: أي لا تضرهم ولا تقدر عليهم.

(٣) عثان: الدخان من غير نار.

(٤) ساطع: منتشر.

(٥) لم يزراني: لم يأخذ مني شيئاً، ولم ينقص من مالي.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي ﷺ - وأصحابه إلى المدينة، ٣/١٤٢٠، ١٤٢١ رقم ٣٦٩٣.

(٧) الأدم: الجلود.

ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم، ثم قدّمنا إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، وقالوا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى^(١) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لانعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا^(٢) وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له : أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لانعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ...)).^(٣)

٣- وعن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : لما نزلنا المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة، خرج أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام^(٤) إلى عياش بن أبي

(١) ضوى : جأ.

(٢) أي أضر بهم من غيرهم.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٦٠، ٣٦١.

(٤) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، صحابي جليل، أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه. كان شريفاً مذكوراً، وهو أخو أبي جهل لأبويه، وابن عم خالد بن الوليد. أعطاه رسول الله - ﷺ - كما أعطى المؤلفة قلوبهم مائة من الإبل من غنائم حنين. وقد شهد حنيناً مع رسول الله - ﷺ - وكان يضرب به المثل في السؤدد، استشهد في معركة اليرموك - بَيْنَ بَيْنَ وَأَرْضَاهُ. انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥/٤٤٤.. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٨١/٢ - ١٨٢، رقم ١٥٠٠.

ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة ورسول الله ﷺ - بمكة، فكلماهم وقالوا : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستنزل من شمس حتى تراك، فرق لها، فقلت له : يا عياش، إنه إن يريدك القوم إلا ليفتوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد أذى أمك القمل لا منشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لا استظلت . قال : فقال : أبر قسم أمي ولي هنالك مال فأخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أنني، لمن أكثر قريش مالاً فلك نصف مالي ولا تذهب معهما . قال : فأبي علي إلا أن يخرج معهما، فلما أباي ذلك، قال : قلت له : أمّا إذ قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجبية ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب، فانج عليها . فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل : يا ابن أخي، والله لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى قال فأناخ، وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه، فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة نهراً موتقاً، ثم قالوا : يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهاكم، كما فعلنا بسفيهننا هذا .^(١)

هذه هي الأساليب الجماعية التي قام بها الطغام من قريش تجاه الفئة المؤمنة ونعرج القول بعد ذلك - إن شاء الله - عن الأساليب الفردية - الخاصة - التي قام بها أولئك الطغام - أيضاً - .

(١) انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ١١٤/٢ - ١١٥ .

المطلب الثاني

أساليب الشركين العملية الخاصة

وفيها مقصدان:

المقصد الأول: أساليبهم العملية الخاصة تجاه الرسول - ﷺ - .

المقصد الثاني: أساليبهم العملية الخاصة تجاه الدعويين.

المطلب الثاني : أساليب الشركين العملية الخاصة :

والمقصود بذلك، ماكان موجهاً لشخصٍ بعينه كالمصطفى - ﷺ - أو أحد المدعويين ويتكون هذا المطلب، من مقصدين :

المقصد الأول : أساليبهم العملية الخاصة تجاه الرسول - ﷺ - .

المقصد الثاني : أساليبهم العملية الخاصة تجاه المدعويين .

المقصد الأول : أساليبهم العملية الخاصة تجاه الرسول - ﷺ . -

قام المشركون في معرض صدهم عن الدعوة الإسلامية بعدة أساليب عملية تجاه النبي - ﷺ - ، فمن ذلك :

الأسلوب الأول : أسلوب الاعتداء الجسدي. وفيه :

- ١ - الضرب .
- ٢ - الخنق .
- ٣ - وضع سلا الجزور عليه .
- ٤ - التفل في وجهه .
- ٥ - نثر التراب عليه .

الأسلوب الثاني : أسلوب محاولة قتله - ﷺ - .

الأسلوب الأول : أسلوب الاعتداء الجسدي :

قام المشركون في ضمن مواجهتهم العملية للرسول - ﷺ - بأساليب اعتدائية على جسده الشريف، فمن ذلك :

١ - الضرب :

أ - فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : جاء جبريل إلى النبي - ﷺ - يوماً وهو جالسٌ حزين، وقد ضربه أهل مكة، فقال : مالك ؟ قال : ((فعل بي هؤلاء، وفعلوا))، قال : تحبُّ أن أريك آية ؟ قال نعم قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، فقال : أدعُ تلك الشجرة، قال : فدعاها، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، فقال لها : ((ارجعي)) قال : فرجعت إلى مكانها .^(١)

ب - وعنه - رضي الله عنه - قال : لقد ضربوا رسول الله - ﷺ - مرةً حتى غشي عليه، فقام أبو بكر - رضي الله عنه - فجعل ينادي : ويلكم ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربيُّ الله ﴾^(٢) فقالوا : من هذا ؟ قال : ابن قحافة المجنون .^(٣)

ج - وعن أسماء بنت أبي بكر^(٤) - رضي الله عنهما - أنهم قالوا لها : ما أشدُّ ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله - ﷺ ، فقالت : كان المشركون رفعوا في المسجد

^(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ١٤٢/٣، رقم ١٢٠٩٦. والدارمي في سننه، في باب : ما أكرم الله نبيه من إيمان الشجرة به والهاتم والجن، ٢٦/١، رقم ٢٣. ط : ١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

^(٢) سورة غافر، جزء من الآية رقم ٢٨.

^(٣) انظر أبا يعلى، المسند، تحقيق وتعليق : إرشاد الحق الأثري، ٢٠/٤، وط : ١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة عنوم القرآن، دمشق، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م والحاكم، المستدرک، ٦٧/٣، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وابن حجر في المطالب العالية، ٣٨/٤، ٣٩، وقال : صحيح، وله شاهد في البخاري. وقال في الفتح : رواه أبو يعلى بإسناد صحيح، ١٥/٧. وكذلك البزار. والهيتمي في الجمع، ١٧/٦، وقال : رجاله رجال الصحيح.

^(٤) أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - ووالدة عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما، التيمية، وهي بنت قبيلة بنت عبد العزى، قرشية من بني عامر بن لؤي. أسلمت قديماً بمكة، بعد سبعة عشر نفساً، وتزوجها الزبير بن العوام، وهاجرت وهي حامل منه بولده عبد الله، فوضعت بقاء، وعاشت إلى أن ولي ابنها الخلافة، ثم إلى أن قتل، وماتت بعده بقليل، وكانت تلقب: ذات-

عُمْدًا ليروا رسول الله - ﷺ - وما يقول في ألتهم، فبيناهم كذلك، إذ أقبل رسول الله - ﷺ - فقاموا إليه بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقالوا : أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإن له لغدائر أربع، وهو يقول: ويلكم ((أتقتلون رجلاً يقول : ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم))، قال : فلهوا عن رسول الله - ﷺ - وأقبلوا على أبي بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالت: فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لايمسُّ من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت ياذا الجلال والإكرام.^(١)

د - وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما - عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله - ﷺ - فيما كانت تظهر من عداوته قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم في الحجر، فقالوا : مارأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلتهنا لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم أو كما قالوا، قال : فبيناهم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله - ﷺ - فأقبل يمشي، حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مرَّ بهم غمزوه ببعض ما يقول، قال : فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانية، غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مرَّ بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فقال: تسمعون يامعشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتمكم بالذبح، فأخذت القوم كلمته، حتى مامنهم رجل إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقعٌ، حتى إن أشدهم فيه وصاةً قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ماكنت جهولاً، قال:

=الناطقين. روت أحاديث عدة وهي في الصحيحين. انظر ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٢ / ١١٤ - ١١٥. وابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٦٩/٣.

(١) انظر الحميدي، المسند، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ١/١٥٥، ١٥٦. (ب:ط)، عالم الكتب، بيروت. مكتبة المتنبي، القاهرة. وابن حجر، المطالب العلية، ٤/١٩٢، ١٩٣. وقال في الفتح: رواه أبو يعلى بإسناد حسن ٧/١٥٠. وقال البوصيري: رواه الحميدي وأبو يعلى بإسناد رواه ثقة.

فانصرف رسول الله - ﷺ - حتى إذا كان الغد، اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ! فبينما هم في ذلك، إذ طلع عليهم رسول الله - ﷺ - فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به، يقولون له : أنت الذي تقول كذا وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال : فيقول رسول الله - ﷺ - نعم، أنا الذي أقول ذلك، قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه، قال : وقام أبو بكر الصديق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - دونه، يقول وهو يبكي : ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ﴾^(١) ؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط.

ومن مظاهر الضرب الذي لحق به - ﷺ - :

- إدماء عرقوبيه وساقبيه : فمن ذلك :

أ - عن طارق بن عبد الله المحاربي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : رأيت رسول الله - ﷺ - رجلاً شاباً - مرّاً بسوق ذي المجاز وأنا في بياعة لي، فمرّاً وعليه حلة حمراء، فسمعتة يقول : ﴿ يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تملحوا ﴾ ورجل خلفه يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبه وعرقوبيه وساقبيه، وهو يقول : يا أيها الناس لاتطيعوا هذا، فإنه كذاب فقلت : من هذا ؟ فقيل : غلام بني هاشم من بني المطلب، الذي يزعم أنه رسول الله، وهذا عمه عبد العزى.^(٢)

(١) سورة غافر، جزء من الآية رقم ٢٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢٨٧/٢، رقم ٧٠٣٣. وقال عنه أحمد شاكر: إسناده صحيح. ٢٠٣/١١. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٥/٦، ١٦، وقال عنه : في الصحيح طرف منه، ورواه أحمد وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب المغازي في أذى قريش للنبي - صلى الله عليه وسلم - ومالقي منهم، ٣٠٠/١٤، رقم ١٨٤١٤. والحاكم في المستدرک في كتاب التاريخ، ٦١٢/٢، وقال : ((هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.)) وقال الذهبي في التلخيص ٦١٢/٢ ((صحيح)) وروى النسائي بعضه وابن ماجة بعضه. وابن حجر، المطالب العالمة، =

ب - ولما ذهب النبي - ﷺ - إلى الطائف ليدعو تقيفاً إلى الإسلام، وجد ثلاثة نفر منهم هم سادة تقيف آنذاك فحصل منهم ما حصل من الاستهزاء والتحقير، حتى أفسحوا في قومهم الذي راجعوه به، وقعدوا له صفين على طريقه، فلما مرَّ رسول الله - ﷺ - بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلاَّ رضخوهما بالحجارة، وكانوا أعدؤها حتى أدموا رجليه. فخلص منهم وهما يسيلان الدماء، فعمد إلى حائطٍ من حوائطهم، واستظلَّ في ظلِّ حَبَلَةٍ^(١) منه، وهو مكروب موجه تسيل رجلاه دماً.^(٢)

٢ - الخنوق :

أ - فقد روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن عروة بن الزبير - رحمه الله - قال : سألت ابن عمرو بن العاص : أخبرني بأشدَّ شيء صنعته المشركون بالنبي - ﷺ - قال : بينا النبي - ﷺ - يُصَلِّي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي - ﷺ - قال : ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي..... ﴾

= باب ما أذى المشركون به النبي - صلى الله عليه وسلم - وثباته على أمره. ١٩١/٤ رقم ٤٢٧٧. وقال البوصيري : ((رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح وأبو يعلى وابن حبان والحاكم ورواه النسائي وابن ماجه مختصراً)).

^(١) الحبله : طاقات من قضبان العنب.

^(٢) هذه القصة طرف من خير موسى بن عقبة، وقد نقلها الحافظ ابن كثير، في البداية والنهاية، ١٣٤/٣ والبيهقي في الدلائل، ٥١٥/٢. وأمَّا الرواية التي ذكرها ابن هشام عن ابن إسحاق في سيرته ٦٧/٢ - ٦٩، وقال عنها الألباني في تخريجته لأحاديث فقه السيرة للغرالي ص ١٣٢ مانصه : ((أخرج هذه القصة ابن إسحاق (٢٦٠/١، ٢٦٢) بسند صحيح عن محمد بن كعب القرظي مرسلًا، لكن قوله : ((إن أبيتكم فاكموا على ذلك)) وقوله : اللهم إليك أشكوا... إلخ الدعاء. ذكرهما بدون سند، وكذلك رواه ابن جرير (٨١٠/١) من طريق ابن إسحاق وروى هذه القصة الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر مختصراً وفيه الدعاء المذكور بنحوه، قال الهيثمي (٣٥/٦) : ((وفيه ابن اسحق وهو مدلس ثقة. وبقية رجاله ثقة)) فالحديث ضعيف)). هـ. فهذه الرواية التي ذكرها ابن إسحاق، والهيثمي وقال : رواها الطبراني وفيه ابن إسحاق.. ليس فيها نصُّ ما في قصة موسى بن عقبة، من أنهم صفوا له صفين على طريقته ورضخوا رجله بالحجارة حتى أدموهما كما أنه ليس فيها الدعاء المذكور وهو : اللهم إليك أشكوا... إلخ الدعاء. فيتعين بذلك أنها رواية أخرى غير تلك الرواية وسندها غير ذلك السند، وخبر عرض النبي - ﷺ - نفسه على عبد بلبل سادة تقيف موجود في البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين... ١١٨٠/٣، ١١٨١، رقم ٣٠٥٩. ومسلم في كتاب الجهاد والسيرة باب ما لقي النبي - ﷺ - من أذى المشركين والمنافقين ١٤٢٠/٣، ١٤٢١ رقم ١٧٩٥.

ب - وعن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : ما رأيت قريشاً أرادوا قتل رسول الله ﷺ - إلا يوماً ائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله - ﷺ - يصلي عند المقام . فقام إليه عقبة بن أبي معيط فجعل رداءه في عنقه ثم جذبته حتى وجب (٣) لركبتيه، وتصايح الناس، فظنوا أنه مقتول ! قال : وأقبل أبو بكر يشتمد حتى أخذ بضبع (٤) رسول الله - ﷺ - من ورائه، وهو يقول : ﴿أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾ (٥)، ثم انصرفوا عن النبي - ﷺ - ، فقام رسول الله - ﷺ - ، فلما قضى صلاته مرّ بهم وهم جلوس في ظل الكعبة، فقال : يامعشر قريش، أما والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح، وأشار بيده إلى حلقه، فقال له أبو جهل : يامحمد ماكنت جهولاً، فقال رسول الله - ﷺ - : أنت منهم)) (٦).

٣ - وضع سلا الجزور عليه :

ورد في الصحيحين، روايات عديدة تحكي هذا الفعل المشين من قريش فمن ذلك :

(١) سورة غافر، جزء من الآية رقم ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي - ﷺ - ((لو كنت متخذاً خليلاً))، ٣/٣٥٥.

رقم ٤٧٥. وباب : ما لقي النبي - ﷺ - وأصحابه من المشركين بمكة، ٣/١٤٠٠، رقم ٣٦٤٣. وكتاب التفسير، باب سورة المؤمن

(غافر)، ٤/١٨١٤، ١٨١٥، رقم ٤٥٣٧.

(٣) وجب : سقط .

(٤) الضبع : وسط العضد، وقيل : هو ماتحت الإبط.

(٥) سورة غافر، جزء من الآية رقم ٢٨.

(٦) انظر الحافظ أبا بكر ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ١٥/٢٩٧، رقم ١٨٤١٠. وأبا يعلى، المسند، ٦/٤٢٥ -

٤٢٥. والهيثمى، مجمع الزوائد، ٦/١٦٦. وقال عنه : رواه أبو يعلى والطبراني، وفيه عمدة بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن، وبقية

رجال الطبراني رجال الصحيح. ووصله البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٣٩.

أ - مارواه البخاري - رحمه الله - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - ساجدًا، وحوله ناسٌ من قريش، جاء عقبه بن أبي معيط بسلى جزور، فقفه على ظهر النبي - صلى الله عليه وسلم، فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة - عليها السلام - فأخذته من ظهره ودعت على من صنع، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (اللهم عليك الملا من قريش : أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، وأميه بن خلف، أو أبي بن خلف)، فرأيتهم قتلوا يوم بدر، فألقوا في بئر غير أميه أو أبي، تقطعت أوصاله، فلم يلق في البئر. ^(١)

ب- مارواه الإمام مسلم - رحمه الله - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس . فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه، فيضل في كتفي محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم ^(٢) فأخذه، فلما سجد النبي - صلى الله عليه وسلم - وضعه بين كتفيه. قال : فاستضحكوا . وجعل بعضهم يميل على بعض . وأنا قائم انظر . لو كانت لسي منعة طرحة عن ظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم . والنبي - صلى الله عليه وسلم - ساجد، ما يرفع رأسه . حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة . فجاءت، وهي جويرية، فطرحت عنه . ثم أقبلت عليهم تشتمهم . فلما قضى النبي - صلى الله عليه وسلم - صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم . وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً . وإذا سأل، سأل ثلاثاً . ثم قال : ((اللهم ! عليك بقريش)) ثلاث مرات . فلما سمعوا

^(١) أخرجه الإمام البخاري - رحمه الله - في مواضع عدة منها :

أ - كتاب الوضوء، باب : إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو حيفة، لم تقسُد عليه صلاحه. ١/٩٤، ٩٥، رقم ٢٣٧.

ب - أبواب سرة المصلي، باب : المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى، ١/١٩٤، رقم ٤٩٨.

ج - كتاب الفضائل، باب : ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من المشركين بمكة. ٣/١٣٩٩، رقم ٣٦٤١. ومسلم - رحمه الله - في

صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - من أذى المشركين والمنافقين، ٣/١٤١٩، رقم ١٧٩٤ مكرر.

^(٢) هو عقبه بن أبي معيط كما في الرواية السابقة.

صوته ذهب عنهم الضحك . وخافوا دعوته . ثم قال : ((اللهم ! عليك بأبي جهل ابن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة ^(١) ^(٢)، وأمّية بن خلف، وعتبة بن أبي معيط))، (وذكر السابع ولم أحفظه) فوالذي بعث محمداً بالحق ! لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر)) ^(٣).

٤ - التفل في وجهه :

أورد السيوطي ^(٤) - رحمه الله - في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً . يويلي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني . وكان الشيطان للإنسان

^(١) الوليد بن عتبة بن أبي معيط الأموي القرشي، كان أبوه شديداً على النبي - ﷺ - . وقد قتل أبوه بعد الفراغ من غزوة بدر، صبراً، وقد أسلم الوليد وأخوه عمارة يوم الفتح، ونزل فيه : ((يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)) الحجرات، جزء من الآية رقم ٦. كان شجاعاً، شاعراً جواداً. وكان من رجال قريش، وسرّواتهم. ولما قتل عثمان - رضي الله عنه - اعتزل الوليد الفتنة، فلم يشهد مع علي، ولا مع غيره، ولكنه كان يحرص معاوية على قتال علي بكنبه، وشعره. وأقام بالرقّة إلى أن مات في خلافة معاوية - رضي الله عنهما. انظر : ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٠ / ٣١١ - ٣١٤ رقم ٩١٤٨. وابن سعد، الطبقات الكبرى : ٦ / ٢٤.

^(٢) هكذا هو في جميع نسخ مسلم، والوليد بن عتبة بالقاف، وأتفق العلماء على أنه غلط وصوابه : والوليد بن عتبة بالناء كما ذكره مسلم في رواية أبي بكر بن أبي شيبة بعد هذا، وقد ذكره البخاري في صحيحه وغيره من أئمة الحديث على الصواب وقد نبه عليه إبراهيم بن سفيان في آخر الحديث فقال: الوليد بن عتبة في هذا الحديث غلط. قال العلماء : والوليد بن عتبة بالقاف هو ابن أبي معيط ولم يكن ذلك الوقت موجوداً أو كان طفلاً صغيراً جداً فقد أتى به النبي - ﷺ - يوم الفتح وهو قد ناهز الاحتلام ليمسح على رأسه. انظر صحيح مسلم المطبوع بشرح النووي ١٢ / ١٥٢.

^(٣) أخرجه الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي - ﷺ - من أذى المشركين والمنافقين، ١٤١٨/٣، ١٤١٩، رقم ١٧٩٤.

^(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الحضيري السيوطي، جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. ولد سنة ٨٤٩ هـ، ونشأ في القاهرة يتيماً، حيث مات والده وعمره خمس سنوات، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه للتأليف وبقي على ذلك إلى أن توفي. من كتبه : ((الإتقان في علوم القرآن)) و((الدر المنثور في التفسير بالمتأثور)) ستة أجزاء. وغيرهما كثير. انظر : الزركلي، الأعلام، ٣ / ٣٠١، ٣٠٢.

خذولاً ﴿١﴾، مايلي :

أ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : ((أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ - بمكة لا يؤذيه، وكان رجلاً حليماً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش : صبا أبو معيط، وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته : ما فعل محمد مما كان عليه ؟ فقالت : أشد مما كان أمراً، فقال : ما فعل خليلي أبو معيط ؟ فقالت : صبا . فبات بلبلة سوء، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه، فلم يرد عليه التحية فقال : مالك . لا ترد عليّ تحيتي؟ فقال : كيف أردُّ عليك تحيتك وقد صبوت ؟ قال : أوقد فعلتها قريش ؟ ! قال : نعم . قال : فما يبيريء صدورهم إن أنا فعلت، قال : تأتيه في مجلسه، وتبصق في وجهه، وتشتمه باخبت ما تعلمه من الشتم . ففعل، فلم يزد النبي ﷺ - أن مسح وجهه من البصاق، ثم التفت إليه فقال : إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً . وذكر تمام القصة وقال : فأنزل الله في أبي معيط ﴿٢﴾ ويومر بعض الظالم على يديه ﴿٣﴾، إلى قوله : ﴿٤﴾ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴿٥﴾ . (١)

ب - وفي رواية أخرى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ((كان عقبة بن أبي معيط لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أهل مكة كلهم، وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ - . ويعجبه حديثه، وغلب عليه الشقاء فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاماً ثم دعا رسول الله ﷺ - إلى طعامه فقال : ما أنا بالذي آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال : أطعم يا ابن أخي . قال : ما أنا بالذي أفعل حتى تقول ، فشهد بذلك وطعم من طعامه . فبلغ ذلك أبي

(١) سورة الفرقان الآيات ٢٧ - ٢٩ .

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ٦/٢٥٠، وقال : أخرجه ابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل بسند صحيح . وابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٨٧ .

ابن خلف فاتاه فقال : أصبوت يا عقبه ؟ - وكان خليله - فقال : لا والله ماصبوت . ولكن دخل على رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له ، فاستحيت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم ، فشهدت له ، فطعم . فقال : ماأنا بالذي أرضى عنك حتى تأتيه فتبصق في وجهه . ففعل عقبه ، فقال له رسول الله ﷺ : لاألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف ، فأسر عقبه يوم بدر فقتل صبراً .^(١)

٥ - نشر التراب عليه :

أ - عن شيخ من بني مالك بن كنانة ، قال : رأيت رسول الله - ﷺ - بسوق ذي المجاز يتخللها يقول : ((ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)) ، قال : وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول : ياأيها الناس لايعرنبكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى قال : ومايبتفت إليه رسول الله - ﷺ - قال : قلنا : انعت لنا رسول الله - ﷺ - قال : بين بردين أحمرين مربوع كثير اللحم حسن الوجه شديد سواد الشعر أبيض شديد البياض سابغ الشعر .^(٢)

ب - وقال ابن إسحاق : ((لما هلك أبو طالب . نالت قريش من رسول الله - ﷺ - من الأذى ما لم تكن تطمع في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه تراباً)) .^(٣)

(١) انظر السيوطي ، الدر المنثور ، ٢٥٠/٦ ، ٢٥١ . وقال : أخرجها أبو نعيم . والألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ١٩ / ١١ . ط : إدارة الطباعة المصطفائية ، ديوبند ، الهند . والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٥ / ١٣ ، ٢٦ . (ب : ط) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

(٢) أخرجه الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده ، ٨٧ / ٤ ، رقم ١٦٥٨٥ . و ٤٦٦ / ٥ ، رقم ٢٣١٨٤ . وأهيشمي ، في مجمع الزوائد ، ٢٢ ، ٢١ / ٦ . وقال عنه : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٥ / ٢ . وانظر الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ٥٥٣ / ١ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢٠ / ٣ .

الأسلوب الثاني : أسلوب محاولة قتله - ﷺ :-

لم تأل قريش جهداً في استخدام الأساليب العديدة والمتنوعة لتصدُّ عن دين الله - تعالى - ، حيث صدرت منها أساليب الترغيب والترهيب والتشويه والتخذيل والتعجيز والاعتداء الجسدي . وها هي تأتي لمرحلةٍ من أشدِّ المراحل، وأسلوبٍ من أعتى الأساليب، ألا وهو محاولة قتله - ﷺ - بأي طريقةٍ كانت، وبأي أسلوبٍ يتيسَّر، ولو كلف ذلك ماكلف .

لقد كانت تنتظر تلك الفرصة التي لو سنحت لم تتردد فيها، ولم تحجم عنها . وقد أوضح القرآن الكريم مكرهم ذلك، فأظهر ما احتوت عليه قلوبهم من حقد، وما انطوت عليه نفوسهم من خبث. يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَثْبُوكَ أَوْ يَمْتَلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ وَيَمْكُرُونَ بِكَ لِلَّهِ خَيْرٌ مِمَّا يَكْتُمُونَ ﴾ (١).

قال أهل التفسير : لما بويع رسول الله - ﷺ - ليلة العقبة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، أشفقت قريش أن يعلو أمره، وقالوا : والله لكأنكم به قد كررَّ عليكم بالرجال، فاجتمع جماعة من أشرفهم ليدخلوا دار الندوة فيتشاوروا في أمره، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير، فقالوا : من أنت؟ قال : أنا شيخ من أهل نجد، سمعت ما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا من رأيي نصحاً، فقالوا : ادخل، فدخل معهم، فقالوا : انظروا في أمر هذا الرجل، فقال بعضهم : احبسوه في وثاق، وتربصوا به ريب المنون . فقال إبليس: ما هذا برأي، يوشك أن يثب أصحابه فيأخذوه من أيديكم. فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم. فقال : ما هذا برأي، يوشك أن يجمع عليكم ثم يسير إليكم. فقال أبوجهل : نأخذ من كل قبيلة غلاماً، ثم نعطي كل غلام سيفاً فيضربوه به ضربة رجل واحد،

(١) سورة الأنفال الآية رقم ٣٠.

فيفرق دمه في القبائل، فما أظنُّ هذا الحي من قريش يقوى على ضرب قريش كلها، فيقبلون العقل ونستريح . فقال إبليس : هذا والله الرأي . فتفرقوا عن ذلك . وأتى جبريل رسول الله - ﷺ - فأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبيت في مضجعه تلك الليلة، وأمر علياً فبات في مكانه، وبات المشركون يحرسونه، فلما أصبح رسول الله - ﷺ - أذن له الله في الخروج إلى المدينة، وجاء المشركون لمّا أصبحوا، فرأوا علياً، فقالوا : أين صاحبك ؟ قال : لأدري، فاقتصوا أثره، حتى بلغوا الجبل، فمرّوا بالغار، فرأوا نسيج العنكبوت، فقالوا : لو دخله لم يكن عليه نسيج العنكبوت. ^(١)

وقد روى نحو ذلك مختصراً الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده : فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ ^(٢)، قال : تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأنبتوه بالوثاق، يريدون النبي - ﷺ -، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله عزوجل نبيّه على ذلك، فبات عليٌّ على فراش النبي - ﷺ - تلك الليلة، وخرج النبي - ﷺ - حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً، يحسبونه النبي - ﷺ -، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً ردّ الله مكرهم، فقالوا : أين صاحبك هذا؟ قال : لأدري، فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا في الجبل، فمرّوا بالغار، فرأوا على بابهِ نسيج العنكبوت،

^(١) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣/٣٤٦، ٣٤٧. والسيوطي، الدر المنثور، ٤/٥١، ٥٢. والطبري، جامع البيان، ٦/٢٢٦. وابن كثير

تفسير القرآن العظيم، ٤/٤٩٤. وابن هشام، السيرة النبوية، ٢/١٢٢-١٢٥.

^(٢) سورة الأنفال الآية رقم ٣٠.

فقالوا : لو دخل ههنا لم يكن نسجُ العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليالٍ. ^(١)

وقد جاءت رواية أخرى، عند الإمام أحمد - رحمه الله - من طريق آخر، وعند الحاكم ^(٢) - رحمه الله - في مستدركه، وهي توضح قصة نوم عليّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بدلاً من النبي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وماتريده قريش من قتل النبي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : شرى عليٌّ نفسه ولبس ثوب النبي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وقد كان رسول الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ألبسه برده، وكانت قريش تريد أن تقتل النبي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فجعلوا يرمون عليّاً، ويرونه النبي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وقد لبس برده وجعل علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يتضوّر، ^(٣) فإذا هو علي، فقالوا : إنك للنائم إنك لتتضوّر، وكان صاحبك لا يتضوّر، ولقد استتكرناه منك . ^(٤)

^(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ٤٣٣/١، ٤٣٤، رقم ٣٢٥٠ وقال عنه أحمد شاكر : في إسناده نظر، من أحل عثمان الجزري، ٨٧/٥ واهنمي، في مجمع الزوائد، ٢٧/٧، وقال : رواه أحمد والطبري وفيه عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقيه رجاله رجال الصحيح. وابن كثير، في البداية والنهاية، ١٧/٣، وقال : وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ماروي في قصة نسج العنكبوت - نى فم الغار، وذلك من حماية الله رسوله ﷺ - . وحسنه ابن حجر، في الفتح، ٣٠٠/٧. وحسنه الزرقاني، شرح المنهاج اللدنية، ٣٢٣/١. ولقصة نوم علي بدلاً من النبي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - طريق آخر عند أحمد وصححه المحقق كما ذكره الحاكم في مستدركه وصححه، وسيأتي ذكر ذلك وتخرجه بعد حديث المتن مباشرة. وعلى آية حال، فإيرادنا هذه الروايات، إنما هو استشهاد وإثبات لأسلوب: ((محاولة قريش لقتل الرسول - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -)) وهذا ثابت لا محالة بنص الآية، من سورة الأنفال، وهي قوله تعالى : ((وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين)) . سورة الأنفال الآية رقم ٣٠.

^(٢) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، أبو عبد الله : من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده سنة ٣٢١ بنيسابور، ووفاته بها سنة ٤٠٥ هـ - رحل إلى العراق سنة ٣٤١ هـ، وحج، وحال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩ تم قلد قضاء جرجان فامتنع. بلغت مؤلفاته ألفاً وخمسمائة جزء. منها : ((تاريخ نيسابور)) و((المستدرک علی الصحیحین)) وغيرهما كثير. انظر الزركلي، الأعلام، ٢٢٧/٦.

^(٣) يتضوّر : أي يتلوّى ويتقلّب ظهراً لبطن.

^(٤) الإمام أحمد، المسند، ٤١١/١، ٤١٢، رقم ٣٠٦١. وقال عنه أحمد شاكر : إسناده صحيح، ٢٥/٥ رقم ٣٠٦٢. والحاكم، المستدرک، ٤/٣، وقال عنه : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص، صحيح، ٤/٣.

ومن النصوص التي ثبتت هذا الأسلوب منهم :

١ - مارواه الإمامان، أحمد - رحمه الله - في مسنده، والحاكم - رحمه الله - في مستدرکه، وصححه، عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال : إن الملائكة من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف: لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي، حتى دخلت على رسول الله - ﷺ ، فقالت : هؤلاء الملائكة من قريش قد تعاقدوا عليك، لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، فقال : يابنيّة، أريني وضوءاً، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا : هاهو ذا، وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانتهم في صدورهم، وعقرّوا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصراً، ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله - ﷺ - حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضةً من التراب، فقال : شاهت الوجوة، ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاةً إلا قُتلَ يومَ بدرٍ كافراً .^(١)

٢ - خرج عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يوماً متوشحاً بسيفه، يريد رسول الله - ﷺ -، وذكر له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريباً من أربعين بين رجال ونساء، ومع رسول الله - ﷺ - حمزة وعلي وأبو بكر في رجال من المسلمين ممن أقام مع رسول الله - ﷺ - بمكة ولم يخرج إلى أرض الحبشة، فلقي نعيم ابن.....

^(١) الإمام أحمد، المسند، ٣٧٦/١، ٣٧٧، رقم ٢٧٦١. و ٤٦٠/١، رقم ٣٤٨٤. وقال عنه أحمد شاكر : إسناده صحيح، ٢٦٩/٤. والحاكم في المستدرک، ١٦٣/١، وقال : هذا حديث صحيح قد احتجوا جميعاً بيحيى بن سليم، واحتج مسلم بعبد الله بن عثمان بن خنيم، ولم يخرجاه، ولا أعرف له علّة. وواقفه الذهبي. وذكر الحاكم طرفاً منه في ١٥٧/٣، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢٢٨/٨، وقال : رواه أحمد باسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح. فتعقبه أحمد شاكر بقوله : بل كلاهما، ٢٦٩/٤.

النَّحَامُ^(١)، عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فقال: أين تريد؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابي الذي فرَّق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسبَّ آلهتها فأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أتري أن عبد مناف تاركك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً.^(٢)

٣ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما، قال: ((قال أبو جهل: لئن عاد محمدٌ يصلي عند المقام لأقتلنَّه، فأنزل الله: ﴿اقرأ باسم ربك..﴾ حتى بلغ هذه الآية ﴿لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الرابانية﴾.^{(٣) (٤)}

٤ - ماسبق ذكره في أساليب الترهيب، من أن ابن هشام ذكر قصة طويلة جرت بين النبي - ﷺ - وبين المشركين، وقال بعدها: ((فلما قام عنهم رسول الله - ﷺ -، قال: أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبي إلا ماترون من عيب ديننا وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلس له غداً بحجرٍ ما أطيق حمله - أو كما قال - فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدالهم . قالوا: والله لانسلمك لشيءٍ أبداً، فامض لما تريد))^(٥).

(١) نعيم بن عبد الله بن أسيد القرشي العدوي، المعروف بالنحام، قيل له ذلك لأن النبي - ﷺ - قال له: (دخلت الجنة فسمعت نعمة من نعيم). كان إسلامه قبل عمر، ولكنه لم يهاجر إلا قبيل فتح مكة، وذلك لأنه كان يفتق على أرامل بني عدي وأيتامهم. استشهد بأحناديين في خلافة عمر - رضي الله عنهما - في سنة ١٥ هـ. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٧٨/٤. والحاكم، المستدرک، ٢٥٩/٣.

(٢) انظر ابن حبان، الثقات، ١/٧٢، ٧٣: ١، مؤسسة الكتب الثقافية، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م. والحاكم، المستدرک، ٥٩/٤.

(٣) سورة العلق، الآيات من ١ - ١٨.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ١٢/٦٤٩. والرازي، التفسير الكبير، ٢٢/٢٣. والحسن النيسابوري غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق إبراهيم عطوة ٣٠/١٣٨ ط: ١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي، مصر، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

(٥) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٢٧. والنهي، السيرة النبوية، ص ١٥٣ وابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/١٩٩.

٥ - مابدر من عقبة بن أبي معيط، من خنقٍ للرسول - ﷺ - وهو ساجدٌ في الصلاة، وهذا فيه محاولة منه لقتل النبي - ﷺ - فمما ورد في ذلك :

أ - مرواه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن عروة بن الزبير - رحمه الله - قال : سألت ابن عمرو بن العاص : أخبرني بأشدَّ شيءٍ صنعه المشركون بالنبي - ﷺ -، قال : بينا النبي - ﷺ - يُصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي - ﷺ - قال : ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله .. ﴾. (١) الآية . (٢)

ب - وعن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : مارأيت قريشاً أرادوا قتل رسول الله - ﷺ - إلا يوماً ائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله - ﷺ - يُصلي عند المقام، فقام إليه عقبة بن أبي معيط فجعل رداءه في عنقه ثم جذبته حتى وجب (٣) لركبتيه، وتصايح الناس، فظنوا أنه مقتول ! قال : وأقبل أبو بكر يشتدُّ حتى أخذ بضبع (٤) رسول الله - ﷺ - من ورائه، وهو يقول : ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ﴾ (٥)، ثم انصرفوا عن النبي - ﷺ - فقام رسول الله - ﷺ - فلما قضى صلاته مرَّ بهم وهم جلوس في ظل الكعبة، فقال :

(١) سورة غافر، جزء من الآية رقم، ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي - ﷺ - : ((لو كنت متخذاً خليلاً ..))، ١٣٤٥/٣، رقم ٣٤٧٥. وباب : ما لقي النبي - ﷺ - وأصحابه من المشركين بمكة، ١٤٠٠/٣، رقم ٣٦٤٣. وكتاب التفسير، باب سورة المؤمن (غافر)، ١٨١٤/٤، ١٨١٥، رقم ٤٥٣٧.

(٣) وجب : سقط.

(٤) الضبع : وسط العضد، وقيل : هو ماتحت الإبط.

(٥) سورة غافر، جزء من الآية رقم ٢٨.

((يامعشر قريش، أما والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح، وأشار بيده إلى حلقه، فقال له أبو جهل : يا محمد ما كنت جهولاً، فقال رسول الله - ﷺ - أنت منهم)).^(١)

^(١) انظر الحافظ أبا بكر ابن أبي شيبة، المصنف، ٢٩٧/١٤، رقم ١٨٤١٠. وأبا يعلى، المسند، ٤٢٤/٦، ٤٢٥. والهيثمي، مجمع الزوائد، ١٦/٦. وقال عنه : رواه أبو يعلى والطبراني، وفيه محمد بن عمرو بن علقمه وحديثه حسن، وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح. ووصله البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٣٩.

المقصد الثاني : أساليبهم العملية الخاصة تجاه المدعويين :

سنذكر تحت هذا المقصد بعضاً من النماذج مما حصل لبعض هؤلاء الأفاضل من أذى واضطهاد وتعذيب، والتي أوردتها لنا كتب الحديث والسير والتراجم. ونهجننا في ذلك هو ذكر نماذج بإيراد قصص لبعض الصحابة كُـلِّ صحابي على حدة مع بيان ما جاء وورد في أيدائه وتعذيبه .

أولاً : أبو بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - :

من الطبيعي أن يلحق الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - من الأذى مالحق غيره من المستضعفين، وذلك لأسباب عدة، منها :

- ١- أنه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أول من أسلم من الرجال حيث زمن الاستضعاف .
 - ٢- أنه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - من أكثر الناس وأشدّهم ملازمة للرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والذي من أجله وبسببه شُنَّت تلك الحملات الاعتدائية من كفار قريش حيث لا يكاد يفارقه في ليلٍ أو نهار .
 - ٣- مبادرته السريعة، في الدفاع عن الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عند طروء أي أذى، أو حصول أي اعتداء من قبل الكفار . فشغله الشاغل وغايته العظمى ومراده الأسمى هو الحفاظ على حياته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وحمايته من أن يلحقه أذىً أو يمسه سوء، مستهيناً بما يصيبه في سبيل ذلك .
- لهذه الأسباب تجرّع - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ماتجرّع من أذى واضطهاد، سأورد - إن شاء الله - بعضاً منه، فمن ذلك :

- ١- لمّا أسلم هو وطلحة بن عبيد الله - رضي الله عنهما - أخذهما نوفل بن خويلد ابن العدويّة، ^(١) فشدّهما في حبلٍ واحد ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل بن خويلد يدعى أسد قريش . فلذلك سُمِّي أبو بكر وطلحة

^(١) نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، يقال له : ابن العدوية نسبة إلى أمه وهي من عدي خزاعة، وقد كان شديداً على المسلمين، ويدعى أسد قريش، قتل يوم بدر كافراً. انظر : مصعب الزبيري، نسب قريش ٢٢٩ - ٢٣٠.

٢ - ((لما اجتمع أصحاب النبي - ﷺ - وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحَّ أبو بكر - ﷺ - على رسول الله - ﷺ - في الظهور فقال : ((يا أبا بكر إنا قليل))، فلم يزل أبو بكر يُلحُّ، حتى ظهر رسول الله - ﷺ -، وتفرَّق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول الله - ﷺ - جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله - ﷺ - وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطيء أبو بكر وضرب ضرباً شديداً . ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا (٢) على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة بن ربيعة ..)). (٣)

٣ - ماجاء عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - أنهم قالوا لها : ما أشدَّ ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله - ﷺ -، فقالت : كان المشركون رفعوا في المسجد عُمداً ليروا رسول الله - ﷺ - وما يقول في ألتهنم، فبيناهم كذلك، إذ أقبل رسول الله - ﷺ - فقاموا إليه بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقالوا: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإن له لغدائر أربع، وهو يقول : ويلكم، أنقتلون رجلاً يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم، قال : فلهوا عن رسول

(١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٨/٣. وابن سعد، الطبقات، ٢١٥/٣. والذهبي، السيرة النبوية، ص ١٤٠.

(٢) نزا: وثب.

(٣) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩/٣. وابن يوسف، سبل الهدى، ٤٢٨/٢.

الله - ﷺ - وأقبلوا على أبي بكر - ﷺ - قالت : فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لايمسُّ من غدائره إلاَّ جاء معه، وهو يقول تباركت ياذا الجلال والإكرام .^(١)

٤ - لمَّا بلغ أذى قريش لأبي بكر الصديق - ﷺ - مبلغه واضطروه للخروج من مكة بعد أن ضيقوا عليه عيشته، خرج مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة، فقال : أين تريد ياأبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي . قال ابن الدغنة : فإن مثلك ياأبا بكر لايُخْرَجُ ولايُخْرَجُ، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جارٌّ، ارجع واعبد ربك ببلدك . فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشيةً في أشراف قريش، فقال لهم : إن أبا بكر لايُخْرَجُ مثله ولايُخْرَجُ، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق . فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة : مرُّ أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها وليقرأ ماشاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا . فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فينقذ عليه نساء المشركين وأبنائهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلاً بكاءً، لايملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا : إننا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإننا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبي إلاَّ أن يعلن

^(١) انظر الحميدي، المسند، ١/١٥٥، ١٥٦. وابن حجر، المطالب العالمة، ٤/١٩٢، ١٩٣. وقال في الفتح : رواه أبو يعلى بإسناد حسن ١٥/٧. وقال البوصيري : رواه الحميدي وأبو يعلى بإسناد رواه ثقة.

بذلك، فسله أن يرُدَّ إليك ذمتك، فإننا قد كرهننا أن نخفرك، ولسنا مقرّين لأبي بكر الاستعلان، فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه فإمّا أن تقتصر على ذلك، وإمّا أن ترجع إليّ ذمتي، فأني لأحب أن تسمع العرب أنني أخفرتُ في رجلٍ عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أردُّ إليك جوارك، وأرضى بجوار الله - عز وجل -^(١) وخروجه ذلك يدلُّ دلالة واضحة على عظم ما يلاقيه من أولئك المشركين .

٥ - بعد أن خرج أبو بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - من جوار ابن الدغنة، عاد المشركون إلى سفاهتهم، فقد لقيه سفيه من سفهاء قريش، وهو عامدٌ إلى الكعبة، فحنا على رأسه تراباً . قال : فمرّاً بأبي بكر، الوليد بن المغيرة، أو العاص بن وائل. فقال له أبو بكر : ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيه ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك . وأبو بكر يقول : أي ربّ، ما أحلمك ! أي ربّ، ما أحلمك !^(٢) لم تكن تلك النماذج، هي مظاهر الإيذاء التي لحقت الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فحسب بل مرّت به مواقف عديدة كانت له فيها اليد الطولى في الدفاع عن الرسول ﷺ - والحفاظ على حياته، والتي لاقى في سبيلها مالاقي من الأذى النفسي فضلاً عن الأذى البدني .

لقد انبرى مدافعاً عن حبيبه ورسوله - ﷺ - في كل خطرٍ يواجهه، رغم الضعف والخوف الذي حلّ بالمسلمين آنذاك، غير عابئ بما سيخلفه هذا الدفاع، حتى ضربَ أروع الأمثلة في التضحية والشجاعة . ومن هذه المواقف :

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب : هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه إلى المدينة، ٣/١٤١٧، ١٤١٨، رقم : ٣٦٩٢ .

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٢٥ - ٢٦ .

١ - ماسبق ذكره أنّ عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي - ﷺ - وهو يصلي في حجر الكعبة، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي - ﷺ - قال: ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله... ﴾^(١).

٢ - وعن أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: لقد ضربوا رسول الله - ﷺ - مرةً حتى غشي عليه، فقام أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فجعل ينادي: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله! فقالوا: من هذا؟ قال: ابن أبي قحافة المجنون.^(٢)

٣ - حديث أسماء السابق، حينما ضربوا الرسول - ﷺ - فجاء الصريخ لأبي بكر أن أدرك صاحبك فخرج وله غدائر أربع، وهو يقول: أتقتلون رجلاً يقول: ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم، فتركوا الرسول - ﷺ - وأقبلوا عليه وضربوه، فرجع إلى أهله، فجعل لا يمسُّ من غدائره إلا جاء معه.^(٤)

٤ - وعن علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال: أيها الناس أخبروني بأشجع الناس. قالوا: لانعلم، فمن؟ قال: أبو بكر، لقد رأيت رسول الله - ﷺ - وأخذته قريش، هذا يجأه^(٥)، وهذا يتلنله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً. قال:

^(١) سورة غافر، جزء من الآية رقم ٢٨.

^(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي - ﷺ - ((لو كنت متخذاً خليلاً))، ١٣٤٥/٣، رقم ٣٤٧٥. وباب: ما لقي النبي - ﷺ - وأصحابه من المشركين بحكة، ١٤٠٠/٣، رقم ٣٦٤٣. وكتاب التفسير، باب سورة المؤمن (غافر)، ٤/١٨١٤، ١٨١٥، رقم ٤٥٣٧.

^(٣) انظر أبا يعلى، المسند، ٢٠/٤. والحاكم، المستدرک، ٦٧/٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وابن حجر، المطالب العالیة، ٣٨/٤، وقال: صحيح، وله شاهد في البخاري. وقال في الفتح: رواه أبو يعلى بإسناد صحيح، ٧/١٥. واهيئني في الجمع، ١٧/٦، وقال: رجاله رجال الصحيح.

^(٤) انظر الحميدي، المسند، ١٥٥/١، ١٥٦. وابن حجر، المطالب العالیة، ٤/١٩٢، ١٩٣. وقال في الفتح: رواه أبو يعلى بإسناد حسن، ٧/١٥. وقال البوصيري: رواه الحميدي وأبو يعلى بإسنادٍ رواه ثقة.

^(٥) يجأه أي: يضربه.

والله مادنا منه منّا أحدٌ إلا أبو بكر يضرب هذا ويجالد هذا، ويتلذذ هذا ويقول :
ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله! ثم رفع عليّ بردةً كانت عليه فبكى حتى
اخضلت لحيته، ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خيرٌ أم أبو بكر ؟ فسكت
القوم، فقال : ألا تجيبونني ؟ فوالله لساعةً من أبي بكر خير من مثلي مؤمن آل
فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه. ^(١)

٥ - موقفه مع الرسول - ﷺ - أثناء هجرته إلى المدينة، حيث كان رفيقه آنذاك، وقد
لاقى في ذلك مالاتى من المعاناة والخوف الشديد على نفس المصطفى - صلى
الله عليه وسلم، فمن ذلك :

أ - لما خرج النبي - ﷺ - ومعه أبو بكر إلى ثور، هاربين من قريش ومن الطلب،
جعل أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يكون أمام النبي - ﷺ - مرةً، وخلفه مرةً، فسأله النبي
- ﷺ - عن ذلك، فقال : إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك، وإذا كنت
أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك، حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور، قال أبو
بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : كما أنت حتى أدخل يدي فأحسه وأقصه فإن كانت فيه دابة
أصابتي قبلك. ^(٢)

ب - لما انتهى المشركون إلى الغار، قال أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - للنبي - ﷺ - : هؤلاء
قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أئمل ^(٣)، ولكن مخافة أن أرى فيك
مأكره. ^(٤)

^(١) ابن يوسف، سبل الهدى، ٥٧٥/٢. وابن حجر، الفتح، ٢١٥/٧.

^(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٧/٣، ١٧٨، وذكر - رحمه الله - روايات عديدة تفيد هذا المضمون، وروى نحوه الحاكم في المستدرک،
٦/٣، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه ولم يفرجاه، ووافقه النهي في تلخيصه.

^(٣) أئمل : أَلَّ المريض والحزين، أَلَّ وحنَّ ورفع صوته عند المصيبة.

^(٤) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٩/٣.

ج - وأثناء السير كان الصديق - رضي الله عنه - يلتفت كل لحظة خوفاً على المصطفى ﷺ (١)، وحين أدركهم سراقه بن مالك، حزن - رضي الله عنه - حزناً شديداً، فقال له النبي ﷺ - : ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ (٢)، حتى إذا دنا منهم وما بينهم وبينه قدر رمحٍ أو رمحين، بكى أبو بكر - رضي الله عنه - فقال له النبي - ﷺ - : لم تبكي ؟ فقال: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. (٣)

إن المتمعن في هذه النصوص، وتلك المواقف ليجد الحزن الشديد، والهم العظيم، والوجد الكبير الذي لحق الصديق - رضي الله عنه - من جرأء اعتداء المشركين على الرسول - ﷺ، أو محاولتهم لذلك. وكفى به أذىً نفسياً جارحاً للفؤاد ومقرحاً للكبد، فضلاً عن مالحقه - رضي الله عنه - من أذىً بدني خاصاً به، أو ناتجٍ عن حمايته للرسول - ﷺ - فرضي الله عنه - وأرضاه .

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب : هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه إلى المدينة. ١٤٢٠/٣، رقم ٣٦٩٣.

(٢) سورة التوبة، جزء من الآية رقم ٤٠.

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفاق، باب في حديث الهجرة. ويقال له : حديث الرُّحْل.، ٢٣٠٩/٤، ٢٣١٠، رقم

٢٠٠٩. ومسند الإمام أحمد، ٤٠٣/١، رقم ٣. وقال عنه أحمد شاكر : إسناده صحيح، ١٥٤/١.

ثانياً : عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

أسلم - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في ذي الحجة السنة السادسة من النبوة، وهو ابن ست وعشرين سنة. ^(١) وكان قبل إسلامه مؤذياً للرسول - ﷺ - شديداً عليه ^(٢) لا يدعه ليلاً ولا نهاراً. ^(٣)

كما أن إيذائه نال من آمن بالرسول - ﷺ - ، فمن ذلك :

١ - مارواه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: والله لقد رأيتني وإنَّ عمر لموثقي على الإسلام، قبل أن يسلم عمر)) ^(٤) وفي رواية أخرى : ((لورأيتني موثقي عمر على الإسلام، أنا وأخته، وما أسلم)) ^(٥).

٢ - وعن ليلي بنت أبي حثمة ^(٦) قالت: والله إننا لنترحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر ^(٧) في بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليّ وهو على شركه - قالت : وكُنَّا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا - قالت : فقال : إنه

^(١) انظر ابن سعد، الطبقات، ٢٦٩/٣ - ٢٧٠.

^(٢) انظر الذهبي، بحيرة النبوة، ص ١٧٨. وابن حبان، الثقات، ٧٢/١.

^(٣) انظر الذهبي، السيرة النبوية، ص ١٧٣.

^(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب إسلام سعيد بن زيد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، ١٤٠٢/٣. رقم ٣٦٤٩.

^(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب إسلام عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، ١٤١٤/٣، رقم ٣٦٥٤.

^(٦) ليلي بنت أبي حثمة بن حذيفة بن غام بن عامر، القرشية العدوية أخت سليمان. وكانت زوج عامر بن ربيعة العنبري، فولدت له عبيد الله. أسلمت قديماً وبايعت، كانت من المهاجرين الأول، هاجرت أفجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، يقال : إنها أول ظعينة دخلت المدينة في الهجرة، ويقال : أم سلمة. انظر : ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٣ / ١١٦. وابن الأثير، أسد الغابة، ٥٤١/٥.

^(٧) عامر بن ربيعة بن حجر بن سلامان بن مالك بن ربيعة، كان حليفاً للخطاب ابن نفيل، وكان الخطاب لما حالفه عامر بن ربيعة تبناه وادعاه إليه فكان يقال له : عامر بن الخطاب حتى نزل القرآن : أدعوهم لأبائهم، فرجع عامر لنسبه، وهو صحيح النسب في وائل. أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله - ﷺ - ، دار الأرقم بن أبي الأرقم وقبل أن يدعو فيها. وهاجر إلى أرض الحبشة أفجرتين جميعاً ومعه امرأته ليلي بنت أبي حثمة العدوية. أول من قدم المدينة بعد أبي سلمة بن عبد الأسد، وشهد بدرأ وأحداً والخندق -

للانطلاق يأتمَّ عبد الله. قالت : فقلت : نعم والله، لنخرجنَّ في أرض الله،
أذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجاً. قالت : فقال : صحبتكم الله،
ورأيت له رقَّةً لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا .
قالت : فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له : يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر آنفاً
ورقته وحزنه علينا. قال : أطمعت في إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم، قال : فلا
يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب، قالت : ياساً منه، لما كان يُرى من
غلظته وقسوته على الإسلام .^(١)

٣ - مافعله بأخته فاطمة بنت الخطاب، وبخته سعيد بن زيد - رضي الله عنهم
أجمعين - حينما علم بإسلامهما . فقد ضرب أخته حتى أدمى وجهها وبطش
بسعيد ووطنه وطناً شديداً .^(٢)
وما إن أسلم إلا لاقى مالاقي غيره من الأذى، تلك القنطرة التي لا بُدَّ من عبورها،
فمن ذلك :

١ - عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته
نصراً، وكانت إمارته رحمة، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم
عمر، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا .^(٣)

٢ - وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : بينما هو في الدار خائفاً -
يعني عمر رضي الله عنه بعد إسلامه - إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو،
عليه حُلة حبرة وقميص مكفوف بحرير، وهو من بني سهم، وهم حلفاؤنا في
الجاهلية، فقال له : مابالك ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت، قال :

=والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مات بعد قتل عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - بأيام، وكان قد لزم بيته فلم يشعر الناس إلا
بجنازته قد أخرجت. انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٨٦، ٣٨٧.

^(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٧٠، والنهي، السيرة النبوية، ص ١٨١.

^(٢) انظر ابن حبان، الثقات، ١/٧٤. وابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٧١. والنهي، السيرة النبوية، ص ١٧٤.

^(٣) انظر ابن سعد، الطبقات، ٣/٢٧٠. وابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٦٩.

لاسيبيل إليك، بعد أن قالها أمنت، فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادي، فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ، قال : لاسيبيل إليه، فكرّ الناس. ^(١)

٣ - وعنه - رضي الله عنهما - أيضاً، قال : لمّا أسلم أبي عمر قال : أي قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر الجمحي. قال : فغدا عليه . قال عبد الله بن عمر : فغدوت أتبع أثره، وانظر مايفعل، وأنا غلام أعقل كلّ مارأيت، حتى جاءه، فقال له : أعلمت ياجميل أنني قد أسلمت ودخلت في دين محمد ؟ قال : فوالله ماراجعه حتى قام يجرّ رداءه واتبعه عمر، واتبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته، يامعشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إنّ عمر بن الخطاب قد صبأ . قال : يقول عمر من خلفه :، كذب، ولكني قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً عبده ورسوله . وثاروا إليه، فمابرح يقاتلهم ويقاثلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطلح ^(٢)، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ماابدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كُنّا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم، أوتركتموها لنا، قال : فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش، عليه حلة حبرة ^(٣) وقميص موشّي، حتى وقف عليهم، فقال : ماشأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر، فقال : فمه، رجل اختار لنفسه أمراً فما ذا تريدون ؟ أترون بني عدي بن كعب يُسلمون لكم صاحبهم هكذا! خلّوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه . ^(٤)

^(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب : اسلام عمر بن الخطاب - بئتين، ١٤٠٣/٣، رقم ٣٦٥١.

^(٢) طلح : تعب وأعبا.

^(٣) الحبرة : نوع من برود اليمن.

^(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٧٤/١، ٣٧٥. والنهي، السيرة النبوية، ص١٧٦ و١٧٨، ١٧٩.

٤ - أن عمر - رضي الله عنه - قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - ذات مرة : يا رسول الله على مانخفي ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ قال : ((يا عمر إنا قليل قد رأيت مالتينا)) فقال عمر: فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان، ثم خرج فطاف بالبيت ثم مرَّ بقريش وهي تنتظره، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صيوت؟ فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . فوثب المشركون إليه، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه، وأدخل أصبعه في عينيه، فجعل عتبة يصيح فتتحي الناس فقام عمر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه، حتى أعجز الناس . وأتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان، ثم انصرف إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو ظاهر عليهم. ^(١)

إن الفاروق - رضي الله عنه - أحب أن يصيبه ما أصاب إخوانه المسلمين من الأذى والعذاب. إنه يريد أن يعلن شعائر الإسلام والتي طالما حاربها وسعى لإخمادها. إنه يريد أن يعتز بهذا النور المبين والصراط المستقيم . وقد فعل ذلك دون تواني أو تردد، فيالها من نعمة كبرى، ومنة عظيمة أسداها الباري - جل وعلا - له، فرضي الله عنه وأرضاه .

^(١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٣٠.

ثالثاً : بلال بن رباح - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . :

وممنّ تمرّس الكفار في تعذيبه وإيذائه : بلال بن رباح - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ذلك أنه صمد في ذات الله صموداً قوياً رغم ما أصابه من أنواع الأذى والتعذيب .
فقد كان لبعض بني جمح، مولداً من مولديهم، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أميه بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرجّه إذا حميت الظهيرة، في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمدٍ، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء : أحدٌ أحد .^(١)

وروى البلاذري عن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال : ((مررت ببلال وهو يعذب في الرمضاء لو أنّ بضعة لحم وضعت لنضجت، وهو يقول : أنا كافر باللات والعزى، وأميه مغتاض عليه، فيزيده عذاباً فيقبل عليه، فيذهب، خلقة فيغشى عليه، ثم يفيق.^(٢)

وكان مواليه يعطونه الولدان وفي رقبتهم حبل فيطوفون به شعاب مكة وهو يقول : أحدٌ أحد.^(٣)

وكانوا يعطشونه، ثم يخرجونه في اليوم الحار ويعذبونه في الرمضاء .^(٤)
كما أنهم أثناء التعذيب وأثناء الفتور، والجهد الشديد يطلبون منه النطق بكلمة الكفر، والثناء على آلهتهم والقول بقولهم وموافقهم، إلا أنه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - صامداً على إسلامه وتوحيده مردداً قوله : أحدٌ أحد .

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٤٤. وابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٥٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/١٨٥.

(٣) انظر الإمام أحمد، المسند، ١/٥٠٥، رقم ٨٣١. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، ٥/٣١٩. والحاكم، المستدرک، ٣/٢٨٤، وقال. صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي. وابن ماجه، في سننه، ١/٢٩، رقم ١٣٧. وذكره الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١/٣٠، رقم ١٢٢، وقال : حسن. وصححه الذهبي في السيرة النبوية، ص ٢١٨.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/١٨٦.

وهذا الصمود منه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وهذا القول يغيظهم كل الغيظ مما يجعلهم يواصلون تعذيبه والتتكيل به لما يجدون في صدورهم من غيظٍ وحنقٍ لهذا المعاند المصمم على منهجه والذي لم يتزعزع عنه طرفة عين.

وكان أبو جهل لا يكتفي بتعذيب أمية بن خلف لبلال، بل كان يساهم في ذلك، حيث أخذهُ مرَّةً فبطحه على وجهه، وسلقه في الشمس، وعمد إلى رحي فوضعها عليه فجعل بلال يقول : أحدٌ أحد .^(١)

وبعد عذابٍ مرير، ونكالٍ أليم، وإيذاءٍ شديد، قابله صبر قويٍّ، ومصابرة فذَّة، شاء الله - تعالى- أن يكشف الضراء، ويرفع اللواء، وينفس الكرب ويجلي الغم عن هذا المؤمن الصادق الصامد، الذي صبر وصابر، وكان حقيقاً وخليقاً بقول القائل :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فقال الصبور يا صبر صبرا .

فقد مرَّ أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في يوم من الأيام وبلال يُعَذَّب، فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر : أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيكه به، قال : قد قبلت فقال : هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - غلامه ذلك، وأخذهُ فأعتقه.^(٢)

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب في أسماء الأصحاب بهامش كتاب الإصابة لابن حجر، ١/١٤٤. ط: ١، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٤٥ وابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٥٦. وذكر النهي في سير أعلام النبلاء أن أبا بكر - رضي الله عنه - اشترى بلالاً وهو مدفون في الحجارة بخمس أواقٍ ذهباً، فقالوا : لو أبيت إلا أوقية لبعناكه، قال : لو أبيت إلا مئة أوقية لأخذته. وقال : إسناده قوي ١/٣٥٣. وعلى كل حال سواء كان اشتراء بلال بعد مثله أو بخمس أواق من الذهب، القصد ثبوت شراء أبي بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لبلال وإعتاقه بعد ذلك وهذا جاء ثابت في الحديث الصحيح الذي رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : كان عمر يقول : أبو بكرٍ سيدنا، وأعتق سيدنا يعني بلالاً، والحديث الصحيح الذي رواه قيس بن أبي حازم قال : إن بلالاً قال لأبي بكر : إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله، فدعني وعملي لله. انظر صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب بلال بن رباح، مولى أبي بكر، رضي الله عنهما، ٣/١٣٧١ برقمي ٣٥٤٤ و ٣٥٤٥.

بهذا يتضح أنّ لكلّ ضيقٍ مخرجاً، ولكلّ شدّةٍ فرجاً، ولكلّ كربةٍ منفساً. فقد نفّس الله له وفرّجَ بأبي بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حيث خلّصه من رقّ العبودية، وأسر الأذى والعذاب، واللذان اجتمعا عليه فكانا كفيّلين بزحزحته عن دينه، وتتحيته عن عقيدته، لكنه كان رابط الجأش، قويّ العزيمة، راضياً بهذا الابتلاء، صابراً عليه، حتى حاز سعادتي الأولى والأخرى .

رابعاً : خباب بن الأرت :

وهو من السابقين إلى الإسلام، حيث أسلم سادس ستة. (١) وقد كان مستضعفاً بمكة قيناً يعمل السيوف. (٢)

وكان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وأرضاه، ممن ذاق مرارة التعذيب، وحرارة الأذى وطعم الإهانة. فما أن علمت مولاته أم أنمار الخزاعية (٣) بإسلامه أخذت حديدة قد أحمتها، فوضعتها على رأسه، فشكا خباب ذلك إلى رسول الله - ﷺ -، فقال : اللهم انصر خباباً، فاشنكت مولاته رأسها، فكانت تعوي مع الكلاب، فقيل لها: اكتوي، فجاءت إلى خباب ليكويها، فكان يأخذ الحديدة قد أحماها فيكوي بها رأسها. (٤) وكان القرشيون يلصقون ظهره بالأرض على الرضف (٥)، حتى ذهب ماء مته. (٦)

وقد جاء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مرةً إلى النبي - ﷺ -، وهو متوسدٌ بردةً وهو في ظلّ الكعبة، وقد لقي وبعض أصحابه من المشركين شدةً، فقال : يا رسول الله، ألا تدعو الله، فقعد وهو محمرُّ وجهه، فقال: (لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، مادون عظامه من لحمٍ أو عصبٍ، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشقُّ باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه ..)) (٧).

(١) انظر الحاكم، المستدرک، ٣/٣٨٢.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ((أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً))، ٤/١٧٦١ رقم ٤٤٥٦.

(٣) ذكر الحاكم في المستدرک ٣/٣٨٢ أن خباباً سبي بمكة فاشترته أم أنمار بنت سباع الخزاعية. وهي أم أنمار بنت سباع بن عبد العزى الخزاعية حلفاء بني زهرة بن كلاب انظر ابن سعد، الطبقات، ١٤/٦.

(٤) انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ١/١٧٩.

(٥) الرضف : الحجارة المحمّاة.

(٦) انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ١/١٧٦.

(٧) انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٣/١٣٢٢، رقم ٣٤١٦. وكتاب فضائل الصحابة، باب سألني النبي - ﷺ - وأصحابه من المشركين بمكة، ٣/١٣٩٨، ١٣٩٩. رقم ٣٦٣٩.

وهذا يدلُّ على ماناله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وأصحابه من الأذى والتعذيب.

وذكر ابن سعد^(١) في الطبقات : أن خباباً - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - دخل على عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - زمن خلافته فأجلسه على متكئه، وقال : ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد، قال له خباب : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلال، قال : فقال له خباب : يا أمير المؤمنين ما هو بأحق مني، إن بلالاً كان له في المشركين من يمنعه الله به، ولم يكن لي أحدٌ يمنعي، فلقد رأيتني يوماً أخذوني وأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها، ثم وضع رجلٌ رجله على صدري فما اتقيت الأرض أوقال : برد الأرض إلا بظهري، وما أطفأ تلك النار إلا شحمي، ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص.^(٢)

وكان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - إضافة إلى مايلقى من الأذى البدني، كان يلقي الظلم والغصب لماله وحقه حيث يقول - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : كنت قيناً في الجاهلية، وكان لي دينٌ على العاصي بن وائل، قال : فأتاه يتقاضاه، فقال : لأعطيك حتى تكفر بمحمدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال : والله لأكفر حتى يميتك الله ثم تبعث، قال : فذرنى حتى أموت ثم أبعث، فسوف أوتى مالاً وولداً فأقضيك ..)) .^(٣)

هذا بعض مالحقه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - من إيذاء، ومع ذلك فهو صامدٌ ومتمسكٌ بدينه كالجبل لم ينحرف عنه يوماً من الأيام يمناً أو يسرة، فرضي الله عنه وأرضاه .

(١) محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله : مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث، ولد في البصرة سنة ١٦٨هـ، وسكن بغداد، فتوفي فيها سنة ٢٣٠هـ. وصحب الواقدي المؤرخ، زماناً، فكتب له وروي عنه، وعُرف بكتّاب الواقدي. أشهر كتبه : ((طبقات الصحابة)) اثنا عشر جزءاً، يعرف بطبقات ابن سعد. انظر الزركلي، الأعلام، ١٣٦/٦، ١٣٧.

(٢) انظر ابن سعد، الطبقات، ١٦٥/٣، والبلاذري، أنساب الأشراف، ١٧٨/١.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى : ((كلا سنكتب ما يقول ونعد له من العذاب مداً))، ١٧٦١/٤، رقم ٤٤٥٧.

خامساً : آل ياسر :

وممن كان يقبى صنوف الأذى والعذاب من قبل كفار قريش : آل ياسر .
فقد كان عمار بن ياسر وأبوه ياسر^(١)، وأمه ((سمية))، وأخوه ((عبدالله))^(٢)،
أهل بيت إسلام وكان بنو مخزوم يخرجونهم إذا حميت الظهرية فيعذبونهم
برمضاء^(٣) مكة . وكان يمرُّ بهم رسول الله - ﷺ - فيقول : ((صبراً يا آل ياسر
فإن موعدكم الجنة)) .^(٤)

وفي رواية : ((ابشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة)) .^(٥)
وعن عثمان بن عفان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : أقبلت مع رسول الله - ﷺ - آخذاً بيدي
ونحن نتمشى بالبطحاء حتى أتى على أبي عمار وأمه وعمار وهم يُعذَّبون، فقال
أبو عمار : يا رسول الله، الدَّهر هكذا، فقال له النبي - ﷺ - اصبر اللهم اغفر
لآل ياسر وقد فعلت .^(٦)

^(١) ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس . وكان ياسر وأخوه الحارث ومالك قدموا من اليمن إلى مكة يطلبون أختاً لهم فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سمية بنت خياط فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة، ولم يزل ياسر وعمار مع أبي حذيفة إلى أن مات، وجاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وسمية وعمار وأخوه عبد الله بن ياسر . وكان لياسر ابن آخر أكبر من عمار وعبد الله يقال له حريث فقتله بنو الدليل في الجاهلية وكان ياسر لما أسلم أخذته بنو مخزوم فجعلوا يعذبونه ليرجع عن دينه حتى مات في العذاب . انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣٦/٤ . وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٠ / ٣٣١ ، رقم ٩٢٠٩ .

^(٢) عبد الله بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس . أخو عمار بن ياسر وابن سمية بنت خياط . اسلم مع عائلته وعُذِّب في ذات الله حتى مات في العذاب . انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣٦/٤ . والبلاذري، أنساب الأشراف، ١٦٠/١ .

^(٣) الرمضاء : الرمال الشديدة .

^(٤) انظر الحاكم، المستدرک، ٣٨٣/٣ . والهيتمي، مجمع الزوائد، ٢٩٣/٩ ، وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات . وابن كثير، البداية والنهاية، ٥٧، ٥٦/٣ . وابن هشام، السيرة النبوية، ١٠ / ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

^(٥) الحاكم، المستدرک، ٣٨٨/٣ ، ٣٨٩ وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي والهيتمي، مجمع الزوائد، ٢٩٣/٩ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وهو ثقة . وقال عنه الألباني : ((حديث حسن صحيح)) انظر حاشية فقه السيرة للغزالي ص ١٠٧ - ١٠٨ .

^(٦) الهيتمي، مجمع الزوائد، ٢٩٣/٩ ، وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . وابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣ / ٢٤٨ ، ٢٤٩ . و١٣٦/٤ ، ١٣٧ .

ثم لم يلبث ياسر أن مات تحت العذاب، ورمي ابنه عبد الله فسقط .^(١) أمّا سمية، فقد جاء إليها أبو جهل يوماً فجعل يشتمها ويرفث، وقال : ماأمنت بمحمد إلاّ لأنك عشقته لجمالها، فأغلظت له القول، فطعنها بالحربة في قلبها فقتلها، فهي أول شهيدة في الإسلام.

وكانت رضي الله عنها عجوزاً كبيرة ضعيفة، ولما قتل أبو جهل يوم بدر قال النبي - ﷺ - لعمار قتل الله قاتل أمك.^(٢)

أمّا عمار - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فقد شاء الله - تعالى - أن يعيش بعد أسرته رديحاً من الزمن وأن يلقى في ذات الله أنواعاً من الأذى وأصنافاً من العذاب. قال محمد بن كعب القرظي^(٣): أخبرني من رأى عمّار بن ياسر متجرداً في سراويل، قال : فنظرت إلى ظهره، فإذا فيه حَبَطٌ^(٤) كثير، فقلت له : ما هذا ؟ قال : هذا مما كانت قريش تعذبني به في رمضاء مكة .^(٥)

وقد أخذوا في تعذيبه مرّةً حتى قالوا : لانتركك حتى تسبّ محمداً - ﷺ - أو نقول في اللات والعزى خيراً، فأعطاهم ذلك السب وذكروا آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله - ﷺ - قال : ماوراءك قال : شرّاً يارسول الله، ماتركك حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال كيف تجد قلبك، قال : مطمئن

^(١) انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ١٦٠/١. وابن حجر، الإصابة، ٦٣٩/٦.

^(٢) انظر البلاذري، أنساب الأشراف، ١٥٨/١. والسهيلي، الروض الأنف، ٤٨/٢. وابن سعد، الطبقات، ٢٣٣/٣. وقال الحافظ في الإصابة : أخرجه ابن سعد بسند صحيح، ٧١٣/٧. والبيهقي، الدلائل، ٢٨٢/٢.

^(٣) محمد بن كعب بن سليم، الإمام العلامة الصادق أبو حمزة، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة، كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً، وكان من أئمة التفسير. قيل: كان مجاب الدعوة، كبير القدر. توفي سنة ثمان ومئة، وقيل سنة سبع عشرة ومئة وهو ابن ثمان وسبعين سنة. انظر النهي، سير أعلام النبلاء. ٦٨-٦٥/٥.

^(٤) الحَبَطُ : هو الانتفاخ.

^(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ١٥٨/١.

به الإيمان، قال : إن عادوا فعد، وقد أنزل الله في ذلك قرآناً، يقول تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ . (١) (٢)

هذا ماكان من المشركين تجاه تلك الأسرة المؤمنة الصادقة في إيمانها والتي لم تنزع عن إسلامها وإيمانها طرفة عين، حتى مات من مات وقتل من قتل ونجا من نجا فرضي الله عنها وأرضاها .

(١) سورة النحل، آية رقم ١٠٦ .

(٢) انظر الحاكم، المستدرک، ٣٥٧/٢، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره النهي . وقد ذكر المفسرون عند تفسيرهم لقوله تعالى : ((من كفر بالله من بعد إيمانه ..)) الآية، أنها نزلت في عمار . انظر الطبري، جامع البيان، ٦٥١/٧، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٥٨/٢ . وقال ابن حجر في الإصابة ٥٧٦/٤ : اتفقوا على أنه نزل فيه : ((إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ..)) الآية، يعني عمار بن ياسر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .

سادساً : عثمان بن مظعون :

لما أسلم لحقه مالحق غيره من الأذى فهاجر إلى الحبشة ومكث فيها ماشاء الله.^(١) ولما بلغه إسلام أهل مكة، أقبل من الحبشة حتى إذا دنا من مكة بلغه أن خبر إسلام أهل مكة باطل، فدخلها بجوار الوليد بن المغيرة ومكث على ذلك أياماً^(٢)، فلمّا رأى مافيه أصحاب رسول الله - ﷺ - من البلاء وهو يروح ويغدو في أمان من الوليد بن المغيرة قال : والله إن غدوّي ورواحي في جوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله مالا يصيبني لنقص كثير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت إليك جوارك . قال لم يا ابن أخي ؟ لعله أذاك أحد من قومي قال : لا ولكني أَرْضَى بجوار الله - عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره . قال : فانطلق إلى المسجد فاردد عليّ جوارى علانية كما أجزتكَ علانية . فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد بن المغيرة : هذا عثمان قد جاء يردّ عليّ جوارى قال : صدق، قد وجدته وفيّاً كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره . ثم انصرف عثمان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال ليبيد :

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل

فقال عثمان : صدقت . فقال ليبيد :

وكل نعيمٍ لا محالة زائل

فقال عثمان : كذبت نعيم الجنة لا يزول . فقال ليبيد : يامعشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في

^(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٥٥/١.

^(٢) انظر المرجع السابق، ١٩/٢ - ٢١.

سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدنَّ في نفسك من قوله، فردَّ عليه عثمان حتى شري أمرهما فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فحضرَّها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان . فقال : والله يا ابن أخي إن كانت عينك عمَّا أصابها لغنيَّة، ولقد كنت في ذمَّةٍ منيعةٍ . فقال عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله وإنِّي لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي إلى جوارك فعد، قال : لا. ^(١)

^(١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٩٠. وابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٢١-٢٣.

سابعاً : عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

كان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بمكة .
وكان من أمره : أن الصحابة - رضي الله عنهم - اجتمعوا يوماً، فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه ؟ فقال عبد الله ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : أنا، قالوا : إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال : دعوني فإن الله سيمنعني . فغدا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ : ﴿الرحمن علم القرآن﴾^(١) . ثم استقبلها يقرأها . فتأملوه فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثاروا في وجهه، فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك، فقال : ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً، قالوا : لا، حسبك، قد أسمعتم ما يكرهون.^(٢)

^(١) سورة الرحمن، الآيات رقم ١، ٢.

^(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤١/١، ٣٤٢. والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٤٩/١.

ثامناً : أبو ذر الغفاري . رضي الله عنه . :

١ - روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما بلغ أبا ذرٍ مبعث النبي - ﷺ - قال لأخيه : اركب إلي هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ، يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم انتني، فانطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذرٍ فقال له : رأيتك يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر، فقال : ماشفتني ممّا أردت، فتزوّد وحمل شنةً له فيها ماءٌ حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبي - ﷺ - ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل، فرآه عليٌّ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيءٍ حتى أصبح، ثم احتمل قريته وزاده إلى المسجد، وظلّ ذلك اليوم ولا يراه النبي - ﷺ - حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه فمّر به عليٌّ فقال : أما نال للرجل أن يعلم منزله ؟ فأقامه فذهب به معه، لا يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيءٍ، حتى إذا كان اليوم الثالث، فعاد عليٌّ مثل ذلك، فأقام معه ثم قال : ألا تحدثني ما الذي أقدمك، قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنني فعلت، ففعل فأخبره، قال : فإنه حق، وهو رسول الله - ﷺ - فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي - ﷺ - ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي - ﷺ - : (ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى) قال : والذي نفسي بيده، لأصْرُخَنَّ بها بين ظهرائهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباسُ فأكبَّ عليه، قال : ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام،، فأنقذه منهم، ثم

عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليه، فأكبَّ العَبَّاسُ عليه. (١)

٢- وروى مسلمٌ - رحمه الله - في صحيحه، أنَّ أباذرٌ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: خرجنا من قومنا غفار. وكانوا يُحِلُّون الشهر الحرام . فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا . فنزلنا على خال لنا، فقال أنيس: إن لي حاجةً بمكة فاكفني. فانطلق أنيس حتى أتى مكة. فراث عليٌّ (٢). ثم جاء فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك . يزعم أنَّ الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعرٌ، كاهنٌ، ساحرٌ، وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة . فما هو بقولهم . ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر . فما يلتئم على لسان أحدٍ بعدي، أنه شعر . والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون. قال: قلت: فاكفني حتى أذهب فانظر . قال: فأتيت مكة . فَتَضَعَفْتُ (٣) رجلاً منهم . فقلت: أين هذا الذي تدعونه الصابيء؟ فأشار إليّ، فقال: الصابيء. فمال عليٌّ أهل الوادي بكل مدرّة وعظمٍ . حتى خررت مغشياً عليٌّ . قال: فارتفعت حين ارتفعت، كأنني نُصِبْتُ أحمر. (٤) قال: فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء، وشربت من مائها. (٥)

هذه بعض من النماذج ممَّا قام به المشركون تجاه المدعوين من إيذاء نفسيّ وتعذيب بدنيّ والتي تعطينا تصوّراً كاملاً لمدى تفاني أولئك المشركين في الصدّ عن هذا الدين بكل مايسطيعون، ومدى تضحية أولئك الأبطال وصبرهم وتفانيهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب: إسلام أبي ذر الغفاري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، ٣/١٤٠١، ١٤٠٢، رقم ٣٦٤٨ وكتاب المناقب، باب: قصة إسلام أبي ذر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، ٣/١٢٩٤-١٢٩٦، رقم ٣٣٢٨. ومسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، ٤/١٩٢٣-١٩٢٥.

(٢) فراث عليٌّ: أي أبطأ.

(٣) فتضعفت: يعني نظرت إلى أضعفهم فسألته. لأن الضعيف مأمون الغائلة دائماً.

(٤) نصب أحمر: يعني من كثرة الدماء التي سالت منه بضربهم، والنصب والنصب الصنم والحجر كانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده، فيحمرُّ بالدم. وجمعه أنصاب. ومنه قوله تعالى: ((وماذبح على النصب...))، جزء من الآية رقم ٣ سورة المائدة.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي ذر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، ٤/١٩١٩، ١٩٢٠، رقم ٢٤٧٣.

بالتمسك بهذا الطريق القويم والصراط المستقيم الذي ما إن دخل قلوبهم حتى ضرب أطنابه، واستقرَّ بأركانِه .

إنَّ الباعث الأساسي لهذا الإيذاء، وتلك المواجهه، هو : اعتناقهم لهذا الدين، وإفرادهم الله عزوجل بالعبادة، يقول تعالى : ﴿ وما تموموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ .^(١)

فلاذنب ولاجرم، سوى هذا الإيمان الذي تحلَّوا بحلاوته، وتطعموا بطعمه حتى أثروه على غيره، ولو كان في ذلك ذهاب الأنفس والأموال .
فرضي الله عنهم وأرضاهم وجمعنا وإياهم في دار كرامته ومستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا .

^(١) سورة البروج آية رقم ٨ .

الفصل الثاني

منهج الدعوة في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي

وفيه، تمهيد، ومبحثان:

المبحث الأول

منهج الدعوة القولي في مواجهة أساليب المشركين.

المبحث الثاني:

منهج الدعوة العملي في مواجهة أساليب المشركين.

منهج الدعوة في مواجهة أساليب المشركين:

تمهيد:

قام المشركون في صدّهم عن الدعوة الإسلامية بأساليب عديدة ومتنوعة، منها القولي، ومنها العملي. وقد تمّ الكلام عنها وبسط القول فيها في الفصل الأول من هذا البحث.

ولم تقف الدعوة الإسلامية من تلك الأساليب الموقف السلبي أو موقف المشاهد فحسب، بل كانت هناك المواجهة المتنوعة كل أسلوب بما يناسبه، إذا ما اقتضت المصلحة ذلك.

وبعد البحث، والقراءة والاطلاع، اتضح لي أن منهج الدعوة في مواجهة تلك الأساليب، ينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول :

منهج الدعوة القولي في مواجهة أساليب المشركين.

المبحث الثاني:

منهج الدعوة العملي في مواجهة أساليب المشركين.

المبحث الأول

**منهج الدعوة القوي في مواجهة أساليب
المشركين وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول:

منهج القرآن القوي في مواجهة أساليب المشركين.

المطلب الثاني:

منهج الرسول ﷺ القوي في مواجهة أساليب المشركين.

المطلب الثالث:

منهج الصحابة-رضوان الله عليهم- القوي في مواجهة أساليب المشركين.

المطلب الأول

منهج القرآن الكريم القوي في مواجهة أساليب المشركين

وفيه: تمهيد، ومقصدان.

المقصد الأول:

المواجهة القرآنية القولية المباشرة.

المقصد الثاني:

المواجهة القرآنية القولية غير المباشرة

(التوجيهية).

المطلب الأول:

منهج القرآن الكريم القولي في مواجهة أساليب المشركين:

تمهيد:

لم يقف القرآن الكريم من أساليب المشركين الموقف السلبي، فقد قام بمنهج فريد وأسلوب رفيع لمواجهة هذا الشغب من أولئك المفسدين.

فلئن كان المشركون قد تفننوا ونوعوا استخدام الأساليب، فالقرآن أبين منهم وأقدر وأمكن، لا سيما الأسلوب المتين والبلاغة والفصاحة التي عجزوا عن محاكاتها وهم أرباب الكلام وعلى لسانهم نزل.

لذا جاء منهج القرآن الكريم في هذه المواجهة متنوعاً كل أسلوب بما يناسبه وكل شخص بما يصلح له، فحسب أولئك المشركون، وخسأت أساليبهم واضمحل ذلك الباطل الذي جرفه تيار هائل لا قبل له به، يقول تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾^(١)، ويقول تعالى: ﴿بل تخذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾^(٢)، ويقول تعالى: ﴿قل جاء الحق وما يبديء الباطل وما يعيد﴾^(٣).

وبعد الغوص في البحر الذي لا ينضب ماؤه، ولا يدرك قعره ولا يرى ساحله، اتضحت لي بعض تلك الأساليب التي اتسم بها منهج القرآن القولي في مواجهته لأساليب المشركين، والتي فيها الحجج القوية الدامغة والبراهين النيرة الساطعة، والتي لا يحصرها حاصر ولا يلم بها ملتم.

(١) سورة الإسراء، الآية رقم ٨١.

(٢) سورة الأنبياء، جزء من الآية رقم ١٨.

(٣) سورة سبأ، الآية رقم ٤٩.

لقد تنوعت أساليب منهج القرآن القولي، فمنها ما هو من جنس أساليب المشركين من حيث النوع، ((وإن عاقبتم فمأقبوا مثل ما عوقبتم به...))،^(١) وهو أسلوب رائع بديع فيه تنزل مع مدركاتهم.

ومنها ما هو أعلى منها وأرفع، وهو أسلوب يبين القدرة الإلهية أمام ذلك الضعف والقصور البشري.

لقد جاءت تلك الأساليب المتنوعة والمتعددة وذلك لتلقم أفواه أولئك الطغاة حجراً، وتملاً قلوب أولئك المؤمنين أنساً.

وقد قسمت هذا المطلب إلى مقصدين: -

المقصد الأول: المواجهة القرآنية القولية المباشرة.

المقصد الثاني: المواجهة القرآنية القولية غير المباشرة ((التوجيهية)).

^(١) سورة النحل، جزء من الآية رقم ١٢٦.

المقصد الأول

المواجهة القرآنية القولية المباشرة

وفيها عدة أساليب:

- ١- أساليب البيان.
- ٢- أسلوب التسليية.
- ٣- أسلوب التحدي.
- ٤- أسلوب التشويه.
- ٥- أسلوب التهديد.

المقصد الأول: المواجهة القرآنية القوية المباشرة:

وهي التي استخدمها القرآن الكريم مباشرة، سواءً كان الخطاب فيها للمشركين كمواجهة لأساليبهم، أو للنبي - ﷺ - كأن يسليه أو نحو ذلك.
ومن أساليب هذا النوع: -

- (١) أساليب البيان.
- (٢) أسلوب التسلية.
- (٣) أسلوب التحدي.
- (٤) أسلوب التشويه.
- (٥) أسلوب التهديد.

وسألقي الضوء - إن شاء الله - تعالى - على كل أسلوب من هذه الأساليب مع تدعيمه ببعض النماذج التي وردت فيه من كتاب الله - جل وعلا - والتي تثبت وقوعه واستخدامه.

الأسلوب الأول

أساليب البيان،

وتحتها مايلي:

الأسلوب الأول : أسلوب بيان الحقيقة.

الأسلوب الثاني: أسلوب بيان الحكمة.

الأسلوب الثالث: أسلوب بيان القدرة.

(أ) أساليب البيان:

وإن من الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في مواجهته لأساليب المشركين، أساليب البيان، والتي من خلالها: أوضح حقيقة أمور عديدة أسدل عليها المشركون ستار البهتان والافتراء.

كما أوضح الحكم الجليلة لأمر كثيرة أثار المشركون من حولها التساؤلات والافتراضات الواهية. كما بين القدرة الإلهية التي كان يتجاهلها أولئك ويتعامون عنها. لذا جاء هذا النوع من الأساليب لبيان الحقيقة الناصعة التي لامرية فيها، والحكمة الجليلة التي لا تردد في فهمها، والقدرة العظيمة التي لا نقاش فيها، فكان على النحو التالي:

الأسلوب الأول: أسلوب بيان الحقيقة.

الأسلوب الثاني: أسلوب بيان الحكمة.

الأسلوب الثالث: أسلوب بيان القدرة.

الأسلوب الأول

أسلوب بيان الحقيقة،

وفيه بيان الأمور التالية:

الأمر الأول: بيان حقيقة القرآن.

الأمر الثاني: بيان حقيقة الرسول - ﷺ -.

الأمر الثالث: بيان حقيقة حال المشركين لو نزلت الآيات.

الأمر الأول: بيان حقيقة القرآن الكريم: -

فالمشركون كما تقدم في أساليبهم القولية - اتهموا القرآن الكريم اتهامات عديدة، ووصفوه بأوصاف دنيئة.

وسوف أعرض بعض هذه الاتهامات ومن ثم أعرض مواجهة القرآن لها فمن ذلك:

١- قالوا عن القرآن الكريم: إنه إفك مفترى:

وقد جاء بيان ذلك الاتهام في آيات عديدة: كقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراء لا..﴾^(١) وكقوله تعالى: ﴿وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى..﴾^(٢)، فقام القرآن برد هذه الفرية وتنفيدها وذلك ببيان حقيقة القرآن عن طريق قوله تعالى: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾^(٣). فهذا خبر من الله جل ثناؤه، من أن هذا القرآن من عنده، أنزله على محمد - ﷺ - عبده ورسوله. وتكذيب منه للمشركين الذين قالوا إنه إفك مفترى. فإنه لا يمكن لأحد أن يخلقه من عند غير الله، بل ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله لأن ذلك لا يقدر عليه أحد من الخلق، فالآية جواب لقولهم: ﴿افتراه﴾^(٤). وقد احتج القرآن في هذه الآية، لهذه الحقيقة بدلائل عديدة:

(١) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٤.

(٢) سورة سبأ، جزء من الآية ٤٣.

(٣) سورة يونس، الآية رقم ٣٧.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان ٦/٥٦١ وابن الجوزي، زاد المسير، ٤/٣٢.

الدالة الأولى: قوله تعالى: ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾، وتقرير ذلك

من وجوه:

(أ) أن محمداً -عليه السلام- كان رجلاً أمياً ما سافر إلى بلدة لأجل التعلم وما كانت مكة بلدة العلماء، وما كان فيها شيء من كتب العلم، ثم إنه عليه السلام أتى بهذا القرآن، فكان هذا القرآن مشتملاً على أقاصيص الأولين، والقوم كانوا في غاية العداوة له فلو لم تكن هذه الأقاصيص موافقة لما في التوراة والإنجيل لقتلوا فيه ولبالغوا في الطعن فيه، ولقالوا له إنك جننت بهذه الأقاصيص لا كما ينبغي، فلما لم يقل أحد ذلك مع شدة حرصهم على الطعن فيه، وعلى تقييح صورته، علمنا أنه أتى بتلك الأقاصيص مطابقة لما في التوراة والإنجيل، مع أنه ما طالعهما ولا تتلمذ لأحد فيهما، وذلك يدل على أنه عليه السلام إنما أخبر عن هذه الأشياء بوحى من قبل الله تعالى.

(ب) أن كتب الله المنزلة دلت على مقدم محمد عليه السلام - وذلك في آيات عديدة، كقوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي مجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل...﴾^(١)، وقوله: ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول لله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد..﴾^(٢) فإذا كان الأمر كذلك كان مجيء محمد -عليه السلام- تصديقاً لما في تلك الكتب، من البشارة بمجيئه -ﷺ- فكان هذا عبارة عن تصديق الذي بين يديه.

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية رقم ١٥٧.

(٢) سورة الصف، جزء من الآية رقم ٦.

ج) أنه - ﷺ - أخبر في القرآن عن الغيوب الكثيرة في المستقبل، ووقعت مطابقة لذلك الخبر، كقوله تعالى: ﴿الر. غلبت الروم﴾^(١)، ونحو ذلك من الآيات الكثيرة، فهذا يدل على أن الإخبار عن هذه الغيوب المستقبلية، إنما حصل بالوحي من الله تعالى، فكان ذلك عبارة عن تصديق الذي بين يديه.

فالوجهان الأولان: إخبار عن الغيوب الماضية.

والوجه الثالث: - إخبار عن الغيوب المستقبلية.

ومجموعها عبارة عن تصديق الذي بين يديه.^(٢)

الدلالة الثانية: قوله تعالى: ﴿وتفصيل الكتاب﴾، التفصيل التبيين بأنواعه.

والظاهر أن تعريف الكتاب تعريف الجنس، فيستغرق الكتب كلها. ومعنى كون القرآن تفصيلاً لها أنه مبين لما جاء مجملاً في الكتب السالفة وناسخ لما لا مصلحة للناس في دوام حكمه، ودافع للمتشابهات التي ضلّ بها أهل الكتاب كما أنه مشتمل على تفاصيل جميع العلوم الشريفة، عقليها ونقليها، اشتمالاً يمتنع حصوله في سائر الكتب. فكل ذلك داخل في معنى التفصيل، مثبت لقضية إعجازه.^(٣)

الدلالة الثالثة: - قوله تعالى: ﴿لا ريب فيه﴾، فهذه الجملة - مستأنفة -

ردت مزاعم الذين زعموا أنه مفترى باقتلاع دعوى افتراءه، وأنها مما لا يروج على أهل الفطن والعقول العادلة.

فإذا كان هذا الكتاب الطويل المشتمل على هذه العلوم الكثيرة، لا بد وأن يشتمل على نوع من أنواع التناقض، وحيث خلى هذا الكتاب عنه، علمنا أنه من عند الله

(١) سورة الروم الآيتان رقم ١-٢.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٧/٩٤، ٩٥.

(٣) انظر المرجع السابق، ١٧/٩٥. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ١١/١٦٩.

وبوحيه وتنزيله، ونظيره قوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^{(١) (٢)}.

الدلالة الرابعة: قوله تعالى: ﴿من رب العالمين﴾، وهذه الجملة استئناف ثان، و [من] ابتدائية تؤذن بالمجيء، أي: هو وارد من رب العالمين، أي: من وحيه وكلامه، وهذا مقابل قوله ﴿من دون الله﴾^{(٣) (٤)}.

وعلى كل حال، نخلص من هذا الاحتجاج والذي بين حقيقة القرآن وأنه من عند الله تعالى: أن هذا القرآن لا يليق بحاله وصفته أن يكون كلاماً مفترئاً على الله تعالى وذلك للدلالات السابق ذكرها.^(٥)

٢- **قالوا عن القرآن الكريم: إنه قول شيطان. نزل به على محمد - ﷺ -**^(٦).

فجاء القرآن الكريم برد هذا الافتراء بقوله: ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهن وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون﴾^(٧).
حيث يخبر تعالى عن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أنه نزل به الروح الأمين المؤيد من قبله، ولم تنزل به الشياطين.

(١) سورة النساء، جزء من الآية رقم ٨٢.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير ٩٦،٩٥/١٧. وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٦٩/١١.

(٣) سورة يونس، جزء من الآية رقم ٣٧.

(٤) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٦٩/١١.

(٥) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٩٦/١٧.

(٦) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ١٤٧، ١٤٦/٦.

(٧) سورة الشعراء الآيات من ٢١٠ - ٢١٢.

ثم ذكر أنه يمتنع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه ما ينبغي لهم. أي ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم لأن من سجايهم الفساد، وإضلال العباد، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونور وهدى وبرهان عظيم، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة، ولهذا قال تعالى: ﴿وما ينبغي لهم﴾.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وما يستطيعون﴾، أي: ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك، قال الله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأته خاشعاً متصدعاً من خشية للهِ...﴾^(١).

الثالث: قوله تعالى: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته، لما وصلوا إلى ذلك لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله، لأن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً في مدة إنزال القرآن على رسول الله ﷺ -، فلم يخلص أحدٌ من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه لنلا يشتبه الأمر، وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأيد كتابه ولرسوله، ولهذا قال تعالى: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾، كما قال تعالى مخبراً عن الجن: ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾^{(٢) (٣)}.

^(١) سورة الحشر، جزء من الآية رقم ٢١ .

^(٢) سورة الجن، الآيتان رقم ٩، ٨ .

^(٣) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٧٧/٣ .

إضافة إلى ذلك: أنه من المعلوم بالضرورة أن الاهتمام بشأن الصديق أقوى من الاهتمام بشأن العدو، ومن المعلوم بالضرورة أيضاً أن محمداً - ﷺ -، كان يستعيز من الشياطين ويأمر الناس بذلك، فلو كان هذا الغيب إنما حصل من إلقاء الشياطين، لكان الكفار أولى بأن يحصل لهم مثل هذا العلم، فكان يجب أن يكون اقتدار الكفار على مثله أولى، فلما لم يكن كذلك علمنا أن الشياطين ممنوعون عن ذلك، وأنهم معزولون عن تعرف الغيوب. ^(١)

^(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٧٢/٢٤.

الأمر الثاني: بيان حقيقة الرسول - ﷺ -:

لقد قام المشركون ضمن سلسلة اتهاماتهم الكاذبة، باتهام الرسول - ﷺ - باتهامات عديدة، كما هو حالهم مع القرآن الكريم. ولو لم يكن هنالك الاتهام المباشر للمصطفى - ﷺ - لكان اتهامهم للقرآن الكريم مستلزماً لاتهامه بذلك الاتهام، فحينما يقولون عن القرآن الكريم: إنه قول شيطان، فهذا يستلزم أن محمداً - ﷺ - تنزل عليه الشياطين لتلقنه هذا القرآن، لأن كل موصوف بصفة، يدل الموصوف على صفته، وصفته عليه. ^(١)

لذا جاء المنهج القرآني ليواجه هذه الحملة الاتهامية عن طريق أسلوب البيان ليبين حقيقة الرسول - ﷺ - من خلال معرفة الفرق بينه وبين مسمى الاتهام، ومن ينطبق عليه، فمن ذلك:

(١) قولهم: إن القرآن الكريم قول شيطان، تنزلت به الشياطين على محمد - ﷺ -.

فجاء هذا الأسلوب مبيناً الفرق بين حاله - ﷺ - وبين حال أولئك الذين تنزل عليهم الشياطين من الكهنة وغيرهم، يقول تعالى ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم. يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾ ^(٢) فيقول تعالى في هذه الآيات الكريمات مخاطباً لمن زعم من المشركين، أن ما جاء به الرسول - ﷺ - ليس بحق، وأنه أتاه به رئي من الجن ومنزهاً لجناب رسوله - ﷺ - عن قولهم وافترائهم: إن هذا القرآن الذي جاء به

^(١) انظر الطبري، جامع البيان ٥٢٩/٦.

^(٢) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ١٤٦/٦، ١٤٧.

^(٣) سورة الشعراء، الآيات من ٢٢١ - ٢٢٣.

محمد - ﷺ - إنما هو من عنده، وأنه تنزله ووحيه، نزل به ملك كريم أمين عظيم، وأنه ليس من قبل الشياطين^(١)، وذلك من وجهين:

(١) قوله تعالى: ﴿تنزل على كل أفك أثير﴾، وتقرير ذلك:

أ - أننا نعلم بالضرورة أن الاهتمام بشأن الصديق أقوى من الاهتمام بشأن العدو، ونعلم بالضرورة أن محمداً - ﷺ - كان يستعيز من الشياطين ويأمر الناس بذلك، فلو كانت الشياطين تنزل على محمد - ﷺ - لما حصلت تلك الاستعادة، ولما حصلت تلك البراءة. لذا عرفنا امتناع نزولهم، أو أن يكون هناك أي رابطة بينهما.^(٢)

ب - أنهم إنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿تنزل على كل أفك أثير﴾، أي: كذوب في قوله وهو الأفك. فاجر في أفعاله وهو الأثير.^(٣)

وذلك بخلاف الرسول - ﷺ - والذي لم يؤثر عنه الكذب والفجور البتة.

(٢) قوله تعالى: ﴿يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾، والمراد أنهم كانوا يقيسون حال النبي - ﷺ - على حال سائر الكهنة، فكأنه قيل لهم: إن كان الأمر على ما ذكرتم فكما أن الغالب على سائر الكهنة الكذب فيجب أن يكون حال الرسول - ﷺ - كذلك أيضاً، فلما لم يظهر في إخبار الرسول - ﷺ - عن

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٨٣/٣.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٧٢/٢٤، ١٧٤.

(٣) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٨٣/٣.

المغيبات إلا الصدق علمنا أن حاله بخلاف حال الكهنة.

وقد يقول قائل: لماذا قال: ﴿وأكثرهم كاذبون﴾، بعدما قضى عليهم أن كل واحد منهم أفاك؟

فالجواب: أن الأفاكين هم الذين يكثرون الكذب، لأنهم الذين لا ينطقون إلا بالكذب، فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجن وأكثرهم يفترى عليهم. (١)

(٢) قولهم عن النبي - ﷺ - : إنه شاعر .

وقد جاء ذلك الاتهام فيما يلي: قوله تعالى: ﴿بل افتراء بل هو شاعر..﴾ (١) وقوله: ﴿ويقولون أننا لتاركوا آلمتنا لشاعر مجنون﴾ (٢)، وقوله: ﴿أمر يقولون شاعر نترصد به ريب المنون﴾ (٣).

فجاء الرد القرآني لهذه الفرية، وذلك بما يلي:

أولاً: بقوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ (٤).

ففي هذه الآيات الكريمات ذكر الله جل وعلا - الفرق بين المصطفى - ﷺ -

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٤ / ١٧٤، ١٧٥.

(٢) سورة الأنبياء، جزء من الآية رقم ٥.

(٣) سورة الصافات، الآية رقم ٣٦.

(٤) سورة الطور، الآية رقم ٣٠.

(٥) سورة الشعراء، الآيات من ٢٢٤ - ٢٢٦.

وبين الشعراء،^(١) فقلوه: (يتبعهم الخاؤون) خبر، وفيه كناية عن تنزيه النبي - ﷺ - أن يكون منهم، فإن أتباعه خيرة قومهم وليس فيهم أحد من الغاوين فقد اشتملت هذه الجملة على تنزيه النبي - ﷺ - وتنزيه أصحابه، وعلى ذم الشعراء، وذم أتباعهم وتنزيه القرآن عن أن يكون شعراً.^(٢)

ثم بين تعالى تلك الغواية بأمرين:

(١) قوله: ﴿ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ﴾، فالرؤية في قوله: ﴿ ألم تر ﴾، قلبية لأن الهيام والوادي مستعارات لمعاني اضطراب القول في أغراض الشعر، وذلك مما يعلم لا مما يرى. فالمراد منه الطرق المختلفة كقولك: أنا في واد وأنت في واد وذلك لأنهم قد يمدحون الشيء بعد أن ذمّوه وبالعكس وقد يعظمونه بعد أن استحقروه وبالعكس، وذلك يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق بخلاف أمر محمد - ﷺ - فإنه من أول أمره إلى آخره بقي على طريق واحد وهو الدعوة إلى الله - تعالى - والترغيب في الآخرة والإعراض عن الدنيا.^(٣)

(٢) وقوله: ﴿ وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾، وذلك أيضاً من علامات الغواية فإنهم يُرغَبون في الجود ويرغبون عنه، وينفرون عن البخل ويُصرُّون عليه، ويقدحون في الناس بأدنى شئ صدر عن واحد من أسلافهم، ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش، وذلك يدل على الغواية والضلالة والكذب فهم يقولون ما لا يعتقدون.

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٧٥/٢٤.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠٨/١٩.

(٣) انظر الرازي التفسير الكبير، ١٧٥/٢٤ . وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠٩/١٩.

وأما محمد - ﷺ - فإنه بدأ بنفسه، حيث قال الله تعالى له: ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾^(١)، ثم بالأقرب فالأقرب، حيث قال الله تعالى له: ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾^(٢)، وكل ذلك على خلاف طريقة الشعراء، فقد ظهر بهذا الذي بيناه أن حال محمد - ﷺ - ما كان يشبه حال الشعراء بأي حال من الأحوال.^(٣)

ثانياً: وبقوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين﴾^(٤).

فيقول عز وجل مخبراً عن نبيه محمد - ﷺ - أنه ما علمه الشعر ﴿وما ينبغي له﴾، أي ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته،^(٥) وذلك لأمر عدة:

أ - أن الشعر صنف من القول له موازين وقواف، والنبى - ﷺ - منزّه، عن قرض الشعر وتأليفه، وليس من طباع ملكته إقامة الموازين الشعرية وليس المراد أنه لا ينشد الشعر لأن إنشاد الشعر غير تعلمه.

ب - أن للشعر طرائقاً من الأغراض كالغزل والنسيب والهجاء والمديح والملح، وطرائقاً من المعاني كالمبالغة البالغة حد الإغراق وكادعاء الشاعر أحوالاً لنفسه في غرام أو سير أو شجاعة هو خلو من حقائقها فهو كذب مغنفر في صناعة

(١) سورة الشعراء، الآية رقم ٢١٣.

(٢) سورة الشعراء، الآية رقم ٢١٤.

(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٧٦، ١٧٥/٢٤.

(٤) سورة يس، الآيات ٦٩، ٧٠.

(٥) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٥٥/٣.

الشعر. وذلك لا يليق بأرفع مقام لكلمات النفس، وهو مقام أعظم الرسل -صلوات الله عليه وعليهم - فلو أن النبي - ﷺ - قرض الشعر ولم يأت في شعره بأفانين الشعراء لعدَّ غضاضة في شعره وكانت تلك الغضاضة داعية للتناول من حرمة كماله في أنفوس قومه يستوي فيها العدو والصديق.

ج - أن الشعراء في ذلك الزمان كانت أحوالهم غير مرضية عند أهل المروءة والشرف لما فيهم من الخلاعة والإقبال على السكر والميسر والنساء ونحو ذلك. فلو جاء الرسول - ﷺ - بالشعر أو قاله لرمقه الناس بالعين التي لا يرمق بها قدره الجليل وشرفه النبيل، والمنظور إليه في هذا الشأن هو الغالب الشائع وإلا فقد قال النبي - ﷺ -: ((إن من الشعر لحكمة))،^(١) وقال: ((أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل))^(٢).

فتنزيه النبي - ﷺ - عن قول الشعر من قبيل حياطة معجزة القرآن وحياطة مقام الرسالة مثل تنزيهه عن معرفة الكتابة.^(٣)

وجملة: ﴿ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾: استئناف بياني، لأن نفي الشعر عن القرآن يثير سؤال متطلب يقول: فما هو هذا الذي أوحى به إلى محمد - ﷺ - فكان قوله: ﴿ إن هو إلا ذكر ﴾ جواباً لطلبته.^(٤)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي بن كعب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في كتاب الأدب، باب: ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ٢٢٧٦/٥، رقم ٥٧٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في كتاب فضائل الصحابة، باب: أيام الجاهلية ١٣٩٥/٣، رقم ٣٦٢٨. وفي كتاب الأدب، باب: ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ٢٢٧٦/٥، ٢٢٧٧، رقم ٥٧٩٥.

(٣) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٦٤، ٦٣/٢٣.

(٤) انظر المرجع السابق، ٦٥/٢٣.

(٣) قولهم عن النبي - ﷺ - إنه مجنون:

وقد حكى الله ذلك عنهم بقوله: ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾^(١)، وبقوله: ﴿أمر يقولون به جنة﴾^(٢)، وبقوله: ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾^(٣). وقد فند القرآن الكريم هذه الفرية كغيرها، وذلك عن طريق بيان الفرق بين حاله - ﷺ - وبين حال المجنون، يقول تعالى: ﴿أولم يتفكر وأما بصاحبه من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾^(٤).

فالله - جل وعلا - في هذه الآية يدعو المشركين الدعوة الخالصة للنظر في حال الرسول - ﷺ - وأنه ليس بمجنون كما يزعمون، بل ليس به نوع من أنواع الجنون، لأن دخول ((من)) في قوله ((من جنة)) يوجب أن لا يكون به نوع من أنواع الجنون ذلك لأنه عليه السلام كان يدعوهم إلى الله ويقدم الدلائل القاطعة والبيانات الباهرة، بألفاظ فصيحة بلغت في الفصاحة إلى حيث عجز الأولون والآخرين عن معارضتها، وكان حسن الخلق، طيب العشرة، مرضي الطريقة، نقي السيرة، مواظباً على أعمال حسنة صار بسببها قدوة للعقلاء العالمين، ومن المعلوم بالضرورة أن مثل هذا الإنسان لا يمكن وصفه بالمجنون، وإذا ثبت هذا ظهر أن اجتهاده على الدعوة إلى الدين إنما كان لأنه نذير مبين، أرسله رب العالمين لترهيب الكافرين، وترغيب المؤمنين.

وقد صُدّرت الآية بالاستفهام التعجبي، للتعجب من حالهم، والإنكار عليهم^(٥)

(١) سورة الحجر، الآية رقم ٦.

(٢) سورة المؤمنون، جزء من الآية رقم ٧٠.

(٣) سورة القلم، جزء من الآية رقم ٥١.

(٤) سورة الأعراف، الآية رقم ١٨٤.

(٥) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٥ / ٧٦، ٧٥. وابن عاشور التحرير والتنوير، ١٩٣ / ٩.

الأمر الثالث: بيان حقيقة حال المشركين لو نزلت الآيات التي طلبوها:

من المعلوم أن المشركين طلبوا من الرسول - ﷺ - الطلبات العديدة والكثيرة والتي تتمثل ب: (الخوارق) .^(١)

وقد جعلوا ذلك - زاعمين - شرطاً لإيمانهم وقبولهم الدعوة إذا ما حصل طلبهم وتحقق مرادهم.

لكن الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والذي خلقهم من عدم يعرف ما انطوت عليه نفوسهم وما انتمرت به قلوبهم من عدم الإيمان فيما لو حصلت تلك الخوارق.

إن هذه الطلبات ليست إلا تعللات يتعللون بها، فهي امتداد لبرنامج تسويقهم وخداعهم.

لذا جاء الأسلوب البياني القرآني، ليفضح تلك السريرة، ويوضح تلك الغاية الكاذبة والنهاية الغادرة، وأنهم لن يؤمنوا، لأنهم ليسوا طلاب حق، فلو كانوا كذلك لآمنوا من مدة طويلة.

ومن الأدلة على ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كنروا إن هذا إلا سحر مبين﴾^(٢)، فيقول تعالى مخبراً عن المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق، ومباهنتهم ومنازعتهم فيه، أنه لو نزل عليهم

(١) بسط الكلام عنها في أساليب المشركين القولية.

(٢) سورة الأنعام، الآية رقم ٧.

كتاباً مكتوباً في قرطاس، أي صحيفة إجابة لما اقترحوه من إنزال كتاب عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُا...﴾^(١)، فعابنوا ذلك الكتاب المنزل، ولمسته أيديهم، لعاندوا، وادعوا أن ذلك من أجل أنه سحرهم.^(٢)

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ مَجْهُلُونَ﴾.^(٣)

فيقول تعالى ذكره لنبيه محمد - ﷺ -: يا محمد آيس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، فإننا لو نزلنا إليهم الملائكة حتى يروها عياناً، وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم حجة لك، ودلالة على نبوتك وأخبروهم أنك محق فيما تقول، وأن ما جنتهم به حق من عند الله.

بل لو زاد في ذلك ما لا يبلغه اقتراحهم بأن يحشر عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم.^(٤)

لقد ذكر الله تعالى هذا الكلام بياناً لكذبهم، وأنه لا فائدة في إنزال الآيات بعد الآيات، وإظهار المعجزات بعد المعجزات، بل المعجزة الواحدة لا بد منها ليطمئن الصادق عن الكاذب، فأما الزيادة عليها فتحكم محض ولا حاجة إليه، وإلا فلهم أن يطلبوا بعد ظهور المعجزة الثانية ثالثة، وبعد الثالثة رابعة، ويلزم أن لا تستقر الحجة وأن لا ينتهي الأمر إلى مقطع ومفصل، وذلك يوجب سد باب

(١) سورة الإسراء، جزء من الآية رقم ٩٣.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٢٠٧. والشنقيطي، أضواء البيان، ٢/١٦٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية رقم ١١١.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٥/٣١١. والرازي، التفسير الكبير، ١٣/١٤٩.

النبوات. ^(١) وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾، هو أشد من ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، تقوية لنفي إيمانهم، مع ذلك كله، لأنهم معاندون مكابرون غير طالبين للحق، لأنهم لو طلبوا الحق بإنصاف لكفتهم معجزة القرآن، إن لم يكفهم وضوح الحق فيما يدعو إليه الرسول - ﷺ - فالمعنى: الإخبار عن انتفاء إيمانهم في أجدر الأحوال بأن يؤمن لها من يؤمن، فكيف إذا لم يكن ذلك. والمقصود انتفاء إيمانهم أبداً. ^(٢)

(٣) قوله تعالى: ﴿ إِنْ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾. ^(٣)

والمراد في هذه الآية أن المشركين لا يؤمنون البتة ولو جاءتهم الدلائل التي لا حد لها ولا حصر، وذلك لأن الدليل لا يهدي إلا بإعانة الله تعالى فإذا لم تحصل تلك الإعانة ضاعت تلك الدلائل. ^(٤) إضافة إلى ذلك فهم لا تجدي فيهم الحجة لأنهم أهل مكابرة، وليسوا طالبين للحق لأن الفطرة التي فطرت عليها عقولهم غير قابلة لحقائق الإيمان، فالذين لم يؤمنوا بما يجيء من الآيات هم ممن علم الله أنهم لا يؤمنون، تلك أماراتهم. و((لو)) وصلية للمبالغة، أي لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية فكيف إذا لم تجئهم إلا بعض الآيات. وهذا مسوق مساق التبيين من إيمانهم. وقوله: ((حَتَّى يَرَوُا...)) المعنى: أنهم لا يؤمنون إلا حين لا ينفعهم الإيمان لأن نزول العذاب هو ابتداء مجازاتهم على كفرهم، وليس بعد الشروع في المجازاة عفو. ^(٥)

^(١) انظر المرجع السابق، ١٣/١٥٠.

^(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٦/٨.

^(٣) سورة يونس، الآيتان ٩٦، ٩٧.

^(٤) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٧/١٦٤.

^(٥) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١١/٢٨٦-٢٨٨.

الأسلوب الثاني

أسلوب بيان الحكمة

وفيه بيان الأمور التالية:

الأمر الأول: بيان الحكمة من نزول القرآن منجماً.

الأمر الثاني: بيان الحكمة من عدة زبانية جهنم.

الأمر الثالث: بيان الحكمة من إرسال الرسول من البشر.

الأمر الأول: بيان الحكمة من نزول القرآن منجماً:

تقدم في أساليب المشركين القولية في أسلوب الاعتراض، اعتراضهم على عدم نزول القرآن جملة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾^(١).

فهم يقولون: ما الداعي إلى تنزيل القرآن مفزاً منجماً، إن تنزيله بهذه الصورة يدعو إلى الشك في أنه كلام الله، أليس الله عليمًا بكل شيء، قديراً على أن ينزل القرآن كله في وقت واحد كما أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود.^(٢)

هذه خلاصة اعتراض الذين كفروا على تنزيل القرآن منجماً. عقب هذا جاء الرد القرآني على طعن أولئك المشركين ببيان الحكمة من تنزيله منجماً مفزاً، فقال عز وجل: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً. ولا يأتونك مثل إلا جنناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾^(٣).

فقوله: ﴿كذلك﴾ جواب عن قولهم ﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾. إشارة إلى الإنزال المفهوم من ﴿لولا نزل عليه القرآن﴾، وهو حالة إنزال القرآن منجماً، أي أنزلناه كذلك الإنزال، أي المنجم، أي كذلك الإنزال الذي جهلوا حكمته. والاكتفاء بمثل عبارة ﴿كذلك﴾ للدلالة على ما هو مفهوم من سياق الكلام وهو من الإيجاز الذي لا يخفى إدراكه، فالكبراء والبلغاء يستعملون في كلامهم نظيره بكثرة، وربما يقتصرون على الجواب دون الإشارة

(١) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٣٢.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٢٤/٣. والرازي، التفسير الكبير، ٧٩، ٧٨/٢٤.

(٣) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٣٢ والآية رقم ٣٣.

مطلقاً إلى الشيء المعترض عليه، أو المسئول عنه.

وقد تضمن الجواب بيان حكم عديدة اقتضت تنزيل القرآن منجماً، وهو موجه لهدفين:

أ- إرشاد الرسول - ﷺ - إلى الحكمة.

ب- والرد على مقولة الذين كفروا. ^(١)

وهذه الحكم:

الحكمة الأولى: - التشبيث وهو ما تضمنه قول الله تعالى: ﴿لنثبت به فؤادك﴾.

وبيان ذلك من وجوه:

(١) أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن من أهل القراءة والكتابة، فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه الغلط والسهو، وإنما نزلت التوراة جملة لأنها مكتوبة يقرأها موسى عليه السلام.

فنزوله منجماً: أعون لحفاظه على فهمه وتدبره لأن حفظه شيئاً فشيئاً أسهل من حفظه مرة واحدة، لو نزل جملة واحدة. ^(٢)

(٢) أن من كان الكتاب عنده، فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فالله تعالى ما أعطاه الكتاب دفعة واحدة بل كان ينزل عليه مرة بعد مرة ليكون حفظه له أكمل فيكون أبعد له عن المساهلة وقلة التحصيل. ^(٣)

^(١) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٩/١٩. وعبد الرحمن الميداني، تدبر سورة الفرقان، ١٧٥، ١٧٦، ط: ١، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

^(٢) انظر الزاري، التفسير الكبير، ٧٩/٢٤. والشنقيطي، أضواء البيان، ٣٢١/٦ وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠/١٩.

^(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٧٩/٢٤.

٣) أنه إذا شاهد جبريل حالاً بعد حال، ونزل عليه في كل أمر وحادثة كان أقوى لقلبه وأنور لبصيرته وأبعد لاستيحاشه فبذلك يقوى على أداء ما حمل، وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى احتماله أذية قومه وعلى الجهاد.^(١)

فيتضح مما سبق أن التثبيت حاصل بأمرين:

أ) تثبيت ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه في عقل النبي - ﷺ - بذلك الإنزال المفرق، وبالتالي لا يحصل الاضطراب. وهذا على قول من قال: أن المراد بالفؤاد: العقل.^(٢)

ب) تثبيت قلبه - ﷺ - بتكرار نزول جبريل عليه السلام بالقرآن ومشاهدته له مراراً وبالتالي يتقوى قلبه على أداء ما حمل وعلى الصبر فيما يعترض رسالته وعلى ما يؤذيه به قومه.^(٣)

الحكمة الثانية: مسايرة الجواهر والتدرج في التشريع:

وهذا ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَرَتَلْنَا لَا تَرْتِلًا﴾.^(٤)

فمعنى الترتيل في الكلام أن يأتي بعده على أثر بعض على تؤدة وتمهل^(٥) وبهذا يحصل التبيين والتفسير.^(٦)

^(١) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٨٨/٦ . والرازي، التفسير الكبير، ٧٩/٢٤ . والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٩٣، ٩٢/١ ط: ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

^(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٩/١٩ .

^(٣) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٨٨/٦ . والرازي، التفسير الكبير، ٧٩/٢٤ . والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٩٣، ٩٢/١ .

^(٤) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٣٢ .

^(٥) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٧٩/٢٤ .

^(٦) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٨٧/٩ .

وقد جاء شرح هذه الحكمة في قول الله عز وجل ^(١): ﴿وَقَرَأْنَا فِرْقَانًا لِّتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّثٍ وَنَزَّلْنَا تَنْزِيلًا﴾ ^(٢)، فمعنى قوله: ﴿فِرْقَانًا﴾ بالتخفيف: فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً منجماً غير مجتمع صبرة واحدة يقال: فرق الأشياء إذا باعد بينها، وفرق الصبرة إذا جزأها. ^(٣)

وقوله: ﴿لِّتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّثٍ﴾: أي لتبلغه الناس وتتلوه عليهم على تودة وترسل وتمهل ليتدبروا معانيه ويفهموا أحكامه وشرائعه فتلك من حكم تفريقه وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا تَنْزِيلًا﴾، أي: شيئاً بعد شيء. ^(٤)

إن القرآن كما هو معروف كان ينزل على حسب الدواعي والحوادث وعلى حسب الأسئلة والوقائع، فلو لم ينزل منجماً على حسب الحوادث لما ظهر في كثير من آياته مطابقتها لمقتضى الحال ومناسبتها للمقام. كما أنه لو لم ينزل منجماً لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق، فكان يتقل عليهم ذلك، أما لما نزل مفرقاً منجماً لا جرم نزلت التكاليف قليلاً قليلاً فكان تحمّلها أسهل وقبولها أقوى. ^(٥)

ويوضح هذه الحكمة ويؤيدها، ما رواه الإمام البخاري - رحمه الله - عن عائشة رضي الله عنها - قالت: ((إنما نزل أول ما نزل منه سورة من الفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول

^(١) انظر عبد الرحمن الميداني تدبر سورة الفرقان ص ١٧٧ .

^(٢) سورة الإسراء، الآية رقم ١٠٦ .

^(٣) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١١٢/٣ . وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣١/١٥ .

^(٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٩٧/٥ . وابن كثير تفسير القرآن العظيم، ١١٢/٣ . وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣١/١٥ .

^(٥) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٧٩/٢٤ . وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠/١٩ .

شي: ((لا تشربوا الخمر)) لقالوا: لا ندع الخمر أبداً ولو نزل ((لاتزنوا)) لقالوا:
((لا ندع الزنا أبداً))^(١).

فلا بد من التمهّل والتأنّي في بيان مفاهيم الدين، وتعاليم شريعة الله ومنهجه،
لتجد القبول والإذعان والأنس والتسليم.^(٢)

الحكمة الثالثة: التحدي والإعجاز:

وبيان ذلك من وجوه:

- (١) أن القرآن لما نزل منجماً مفرقاً، وهو عليه السلام كان يتحداهم من أول الأمر
فكانه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن
معارضة الكل أولى.^(٣)
- (٢) أن تحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفارق كلما نزل شيء منها أدخل في الإعجاز
وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويطلب منهم الإتيان بمثله.^(٤)
- (٣) أنه لما تم شرط الإعجاز فيه مع كونه منجماً ثبت كونه معجزاً فإنه لو كان ذلك
في مقدور البشر لوجب أن يأتوا بمثله منجماً مفرقاً.^(٥)
- (٤) أن نزول القرآن منجماً فيه متابعة لجدليات الذين كفروا فيما يقدمونه من أمثلة
يصطنعونها بآرائهم، ويقترحونها، ويرون أنها هي الصورة الأفضل التي ينبغي
أن يكون عليها حال الرسول - ﷺ - أو حال القرآن الكريم، أو حال أحكام

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ١٩١٠/٤، رقم ٤٧٠٧.

(٢) انظر الميداني، تدبر سورة الفرقان، ص ٢٠٢.

(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٧٩/٢٤.

(٤) الرمخشمي، الكشف، ٩٧/٣، (ب: ط)، دار المعرفة، بيروت.

(٥) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٧٩/٢٤.

الشریعة والمنهاج.^(١)

وهذا ما تضمنه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ولا یأتونک بمثل إلا جئناک بالحق وأحسن تفسیراً﴾.^(٢)

فهذا تحد لأولئك المشركین، وأنهم لا یأتون بحجة ولا شبهة یضربونها لك فی مخاصمتك، ولا یقولون قولاً یعارضون به الحق، إلا أجبناهم بما هو الحق فی نفس الأمر وأبین وأوضح وأفصح من مقالتهن.^(٣)

ویشیر إلى هذه الحکمة ما جاء ببعض الروایات فی حدیث ابن عباس -رضی الله عنهما- عن نزول القرآن ((فكان المشركون إذا أحدثوا شیئاً أحدث الله لهم جواباً)).^(٤)

الحکمة الرابعة:

الدلالة القاطعة على أن القرآن الکریم تنزیل من قبل الله تعالى: فنزول القرآن الکریم مفروقاً منسقاً فی ألفاظه ومعانيه غیر متراکم فهو مفروق فی الزمان فإذا نزل سورة جاءت آياتها مرتبةً متناسبة كأنها أنزلت جملة واحدة، ومفروق فی التألیف بأنه مفصل واضح. وفي هذا إشارة إلى أن ذلك من دلائل أنه من عند الله لأن شأن كلام الناس إذا فرق تألیفه على أزمنة متباعدة أن یعتوره التفکک وعدم تشابه الجممل. وصدق الله تعالى: ﴿ولو کان من عند غیر الله لوجدوا فیہ اختلافاً.....

(١) انظر عبد الرحمن المیداني، تدبر سورة الفرقان، ص ١٧٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية رقم ٣٣.

(٣) انظر ابن الجوزي، زاد المسیر، ٨٨/٦. وابن کثیر، تفسیر القرآن العظیم، ٥٢٥/٣.

(٤) انظر السيوطي، الإتيان فی علوم القرآن، ٨٩/١.

كثيراً ﴿١﴾.

تلك هي الحكم الجليلة من نزول القرآن مفرقاً منجماً والتي قضت على اعتراض أولئك الكفار، وألقتهم أحجار الرد إلى لهواتهم. ﴿٢﴾

(١) سورة النساء جزء من الآية رقم ٨٢.

(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١٤٢٠/١٩.

الأمر الثاني: بيان الحكمة من عدة زبانية جهنم:

لقد كان من ضمن استهزاء المشركين الذي واجهوا به الدعوة الإسلامية، استهزاؤهم تجاه قضية الوعيد. والتي تناولوا فيها عدد زبانية جهنم، كما في قوله تعالى ﴿سأصليه سقر. وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لراحة للبشر عليها تسعة عشر﴾،^(١) حيث سخروا من ذلك العدد واستهزؤا.^(٢)

فجاء الرد القرآني على هذا الاستهزاء مبيناً الحكم العديدة لهذه العدة، وذلك بقوله تعالى ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا. ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً. ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً. كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء. وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر﴾.^(٣)

فبيّن الله -جلا وعلا- في هذه الآيات أن أصحاب النار من الملائكة، كما يبين الحكم العديدة من ذكره -جلا وعلا- لهذه العدة -كما في قوله: ﴿عليها تسعة عشر﴾ - فمن تلك الحكم:

(١) سورة المدثر، الآيات من رقم ٢٦ - ٣٠.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية ٣٤٠/١ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧٣٢/٤ والسيوطي، أسباب النزول، ص ٤٠٦.

(٣) سورة المدثر، الآية رقم ٣١.

الحكمة الأولى:

وهي ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا...﴾.

فتقدير الآية: ما جعلنا ذكر عدتهم لعة وغرض إلا لغرض فتنة الذين كفروا، إذ اعتقدوا أن عدتهم أمرٌ هينٌ. ^(١)

وقد جاء في معنى الفتنة أقوال عديدة:

(١) أي: بلية. ^(٢)

(٢) وقيل: ضلالة للذين كفروا، يريد أبا جهل وذويه. ^(٣)

(٣) وقيل: إلا عذاباً، كما قال تعالى: ﴿يومرهم على النار يفتنون ذوقوا فتتكمم...﴾ ^(٤)، أي: جعلنا ذلك سبب كفرهم وسبب العذاب. ^(٥)

وهذا العدد إنما صار سبباً لفتنة الكفار من وجهين:

(١) أن الكفار يستهزئون، يقولون: لم لم يكونوا عشرين؟ وما المقتضى لتخصيص هذا العدد بالوجود؟

(٢) أن الكفار يقولون: هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر خلق العالم من الجن والإنس من أول ما خلق الله إلى قيام القيامة؟ وأما أهل الإيمان فلا

^(١) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣١٥/٢٩.

^(٢) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨١/١٩.

^(٣) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٤٠٨/٨. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨١/١٩.

^(٤) سورة الناريات، الآية رقم ١٣ وجزء من الآية رقم ١٤.

^(٥) انظر المرجع السابق، ٨١/١٩.

يلتفتون إلى هذين السؤالين بل يستسلمون ويذعنون. (١)

ويجاب على هؤلاء المشركين، بما يلي:

- (١) في السؤال الأول يقال لهم: إنه جل وعلا هو القادر المختار الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. والمختار له أن يرجح الشيء على مثله من غير علة.
- (٢) وفي السؤال الثاني، يقال لهم: إنه لا يبعد في قدرة الله تعالى أن يعطي هذا العدد من القدرة والقوة ما يصيرون به قادرين على تعذيب جملة الخلق وممكنين من ذلك من غير خلل. وبالجملة فمدار هذين السؤالين على القدح في كمال قدرة الله -تعالى- فأما من اعترف بكونه تعالى قادراً على ما لا نهاية له من المقدورات، وعلم أن أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زالت عن قلبه هذه الاستبعادات بالكلية. (٢)

الحكمة الثانية:

وهي ما تضمنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَتِغْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾. فالاستيقان: قوة اليقين، والسين والتاء فيه للمبالغة. والمعنى: ليستيقن أهل التوراة والإنجيل، صدق القرآن الكريم حيث يجدون عدد خزنة جهنم مصدقاً وموافقاً لما في كتبهم. (٣) والمراد بأهل الكتاب: ليس أهل الإيمان منهم فحسب، بل الكل. ذلك أن الاستيقان من شأنه أن يعقبه الإيمان إذا صادف عقلاً بريئاً من عوارض الكفر، كما وقع لعبد الله بن سلام (٤)، وقد لا يعقبه الإيمان لمكابرة أو حسد أو إشفاق من

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠٤/٣٠. والشنقيطي بتممة عطية أضواء البيان، ٦٢٣/٨.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠٥/٣٠.

(٣) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨٢/١٩.

(٤) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري من ذرية يوسف عليه السلام أبو يوسف، الإمام الحبر، المشهود له بالجنة، صحابي من خواص أصحاب النبي - ﷺ - كان من أحبار اليهود وأسلم وقت قدوم النبي - ﷺ - المدينة، وكان من فقهاء الصحابة وعلمائها بالكتب، ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- اتخذ سيفاً من خشب واعتزلها وأقام بالمدينة حتى مات سنة ٤٣هـ. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٥٢/٢. والحاكم، المستدرک، ٤١٣/٣.

فوات جاه أو مال كما كان شأن كثير من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. وإن كثيراً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾^(١)، ولذلك اقتضت الآية على حصول الاستيقان لهم.^(٢)

وقد يرد سؤال وهو: ما وجه تأثير هذا المتشابه ((عدة زبانية جهنم)) في هذه الحكمة ((استيقان أهل الكتاب)) ؟

الجواب: من وجوه:

(١) كما ذكر في معنى الآية السابق، وهو: أن هذا العدد لما كان موجوداً في كتابهم، ثم إنه عليه الصلاة والسلام أخبر على وفق ذلك من غير سابقة دراسة وتعلم، فظهر أن ذلك إنما حصل بسبب الوحي من السماء فالذين آمنوا بمحمد - ﷺ - من أهل الكتاب يزدادون به إيماناً.

(٢) أن التوراة والإنجيل كانا محرفين، فأهل الكتاب كانوا يقرأون فيهما أن عدد الزبانية هو هذا القدر، ولكنهم ما كانوا يعولون على ذلك كل التعويل لعلمهم بتطرق التحريف إلى هذين الكتابين، فلما سمعوا ذلك من رسول الله - ﷺ - قوي إيمانهم بذلك واستيقنوا أن ذلك العدد هو الحق والصدق.

(٣) أن رسول الله - ﷺ - كان يعلم من حال قريش أنه متى أخبرهم بهذا العدد العجيب، فإنهم يستهزؤن به ويضحكون منه، لأنهم كانوا يستهزؤن به في إثبات التوحيد والقدرة والعلم مع أن تلك المسائل أوضح وأظهر فكيف في ذكر هذا العدد العجيب؟ ثم إن استهزاءهم برسول الله ﷺ - وشدة سخريتهم به ما منعه

(١) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٤٦.

(٢) انظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ٨٢/١٩. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣١٥/٢٩.

من إظهار هذا الحق، فعند هذا يعلم كل أحد أنه لو كان غرض محمد - ﷺ - طلب الدنيا والرياسة لاحترز عن ذكر هذا العدد العجيب، فلما ذكره مع علمه بأنهم لا بد وأن يتسهزؤا به علم كل عاقل أن مقصوده منه إنما هو تبليغ الوحي وأنه ما كان يبالي في ذلك لا بتصديق المصدقين ولا بتكذيب المكذبين. ^(١)

الحكمة الثالثة:

ما تضمنه قول الله تعالى: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً...﴾. ومعنى ذلك: أي يزدادون إيماناً إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم محمد - ﷺ - ^(٢)

وقد يرد سؤال وهو:

ما تأثير هذه الواقعة ((عدة زبانية جهنم)) في هذه الحكمة: ((ازدياد إيمان المؤمنين)) ؟

والجواب: أن المكلف ما لم يستحضر كونه - تعالى - عالماً بجميع المعلومات غنياً عن جميع الحادثات منزهاً عن الكذب والحلف لا يمكنه أن ينقاد لهذه العدة ويعترف بحقيقتها، فإذا اشتغل باستحضار تلك الدلائل ثم جعل العلم الإجمالي بأنه صادق لا يكذب حكيم لا يجهل دافعاً للتعجب الحاصل في الطبع من هذا العدد العجيب فحينئذ يمكنه أن يؤمن بحقيقة هذا العدد، ولا شك أن المؤمن يصير عند اعتبار هذه المقامات أشد استحضاراً للدلائل وأكثر انقياداً للدين وأسرع مبادرة للتصديق ولو لم يعلم الحكمة أو السرّ أو الغرض بناءً على أن الخبر من

^(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠٦/٣٠.

^(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧٣٢/٤.

الله - تعالى - وهو أعلم بما رواه. (١)

الحكمة الرابعة:

ما تضمنه قوله تعالى: ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾. وقد عطف هذه الحكمة على الحكمة الثانية ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾، وعلى الحكمة الثالثة ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾. والمعنى: أي لا يشك الذين أعطوا الكتاب والمصدقون من أصحاب محمد ﷺ في أن عدة خزنة جهنم تسعة عشر، وينتقى عنهم الريب فلا تعتورهم شبهة من بعد علمه لأنه إيقان عن دليل. وإن كان الفريقان في العمل بعلمهم متفاوتين، فالمؤمنون علموا وعملوا، والذين أوتوا الكتاب علموا وعاندوا فكان علمهم حجة عليهم وحسرة في نفوسهم. (٢)

وهنا يرد سؤال وهو: لما أثبت الاستيقان لأهل الكتاب، وأثبت زيادة الإيمان للمؤمنين فما الفائدة في قوله بعد ذلك: ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾؟

والجواب على ذلك بما يلي:

(١) أن المطلوب إذا كان غامضاً دقيق الحجة كثير الشبهة، فإذا اجتهد الإنسان فيه وحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق، فيعود الشك والشبهة، فإثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠٦/٣٠. والشنقيطي، تمة عطية محمد سالم، أضواء البيان، ٦٢٤/٨.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٣١٤/١٢. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨٢/١٩ وابن عاشور، التحرير والتنوير

ذلك، فالمقصود من إعادة هذا الكلام هو أنه حصل لهم يقين جازم، بحيث لا يحصل عقبيه البتة شك ولا ريب ^(١)

(٢) أن هذه الحكمة وهى قوله تعالى ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾، تمهيداً لحكمة تليها، وهى: ذكر مكابرة الذين فى قلوبهم مرض والكافرين فى سوء فهمهم لهذه العدة كما فى قوله تعالى: ﴿وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً..﴾، تمهيداً بالتعريض قبل التصريح، لأنه إذا قيل: ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ شعر الذين فى قلوبهم مرض والكافرون بأنهم لما ارتابوا فى ذلك فقد كانوا دون مرتبة الذين أوتوا الكتاب لأنهم لا ينازعون فى أن الذين أوتوا الكتاب أرجح منهم عقولاً وأسدّ قولاً، ولذلك عطف عليه ﴿وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً..﴾ ^(٢)

الحكمة الخامسة:

ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً..﴾. أى: ليقولوا هذا القول إعراباً عما فى نفوسهم من الطعن فى القرآن غير عالمين بتصديق الذين أوتوا الكتاب، واللام لام العاقبة مثل التي فى قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً..﴾ ^(٣) ^(٤)

^(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠٧، ٢٠٦/٣٠.

^(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣١٧، ٣١٦/٢٩.

^(٣) سورة القصص جزء من الآية رقم ٨.

^(٤) انظر، ابن عاشور التحرير والتنوير ٣١٧/٢٩.

والذين في قلوبهم مرض، قيل: المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة، وذلك لأنه كان في معلوم الله تعالى أن النفاق سيحدث فأخبر عما سيكون.^(١)

ويجوز أيضاً أن يراد بالمرض: الشك والارتياب، لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين، وبعضهم كانوا قاطعين بالكذب^(٢) أما الكافرون فقليل: هم اليهود والنصارى. وهذا على قول: أن المراد بالذين في قلوبهم مرض هم المنافقون. وقيل الكافرون: مشركو العرب وهذا على قول أن المراد بالذين في قلوبهم مرض هم الكافرون من أهل مكة^(٣) وقوله: ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا..﴾ الاستفهام إنكاري، ومعنى ذلك: لم يرد الله العدد الممثل به فكأنوا بنفي إرادة الله وصف هذا العدد عن تكذيبهم أن يكون هذا العدد موافقاً للواقع لأنهم ينفون فائدته وإنما أرادوا تكذيب أن يكون هذا وحياً من عند الله. والإشارة ((بهذا)) إلى قوله: ﴿عليها تسعة عشر﴾^(٤) وهو عدد خزنة جهنم^(٥)

الحكمة السادسة:

ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وما هي إلا ذكري للبشر﴾ فهذه الحكمة تنتمة للحكم السابقة خاتمة لها ضمن ما أوضحه الله جل وعلا لعباده، من حكم عديدة لهذه العدة جرياً على طريقة الأسلوب الحكيم.

ومعنى هذه الحكمة: أي أن النافع لكم أن تعلموا أن الخبر عن خزنة النار بأنهم

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠٧/٣٠ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨٢/١٩.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠٧/٣٠ والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨٢/١٩.

(٣) انظر المرجع السابق، ٨٢/١٩.

(٤) سورة المدثر، الآية رقم ٣٠.

(٥) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨٢/١٩ وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣١٧/٢٩.

تسعة عشر فائدته أن يكون:

(١) ذكرى للبشر ليتذكروا دار العقاب بتوصيف بعض صفاتها لأن في ذكر الصفة عوناً على زيادة استحضار الموصوف فغرض القرآن الذكرى، وقد اتخذ الضالون ومرضى القلوب لهواً وسخرية ومراءً بالسؤال عن جعلهم تسعة عشر ولم لم يكونوا عشرين أو مئات أو آلاف^(١).

(٢) وأن يكون ذكرى للناس ليعلموا كمال قدرة الله، وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار، فلا يظلوا في استقلال تسعة عشر تجاه كثرة أهل النار. فالكناية على هذا في قوله تعالى: ﴿وما هي﴾ ترجع إلى الجنود، لأنه أقرب مذكور.^(٢)

(١) انظر المرجع السابق، ٣١٩/٢٩، ٣٢٠.

(٢) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨٣/١٩، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٢٠/٢٩.

الأمر الثالث: بيان الحكمة من إرسال الرسول من البشر:

سبق في أساليب التشويه ((أسلوب الاعتراضات)) اعتراض المشركين على إرسال رسول من البشر حيث استبعدوا أن يبعث الله إلى الخلق رسولاً من البشر بل اعتقدوا أن الله تعالى لو أرسل رسولاً إلى الخلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة. (١)

فأجاب الله تعالى - عن هذه الشبهة، عن طريق بيان الحكم العديدة في جعل الرسول من البشر وذلك:

بقوله تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾، (٢)

وقوله: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنن لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾. (٣)

فالله تعالى لم يرسل إليهم ملكاً، بل أرسل بشراً وذلك لحكم عديدة تقتضي المصلحة لهم فمن ذلك:

(١) أن إنزال الملك على البشر آية باهرة، فبتقدير إنزال الملك على هؤلاء الكفار فربما لم يؤمنوا، كما قال: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا﴾، (٤) وإذا لم يؤمنوا وجب إهلاكهم بعذاب الاستتصال فإن سنة الله جارية بأنه عند ظهور الآية الباهرة إن

(١) انظر الرازي التفسير الكبير، ٥٩/٢١.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان رقم ٩٠٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية رقم ٩٥.

(٤) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ١١١.

لم يؤمنوا جاءهم عذاب الاستتصال. فهنا ما أنزل الله تعالى الملك إليهم لنلا يستحقوا هذا العذاب. (١)

(٢) أنهم إذا شاهدوا الملك زهقت أرواحهم من هول ما يشهدون وتقريره أن الأدمي إذا رأى الملك فإما أن يراه على صورته الأصلية أو على صورة البشر. فإن كان الأول لم يبق الأدمي حياً، ألا ترى أن رسول الله - ﷺ - لما رأى جبريل عليه السلام - على صورته الأصلية غشي عليه، وإن كان الثاني فحينئذ يكون المرئي شخصاً على صورة البشر، وذلك لا يتفاوت الحال فيه سواء كان هو في نفسه ملكاً أو بشراً ألا ترى أن جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كأضياف إبراهيم عليه السلام، وأضياف لوط عليه السلام، وكالذين تسوروا المحراب، ونحو ذلك.

(٣) أنه لو جعل الملك في صورة البشر لظنوا أنه بشر فيعود سؤالهم إنا لا نرضى برسالة هذا الشخص. وتحقيق الكلام: أن الله لو فعل ذلك لصار فعل الله نظيراً لفعالهم في التلبيس، وإنما كان ذلك تلبساً لأن الناس يظنون أنه بشر مع أنه ليس كذلك، وإنما كان فعالهم تلبساً لأنهم يقولون لقومهم إنه بشر مثلكم والبشر لا يكون رسولاً من عند الله تعالى. (٢)

(٤) أن الجنس إلى الجنس أميل، فالله يرسل الرسول للقوم من نوعهم للتمكين من المخالطة لأن اتحاد النوع هو قوام تيسير المعاشرة، وذلك ليتمكن التخاطب بينه وبين الناس. فأهل الأرض لو كانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة لكن حينما كانوا بشراً وجب أن يكون رسولهم من البشر، وهو المراد من قوله

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٦١/١٢.

(٢) انظر المرجع السابق، ١٦٢/١٢.

تعالى: ﴿لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾^(١) وهذا من لطف الله ورحمته بعباده أن يبعث عليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا عنه.^(٢)

(٥) أن إنزال الملك آية باهرة جارية مجرى الإلحاء، وإزالة الاختبار، وذلك مخلُ بصحة التكليف.

(٦) أن إنزال الملك وإن كان يدفع الشبهات المذكورة إلا أنه يقوى الشبهات من وجه آخر، وذلك لأن أي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك، ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلته أنت، فعلنا أن إنزال الملك وإن كان يدفع الشبهة من الوجوه المذكورة لكنه يقوى الشبهة من هذه الوجوه.

(٧) أن طاعات الملائكة قوية، فيستحقرون طاعة البشر، وربما لا يعذرونهم في الإقدام على المعاصي.

(٨) أن النبوة فضل من الله، فيختص بها من يشاء من عباده، سواءً كان ملكاً أو بشراً.^(٣)

وعلى كل حال، فبتقدير أن يبعث الله ملكاً رسولاً إلى الخلق، فالخلق إنما يؤمنون بكونه رسولاً من عند الله لأجل قيام المعجز الدال على صدقه وذلك المعجز هو الذي يهديهم - بإذن الله - إلى معرفة ذلك الملك في ادعاء رسالة الله - تعالى -، فهذا المعجز سواءً ظهر على يد الملك أو على يد البشر، وجب الإقرار برسالته

(١) سورة الإسراء، جزء من الآية رقم ٩٥.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٦٠ / ٢١ وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١٣ / ١٥.

(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٦٢ / ١٢.

فثبت أن يكون قولهم بأن الرسول لا بد وأن يكون من الملائكة تحكماً فاسداً وتعنتاً
باطلاً. ^(١)

^(١) انظر المرجع السابق، ٦٠، ٥٩/٢١.

الأسلوب الثالث

أسلوب القدرة وهو عن طريق الاستدلالات التالية:

الاستدلال الأول: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى.

الاستدلال الثاني: الاستدلال على البعث بعلم الله المحيط بكل شيء وقدرته الكاملة وحكمته الشاملة.

الاستدلال الثالث: الاستدلال على إمكان البعث. بخلق الأكوان. مثل السموات والأرض.

الاستدلال الرابع: الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة في الأرض الميتة.

الأسلوب الثالث: أسلوب بيان القدرة:

وهذا الأسلوب يتجلى في قضية البعث والنشور، والتي وقف المشركون منها موقف الإنكار، لما ترسب في أذهانهم من عدم إمكانية رجوع الأرواح إلى الأجساد مرة أخرى، لا سيما والأشلاء قد تفرقت والعظام قد بليت. لذا جاء الرد القرآني ليبين هذه الحقيقة عن طريق بيان القدرة الإلهية على تلك الإعادة مستنداً على ذلك بأمر عديدة وكثيرة منها:

الاستدلال الأول: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى.

الاستدلال الثاني: الاستدلال على البعث بعلم الله المحيط بكل شئ وقدرته الكاملة وحكمته الشاملة.

الاستدلال الثالث: الاستدلال على إمكان البعث. بخلق الأكوان. مثل السموات والأرض.

الاستدلال الرابع: الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة في الأرض الميتة.

أولاً: الاستدلال على البعث بالنبشاة الأولى:

وهو قياس الإعادة على الابتداء، فالذي يصلح أمراً ولأول وهلة، ومن عدم، قادر على أن يعيده مرة أخرى بعد أن يبلى ويرم. وهذا هو الحال في قضية البعث والنشور، حيث جاءت الآيات العديدة مبينة هذه الحقيقة، فمن ذلك:

(١) قوله تعالى: (وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً أننا لمبعوثون خلقاً جديداً. قل كونوا حجارة أو حديداً. أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً ﴿١﴾.

فالله تعالى يبين أن أبدان الناس وإن انتهت بعد موتها إلى أي صفة فرضت وأي حالة قدرت، وإن كانت في غاية البعد عن قبول الحياة، فإنه قادرٌ على إعادة الحياة إليها، لأنه جل وعلا هو الذي خلق الخلق لأول مرة وفطرهم لأول وهلة فهو قادرٌ على أن يعيدهم مرة أخرى، فالذي يبدأ الشيء قادرٌ على إعادته (٢).

(٢) قوله تعالى: ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من عجي العظامر وهي رميمر قل عجيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴿٣﴾.

ففي هذه الآيات يوضح جل وعلا استبعاد المشركين لقضية البعث والنشور كما يوضح القدرة الإلهية على ذلك الأمر بما يلي:

أ - أن قدرته - جل وعلا - ليست كقدرة البشر.

(١) سورة الإسراء، الآيات من ٤٩-٥١.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠/٢٢٦.

(٣) سورة يس، الآيات من ٧٧ - ٧٩.

ب- أنه لابد من التفكير في هذا الخلق العجيب والبدء الغريب فالذي خلق الناطق العاقل من نطفه قدرة لم تكن محل الحياة أصلاً، قادرٌ على إعادة النطق والعقل إلى محل كانا فيه.

ج- أن الذي خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً، كذلك يعيده وإن لم يبق شيئاً مذكوراً.^(١)

^(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٠٩/٢٦

ثانياً: الاستدلال على البعث، بعلم الله المحيط بكل شيء، وقدرته
الكاملة، وحكمته الشاملة:

- (١) يقول تعالى: ﴿ قل محيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ عليم ﴾^(١).
- (٢) ويقول تعالى: ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾^(٢). فهو - جل وعلا - بكل خلقٍ عليم، عليم بجميع خلقه، يعلم أجزاء ذلك الإنسان من أجزاء ذلك، لا يشتبه عليه أي جزء من أحد أجزاء الآخرين فيجمع الأجزاء المتفرقة في البقاع، المبددة في الأصقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة، وعلمه المحيط بكل شيء، كما قال تعالى: (- عالم الخيب لا يعرب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾^{(٣) (٤)}.

(١) سورة يس، الآية رقم ٧٩.

(٢) سورة ق، الآية رقم ٤.

(٣) سورة سبأ، جزء من الآية رقم ٣.

(٤) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١١٠/٢٦.

ثالثاً: الاستدلال على إمكان البعث، بخلق الأكوان مثل السموات والأرض، فإن خلقها أعظم من خلق الإنسان:

ومن الآيات الدالة عليه، ما يلي:

(١) قوله تعالى: ﴿وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً أننا لمبعوثون خلقاً جديداً. أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه فأي الظالمون إلا كفوراً﴾.^(١)

فيجيب - تعالى - في هاتين الآيتين على إنكار المشركين لإعادة الإنسان إلى الحياة بعد أن يصير رفاتاً ورميماً ب: أنه من قدر على خلق السموات والأرض لم يبعد أن يقدر على إعادتهم بأعيانهم، بل إن ذلك أسهل عليه من خلق تلك الأكوان العظيمة^(٢).

(٢) وقوله تعالى: ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم. بلى وهو الخلاق العليم﴾.^(٣)

فيقول تعالى مخبراً منبهاً على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة، والثوابت والأرضين السبع، وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار، وما بين ذلك، ومرشداً إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة^(٤).

(٣) وقوله تعالى: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يحي

(١) سورة الإسراء، الآيتان رقم ٩٨، ٩٩.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٠٨/٣. والرازي، التفسير الكبير، ٦٢/٢١.

(٣) سورة يس، الآية رقم ٨١.

(٤) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٦٢/٣.

مخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى. بلى إنه على كل شئ قدير ﴿١﴾
فهذه الآية فيها إقامة الدلالة على كونه تعالى قادراً على البعث، والدليل عليه أنه
تعالى خلق السموات والأرض، ولا شك أن خلقها أعظم وأفخم من إعادة هذا
الشخص حياً بعد أن صار ميتاً، والقادر على الأقوى الأكمل لا بد وأن يكون
قادراً على الأقل والأضعف.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿بلى إنه على كل شئ قدير﴾، والمقصود منه أن تعلق
الروح بالجسد أمر ممكن إذ لو لم يكن ممكناً في نفسه لما وقع أولاً، والله تعالى
قادر على كل الممكنات، فوجب كونه قادراً على تلك الإعادة، وهذه الدلائل يقينية
ظاهرة. ﴿٢﴾

(١) سورة الأحقاف، الآية رقم ٣٣.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٣٤/٢٨.

رابعاً: الاستدلال على إمكان البعث بإحياء الأرض بعد موتها وخلق النباتات المختلفة فيها.

ومن الآيات الدالة على ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقنا لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾^(١).
فالله تعالى يقيم في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة القول بالحيث والبعث والقيامة.

فكما أنه تعالى أحيا هذا البلد بعد خرابه وبعد موته فكذلك يحيي الأجساد بعد صيرورتها رميماً يوم القيامة. لأن من يقدر على إحداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه، فهو أيضاً يكون قادراً على إحداث الحياة في بدن الميت.

ثم قال تعالى: ﴿لعلكم تذكرون﴾. والمعنى: أنكم لما شاهدتم أن هذه الأرض كانت مزينة وقت الربيع والصيف بالأزهار والثمار ثم صارت عند الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة، ثم إنه تعالى أحياها مرة أخرى، فالقادر على إحيائها بعد موتها يجب كونه أيضاً قادراً على إحياء الأجساد بعد موتها، فقوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾، المراد منه تذكركم أنه لما لم يمتنع هذا المعنى في إحدى صورتين وجب أن لا يمتنع في الصورة الأخرى.^(٢)

(١) سورة الأعراف، الآية رقم ٥٧.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٦٨/٢ والرازي، التفسير الكبير، ١٤٣/١٤.

٢) وقوله تعالى: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقنا لا إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها. كذلك النشور﴾، ^(١) فالله - جل وعلا - كثيراً ما يستدل على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها حيث ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، كذلك الأجساد إذا أراد الله تعالى - بعثها ونشورها فالقادر على إحياء الأرض الميتة الهامة قادر على البعث والنشور. ^(٢)

ووجه التشبيه في هذه الآية، فيه وجوه:

- ١) أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة.
- ٢) كما أن الريح تجمع القطع السحابية، كذلك يجمع بين أجزاء الأعضاء وأعضاء الأشياء.
- ٣) كما أنا نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت نسوق الروح والحياة إلى البدن الميت. ^(٣)

^(١) سورة فاطر، الآية رقم ٩.

^(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/٩٠٤، ٩٠٥.

^(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٧/٢٦.

الأسلوب الثاني

أسلوب التسلية،

وذلك عن طريق مايلي:

أولاً: التسلية عن طريق ذكر حال إخوانه المرسلين قبله.

ثانياً: التسلية عن طريق البشرى بالنصر العاجل والآجل.

ثالثاً: التسلية عن طريق الوعد بالعون والمساعدة والنصر.

٢) أسلوب التسلية:

إن من ضمن أساليب منهج القرآن القولي في مواجهة أساليب المشركين أسلوب التسلية، والذي كان المصطفى - ﷺ - محتاجاً إليه، لا سيما من ربه وخالقه جل وعلا - . فقد كان يلقي في سبيل دعوته إلى الله الأذى الكبير، والمعاناة الشديدة والتي صبر عليها وصابر فكان في ذلك إمام الصابرين وقدوة المحتسبين. لقد كان لتلك التسلية الإلهية الأثر الكبير في شحذ الهمة وتقوية الثقة، والتي تدرع بها المصطفى - ﷺ - وتترس تجاه تلك الأساليب الحاقدة. وهذا الأسلوب تعدد وتنوع فلم يأت على وتيرة واحدة ونمط موحد فكان من ذلك:

- أولاً: التسلية عن طريق ذكر حال إخوانه المرسلين قبله.
- ثانياً: التسلية عن طريق البشرى بالنصر العاجل والآجل.
- ثالثاً: التسلية عن طريق الوعد بالعون والمساعدة والنصر.

أولاً: التسليية عن طريق ذكر حال إخوانه المرسلين قبله: -

فلقد جاءت الآيات العديدة مسلية لهادي البشرية - ﷺ - ومبينة له أن ما واجهته به قريش هي طريقة المشركين في كل زمان ومكان فما بعث الله نبياً ولا أرسل رسولاً هادياً، إلا قابله قومه بالجحود والإنكار والمكر والاستهزاء. (١)

ومن هذه الآيات:

- (١) قوله تعالى: ﴿ ولقد استهزئ به برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾، (٢) فهذه تسليية للنبي - ﷺ - في تكذيب من كذبه من قومه، فكأنه قيل له: إن هذه الأنواع الكثيرة من سوء الأدب التي يعاملونك بها قد كانت موجودة في سائر القرون مع أنبيائهم، فلست أنت فريداً في هذا الطريق. (٣)
- (٢) وقوله تعالى: ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأذوا حتى أتاهم نصرنا. ولا مبدل لكلمات الله. ولقد جاءك من نبإي المرسلات ﴾، (٤) وهاتان الآيتان - أيضاً - تسليية للنبي - ﷺ - وتعزية له، فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. (٥) ففي الآية الأولى أزال تعالى الحزن عن قلب رسوله - ﷺ - بأن بين أن تكذبه يجري مجرى تكذيب الله - تعالى -، وفي الآية الثانية ذكر طريقاً آخر

(١) انظر الصابوني، قيس من نور القرآن الكريم، ١٦٣/٢، ط ١، دار القلم دمشق بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٢) سورة الأنعام، الآية رقم ١٠.

(٣) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٠٨/٢، والرازي، التفسير الكبير، ١٦٣/١٢.

(٤) سورة الأنعام الآيتان رقم ٣٣، ٣٤.

(٥) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢١٧/٢.

في إزالة الحزن عن قلبه وذلك بأن بيّن أن سائر الأمم عاملوا أنبياءهم بمثل هذه المعاملة، وأن أولئك الأنبياء صبروا على تكذيبهم وإيذائهم حتى أتاهم النصر والفتح والظفر فأنت أولى بالتزام هذه الطريقة لأنك مبعوث إلى جميع العالمين، فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا. (١)

(٣) وقوله تعالى: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾. (١)

فيقول تعالى ذكره لنبيه محمد - ﷺ - مسليه بذلك عما لقي من كفره قومه في ذات الله، وحاتاً له على الصبر على ما نال فيه: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً.. ﴾، أي: وكما ابتليناك، يا محمد، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداءً شياطين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول، ليصدوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك وبما جنتهم به من عند ربك، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل، بأن جعلنا لهم أعداءً من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات فهذا الذي امتحنتك به، لم تخصص به من بينهم وحدك، بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم واختبرهم. (٣)

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠٦/١٢.

(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ١١٢.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ٣١٣/٥.

ثانياً: التسليية عن طريق البشرى بالنصر العاجل والآجل:

لقد جاءت الآيات العديدة أيضاً لتسلي المصطفى - ﷺ - من جراء ما يلقي من قومه وذلك بتبشيرهم بالمستقبل الزاهر والنصر المبين، والسعادة الدنيوية والأخروية. وهذا النوع من التسليية كما يوحي عنوانه، على نوعين:

أ - البشرى بالنصر العاجل.

ب- البشرى بالنصر الآجل.

أ - البشرى بالنصر العاجل:

وذلك حيث النصر على الأعداء، والتمكين في الأرض، وحسن العاقبة. ومن الآيات التي تبشر بذلك:

١) قوله تعالى: ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإي المرسلين ﴾، ^(١) فهذه تسليية للنبي - ﷺ - وتعزية له، فيمن كذبه من قومه، وأمر له بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، ووعدهم بالنصر كما نصرنا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا. ثم أكد وقوى تعالى هذا الوعد بقوله: ﴿ ولا مبدل لكلمات الله ﴾ يعنى: إن وعد الله إياك بالنصر حق وصدق، ولا يمكن تطرق الخلف والتبديل إليه، بل إن ذلك في كلامه - سبحانه - محال وقوله: ﴿ ولقد جاءك من نبإي

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ٣٤.

المرسلين ﴿﴾، أي: من خبرهم في القرآن كيف نصرُوا وأيدوا على من كذبهم من قومهم، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة. ^(١)

(٢) وقوله تعالى: ﴿﴾ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴿﴾، ^(٢) فالله -تعالى- لما هدد الكفار بقوله: ﴿﴾ فسوف يعلمون ﴿﴾، ^(٣) أي عاقبة كفرهم، أردفه بما يقوي قلب الرسول - ﷺ - فقال: ﴿﴾ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين... ﴿﴾، أي: مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب، وهو أنهم لهم النصر والغلبة والظفر والفلاح على أهل الكفر بنا، والخلاف علينا. ^(٤)

فقوله: ﴿﴾ إنهم لهم المنصورون ﴿﴾، بشارة للنبي - ﷺ - عقب تسليته لأنه داخل في عموم المرسلين.

وقوله: ﴿﴾ وإن جندنا لهم الغالبون ﴿﴾: بشارة للمؤمنين، فإنهم جند الله أي أنصاره لأنهم نصرُوا دينه وتلقوا كلامه. ومعنى ﴿﴾ المنصورون ﴿﴾ و﴿﴾ الغالبون ﴿﴾ أي في أكثر الأحوال وباعتبار العاقبة فلا يناقِي أنهم يغلبون نادراً ثم تكون لهم العاقبة، أو المراد النصر والغلبة الموعود بهما قريباً وهما ما كان يوم بدر. ^(٥)

(٣) وقوله تعالى: ﴿﴾ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا... ﴿﴾. ^(٦)

^(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٢١٧. والرازي، التفسير الكبير، ١٢/٢٠٦.

^(٢) سورة الصافات، الآيات من ١٧١-١٧٣.

^(٣) سورة الصافات، جزء من الآية رقم ١٧٠.

^(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ١٠/٥٤١. والرازي، التفسير الكبير، ٢٦/١٧٢.

^(٥) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٣/١٩٥.

^(٦) سورة غافر، جزء من الآية رقم ٥١.

كلام مستأنف مسوق لتسليية الرسول - ﷺ - ووعده بالنصر على الأعداء في الحياة الدنيا وحسن العاقبة، وتسليية المؤمنين ووعدهم بالنصر وحسن العاقبة. وهذه النصرة من الله تحصل بوجوه:

- (١) النصرة بالحجة، وقد سمي الله الحجة سلطاناً في غير موضع وهذه النصرة عامة للمحقين أجمع، ونعم ما سمي الله هذه النصرة سلطاناً لأن السلطنة في الدنيا قد تبطل، وقد تتبدل بالفقر والذلة والحاجة والفتور، أما السلطنة الحاصلة بالحجة فإنها تبقى أبد الأباد ويمتنع تطرق الخلل والفتور إليها.
- (٢) أنهم منصورون بالمدح والتعظيم، فإن الظلمة وإن قهروا شخصاً من المحقين إلا أنهم لا يقدرّون على إسقاط مدحه عن السنة الناس.
- (٣) أنهم منصورون بسبب أن بواطنهم مملوءة من أنوار الحجة وقوة اليقين، فإنهم إنما ينظرون إلى الظلمة والجهال كما تنظر الأكابر إلى أخس الأشياء.
- (٤) أن المبطلين وإن كان يتفق لهم أن يحصل لهم استيلاء على المحقين، ففي الغالب أن ذلك لا يدوم بل يكشف للناس أن ذلك كان أمراً وقع على خلاف الواجب ونقيض الحق.
- (٥) أن المحق إن اتفق له أن وقع في نوع من أنواع البلاء فذلك يكون سبباً لمزيد ثوابه وتعظيم درجاته.
- (٦) أن الظلمة والمبطلين كما يموتون تموت آثارهم ولا يبقى لهم في الدنيا أثر ولا خبر، وأما المحقون فإن آثارهم باقية على وجه الدهر والناس بهم يفتنون في أعمال البر والخير فهذا كله أنواع نصرة الله للمحقين في الدنيا.^(١)

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٧٦، ٧٥/٢٧. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٦٧/٢٤.

ب- البشري بالنصر الآجل:

لم يتوقف التبشير الإلهي للمصطفى - ﷺ - وأصحابه رضي الله عنهم بالنصر العاجل فحسب، بل كان هناك التبشير بالنصر الآجل فيما بعد الموت وهو الدار الآخرة، وما فيها من نعيم مقيم وسعادة أبدية.

فقد جاءت الآيات العديدة تعد الرسول - ﷺ - والمؤمنين به بالعاقبة الحسنة في تلك الدار، وما أعدّ الله جل وعلا - لهم من ما تشتهيهِ الأنفس وتلذّ الأعين، فمن ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم

الأشهاد﴾^(١).

فهذه الآية كما تقدم فيها تسليّة للرسول - ﷺ - ومن معه، ووعد بنصرهم نصرّة يظهر أثرها في الدنيا والآخرة.

فقوله: ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾: المراد به يوم القيامة، والنصر في هذا اليوم يكون أعظم نصرّة من يوم الدنيا وأكبر وأجلّ.^(٢)

ولا شك أن المنصور في هذا اليوم سبيله إلى الجنة والتي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(٢) وقوله تعالى: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك

فترضى﴾^(٣).

(١) سورة غافر، الآية رقم ٥١.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/١٣٤. والرازي، التفسير الكبير، ٢٧/٧٥.

(٣) سورة الضحى، الآيات رقم ٥، ٤.

فالله تعالى - يخبر نبيه - ﷺ - بأن الدار الآخرة خير له من دار الدنيا، وأنه سيعطيه في تلك الدار - الآخرة - العطاء الكثير حتى يرضيه في أمته، وفيما أعده له من الكرامة، ومن جملة نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر - كما قال تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾^(١).^(٢)

(٣) وقوله تعالى: ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾^(٣).

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا يضحكون على المؤمنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضر والبؤس، أما في الآخرة فيضحك المؤمنون عليهم بسبب ما هم فيه من أنواع العذاب والبلاء، ولأنهم علموا أنهم كانوا في الدنيا على غير شيء، وأنهم قد باعوا باقياً بفان ويرون أنفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير راحة الأبد، ودخلوا الجنة، فأجلسوا على الأرائك ينظرون إليهم كيف يعذبون في النار وكيف يصطرخون فيها ويدعون بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضاً.

فهذا الإخبار منه - جل وعلا - فيه وعد للمؤمنين بالعاقبة الحسنة والسعادة التي لا تبلى والنعيم الذي لا يفنى.^(٤)

(١) سورة الكوثر، الآية رقم ١.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٨٦٩/٤.

(٣) سورة المطففين، الآيات من ٢٩ - ٣٦.

(٤) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٨٠٥/٤. والرازي، التفسير الكبير، ١٠٢/٣١.

ثالثاً: - التسلية عن طريق الوعد بالعون والمساعدة والنصر:

كان المشركون لا تتوقف أساليبهم في الصد عن الدعوة، وفي مواجهة صاحبها حيناً بعد حين ووقتاً بعد وقت. بل كان ذلك مستمراً ولا شك أن لذلك تأثيره على صاحب الدعوة وحامل لوائها - ﷺ - والذي ليست لديه تلك المنعة، أو ذلك الركن الشديد الذي يأوي إليه ويتترس به، لاسيما بعد هلاك عمه الذي كان يحوطه ويدافع عنه، ووفاة زوجته خديجة - رضي الله عنها - التي كانت تؤنسه وتهون عليه بعض أجزائه. هذا ما كان من شأنه في الأرض لكن لم يستمر الحال على هذا الوضع، فلئن كانت حالته وقيمه - ﷺ - في الأرض كذلك، فإن حالته وقيمه في السماء أعظم وأرفع، فلقد تكفل - جل وعلا - بأن يأتيه بما يبطل شبهه المشركين واقتراحاتهم واعتراضاتهم وذلك بالحجة الواضحة، البينة القاطعة والذي لا يقف في وجهها أي شبهة ولا يبقى معها أي قول.

وهذا فيه تسلية للمصطفى - ﷺ - عن طريق وعده بالعون والمساعدة والنصر تجاه تلك المواجهة الحامية.

يقول تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١) ففي هذه الآية يوضح جل وعلا - ويبين أن أي أسلوب يقوم به المشركون لمواجهة رسوله - ﷺ -، وكتابه الكريم، أو أي شبهة من الشبه يتقدمون بها ويثيرونها، إلا ونزل جبريل عليه السلام - منه بجوابها وبما يدفعها ويدرغها ويمحقها، كما قال تعالى: ﴿بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ...﴾

(١) سورة الفرقان، الآية رقم ٣٣.

زاهق... ﴿١﴾، بل زاد جل وعلا على ذلك فالذي يجيء به هو أحسن تفسيراً من غيره، لأجل ما فيه من المزية في البيان والظهور.

وهذا الوعد منه جل وعلا ما هو إلا تسلية لرسوله - ﷺ - من جراء ما يواجهه به المشركون، واعتناء وكبير شرف له حيث كان يأتيه الوحي من الله - عز وجل - بالقرآن صباحاً ومساءً، وليلاً ونهاراً، سفيراً وحضراً، فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - (٢).

(١) سورة الأنبياء، جزء من الآية رقم ١٨.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٢٥/٣. والرازي، التفسير الكبير، ٨٠، ٧٩/٢٤.

الأسلوب الثالث

أسلوب التحدي

وهو على مراتب:

المرتبة الأولى : التحدي بكل القرآن.

المرتبة الثانية : التحدي بعشر سور مثله.

المرتبة الثالثة : التحدي بسورة واحدة.

المرتبة الرابعة : التحدي بحديث مثله.

٣) أسلوب التحدي:

لقد كان من ضمن أساليب المشركين في صدهم عن الدعوة في العهد المكي اتهامهم للقرآن الكريم بالاتهامات الكثيرة والعديدة.

ولقد كان من ضمن تلك الاتهامات أن قالوا: إن القرآن قول بشر، كما ذكر تعالى ذلك عنهم بقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(١)، كما كانوا دائماً وأبداً يرددون أن محمداً - ﷺ - قد افتراه وأعانه على ذلك قوم آخرون،^(٢) كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتِرَاءِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ...﴾^(٣).

والكلام على هذا الاتهام مبسوط في موضعه في الفصل الأول.

لكن لم يقف القرآن الكريم من هذا الاتهام الموقف السلبي، بل كانت هناك المواجهة القرآنية المتعددة والتي فيها: أسلوب التحدي، حيث تحدى أولئك المعاندين المكابرين، الذين يقولون عن القرآن الكريم: إنه من وضع البشر بل يقولون: إنه من مفتريات محمد - ﷺ -.

إن ميدان الافتراء والاختلاق فسيح لا حدود له فليجهدوا جهدهم، وليستعينوا بمن يستطيعون الاستعانة به، من أحبار ورهبان وكهان وسحرة وشعراء وخطباء ومن إنس ومن جن.

أما إن عجزوا، بعد أن يجهدوا جهدهم، ويبلوا بلاءهم، ويدعوا من استطاعوا فليحكموا هم على أنفسهم بأنهم هم المفترون وأنهم هم الكاذبون فيما قالوه في

(١) سورة المدثر، الآية رقم ٢٥.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٦٤/٧، ٣٦٥.

(٣) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٤.

القرآن الكريم، وليعلموا أن هذا القرآن إنما أنزل بعلم الله، ومن عند الله، فهل يرجعون بعد هذا عن غيهم وضلالهم، ويدعون للحق الذي فضح نوره ما قد علا وجوههم من خزي وذلة، بين يدي هذا الامتحان الذي خروا فيه صرعى لأول جولة في ميدان التحدي.^(١)

لقد كان تحدي القرآن الكريم لأولئك المشركين المعاندين، على مراتب^(٢)، وهي كالتالي:

المرتبة الأولى: أنه تحداهم بكل القرآن، كما قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا مثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾.^(٣)

فمعنى الاجتماع: الاتفاق واتحاد الرأي، أي: لو تواردت عقول الإنس والجن على أن يأتي كل واحد منهم بمثل هذا القرآن لما أتوا بمثله. فهو اجتماع الرأي لا اجتماع التعاون، كما تدل عليه المبالغة في قوله بعده ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾. والمراد بالمماثلة للقرآن: المماثلة في مجموع الفصاحة والبلاغة والمعاني والآداب والشرائع، وهي نواحي إعجاز القرآن اللفظي والعلمي. والظهير: المعين. والمعنى: ولو تعاون الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله فكيف بهم إذا حاولوا ذلك متفرقين.^(٤)

(١) انظر الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ١٠١٤/٢، ١٠١٥، ١١١٣.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٩٧/١٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية رقم ٨٨.

(٤) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠٣/١٥.

المرتبة الثانية : أنه - ﷺ - تحداهم بعشر سور مثله قال تعالى: ﴿ أمر يقولون افترا لا قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وإدعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾. ^(١)

المرتبة الثالثة: أنه - ﷺ - تحداهم بسورة واحدة، كما قال تعالى: ﴿ أمر يقولون افترا لا قل فاتوا بسورة مثله وإدعو من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾، ^(٢) ومعنى قوله: ﴿ صادقين ﴾، في هذه الآية والتي قبلها، أي قولكم أنه افتري، لأنه إذا أمكنه أن يفتر به أمكنكم أنتم معارضته فإنكم سواء في هذه اللغة العربية. ^(٣)

المرتبة الرابعة: أنه - ﷺ - تحداهم بحديث مثله، فقال ﴿ أمر يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾. ^(٤)

فقوله: ﴿ إن كانوا صادقين ﴾، أي: في قولهم ((**تقوله**))، فلو كانوا صادقين أنه منقول لهذا القرآن لهان عليهم الإتيان بمثله، ولما امتنع عليهم ذلك صاروا هم المتقولين الكاذبين. ^(٥)

لقد تحداهم القرآن الكريم وهم النهاية في الفصاحة، وقد بلغوا في الحرص على إبطال أمره كل غاية حتى بذلوا النفوس والأموال وارتكبوا ضروب المهالك والمحن، وكانوا في الحمية والأنفة على حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل، وكل

^(١) سورة هود، الآية رقم ١٣.

^(٢) سورة يونس، الآية رقم ٣٨.

^(٣) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٧٠/١١.

^(٤) سورة الطور، الأيتان، ٣٣، ٣٤.

^(٥) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٥٨/٢٨.

ذلك يوجب الإتيان بما يقدر في قوله والمعارضة أقوى القوادح، فلما لم يأتوا بها علمنا عجزهم عنها، حيث لو أمكنهم أن يعارضوه لفعلوا، وكان ذلك أقرب إلى أن يبلغوا مرادهم فيه، كما أنه لو استعان في ذلك بغيره لأمكنهم أيضاً أن يستعينوا بغيرهم، لأن محمداً - ﷺ - كأولئك المنكرين في معرفة اللغة وفي المكنة من الاستعانة فلما لم يفعلوا ذلك والحالة هذه علم أن القرآن قد بلغ النهاية في الفصاحة، وأنه لا يماثل قولهم، وأن التفاوت بينه وبين كلامهم ليس تفاوتاً معتاداً فهو إذن تفاوت ناقض للعادة فوجب أن يكون معجزاً منتهياً إلى حد الإعجاز. ^(١)

^(١) انظر المرجع السابق، ١١٥/٢ و ٥٠/٢٤.

الأسلوب الرابع

أسلوب التشويه،

وفيه مايلي:

أولاً : وصفهم بالضللال.

ثانياً : وصفهم بالظلم والزور.

ثالثاً : تشبيههم بالأنعام. بل بأضل منها.

رابعاً : وصفهم بأوصاف دنيئةٍ تطابق حالهم وتليق بمقامهم.

٤) أسلوب التشويه:

لقد كان من ضمن المواجهة القرآنية القولية لأساليب المشركين، أسلوب التشويه، والذي كان تنزلاً مع الخصم، ومواجهة له بمثل أسلوبه، على وجه الحقيقة، لا على وجه الكذب كما هو حال أسلوبهم.

إن هذا الأسلوب، يصور لنا ويبين حال أولئك المشركين من نواح عدة، إنه يبين لنا مسلك أولئك المعاندين ويصفه بالضلال.

إنه يبين منطق أولئك المعاندين ويصفه بالظلم والزور. إنه يبين حال أولئك وطبيعتهم، وأنهم كالأنعام بل هم أضل منها.

كما يلقي الضوء على بعض أخلاقياتهم، ويصفها بأوصاف تناسب مكانتهم الدنيئة وتليق بهم وبمقامهم.

وفي هذا المقام سنعرض الأدلة على ذلك، والكلام عليها:

أولاً: وصفهم بالضلال: ومن الآيات الدالة على ذلك، ما يلي:

(١) قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا

رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾. (١)

فالله تعالى يذم أولئك المشركين لقتلهم أولادهم، وتحريمهم ما رزقهم الله كما يبين ما لزمهم على هذا الحكم، وهو: الخسران والسفاهة، وعدم العلم، وتحريم ما رزقهم الله، والافتراء على الله، والضلال وعدم الاهتداء. وكل واحد منها سبب تام في حصول الذم. (٢)

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ١٤٠.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٠٩/١٣.

والشاهد لدينا في هذا المقام، هو: الضلال وعدم الاهتداء، فالمشركون أخطأوا الطريق الموصل إلى المقصود، فهم راموا البلوغ إلى مصالح دنيوية، والتقرب إلى الله وإلى شركائهم، فضلوا عن الرشد، ووقعوا في المفاصد العظيمة، وأبعدهم الله بذنوبهم، فلذلك كانوا كمن رام الوصول فسلك طريقاً آخر.

وفائدة قوله: ﴿وما كانوا مهتدين﴾، أن الإنسان قد يضل عن الحق، إلا أنه يعود إلى الاهتداء، فبين تعالى أنهم قد ضلوا ولم يحصل لهم الاهتداء قط، فهي لقصد التأكيد لمضمون جملة ﴿ضلوا﴾، لأن مضمون هذه الجملة ينفي ضدَّ الجملة الأولى فتؤول إلى تقرير معناها. (١)

(٢) وقوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾. (٢)

فالله تعالى يخبر عن تعنت أولئك المشركين وما واجهوا به رسولهم - ﷺ - من صنوف التكذيب والاتهام باتهامات لا تروج على أهل الفطنة والعقل. وأنهم في ذلك ضالون عن طريق الهدى، لأن كل من خرج عن الحق وطريق الهدى، فإنه ضال حيثما توجه لأن الحق واحد، ومنهجه متحد يصدق بعضه بعضاً، أما غيره من أي طريق فهو طريق الضلال. (٣)

(١) انظر المرجع السابق، ٢١٠/١٣. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ١١٦، ١١٥/٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية رقم ٩.

(٣) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥١٢/٣.

ثانياً: وصفهم بالظلم والزور:

ومن الآيات التي تثبت ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزوراً﴾. (١)

فيقول تعالى مخبراً عن سخافة عقول الجهلة من الكفار في قولهم عن القرآن: ﴿إن هذا إلا إفك﴾، أي: كذب ((افتراه)) يعنون النبي - ﷺ - (وأعانه عليه قوم آخرون))، أي: واستعان على جمعه بقوم آخرين. (٢)

فقال الله - تعالى - جواباً لهذا: ﴿فقد جاؤا ظلماً وزوراً﴾، أي: أتوا ظلماً وكذباً فالله - جل وعلا - وصف كلامهم بأنه ظلم وبأنه زور، أما أنه ظلم: فلأنهم نسبوا هذا الفعل القبيح إلى من كان مبرأً عنه، فقد وضعوا الشيء في غير موضعه وذلك هو الظلم، وأما الزور: فلأنهم كذبوا فيه. فالظلم تكذيبهم الرسول - ﷺ - والرد عليه. والزور كذبهم عليه. (٣)

(٢) وقوله تعالى: ﴿أويلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها. وقال الظالمون

إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾. (٤)

فهؤلاء المشركون يقذفون محمداً - ﷺ - ويصفونه بأوصاف دنيئة، كقولهم: إنه ساحر مسحور كذاب شاعر، وكلها أقوال باطلة، فالذي له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم.....

(١) سورة الفرقان، الآية رقم ٤.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥١١/٣.

(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٥٠/٢٤.

(٤) سورة الفرقان، الآية رقم ٨.

في ذلك^(١) وهذا لا شك ولا ريب أنه ظلم أيما ظلم لذاته - ﷺ - لأنه بريء من تلك الأوصاف بل منزّه عنها. لذا قال جل وعلا واصفاً أولئك المعتدين: ﴿وقال الظالمون﴾ ﴿فغير عنوانهم الأول وهو الشرك﴾ ﴿المشركون﴾ إلى عنوان الظلم وهم هم، تنبيهاً على أن في هذا القول اعتداء على الرسول - ﷺ - بنزّه بما هو بريء منه وهم يعلمون أنه ليس كذلك فظلمهم له أشد ظلم.^(٢)

^(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥١٢/٣.

^(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٢٩/١٨.

٤) أن الأنعام لا تعرف شيئاً ولكنها عاجزة عن الطلب. وأما هؤلاء الجهال فإنهم ليسوا عاجزين عن الطلب، والمحروم عن طلب المراتب العالية إذا عجز عنه لا يكون في استحقاق الذم كالقادر عليه التارك له لسوء اختياره.

٥) أن البهائم لا تستحق عقاباً على عدم العلم، أما هؤلاء فإنهم يستحقون عليه أعظم العقاب.

٦) أن البهائم مطيعة لله - تعالى -، والكافر غير مطيع. فهي تعرف ربها وتذكره، وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه.

٧) أن البهائم تضل إذا لم يكن معها مرشد، فأما إذا كان معها مرشد قلما تضل هؤلاء الكفار قد جاءهم الرسول، وأنزل عليهم الكتاب، وهم يزدادون في الضلال.

وإذا كان الأمر كذلك فضلال الكفار أشد وأعظم من ضلال هذه الأنعام.^(١)

^(١) انظر المرجع السابق، ٦٥/١٥ و ٨٧، ٨٦/٢٤.

رابعاً: وصفهم بأوصاف دينية تطابق ذاتهم وتليق بمقامهم:

وقد جاء ذلك كثيراً في القرآن، وبالأخص في سورة القلم، حيث جمعت العديد من تلك الصفات الذميمة الوضيعة، التي كشف القرآن عنها الستار، ورفع الحجاب، لتبدو للناس وتتجلى لهم ليعرفوا ما عليه أولئك المشركون من قبائح.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاF مَهْمَنَ هَمَا زَمْشَاءِ بِنْمِيمٍ. مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مَعْتَدٍ أَثِيمٍ. عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾.^(١)

اختلف المفسرون فيمن نزلت، على أقوال عدة:

(١) أنه الأخنس بن شريق، رجل من ثقيف.^(٢)

(٢) أنه الوليد بن المغيرة.^(٣)

(٣) أنه الأسود بن عبد يغوث.^(٤)

وقد نص الطبري - رحمه الله - وغيره، أنه ليس الأسود بن عبد يغوث^(٥) وعلى كل حال سواء كان الأخنس أو الوليد أو غيرهما، فالآيات تعطينا نموذجاً واضحاً لأولئك المشركين المعاندين وما يتصفون به من صفات ذميمة حيث إن تلك الآيات نزلت في واحد منهم.

وهذه الصفات كما هو الملاحظ عديدة، وسنقف عند كل صفة على حدة مع شرحها من كلام أهل التفسير.

(١) سورة القلم، الآيات من ١٠-١٣.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٤/١٢. وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣١/٨، وابن حجر، الفتح، ٨٥٦/٨، والسيوطي، أسباب النزول، ص ٣٩٥.

(٣) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣١/٨. والبلنسي، تفسير مبهمات القرآن، ٦٣٩/٢. وابن حجر، الفتح، ٨٥٦/٨.

(٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣١/٨، والسيوطي، أسباب النزول ص ٣٩٥. والبلنسي، تفسير مبهمات القرآن، ٦٣٩/٢.

(٥) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٦/١٢. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٦٥/٤.

(١) حلاف: كثير الحلف بالباطل. وهذه الخصلة لا تصدر إلا من إنسان غير صادق، يدرك أن الناس يكذبونه ولا يتقون به، فيحلف ويكثر من الحلف ليداري كذبه، ويستجلب ثقة الناس^(١).

(٢) مهين: وهو الضعيف. ذكر ذلك الطبري - رحمه الله - ثم قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. غير أن بعضهم وجه معنى المهين إلى الكذاب، وأحسبه فعلاً ذلك، لأنه رأى أنه إذا وصف بالمهانة فإنما وصف بها لمهانة نفسه عليه، وكذلك صفة الكذوب، إنما يكذب لمهانة نفسه عليه^(٢) وقيل: الحقير الدنيء^(٣).

(٣) هماز: الذي يغتاب الناس ويأكل لحومهم^(٤) وقيل العيَّاب^(٥).

(٤) مشاء بنميم: الذي يمشي بين الناس ويُحرِّش بينهم، وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الحالقة^(٦).

(٥) مناع للخير: فيه قولان:

أ - أنه كان يمنع ولده وعشيرته الخير، وهو الإسلام^(٧).

ب - أنه بخيل بالمال، ضنين به عن الحقوق^(٨).

انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٣/١٢، وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣١/٨.

(١) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٣/١٢، وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣١/٨، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٦٣/٤.

(٢) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣١/٨.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٣/١٢، وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٢/٨، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٦٤/٤.

(٤) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٢/٨.

(٥) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٣/١٢، وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٢/٨، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٦٤/٤.

(٦) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٢/٨، والرازي، التفسير الكبير، ٨٤/٣٠.

(٧) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٤/١٢، وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٢/٨، والرازي، التفسير الكبير، ٨٤/٣٠.

٦) معتد، قيل: الظلوم الذي يعتدي على الناس،^(١) وقيل: معتد في تناول ما أحل الله له يتجاوز فيها الحد المشروع.^(٢)

٧) أثيم: أي ذو إثم بربه يتناول المحرمات،^(٣) وهذا اللفظ يوحي المبالغة في ارتكاب الآثام.^(٤)

٨) عتل: وأقوال المفسرين فيه كثيرة،^(٥) وهي محصورة في أمرين:
أ - أنه ذم في الخلق.

ب- أنه ذم في الخلق وهو مأخوذ من قولك: عتله إذا قاده بعنف وغلظة ومنه قوله تعالى: ﴿خذوا فاعتلوه﴾.^(٦)

فالذين حملوه على ذم الخلق قالوا: يريد قوي ضخم، وقيل: واسع البطن وثيق الخلق، وقيل: الفاحش الخلق، اللئيم النفس، وقيل: الأكل الشروب، القوي الشديد، وقيل: الغليظ الجافي.

أما الذين حملوه على ذم الأخلاق فقالوا: إنه الشديد الخصومة، الفظ العنيف.^(٧)

٩) زبم: وهذه الكلمة أيضاً، أقوال المفسرين فيها كثيرة،^(٨) من ذلك:

(١) انظر الطبري جامع البيان، ١٨٤/١٢ . وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٢/٨ .

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٦٤/٤ .

(٣) انظر الطبري جامع البيان، ١٨٤/١٢ ، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٦٤/٤ .

(٤) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٨٤/٣٠ .

(٥) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٢/٨ .

(٦) سورة الدخان، جزء من الآية رقم ٤٧ .

(٧) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٨٤/٣٠ .

(٨) انظر الطبري، جامع البيان ١٨٤-١٨٨ . وابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦٦٥-٦٦٦ .

أ - أنه الدعي في قريش وليس منهم، وهذا معروف في اللغة أن الزنيم: الدعي الملتصق بالقوم وليس منهم.^(١)

ب- أنه الذي يعرف بالشر واللؤم والسوء، كما تعرف الشاة بزمنتها.^(٢)

ج- أنه كانت له زنمة في عنقه يعرف بها، مثل زنمة الشاة.^(٣)

د - أنه الظلوم.^(٤)

هذه الصفة هي خاتمة تلك الصفات الذميمة الكريهة، المتجمعة في عدو من أعداء الإسلام، وما يعادي الإسلام ويُصرُّ على عداوته إلا أناس من هذا الطراز الذميم. إن تلك الصفات شاهد على سوء الطوية لهذا الدين، وفساد النفس، وخلوها من الخير.

إنها تشين من يتصف بها، وتحط من قدره في الناس، فلا يوزن بميزان الإنسان السوي، الذي يطمئن إليه الناس، ويتعاملون معه في ثقةٍ واطمئنان، إنه لا يتصف بهذه الصفات إنسان له على ميزان الإنسانية وزن، وهي صفات تجتمع وتنفرد في هؤلاء المشركين الضالين.

وسواءً اجتمعت هذه الصفات كلها في شخص واحد، أو ظهرت عليه أعراض بعضها فإنَّ آيةً صفة منها تدعو إلى غيرها، إذ هي جميعها لا تصدر إلا من طبع لئيم، ولا تتضح إلا من نفسٍ خبيثةٍ فاسدة.

(١) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٢٧٧/١٢، والطبري، جامع البيان، ١٨٥/١٢، وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٣/٨، والرازي، التفسير الكبير، ٣٠/٨٤.

(٢) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٣/٨، والرازي، التفسير الكبير، ٨٥/٣٠، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٦٦، ٦٦٥/٤.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٦/١٢، وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٣/٨، والرازي، التفسير الكبير، ٨٥/٣٠.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ١٨٧/١٢، وابن الجوزي، زاد المسير، ٣٣٣/٨.

٥ انظر الخطيب، التفسير القرآن للقرآن، ١٠٨٥/٥.

بهذا النوع الرابع من أنواع أسلوب التشويه، نأتي على ختام هذا الأسلوب الذي صور لنا أنواعاً عديدة من صفات أولئك المشركين الصادين والتي كانت على وجه الحقيقة، بخلاف ما كانت عليه أساليب المشركين من الظلم والزور.

الأسلوب الخامس

أسلوب التهديد

وهو ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول : - التهديد المُعَجَّل.

القسم الثاني: - التهديد المؤجل.

٥) أسلوب التهديد (الترهيب):

سلك القرآن الكريم في سلسلة مواجهته لأساليب المشركين، أسلوب التهديد وهو أسلوب يتسم بالقوة، لغرض إيقاف المشركين عند حدّهم في مواجهتهم للدعوة الإسلامية وأصحابها، ودعوتهم للانضمام تحت لوائها، وإشعار أصحاب تلك الدعوة من أنّ هناك قوةً تلاحظهم وتحفهم وتدافع عنهم ليطمأنوا الاطمئنان التام، ويستمرروا في دعوتهم.

وكل غرض من هذه الأغراض جدير بالاهتمام. كاف لوصف ذلك بالمواجهة القوية لتلك الأساليب.

وهذا الأسلوب ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: - التهديد المُعَجَّل.

القسم الثاني: - التهديد المُؤَجَّل.

وهذا التنوع يوحى بالقدرة النامة على الأمر المهدد به. وأنه متى احتيج له فهو رهن الإشارة، كما يوحى بالعلم التام بالوقت المناسب والأصلح لوقوع هذا التهديد، هل هو في العاجل أم الآجل؟

وسنلقي الضوء على كل قسم من هذين القسمين على حدة

- إن شاء الله - تعالى - .

القسم الأول: التهديد المعجل:

جاء هذا النوع من التهديد لأغراض عدة سبق ذكرها، زيادة على ذلك يعمد إلى إيقاظ المشركين من سبات نومهم، كي يروا نور الهداية فيسلكوها، وذلك عن طريق تذكيرهم بسوء مغبة هذا الصدّ، وتذكيرهم بما أنعم الله عليهم من نعم عظيمة وآلاء جسيمة، فمن ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر. لعلمهم يرجعون﴾.^(١)

وقد اختلف أهل التأويل في معنى العذاب الأدنى، الذي وعد الله أن يذيقه هؤلاء الفسقة على أقوال عدة.^(٢)

وقال الطبري - رحمه الله - بعد أن ساق تلك الأقوال: ((وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن نذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إمّا شدة من مجاعة أو قتل، أو مصائب يصابون بها فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخص الله تعالى ذكره، إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم))^(٣).

ويؤيد ما ذهب إليه الإمام الطبري - رحمه الله - ما يلي:

^(١) سورة السجدة، الآية رقم ٢١.

^(٢) انظرها مبسطة في الطبري، جامع البيان، ١٠/٢٤٥-٢٤٨. وابن الجوزي، زاد المسير، ٦/٣٤١.

^(٣) الطبري، جامع البيان، ١٠/٢٤٨.

أ - ما ذكره ابن القيم^(١) - رحمه الله - في كتاب الروح، حيث قال بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلمهم يرجعون﴾^(٢)، "وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم: عبد الله بن عباس على عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء، لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر، ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر، فإنه سبحانه أخبر: أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا فدلّ على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال من العذاب الأدنى ولم يقل ولنذيقنهم العذاب الأدنى فتأمله".^(٣)

ب- ما ذكره ابن عاشور^(٤) - رحمه الله - عند جملة ((لعلمهم يرجعون)) حيث قال: وجملة ((لعلمهم يرجعون)) استئناف بياني لحكمة إذاقتهم العذاب الأدنى في الدنيا بأنه لرجاء رجوعهم، أي رجوعهم عن الكفر بالإيمان.^(٥)

٢) قوله تعالى: ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، من كبار العلماء مولده في دمشق سنة ٦٩١هـ، ووفاته فيها سنة ٧٥١هـ، تلمذ لشيخ الإسلام، ابن تيمية وهو الذي هذب كعبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، ألف تصانيف كثيرة منها إعلام الموقعين وكذلك إغاثة اللفهان، وزاد المعاد، وغيرها كثير. انظر الزركلي، الأعلام، ٥٦/٦.

(٢) سورة السجدة، الآية رقم ٢١.

(٣) ابن القيم، الروح، تحقيق ودراسة السيد الجميلي، ص ١٣٢، ط: ٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(٤) هو محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس. وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده فيها سنة ١٢٩٦هـ ووفاته بها ١٣٩٣هـ، ودرسته فيها، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها التحرير والتنوير في تفسير القرآن، موجز البلاغة، وغيرهما. انظر الزركلي، الأعلام، ١٧٤/٦.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١/٢٣٣.

الزبانية ﴿١﴾.

هذه الآيات في سياق آيات نزلت في أبي جهل، فقد روى الترمذي - رحمه الله - وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي - ﷺ - يصلي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنك عن هذا؟ فانصرف النبي - ﷺ - فزجره^(١)، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله ﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾ فقال ابن عباس: فوالله لودعا ناديه لأخذته زبانية الله.^(٢)

فالله تعالى يقول: فليدع أبو جهل أهل مجلسه وأنصاره، من عشيرته وقومه فإنه إن دعا ناديه، دعونا الزبانية.^(٣) وهذا فيه إيذان بتعجيل العقوبة لو فعل ذلك.^(٤)

(١) سورة العلق، الآيات من ١٥-١٨ .

(٢) أي: نهره وأغلظ له في القول.

(٣) أخرجه الترمذي - رحمه الله - في سننه، في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة اقرأ باسم ربك، ٤/٤١٤، رقم ٢٣٤٩. وقال عنه: هذا حديث حسن غريب صحيح. والإمام أحمد رحمه الله - في مسنده، ١/٣١٩، رقم ٢٣٢٠. وقال عنه أحمد شاكر: إسناده صحيح ٤/٩١ برقم ٢٣٢١.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ١٢/٦٤٨.

(٥) انظر ابن حجر، الفتح، ٨/٩٣٩.

القسم الثاني: - التهديد الموجب:

وقد ورد في هذا النوع من التهديد آيات عديدة وهي الأكثر في هذا النوع من النوع الأول ((المَعْجَل))، حيث إنها تبين مآل أولئك المشركين الوخيم ومصيرهم التعيس:

(١) يقول تعالى: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا. أطلع الغيب أمرأخذ عند الرحمن عهداً. كلا سنكتب ما يقول ونغد له من العذاب مداً. ونرتبه ما يقول ويأتينا فرداً﴾. (١)

جاء في سبب نزولها ما ورد في الصحيحين، من حديث خباب بن الأرت - رضي الله عنه - قال: جئت العاصي بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد - ﷺ -، فقلت لا حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت نعم، قال: إن لي هناك مالا وولداً فأقضيكه، فنزلت هذه الآية: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً﴾. (٢)

فهذه الآيات فيها تهديد لهذا الكافر المعاند المستهزيء، وفيها بيان لمصيره يوم القيامة من أنه سيجعل له بعض العذاب على إثر بعض، وسيسلب المال والولد عكس ما قال: إنه يؤتى في الدار الآخرة مالا وولداً زيادة على الذي له في الدنيا،

(١) سورة مريم، الآيات من ٧٧-٨٠.

(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله: ((أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً)) والأبواب التي بعده، ٤/١٧٦٠-١٧٦٢. بأرقم من ٤٤٥٥-٤٤٥٨. ومسلم رحمه الله - في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم - عن الروح، وقوله تعالى: يسألونك عن الروح، الآية، ٤/٢١٥٣، رقم ٢٧٩٥.

بل في الآخرة يسلب من الذي كان له في الدنيا ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾^(١) أي: من المال والولد.^(٢)

(٢) يقول تعالى: ﴿وَيَل لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرًا بَعْدَ بَعْثِ أَلِيمٍ. وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).
فهذه الآيات فيها وعيد عظيم لكفار قريش، وهو الوادي السائل من صديد أهل جهنم لكل كذاب ذي إثم بربه، مفتر عليه مبالغ في اقتراف الآثام^(٤)، والأفَّاك الأثيم المذكور في هذه الآيات، قيل: إنه النضر بن الحارث من بني عبد الدار.^(٥) وعلى كل حال فهي عامة في كل من كان موصوفاً بالصفة المذكورة.^(٦)

وهذا الأثيم له مقامات:

المقام الأول: أن يبقى مصراً على الإنكار والاستكبار، كما قال تعالى: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ﴾^(٧) أي: يقيم على كفره إقامة بقوة وشدة غير تائب منه، ولا راجع عنه ((مستكبراً)) على ربه أن يذعن لأمره ونهييه.

(١) سورة مريم، جزء من الآية رقم ٨٠.

(٢) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٢٦١/٥. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٢٤/٣.

(٣) سورة الجاثية، الآيات من ٧-١٠.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٢٥٤/١١. والرازي، التفسير الكبير، ٢٦١/٢٧.

(٥) انظر ابن الجوزي، زاد المسير ٣٥٥/٧ والرازي، التفسير الكبير، ٢٦١/٢٧ والبلنسي، تفسير مبهمات القرآن، ٤٨٣/٢.

(٦) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٦١/٢٧.

المقام الثاني: - أن ينتقل من مقام الإصرار والاستكبار إلى مقام الاستهزاء، فقال: ﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً﴾^(١).

وقوله ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ أي: هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل، وهم الذين يسمعون آيات الله تتلى عليهم ثم يصرون على كفرهم استكباراً، ويتخذون آيات الله التي علموها هزواً، لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ويذلهم في نار جهنم، بما كانوا في الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته.^(٢) و﴿أولئك﴾ إشارة إلى ﴿كل أفاك أثيم﴾ لشموله جميع الأفاكين. ثم وصف جل وعلا كيفية ذلك العذاب المهين فقال: ﴿من وراءهم جهنم﴾ أي من قدامهم جهنم.^(٣)

ثم أوضح جل وعلا إذا هم عذبوا في نار جهنم فإنهم لا يغنيهم ما كسبوا في الدنيا من مال وولد، ولا تغنيهم ألتهم التي عبدوها من دون الله من عذاب الله من شيء^(٤) ولا شك أن فقدان الفداء، وفقدان الولي مما يزيد العذاب شدة ويكسب المعاقب إهانة،^(٥) وقوله جل وعلا: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾، بعد قوله: ﴿ولئك لهم عذاب مهين﴾، أن كون العذاب مهيناً يدل على حصول الإهانة مع العذاب وكونه عظيماً يدل على كونه بالغاً إلى أقصى الغايات في كونه ضرراً.^(٦)

(١) انظر الطبري، جامع البيان، ٢٥٤/١١، والرازي، التفسير الكبير، ٢٦١/٢٧.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٢٥٤/١١.

(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٦١/٢٧.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٢٥٥، ٢٥٤/١١.

(٥) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٣٣/٢٥.

(٦) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٦١/٢٧، ٢٦٢.

المقصد الثاني

المواجهة القرآنية القولية غير المباشرة (التوجيهية).

وفيها عدة أساليب:

- (١) أسلوب الأمر بالصبر.
- (٢) أسلوب النهي عن طرد المؤمنين.
- (٣) أسلوب الأمر بالإعراض عن المشركين.
- (٤) أسلوب الأمر بالبراءة من المشركين.

المقصد الثاني:

المواجهة القرآنية القولية غير المباشرة (التوجيهية):

هذا النوع، هو النوع الثاني من المواجهة القرآنية، وهي ما كانت توجيهاً وأمرأً للمصطفى - ﷺ - بأن يفعله حيال أساليب المشركين.

لقد كان المصطفى - ﷺ - يعاني من قومه ما يعاني وهو الذي جُرِدَ من الولي والحمي، ومن كل أسباب الأرض واحداً بعد واحد. الأب والأم والجد، حتى العم، والزوج الوفية الحنون - واللذان فقدهما في منتصف طريق دعوته - وخلص لله ولدعوته مجرداً من كل شاغل. كما هو مجرد من كل سند أو ظهير. وهو الذي لقي من أقاربه من المشركين أشد مما لاقى من الأبعدين. وهو الذي خرج مرة ومرة ومرة يستنصر القبائل والأفراد فرُدَّ في كل مرة بلا نصره، وفي بعض المرات باستهزاء السفهاء ورجمهم له بالحجارة حتى تدمى قدماه الطاهرتان.

بعد ذلك كله يحتاج - ﷺ - التوجيه من ربه، فطريق الدعوة طريق شاق، مرير، حتى لتحتاج نفس كنفس محمد - ﷺ - إلى التوجيه الرباني كي تتعامل هي وأتباعها مع تلك الأساليب العدوانية بكل سياسة وحنكة.

إن كل أسلوب من تلك الأساليب يحتاج إلى السياسة والحنكة، والحكمة والفتنة، فهي لم ترد على نمط واحد، أو وتيرة موحدة. فقد يتطلب نوع منها الشدة والقوة، ونوع آخر الصبر والمصابرة، ونوع ثالث الموعظة والذكرى ونوع رابع الإعراض أو الرفض، وهكذا.

لقد كان لهذا النوع من المواجهة عمله القوي، وتأثيره الفعال في تلك الأساليب، لاسيما وتلك التوجيهات صادرة من علام الغيوب الذي يعلم السر وأخفى سبحانه وتعالى علواً كبيراً.

وقد نهج القرآن الكريم في هذا النوع أساليب كثيرة وعديدة، نقتصر على أهمها وأكثرها تأثيراً، فمن ذلك:

(١) أسلوب الأمر بالصبر.

(٢) أسلوب النهي عن طرد المؤمنين.

(٣) أسلوب الأمر بالإعراض عن المشركين.

(٤) أسلوب الأمر بالبراءة من المشركين.

أولاً: - أسلوب الأمر بالصبر:

سبق وأن بينا ما يلاقيه الرسول - ﷺ - من قومه من الأذى والاضطهاد، وأن هذا الطريق الشاق يحتاج فيه إلى جرعات تهيبية من قبل ربه - جل وعلا -، وقد تأتي هذا بأساليب عديدة ومتنوعة، من ذلك أسلوب الأمر بالصبر، حيث وجه الله - تعالى - رسوله الكريم - ﷺ - بهذا الأمر في مواضع عدة من كتابه.

إن الأمر بالصبر، هو الوصية من الله - جل وعلا - لكل رسول من رسله، ولعباده المؤمنين برسله. وما يمكن أن يقوم على هذه الدعوة أحدًا إلا والصبر زاده وعتاده، والصبر جنته وسلاحه، والصبر ملجؤه وملاذه.

فهي جهاد، جهاد مع النفس وشهواتها وانحرافاتنا وضعفها وشرودها وعجلتها وقنوطها. جهاد مع أعداء الدعوة وأساليبهم وتديبيرهم وكيدهم وأذاهم، والداعية لا زاد له إلا الصبر أمام هذا كله.

وقد جاءت الآيات العديدة، توجه المصطفى - ﷺ - وتأمره بالصبر، فمن ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا

قومك من قبل هذا. فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾^(١).

فالله - تعالى - يقول: يا محمد اصبر أنت وقومك على أذى هؤلاء الكفار، كما صبر نوح - عليه السلام - وقومه على أذى أولئك الكفار. فإن الصبر عاقبته النصر والظفر والفرح والسرور كما كان لنوح - عليه السلام - ولقومه.^(٢)

(٢) وقوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. ولا تستعجل لهم. كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من

(١) سورة هود، الآية رقم ٤٩.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٨/١٨.

نهار... ﴿١﴾.

فيقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد - ﷺ - مثبتاً له على المضي لما قلده من عبء الرسالة، وتقل أحمال النبوة، وأمره بالإنثناء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد ﴿فاصبر﴾ يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار ﴿كما صبر أولو العزم من الرسل﴾، على القيام بأمر الله، والانتحاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره ما نالهم فيه من شدة. (٢)

(٣) وقوله تعالى: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾. (٣)

في هذه الآية، يوجه الله - جل وعلا - رسوله الكريم - ﷺ - إلى الصبر الجميل، على ما يقوله المشركون من قومه له، وعلى أذاهم، وإعراضهم وصددهم، وأن يهجرهم في الله هجراً جميلاً.

(١) سورة الأحقاف، جزء من الآية رقم ٣٥.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٠٢/١١.

(٣) سورة الزمل، الآية رقم ١٠.

انظر الطبري، جامع البيان، ٢٨٧/١٢.

ثانياً: أسلوب النهي عن طرد المؤمنين:

تقدم في الأساليب القولية للمشركين اعتراضهم على أتباع الرسول - ﷺ - وحثهم في ذلك: أنهم أراذل الناس وضعفاؤهم، وأنهم ليسوا في مستواهم الاجتماعي ولا يرقوا إليه. وما دام أن الأمر كذلك فقد طلبوا من محمد - ﷺ - أن يبعدهم من مجلسه حال جلوسهم معه، حيث جعلوا ذلك شرطاً لإيمانهم.

ولقد جاء في خاطر المصطفى - ﷺ - أن يحقق ذلك الأمر لهم، ليس تسليماً باعتقادهم الفاسد - حاشا وكلا - ولكن من باعث حرصه - ﷺ - الشديد على إيمان أولئك الرؤساء والكبراء والذي خلد في ذهنه أن إيمانهم نصر كبير للدعوة، ومؤازرة عظيمة لها، لاسيما وهي في بداية الطريق، ولاشك أنها بعد تحقق هذا الأمر ستجد العون والمؤازرة من قبل أولئك.

لكن الغني الكبير المتعال، الذي لا تضره معصية العاصين، ولا تتفعه طاعة الطائعين، والذي لا يزيد في ملكه إيمان أولئك المتكبرين المعاندين، ولا ينقصه إعراضهم وعنادهم، لم يرض بهذا التفاضل والتنازل البسيط، بل أنزل التوجيهات الحكيمة والأوامر السديدة لنبيه ومجتباه - ﷺ - بأن لا يطرد أولئك المؤمنين ضعفاء الجاه والمال، لهذه الأسباب التي يتذرع بها المشركون، فباب الإيمان مفتوح لكل إنسان بغض النظر عن مستواه الاجتماعي.

ومن الآيات التي نزلت ناهية المصطفى - ﷺ - عن طرد المؤمنين، وأمره له بتقريبهم والجلوس معهم، ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْخِدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَتَكُونُ مِنْ.....﴾

الظالمين ﴿١﴾.

ورد في سبب نزولها روايات عديدة، نذكر منها:

أ - عن سعد - رضي الله عنه - في نزلت ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالخداة والحشي﴾ قال: نزلت في ستة: أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تدني هؤلاء. ^(١)

ب- وعن سعد - رضي الله عنه - أيضاً، قال: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ستة نفر، فقال المشركون للنبي - صلى الله عليه وسلم - : اطرده هؤلاء لا يجترؤن علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال ورجلان لست اسميهما فوق في نفس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما شاء الله أن يقع. فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالخداة والحشي يريدون وجهه...﴾. ^(٢)

ج- وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: مرّ الملاء من قريش على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء فنزل فيهم القرآن ﴿وأندربه الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم...﴾ ^(٣) إلى قوله: ﴿والله أعلم بالظالمين﴾. ^{(٤) (٥) (٦)}

^(١) سورة الأنعام، الآية رقم ٥٢.

^(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - ، ٤/١٨٧٨، رقم ٢٤١٣.

^(٣) المرجع السابق، ٤/١٨٧٨، رقم ٢٤١٣.

^(٤) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٥١.

^(٥) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٥٨.

^(٦) الإمام أحمد، المسند، ١/٥٢٥، رقم ٣٩٨٥ وقال الشيخ أحمد شاکر في تعليقه عليه: إسناده صحيح، ٦/٣٦ برقم ٣٩٨٥.

فهذه الروايات تفيد أن مشركي قريش، طلبوا من الرسول - ﷺ - أن يُقصي أولئك الضعفاء ويبعدهم عن مجلسه حتى يتسنى لهم مجالسته والإيمان به. لكن الله - تعالى - أنزل هذه الآية، يأمر فيها نبيه - ﷺ - بأن لا يبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنه، بل يجعلهم جلساءه وأخصاءه، وقد حذره جل وعلا بأنه إن فعل هذا والحالة هذه، فإنه من الظالمين. ^(١)

وقوله: ﴿.. من الظالمين﴾ فيه قولان:

- (١) فتكون من الظالمين لنفسك بهذا الطرد.
- (٢) أن تكون من الظالمين لهم. لأنهم لما استوجبوا مزيد التقريب والترحيب كان طردهم ظلماً لهم. ^(٢)

ولاشك أن كونه من الظالمين منتف تبعاً لانتفاء سببه وهو الطرد. ^(٣)

٢- قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا. واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾. ^(٤)

فالله - تعالى - يقول لرسوله - ﷺ - اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيّاً، من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء، أو أقوياء أو ضعفاء، ولا تجاوزهم إلى غيرهم، وتطلب بدلهم أصحاب الشرف

^(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٢٢٣، ٢٢٤.

^(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٢/٢٣٧.

^(٣) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٧/٢٥٢.

^(٤) سورة الكهف، الآية رقم ٢٨.

والثروة.^(١)

ففي الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْخَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾^(٢)، نهى الله - جل علا - رسواه - ﷺ - عن طردهم، وفي هذه الآية: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْخَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾^(٣)، أمره بمجالستهم والمصابرة معهم. فهي أكد من الأولى، إذ أمره بملازمتهم بقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾^(٣)، أي: احبسها معهم حبس ملازمة. والصبر الشد بالمكان بحيث لا يفارقه.

ثم أكد الأمر بمواصلتهم، بالنهي عن أقل إعراض عنهم، وذلك بقوله ﴿وَلَا تَحُدْ عَيْنَكَ عَنْهُمْ﴾^(٣).

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٣٢/٣، ١٣٤.

(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٥٢.

(٣) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١١٥/٢١، وابن عاشور، التحرير والتوير، ٣٠٥، ٣٠٤/١٥.

ثالثاً: أسلوب الأمر بالإعراض عن المشركين:

إن من ضمن الأساليب التوجيهية التي وجّه القرآن الكريم بها النبي - ﷺ - أسلوب الأمر بالإعراض عن المشركين.

وقد تعدد ذلك وتتوع في القرآن الكريم، فبعد الاطلاع والبحث في هذا النوع، تبين لي أن من الأحوال التي أمر الله بها رسوله - ﷺ - أن يعرض عن المشركين ما يلي:

الحالة الأولى: أن يعرض عنهم عند خوضهم في آيات الله - جل

وعلا - في مجالسهم وأنديتهم. كأن يستهزؤا

ويسخروا، ونحو ذلك.

الحالة الثانية: أن يعرض عنهم وعن صدمهم له عند قيامه بمهمة التبليغ.

الحالة الثالثة: أن يعرض عن مجادلته إذا تبين له عدم جدوى تلك المجادلة

وستتكلّم إن شاء الله - تعالى - عن كل حالة من هذه الحالات على حدة ذاكرين الأدلة على ذلك والكلام عليها - إن شاء الله-.

الحالة الأولى: الإعراض عنهم عند خوضهم في آيات الله:

لقد كان المصطفى - ﷺ - يغشى المشركين في مجالسهم وأنديتهم لتذكيرهم بالله - تعالى - ودعوتهم إليه، وإلى سلوك الطريق المستقيم، فكان جلهم يقابل هذه الدعوة بالسخرية والاستهزاء بل يعقد من أجل ذلك المجالس والأندية. فنزلت التوجيهات الربانية، للرسول - ﷺ - بأن يعرض عن تلك المجالس الفاسدة، وعن أهلها أصحاب اللغو، فمن ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ مَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ مَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ. وَإِمَّا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعُدَّ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾. (١)

ففي هذه الآية يوجه الله - تعالى - رسوله - ﷺ - إلى عدم مجالسة الذين يكذبون بآيات الله ويستهزؤون بها، ويأمره باعتزالهم والإعراض عنهم، على الحال التي يخوضون فيها في آيات الله، ويتخذونها هزواً وسخرية، ففي تلك الحال ينبغي على النبي ألا يخوض معهم في هذا الحديث، بل يترك هذا المجلس الذي هم فيه، لأنهم على منكر، وهو لا يستطيع أن يغير هذا المنكر بيده، أو لسانه، فليغيره بقلبه. بتلك الصورة التي يريهم منها منطقاً عملياً لما ينكره عليهم. وليس الإعراض الذي يكون من النبي في تلك الحالة، هو إعراض دائم متصل أبداً، وإنما هو إعراض موقوت بهذا المجلس، وبكل مجلس يكون فيه مثل هذا الخوض في آيات الله من المشركين. فإذا كان منهم بعد هذا مجلس يجري فيه حديث جدّ ووقار، والتزام عقل ومنطق، فلا بأس على النبي من أن يعود إلى الجلوس معهم، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ مَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ٦٨.

غيره ﴿١﴾، وفائدة هذا الإعراض هو: زجرهم عن هذا الخوض لعلهم يرجعون عنه. ﴿٢﴾

(٢) وقوله تعالى: ﴿وذُرِّ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾. ﴿٣﴾

فهؤلاء هم المذكورون، بقوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ مَخْرُوضِينَ فِي آيَاتِنَا﴾، ﴿٤﴾ ومعنى قوله تعالى في هذه الآية: ﴿ذُرِّهِمْ﴾، أي: أعرض عنهم، واتركهم ولا تخالطهم في تلك المجالس الاستهزائية، ولا تكثرث بذلك منهم ولا تهتم به ولا تقم له وزناً. وليس المراد: أن يترك إنذارهم لأنه تعالى قال بعده: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾. ﴿٥﴾ فالمراد كما سبق: ترك معاشرتهم وملاطفتهم، حال لهوهم وخوضهم في الآيات، وأن لا يترك إنذارهم وتخويفهم بعد عدولهم عن ذلك. ﴿٦﴾

(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٣٩/٢. والخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٢٠٩/٢، ٢١٠.

(٢) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨٩/٧.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٧٠.

(٤) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٦٨.

(٥) سورة النساء، جزء من الآية رقم ٦٢.

(٦) انظر الرازي، التفسير الكبير، ٢٧/١٣. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩٥/٧.

الحالة الثانية: الإعراض عنهم وعن صدقهم حال القيام بمهمة التبليغ:

بدأ المصطفى - ﷺ - دعوته إلى الله - جل وعلا - بعد نزول أوائل سورة المدثر، والتي بين طياتها، قوله تعالى: ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾^(١)، حيث دعا من يثق به من أهل بيته وأصدقائه الذين يتيقن قبولهم لهذا الأمر، وكان ذلك بسرية تامة خوفاً من أولئك الملأ من قريش الذين تسرب إليهم بعض أخبار تلك الدعوة من طريق وآخر، والذين - أيضاً - كانوا لا يرضون بهذا الدين الجديد، خوفاً منهم - هم الآخرين - على مناصبهم ورياستهم، الأمر الذي جعلهم لا يقبلون به بأي حال من الأحوال، مما جعل المصطفى - ﷺ - يمكث على تلك السرية ثلاث سنين^(٢) ولم يستمر الأمر على هذا الحال من السرية فالله - تعالى - إنما أرسل الرسول، وشرع ذلك الدين، كي يدخل الناس فيه أجمعون، ويظهر ذلك الدين الحق على الدين كله، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(٣) ولا تتأتى هذه الغاية ولا تحصل بتلك السرية وذلك الاختفاء، بل لا بد من الصدع والجهر، والإعلان والظهور. لذا نزلت التوجيهات الربانية أمرة المصطفى - ﷺ - بإظهار ذلك والصدع به وأن لا يعبأ بأولئك الصادين، الكارهين لهذا الأمر، بل عليه تنفيذ ما يأمره به ربه جل وعلا.

ومن الآيات الواردة في ذلك مايلي:

(١) سورة المدثر، الآية رقم ٢.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٩٥/١ والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٤١/١

(٣) سورة الصف، الآية رقم ٩.

(١) قوله تعالى: ﴿ فاصدع بما تؤمر . وأعرض عن المشركين ﴾^(١).

ففي هذه الآية، يأمر الله - تعالى - رسوله محمداً - ﷺ - بإبلاغ ما بعثه به، وبإنفاذه والصدع به - وهو مواجهة المشركين به- وأن لا يلتفت إلى الذين يريدون أن يصدوه عن آيات الله، وأن لا يبالي بهم، وبلومهم على إظهار الدعوة.^(٢)

فالإعراض عن المشركين في هذه الآية، هو الإعراض عن بعض أحوالهم لا عن ذواتهم. وذلك إبايتهم الجهر بدعوة الإسلام بين ظهرائهم، وعن استهزائهم، وعن تصديهم إلى أذى المسلمين. وليس المراد الإعراض عن دعوتهم، لأن قوله تعالى: ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾، مانع من ذلك.^(٣)

(٢) وقوله تعالى: ﴿ اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو . وأعرض عن المشركين ﴾^(٤).

هذا استئناف في خطاب النبي - ﷺ - لأمره بالإعراض عن المشركين، وأن لا يكثر بهم، وأن يكون ملازماً للدعوة إلى الله والإعلان بها، وأن يدعوهم إلى التوحيد والإيمان وأن لا يعتريه في ذلك لين ولا هوادة حتى لا يكون لبذاءتهم وتكذيبهم إياه تأثير على نفسه يوهن دعوتهم والحرص على إيمانهم، واعتقاد أن محاولة إيمانهم لا جدوى لها.

(١) سورة الحجر، الآية رقم ٩٤.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٩١٠. والرازي، التفسير الكبير، ١٩/٢١٥.

(٣) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٤/٨٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية رقم ١٠٦.

فالمراد بما أوحى إليه: ما أوحى من القرآن خطاباً للمشركين، أو أمراً بدعوتهم للإسلام وعدم الانقطاع عن ذلك، فيكون الكلام شذاً لساعد النبي - ﷺ - في مقامات دعوته إلى الله. وليس المراد من الأمر بالاتباع الأمر باتباع أوامر القرآن ونواهيهِ مطلقاً، لأنه لا مناسبة له بهذا السياق. بل ليس هو المقصد الأصلي من الغرض المسوق له الكلام، إنما المراد به كما هو مقرر ملازمة الدعوة إلى الله والإعلان بها وعدم الاكتراث بما يواجهه في ذلك من صدّ. والمراد بالإعراض عن المشركين، الإعراض عن مكابرتهم وأذاهم أثناء دعوتهم لا الإعراض عن دعوتهم، فإن الله - تعالى - لم يأمر رسوله - ﷺ - بقطع الدعوة لأي صنف من الناس، بل هناك الآيات الكثيرة تأمر بدعوة أولئك إلى الإسلام، والإفلاع عن الشرك. ^(١)

^(١) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٢٣/٧، ٤٢٥.

الحالة الثالثة: الإعراض عن مجادلتهم إذا تبين عدم جدوى ذلك:

وهذا النوع من الإعراض، هو الحالة الثالثة من تلك الحالات التي أمرَ بها المصطفى - ﷺ - أن يعرض عن المشركين. فحينما دعاهم - ﷺ - إلى الله - جل وعلا - بالأسلوب الحسن، والعبارة اللطيفة، ولم يفد معهم، ارتفع معهم إلى مرحلة غير تلك المرحلة، فقام يجادلهم بالتي هي أحسن، ويبين لهم أنه على الحق، وهم على الباطل بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة. فلما لم يفد ذلك، واتضح أنهم ليسوا طلاب حق، بل طلاب باطل، جاء التوجيه الرباني بالإعراض عن مجادلتهم ونقاشهم، لأن ذلك ليس له نتيجة معهم.

ومما جاء في ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ عَمَّن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.^(١)

أي: أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره واترك مجادلتَه فقد بلغت وأتيت بما كان عليك.

وذلك أن النبي - ﷺ - كان مأموراً بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة، فلما عارضوه بأباطيلهم قيل له: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢)، ثم لما لم ينفع، قال له ربه: فأعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان، فإنهم لا يتبعون إلا الظن، ولا يتبعون الحق، وقابلهم بالإعراض عن المناظرة بشرط جواز المقابلة.^(٣)

(١) سورة النجم، الآية رقم ٢٩.

(٢) سورة النحل، جزء من الآية رقم ١٢٥.

(٣) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٤١٥. والرازي، التفسير الكبير، ٢٨/٣١١.

(٢) وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَاتَّظَرَ إِنَّهُمْ مَبْتَضِرُونَ ﴾^(١).

بهذا الأمر القاطع، بوجه الله - سبحانه وتعالى - خطابه لرسوله - ﷺ - بأن يعرض عن هؤلاء المجادلين المكذبيين، وأن يحسم الموقف بينه وبينهم، وأن لا يزيد في الإلحاح عليهم تأييساً من إيمان المجادلين منهم المتصدين للتمويه على دهمائهم. فهو قد بلغ رسالة ربه، وبالغ في إعلانها مبشراً ومنذراً، وهم قد تبينت لهم المسائل، وأتقنت لهم الدلائل ولم ينفعهم ذلك كله.

وهذا الإعراض إعراض متاركة عن الجدل وقتياً لا إعراض مستمر، ولا عن الدعوة إلى الله.^(٢)

(١) سورة السجدة، الآية رقم ٣٠.

(٢) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٨٨/٢٥. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤٣/٢١. والخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ٦٣١/٤.

رابعاً: أسلوب الأمر بالبراءة من المشركين:

لاشك أن الشرك بالله - جل وعلا - هو أقبح أعمال المشركين، فهو الظلم العظيم والكفر الكبير، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، والذي لا يرضاه - جل وعلا - لعباده ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادَةِ الْكُفَرِ﴾^(٢)، بل نهاهم عنه وحذرهم عنه قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَشْرُكُوا بِهِ شَيْئاً -﴾^(٣)، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ. وَأَنْ تَشْرُكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً..﴾^(٤).

فالعبرة لا بد وأن تصرف لله - جل وعلا - فحسب، لا لنبي مرسل، أو ملك مقرب. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَتَّىٰ...﴾^(٥).

ولقد كان النبي - ﷺ - أول ما دعا قومه، يقول: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا،^(٦) حيث دعاهم إلى إفر - الله - جل وعلا - بالعبادة دون غيره.

(١) سورة لقمان، جزء من الآية رقم ١٣.

(٢) سورة الزمر، جزء من الآية رقم ٧.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ١٥١.

(٤) سورة الأعراف، جزء من الآية رقم ٣٣.

(٥) سورة البينة، جزء من الآية رقم ٥.

(٦) انظر المحاكم، المستدرک، ٦١٢/٢، وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: ٦١٢/٢ صحيح.

لكن أولئك المشركين، لم يذعنوا لذلك، ويسلموا بل أعرضوا وكذبوا - إلا ما رحم ربك - وتمادوا في ذلك التكذيب والإعراض واستمروا عليهما. ولم تفد معهم جميع الوسائل والأساليب التي سخرت آنذاك لدعوتهم من أجل دخولهم في دين الله، ونبذ ذلك الشرك.

ولم يتوقف المشركون في غيهم وضلالهم على هذا الحد، بل أرادوا خلط الحق بالباطل، وتشويه تلك المعالم العالية، والأنوار الساطعة بتلك الظلمات الدامسة، حيث دعوا المصطفى - ﷺ - إلى مشاركتهم في دينهم وعبادتهم مقابل مشاركتهم له في دينه وعبادته. من أجل ذلك، جاء التوجيه الرباني، بأمر المصطفى - ﷺ - بالبراءة من المشركين، ومن أعمالهم الشركية الضالة.

ومن الآيات التي وردت في هذا الموضوع، ما يلي:

(١) قوله تعالى: ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولکم عملکم أتم بریئون مما أعمل وأنا بریء مما تعملون﴾. (١)

فيقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد - ﷺ -: وإن كذبك يا محمد هؤلاء المشركون، وردوا عليك ما جنتهم به من عند ربك، فقل لهم: أيها القوم، لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم، لا يضرني عملكم ولا يضركم عملي، وإنما يجازي كل عامل بعمله ﴿أتم بریئون مما أعمل﴾، لا تؤخذون بجريرته، ﴿وأننا بریء مما تعملون﴾، لا تؤخذ بجريرة عملكم. (٢)

فمدلول هذه الآية: إظهار البراءة من أعمال الكفار القبيحة، إنكاراً لها وإظهاراً لوجوب التباعد عنها، وبيان اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله من

(١) سورة يونس، الآية رقم ٤١.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٦٣/٦.

(٢) وقوله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أتمر عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أتمر عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي ديني﴾. (٣)

فهذه السورة، سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهى أمره بالإخلاص فيه. فقوله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش، وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله - ﷺ - إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله - ﷺ - فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾، يعني من الأصنام والأنداد ﴿ولا أتمر عابدون ما أعبد﴾، وهو الله وحده لا شريك له، فما هنا بمعنى من ثم قال: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم...﴾، ﴿...ولا أتمر عابدون ما أعبد﴾.

أي: ولا أعبد عبادتكم أي: لا أسلكها ولا أقتدي بها وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه، ولهذا قال: ﴿ولا أتمر عابدون ما أعبد﴾، أي: لا تقفون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم كما قال: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٧/١٠٠. والشنقيطي، أضواء البيان، ٤٣٢/٢.

(٢) سورة الكافرون، من الآية الأولى وحتى نهاية السورة.

المدى ﴿١﴾ (٢)

فالغرض الذي اشتملت عليه هذه السورة أنها تأييس للكفار من أن يوافقهم محمد - ﷺ - في شيء مما هم عليه من الكفر بعد البراءة منهم ومن عملهم، بالقول الفصل المؤكد في الحال والاستقبال، وأن دين الإسلام لا يخالط شيئاً من دين الشرك. (٣)

(١) سورة النجم، جزء من الآية رقم ٢٣.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٩٤٠.

(٣) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠/٥٨٠.

المطلب الثاني

**منهج الرسول - ﷺ - القوي في مواجهة
أساليب المشركين**

وفيه مقصدان:

**المقصد الأول: المواجهة النبوية القولية
المباشرة.**

**المقصد الثاني: المواجهة النبوية القولية
غير المباشرة ((التوجيهية)) .**

منهج الرسول - ﷺ - القولي في مواجهة أساليب المشركين:

لم تكن المواجهة القرآنية القولية، هي المواجهة الوحيدة تجاه أساليب المشركين فحسب. بل كانت هناك المواجهة النبوية، حيث لم يقف - ﷺ - من تلك الأساليب موقف المتفرج، بل تصدى لها وقاومها بكل ما يستطيع من أساليب قولية، وكانت هذه المواجهة على النحو التالي: -

المقصد الأول: المواجهة النبوية القولية المباشرة.

المقصد الثاني: المواجهة النبوية القولية غير

المباشرة ((التوجيهية)).

المقصد الأول

المواجهة النبهوية القولية المباشرة ،

وفيها عدة أساليب:

- (١) أسلوب البيان.
- (٢) أسلوب التوبيخ.
- (٣) أسلوب التفويض.
- (٤) أسلوب الإصرار.
- (٥) أسلوب الدعاء.
- (٦) أسلوب التهديد.

المقصد الأول: المواجهة النبوية القولية المباشرة: -

هذه المواجهة هي النوع الأول من أنواع المواجهة النبوية القولية لأساليب المشركين، والتي باشرها بنفسه - ﷺ - كل أسلوب بما يناسبه. فكان من ذلك:

(أ) أسلوب البيان:-

وهذا الأسلوب يبين المصطفى - ﷺ - من خلاله ما يلي:

أ - حقيقته، وهو: أنه رسول من قبل الله - تعالى-.

ب- الحكمة من إرساله، وهي: التبليغ عن طريق البشارة والندارة، لا طلب الأموال، ولا طلب الملك والشرف والسؤدد. ولا إنزال المعجزات وتحقيق الطلبات.

ويتضح لنا هذا البيان، من خلال الرواية التالية:

ذكر ابن هشام - رحمه الله - في السيرة النبوية، وغيره: أن أشراف قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فأتهم، فجاءهم رسول الله - ﷺ - سريعاً، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا له: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من

الجن رؤياً فربما كان ذلك - بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، فقال لهم رسول الله - ﷺ -: ((ما بي ما تقولون، ما جئت بما جنتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جنتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصير لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم))، أو كما قال - ﷺ -: قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدًا، ولا أقل ماءً، ولا أشدّ عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليُسِّرْ لنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضي من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق، فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل، فإن صنعت ما سألتك وصدقك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول. فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: ((ما بهذا بعثت إليكم من الله، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصير لأمر الله - تعالى -، حتى يحكم الله بيني وبينكم))، قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، سل ربك بأن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جنازاً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم، وتلتمس المعاش كما تلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم رسول الله - ﷺ -: ((ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً

ونذيراً - أو كما قال - فإن تقبلوا ما جنتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ((^(١)).

فمن خلال هذا الحوار الذي دار بينه - ﷺ - وبين أشراف قومه، أوضح فيه: أنه مرسل من قبل المولى - جل وعلا - لغاية واحدة وهي التبليغ، فلم يأت ليطلب أمور الدنيا وحطامها أو لينفذ مقترحاتهم ويحقق طلباتهم بل البشارة والنذارة فحسب. كما قال تعالى عنه: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾، ^(٢) وقال: ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾، ^(٣) وقال: ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ ^(٤) وقال (قل ما أسألكم عليه من أجر - ﴿٥﴾).

(٢) أسلوب التوبيخ:

كان المشركون وهم يواجهون المصطفى - ﷺ - لا يتورعون في استخدام أي أسلوب يفضي إلى إيذائه وإن كان ذلك مخالفاً لما هم عليه من عادات وقيم. فقد كانوا يضعون الأذى والقدر في عقر داره، بل آل بهم الأمر أن يضعوه في برمته ^(٦) إذا وضعت ونصبت له. ثم يقوم ﷺ بحمل ذلك الأذى على عود فيقف

^(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٢٤-٣٢٦. وابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٤٩، ٤٨/٣ وقال الألباني عن هذه الرواية: سندها حسن إن شاء الله.

انظر فقه السيرة للغزالي بتخریجات الألباني هامش، ص ١١٣.

^(٢) سورة الفرقان، الآية رقم ١.

^(٣) سورة الفرقان، الآية رقم ٥٦.

^(٤) سورة الفتح، الآية رقم ٨.

^(٥) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٥٧.

^(٦) البرمة: القدر من الحجر.

به على بابه، ثم يقول: ((يا بني عبد مناف أي جوار هذا ! ثم يلقيه في الطريق))^(١).

إنَّ المصطفى - ﷺ - وهو يستخدم هذا الأسلوب يريد أن يلهب تلك العواطف الخاملة، بتذكيرها بحقوق الجوار والرحم، علَّها أن تعود إلى رشدها، وتؤوب إلى مروءتها فتعرف له حق الجوار والرحم.

(٣) أسلوب التفويض:

فحينما طلب المشركون من الرسول - ﷺ - أن يسقط السماء عليهم كسفاً كما زعم أن ربه إن شاء فعل ذلك، وجعلوه شرطاً في إيمانهم به وتصديقهم له، فوَّض ﷺ، ذلك الفعل إلى الله - جل وعلا - لأنه ليس إليه، بل ليس بمقدوره أن يفعل مثل ذلك، حيث قال لهم:

((ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك))^(٢).

(٤) أسلوب الإصرار على المنهج والشبكات عليه مهما كلف الأمر:

ويتجلى ذلك فيما ذكره عقيل^(٣) بن أبي طالب، حيث قال: ((جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فأنهه عنا . فقال: يا عقيل، انطلق فأنتي بمحمد - ﷺ - فانطلقت إليه، فاستخرجته من جلس - بيت صغير - فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فجعل يطلب الفياء يمشى فيه من شدة حر الرمضاء فلما أتاهم قال أبو طالب: إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٦٤/٢. والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٥٣/١. وابن كثير، البداية والنهاية، ١٢٠/٣.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٢٦/١. وابن كثير، البداية والنهاية، ٤٩/٣.

(٣) عقيل بن أبي طالب بن هاشم، الهاشمي، القرشي، أبو يزيد، ابن عم رسول الله - ﷺ - أكبر اخوته وآخرهم وفاة، كان مشهوراً في الجاهلية وشهد بدرًا وأسرهم المسلمون، لم يسلم إلا قبيل صلح الحديبية توفي سنة ٦٠ في خلافة معاوية رضي الله عنهما. انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٨/٤. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١٨/١.

تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانتبه عن أذاهم. فخلق رسول الله - ﷺ - ببصره إلى السماء فقال: أترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم. قال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة فقال أبو طالب: والله ما كذبنا ابن أخي فارجعوا)).^(١)

٥) أسلوب الدعاء:

لقد أكثر المشركون من أذى المصطفى - ﷺ - وأذى أصحابه - رضوان الله عليهم - ونوعوا في ذلك الأساليب العديدة والتي الواحد منها كفيلاً بأن يوجد الهمم ويورث الملل.

فقام - ﷺ - بهذا النوع من المواجهة، والذي كان له دوره الفعال في صد هجمات المشركين، وكبت أساليبهم ودحضها.

فما أن يرفع المصطفى - ﷺ - أكف الضراعة إلى الله، ويصدع بذلك الأسلوب، إلا وينتابهم الخوف، ويدخلهم الرعب مخافة أن يلحقهم من ذلك أذى أو كراهة.

لقد كانت هذه الدعوات بمثابة السهام في نحر أولئك الصادقين، فمن أمثلة ذلك:

(١) عن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: إن قریشاً لما غلبوا النبي - ﷺ - واستعصوا عليه، قال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع)).^(٢)

^(١) الحاكم، المستدرک، ٥٧٧/٣. وقد صحح الألباني الحديث، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط: ٤، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

^(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في كتاب التفسير، باب: ((ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون))، ٤/١٨٢٣، ١٨٢٤، رقم ٤٥٤٥، وفي أبواب أخرى في نفس السورة من طريق أخرى.

(٢) وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أيضاً، قال: بينما النبي - ﷺ - ساجد وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقفزه على ظهر النبي - ﷺ - فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة - عليها السلام - فأخذته من ظهره ودعت على من صنع، فقال النبي - ﷺ -: اللهم عليك الملائكة من قريش: أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف - أو أبي بن خلف -، فرأيتهم قتلوا يوم بدر، فألقوا في بئر، غير أمّية بن خلف أو أبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر. (١)

(٣) عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: ((أقبل نبي الله - ﷺ - إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ونبي الله - ﷺ - شاب لا يعرف. قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الحمير. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم. فقال: يا رسول الله، هذا فارس قد لحق بنا فالتفت نبي الله - ﷺ - فقال: اللهم اصصره، فصصره الفرس ثم قامت تحمحم، فقال: يا نبي الله مرني بما شئت. قال: فقف مكانك، لا تترك أحداً يلحق بنا. قال: فكان أول النهار جاهداً على نبي الله - ﷺ - وكان آخر النهار مسلحة له.)) (٢)

(١) أخرجه البخاري - رحمه الله - في كتاب فضائل الصحابة، باب: ما لقي النبي - ﷺ - وأصحابه من المشركين بمكة، ١٣٩٩/٣، رقم ٣٦٤١. ومسلم - رحمه الله - في كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي - ﷺ - من أذى المشركين والمنافقين، ١٤١٨/٣، رقم ١٧٩٤ وقد ذكر نحو ذلك بروايات عديدة.

(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه إلى المدينة، ١٤٢٣/٣، رقم ٣٦٩٩.

٤) لما أسلم أبو بكر، وطلحة - رضي الله عنهما - أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية - وكان يدعى أسد قريش - فشدتهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم فلذلك سمي أبو بكر وطلحة - رضي الله عنهما - القرينين وقال النبي - ﷺ -: ((اللهم اكفنا شرَّ ابن العدوية)).^(١)

٥) وكان الأسود بن المطلب أبوزمعة من عظماء المستهزئين الذين يستهزؤون برسول الله - ﷺ - وكان من ذوي أسنان قريش وأشرفهم، وقد دعا عليه رسول الله - ﷺ -، فقال: ((اللهم أعم بصره وأثكله ولده)).^(٢)

٦) وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: استقبل النبي - ﷺ - الكعبة - فدعا على نفر من قريش: على شيبه بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة^(٣)، وأبي جهل بن هشام. فأشهد بالله لقد رأيتهم صرعى قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حاراً.^(٤)

٦- أسلوب التهديد:

إن من ضمن الأساليب التي قام بها المصطفى - ﷺ - في مواجهته لأساليب المشركين، أسلوب التهديد، والذي لا يقل عن سابقه قوة وضراوة. حيث كان هو الآخر يحد من تلك الأساليب العدوانية. فهم يعرفون محمداً - ﷺ - ويعرفون صدق ما يقول، وتحقق وقوعه.

^(١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٠٢٨/٣.

^(٢) انظر المرجع السابق، ١٠٤، ١٠٣/٣.

^(٣) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس من كفار قريش وصناديدها، شهد بدرًا مع المشركين، وخرج مع أبيه عتبة وعمه شيبه للمبارزة قبل بدء القتال فتصدى له علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقتله. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٦٧/٢-٢٦٨.

^(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: دعاء النبي - ﷺ - على كفار قريش، ١٤٥٧/٤، رقم ٣٧٤٣.

لذا كانوا في غالب أحوالهم يحجمون عن المواجهة إذا ما وجدوا مثل هذا الأسلوب، فمن أمثلة ذلك:

(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: حضرت قريشاً وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله - ﷺ - فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا: فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله - ﷺ - فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله - ﷺ - ثم مضى، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمتلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله - ﷺ - ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمتلها، فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش، ((أما والذي نفسي بيده، لقد جنتكم بالذبح))^(١).

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه^(٢) بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً^(٣).

(٢) لما انصرف - ﷺ - من الطائف مريداً مكة، ودخلها بجوار المطعم بن

(١) يعرض - ﷺ - بهلاكهم.

(٢) رفاه: هداة.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢/٢٨٧، رقم ٧٠٣٣ وقال عنه أحمد شاكر: إسناده صحيح، ١١/٢٠٣ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ٦/١٥١، وقال عنه: في الصحيح طرف منه ورواه أحمد وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وبقية رجاله رجال الصحيح. وانظر ابن هتمام، السيرة النبوية، ١/٣١٩، ٣٢٠.

عدي^(١)، مكث على ذلك أياماً ثم دخل يوماً المسجد الحرام والمشركون عند الكعبة، فلما رآه أبو جهل، قال: هذا نبيكم يا بني عبد مناف، قال عتبة بن ربيعة: وما تتكر أن يكون منا نبي أو ملك! فأخبر بذلك النبي - ﷺ - أو سمعه، فأتاهم، فقال: أما أنت يا عتبة بن ربيعة فوالله ما حميت لله ولا لرسوله، ولكن حميت لأنفك، وأما أنت يا أبا جهل بن هشام، فوالله لا يأتي عليك غير كبير من الدهر حتى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً وأما أنتم يا معشر الملأ من قريش، فوالله لا يأتي عليكم غير كبير من الدهر حتى تدخلوا فيما تتكرون، وأنتم كارهون.^(٢)

(٣) لما اجتمع المشركون ليلة الهجرة على باب النبي - ﷺ - وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه مستهزئاً: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها.

فخرج رسول الله - ﷺ - فأخذ حفنة من تراب، ثم قال: ((نعم، أنا أقول ذلك، أنت أحدهم)).^(٣)

(٤) أن أبي بن خلف مشى بعظم بال قد أرم^(٤) وأتى النبي - ﷺ - فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم، ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو

(١) المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، من قريش رئيس بني نوفل في الجاهلية وقائدهم في حرب الفجار وهو الذي أجاز رسول الله ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف وعاد متوجهاً إلى مكة وتسلح المطعم بن عدي وأهل بيته وخرج بهم حتى أتوا المسجد ودخل ﷺ مكة وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف إلى منزله آمناً وكان أحد الذين مزقوا الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وعمي في كبره ومات قبل وقعة بدر وله بضع وتسعون سنة. انظر: الزركلي، الأعلام، ٢٥٢/٧.

(٢) انظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٥٥/١.

(٣) انظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٦٧/١. وابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٥/٣.

(٤) أرم: لم يترك منه شيء.

رسول الله - ﷺ - فقال: نعم ! أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان
هكذا ثم يدخلك النار. ^(١)

^(١) انظر الرازي، التفسير الكبير، ١٠٧/٢٦ . وابن كثير، البداية والنهاية، ٨٧/٣.

المقصد الثاني

المواجهة النيهية القولية غير المباشرة (التوجيهية)

وفيها أسلوبان:

١- أسلوب الأمر بالصبر.

٢- أسلوب الأمر بالهجرة.

المقصد الثاني: المواجهة النبوية القولية غير المباشرة ((الترجيحية)):

هذه المواجهة هي النوع الثاني، من أنواع المواجهة النبوية القولية لأساليب المشركين، والتي وجه بها - ﷺ - أصحابه للتعامل مع تلك الأساليب، لا سيما وهو قذوتهم، ومفرعهم بعد الله في جميع شؤونهم فمن ذلك:

(١) أسلوب الأمر بالصبر:

لقد واجه الصحب الكرام - رضوان الله عليهم - من المشركين الأذى الكبير، والاضطهاد العظيم والكفيل بأن يوجد التضجر الكبير والمعاناة الشديدة من جراء تلك المواجهة.

لذا قام المصطفى - ﷺ - باستخدام هذا الأسلوب والذي وجه فيه أصحابه، فكان بمثابة الماء البارد الذي اذهب حر القلوب وحرقة الأكباد، إن رسول الله - ﷺ - ليدرك ضعف أصحابه - رضي الله عنهم - وعجزهم عن مواجهة أساليب المشركين بالقوة، لأنهم إن فعلوا ذلك هلكوا سريعاً ووثدت الدعوة في مهدها. إذاً لابد من التوجيه، والأمر بالصبر والمصابرة، حتى ترتفع الروح المعنوية وتقوى لتتحمل الأذى والعذاب في سبيل هذا الدين.

وهذا النوع. ينقسم إلى قسمين:

(١) الأمر بالصبر عن طريق البشرى.

(٢) الأمر بالصبر عن طريق ذكر حال المؤمنين السابقين.

أولاً: الأمر بالصبر عن طريق البشرى:

فكان - ﷺ - وهو يحث أصحابه على الصبر، ويوجههم إليه، يطعم ذلك بتبشيرهم ووعدهم الوعود الصادقة التي تعينهم على هذا الصبر وتتشطهم له. وهذه البشرى على نوعين:

أ - بشرى عاجلة.

ب - بشرى آجلة.

أ - البشرى العاجلة:

لقد كان الرسول - ﷺ - يعد أصحابه ومن على طريقته ويبشرهم بخير عاجل لهم ولدينهم، وأن الوضع الحالي إنما هو مرحلة يسيرة يمر بها الداعية، وسريعاً ما تزول وتذهب. بل إن ذلك كله من صالح الدعوة والدعاة ومن أمثلة ذلك النوع:

(١) روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن خباب بن الأرت - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: ((أتيت النبي - ﷺ - وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة - فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمّر وجهه فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، مادون عظامه من لحمٍ أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين، ما يصرفه ذلك عن دينه. وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله)) وفي زيادة ((والذنب على غنمه))^(١).

^(١) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ١٣٢٢/٣ رقم ٣٤١٦. وكتاب فضائل الصحابة، باب ما لقي النبي - ﷺ - وأصحابه من المشركين بمكة، ١٣٩٨/٣، ١٣٩٩ رقم ٣٦٣٩. وكتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ٢٥٤٦/٦، رقم ٦٥٤٤.

٢) لما مات أبو طالب نال المشركون من الرسول - ﷺ - ما لم ينالوه قبل وفاته، حتى إن أحدهم نثر التراب على رأس رسول الله - ﷺ -، فلما دخل بيته والتراب على رأسه، قامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب، وهي تبكي، ورسول الله - ﷺ - يقول لها: يا بنية لا تبكي، فإن الله مانع أباك. ^(١)

ففي هذين النصين نجد التبشير من المصطفى - ﷺ - لمن هم على نهجه بالعاقبة الحسنة في دار الدنيا، فإنما هي أيام قليلة: ثم يأتي النصر والفرج.

ب- البشرى الآجلة:

أما البشرى الآجلة، فقد كان - ﷺ - يعدهم بالنعيم المقيم والسعادة الأبدية، والتي لا تزول ولا تحول، تلك الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، والتي أعدّها الله - جل وعلا - لمن آمن به وبرسوله - ﷺ - ومات على ذلك.

خير مثال يصوّر ويبين لنا هذا النوع من البشرى، ما قاله المصطفى ﷺ - لآل ياسر حينما مرّ عليهم وهم يعذبون أشدّ العذاب من قبل أولئك المشركين، حيث قال لهم: ((ابشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)) ^(٢).

^(١) انظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١/٥٥٣، ٥٥٤.

^(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣/٣٨٨، ٣٨٩. وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، في تلخيصه. والهيتمي في

مجمع الزوائد، ٩/٢٩٣. والذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٢١٨ وابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٤٦، ٣٤٧.

ثانياً: الأمر بالصبر عن طريق ذكر حال المؤمنين السابقين:

إن من ضمن أسلوب الأمر بالصبر، والذي سلكه المصطفى - ﷺ - مع أصحابه، تذكيرهم بحال المؤمنين السابقين، والذين حصل لهم من الإيذاء ما حصل، فلم يثن ذلك عزمهم، ويضعف همتهم بل صمدوا على دينهم صموداً عجيباً حتى هلكوا من جرّاء ذلك الإيذاء.

وهذا التذكير له دوره الفعال في شحذ الهمم على تقبل الأذى وتحمله. وذلك من خلال ما يوضحه من أن طريق الدعوة طريق شائك مليء بالمخاطر، وما يوضحه أيضاً من سنة ماضية لمن سلك هذا المسلك، مسلك الأنبياء والرسل وذلك ليستأنسوا وليعرفوا تلك السنة التي لا بد من المرور بها، وأنها ليست لغرض الإيذاء والإهانة، بل إنما هي صهر واختبار وامتحان لتلك الهمم ليميز صادقها من كاذبها، من أجل أن تقوم الدعوة على أساس متين، وقاعدة صلبة لا تؤثر فيها المؤثرات الخارجية العدوانية.

إذاً لا بد من الصبر والمصابرة ما دام أن الأمر كذلك، فالانتساب للدين ليس بالتسمي فحسب، والثبات عليه ليس أمراً هيناً.

وخير مثال على ذلك، ما رواه البخاري - رحمه الله - عن خباب بن الأرت - رضيه الله عنه - قال: ((أتيت النبي - ﷺ - وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة - فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمرّ وجهه فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحمٍ أو عصبٍ، ما يصرفه ذلك عن دينه.

ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين، ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا

الله. وفي زيادة: ((والذنب على غنمه))^(١).

^(١) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في مواضع عدة: في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ١٣٢٢/٣، رقم ٣٤١٦. وكتاب فضائل الصحابة، باب ما لقي النبي - ﷺ - وأصحابه من المشركين بمكة، ١٣٩٨/٣، ١٣٩٩، رقم ٣٦٣٩. وكتاب الإكراه باب من احتار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ٢٥٤٦/٦، رقم ٦٥٤٤.

٢) أسلوب الأمر بالهجرة:

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد والإهانة البالغة.

واستمر الوضع على هذا الحال، فلم يكن أسلوب الصبر كافياً لمواجهة تلك الغارات المتكررة والهجمات الشرسة. فالحال يخشى فيه من الافتتان في الدين، والرجوع عنه. لذا قام المصطفى - ﷺ - بمواجهة ذلك من خلال توجيه أصحابه - رضي الله عنهم - إلى قضية الهجرة والخروج من هذا العذاب الأليم كي يعبدوا الله - جل وعلا - في جو هاديء آمن، خال من المضايقات، بعيداً عن الفتنة والأذى. وكان هذا الأسلوب منه - ﷺ - على مرحلتين:

أولاً : أمرهم بالهجرة إلى بلاد الحبشة.

ثانياً : أمرهم بالهجرة إلى المدينة.

أولاً: الهجرة إلى الحبشة:

فقد ذكر ابن هشام - رحمه الله - في السيرة النبوية، وغيره عن ابن إسحاق: أن الرسول - ﷺ - لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ثم بمكانه من عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله - ﷺ - إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام. ^(١)

ثانياً: الهجرة إلى المدينة:

(١) روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال النبي - ﷺ - للمسلمين: إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لا بتين، وهما الحرتان. فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة...)). ^(٢)

(٢) وذكر ابن هشام - رحمه الله - في السيرة النبوية، وغيره، عن ابن إسحاق: لما أذن الله - تعالى - لرسوله - ﷺ - في الحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه، وأوى إليهم من المسلمين، أمر رسول الله - ﷺ - أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال: ((إنَّ

^(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٩/١ وابن كثير، البداية والنهاية، ٦٤/٣. والذهبي، السيرة النبوية، ص ١٨٤.

^(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه إلى المدينة، ١٤١٨/٣، رقم ٣٦٩٢.

الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها))، فخرجوا أرسالاً^(١)،
وأقام رسول الله ﷺ - بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة
والهجرة إلى المدينة.^(٢)

^(١) أرسالاً: جماعة وراء جماعة.

^(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١٠٩/٢ . وابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٧/٣ . والذهبي، السيرة النبوية ص ٣١١، ٣١٢.

المطلب الثالث

**منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - القوي في
مواجهة أساليب المشركين.**

وفيه أسلوبان:

١- أسلوب العتاب.

٢- أسلوب الإعراض عن الجاهلين.

المطلب الثالث:

منهج الصحابة - رضي الله عنهم - القوي في مواجهة

أساليب المشركين:

قام الصحابة - رضي الله عنهم - تجاه أساليب المشركين العدوانية والتي واجهوا بها الدعوة الإسلامية، ببعض الأساليب وذلك كل بحسبه وجهده وطاقته.

فمن ذلك:

(١) أسلوب العتاب.

(٢) أسلوب الإعراض عن الجاهلين.

وستحدث - إن شاء الله - تعالى - عن هذين الأسلوبين

كل أسلوب على حدة.

أولاً: أسلوب العتاب:

ومن الأساليب التي سلكها المدعوون، في تلك المواجهة: أسلوب العتاب. والذي فيه وخز الضمير، وتجييش العاطفة، لأولئك الأقارب، الذين تخلوا عن مبادئهم التي يكبرونها في جاهليتهم، والتي منها حماية الضعيف ونصرته فضلاً عن القريب. بل أتوا أعظم من ذلك وهو الاعتداء على ذوي القربى والإساءة لهم ولاشك أن هذا من أعظم الاعتداءات، يقول الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

ومن النماذج على ذلك:

(١) قول عبد الله^(١) بن الحارث، - ■ - يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم، ويعاتب بعض قومه في ذلك:

أبت كبدى، لأكذبك قالم على وتآباه على أناملى

وكيف قتالي معشراً أدبوكم على الحق أن لاتأشبهه^(٢) بباطل

فتهم عباد الجن من حر أرضهم فأضحوا على أمر شديد البلابل^(٣)

فإن تك كانت في عدى أمانة عدى بن سعد عن تقى أو تواصل

(١) عبد الله بن الحارث بن قيس القرشي الهاشمي السهمي، صحابي قديم الإسلام، وكان من مهاجرة الحبشة، وكان شاعراً وكان يلقب:

المُبرق لبيت قاله في قصيدة له: إذا أنا لم أُبرق فلا يسعنى من الأرض ير ذو فضاء ولا بحر

استشهد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - سنة ١٢ هـ يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - . انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى،

١٩٥/٤. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤٦/٦، ٤٧.

(٢) تأشبهه: تخلطوه.

(٣) البلابل: وساوس الأحران.

فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم
بجهد الذي لا يطيب^(١) بالجمائل
وُبدلت شبلاً شبلاً كل خبيثة
بذي فجر^(٢) مأوى الضعاف الأرامل^(٣)

(٢) وقول عثمان بن مظعون - ■ - يعاتب أمية بن خلف، وهو ابن عمه وكان يؤذيه في إسلامه، وكان أمية شريفاً في قومه في زمانه ذلك:

أتيهم بن عمرو للذي جاء بغضه
ومن دونه الشرمان والبرك أكع^(٤)
أخرجتني من بطن مكة أمناً
وأسكتني في صرح بيضاء تقذع^(٥)
تريش نبالاً لا يواتيك ريشها
وتبرئ نبالاً ريشها لك أجمع
وحاربت أقواماً كراماً أعزة
وأهلكت أقواماً لهم كنت تقزع
ستعلم إن نابتك يوماً ملامة
وأسلمك الأوباش^(٦) ما كنت تصنع^(٧)

(١) لا يطيب بالجمائل: لا يستمال بالرشوة.

(٢) الفجر: الغطاء.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٥٨/١.

(٤) الشرمان: تنية شرم وهو لجة البحر. والبرك: الإبل الباركة.

(٥) صرح بيضاء: مدينة الحبشة. وتقذع: تكرر.

(٦) الأوباش: الضعفاء.

(٧) انظر المرجع السابق، ٣٥٩/١.

ثانياً : أسلوب الإعراض عن الجاهلين:

ويتجلى هذا الأسلوب في قصة قدوم وفد النصارى من الحبشة، فقد روى ابن هشام - رحمه الله - في السيرة النبوية، قال:

((قال ابن إسحاق: ثم قدم على رسول الله - ﷺ - وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أندية حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله - ﷺ - عما أرادوا دعاهم رسول الله - ﷺ - إلى الله - عز وجل - وتلا عليهم القرآن. فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تظمن مجالسكم عنده، حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركباً أحق منكم - أو كما قالوا - فقالوا لهم: سلام عليكم، لا : جاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً...)).^(١)

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٢/٢.

المبحث الثاني

منهج الدعوة العملي في مواجهة أساليب المشركين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : منهج الرسول -ﷺ- العملي في مواجهة
أساليب المشركين.

المطلب الثاني: منهج الصحابة - رضوان الله عليهم- في مواجهة
أساليب المشركين في العهد المكي.

المبحث الثاني:

منهج الدعوة العملي في مواجهة أساليب المشركين:

لم تكن المواجهة القولية للدعوة، هي المواجهة الوحيدة لأساليب المشركين بل كانت هناك المواجهة العملية المتمثلة في:

أولاً: منهج الرسول - ﷺ - العملي في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي.

ثانياً: منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - العملي في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي.

المطلب الأول

**منهج الرسول - ﷺ - العملي، في مواجهة
أساليب المشركين في العهد المكي:**

وفيه عدة أساليب:

١- أسلوب الصبر.

٢- أسلوب طلب الجوار.

٣- أسلوب الهجرة.

المطلب الأول : منهج الرسول - ﷺ - العملي، في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي:

من المعلوم أن معظم أساليب المشركين العدوانية المسخرة للصدِّ عن الدعوة الإسلامية، كانت موجهة للمصطفى - ﷺ - التوجيه المباشر، سواءً كانت قولية أو عملية. وهذا ما اتضح وتبين من خلال الكلام عنهما في الفصل الأول.

وفي مقابل ذلك لم يقف المصطفى - ﷺ - من ذلك موقفاً سلبياً، بل كانت المواجهة - في أكثر الأحوال - بنوعيتها القولية والعملية، سواءً كانت تلك المواجهة:

- (١) مباشرة - ذاتية - من قبل نفسه، أو بتوجيه من ربه.
 - (٢) أو غير مباشرة، توجيهية لأصحابه - رضي الله عنهم وأرضاهم -.
- وفي هذا الموضوع، سنتحدث عن مواجهته - ﷺ - لتلك الأساليب، المواجهة العملية، فمن ذلك:

(١) أسلوب الصبر.

(٢) أسلوب طلب الجوار.

(٣) أسلوب الهجرة.

أولاً: - أسلوب الصبر:

إن الملاحظ والمتمعن لسيرة المصطفى - ﷺ - واستمراره في دعوته، في مكة وغيرها، وقيامه بعرض نفسه على قبائل العرب ومن ثم خروجه إلى الطائف ورجوعه لمكة واستمراره على ذلك مع ما يلاقيه من أذى وعذاب واضطهاد، ليستخلص من ذلك الصبر العظيم الذي تجسد فيه - ﷺ - فهو لم ييأس من إغراض المشركين عن دعوته، ولم تضعف همته، وتنتشي عزيمته، رغم ما يواجهه من مصاعب وعراقيل. بل كل يوم يسلك مسلكاً لدعوتهم عله أن يفيد معهم، فهو يدرك أن الجو غير مهياً للمواجهة، إنما هو الصبر والمصابرة، لاسيما والتوجيهات الربانية تترى عليه تأمره بهذا الأسلوب العظيم، أسلوب الصبر، عن طريق ذكر أحوال إخوانه المرسلين، وما حصل لهم من الأذى والعذاب، وصبرهم في ذلك، حتى كانت العاقبة لهم. كما قال تعالى ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا. فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾^(١).

وكما قال تعالى: ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. ولا تستعجل لهم ﴾^(٢)، فهذا التصور والمفهوم، وهذه التوجيهات والأوامر، سلك المصطفى - ﷺ - ذلك الأسلوب العظيم، أسلوب الصبر.

وحينما نستعرض كثيراً من أساليب المشركين العملية تجاه الرسول - ﷺ - ونمعن النظر فيها، نرى النماذج العديدة لهذا الأسلوب فمن ذلك:

(١) سورة هود، الآية رقم ٤٩.

(٢) سورة الأحقاف، جزء من الآية رقم ٣٥.

(١) عن طارق بن عبد الله المحاربي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قال: رأيت رسول الله - ﷺ - رجلاً شاباً - مرّ بسوق ذي المجاز وأنا في بياعة لي، فمر وعليه حلة حمراء، فسمعتة يقول: ((يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)) ورجل خلفه يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبه وعرقوبيه وساقيه، وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوا هذا، فإنه كذاب. فقلت: من هذا؟ فقيل: غلام بني هاشم من بني المطلب، الذي يزعم أنه رسول الله، وهذا عمه عبدالعزى.^(١)

(٢) ولما ذهب النبي - ﷺ - إلى الطائف، ليدعو تقيفاً إلى الإسلام، وجد ثلاثة نفر منهم هم سادة تقيف آنذاك فحصل منهم ما حصل من الاستهزاء والتحقير، حتى أفضوا في قومهم الذي راجعوه به وقعدوا له صفين على طريقه، فلما مر رسول الله - ﷺ - بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعها إلا رضخوهما بالحجارة، وكانوا أعدوها حتى أدموا رجليه. فخلص منهم وهما يسيلان الدماء، فعمد إلى حائط من حوائطهم، واستظل في ظل حَبَلَةٍ^(٢) منه، وهو مكروب موجه تسيل رجلاه دماً.^(٣)

(٣) عن شيخ من بني مالك بن كنانة، قال: رأيت رسول الله - ﷺ - بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: ((يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا)) قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول: يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم وإنما يريد

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب المغازي، في أذى قريش للنبي - ﷺ - وما لقي منهم، ٣٠٠/١٤ رقم ١٨٤١٤ والحاكم في المستدرک، في كتاب التاريخ، ٦١٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص ٦١٢/٢: صحيح وروى النسائي بعضه وابن ماجه بعضه وابن حجر، المطالب العالیة، باب ما أذى المشركون به النبي - ﷺ - وتباته على أمره، ١٩١/٤، رقم ٤٢٧٧ وقال البوصيري: رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح، وأبو يعلى وابن حبان والحاكم.

(٢) الحبلية: طاقات من قضبان العنب.

(٣) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٤/٣. والبيهقي في الدلائل، ٤١٥/٢.

لنتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى، قال: وما يلتفت إليه رسول الله - ﷺ. (١)
فالمتعمن في هذه النصوص والتي تثبت أذى أولئك المشركين، للمصطفى -
ﷺ - ليلمح ويستشف منها صبره - ﷺ - العظيم في ذات الله - تعالى -
على ما يلقي من عذاب وعنت. فهو يدرك جيداً أنه في طريق شائك
غير ممهد ولا معبد، بل لا بد من ذلك وأمثاله حتى يأتي النصر، ويلوح الفرج من
الله - جل وعلا - يقول تعالى: ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد
كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء... ﴾. (٢)

(١) أخرجه الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده، ٨٧/٤، رقم ١٦٥٨٥، ٤٦٦/٥، رقم ٢٣١٨٤. والهيتمي في مجمع الزوائد،
٢٢، ٢١/٦، وقال عنه: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وانظر النهي، السيرة النبوية، ص ١٥١ وقال: إسناده قوي.

(٢) سورة يوسف، جزء من الآية رقم ١١٠.

ثانياً: أسلوب طلب الجوار:

تقول العرب: استجار الرجل بالرجل أي: سأله أن يجيره ويمنعه. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ..﴾^(١) أي: إن طلب أحد من المشركين منك الأمان فأمنه حتى يسمع كلام الله وحتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه،^(٢) وأيضاً يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ مَجْبُرِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾^(٣) أي: لا يمنعني منه مانع، ولا ينصرني منه ناصر.^(٤) فالجار والمجير: هو الذي يمنعك ويجيرك ويؤمّنك ممن يريد ظلمك، واستجاره من فلان فأجاره منه. وأجاره الله من العذاب: أنقذه. وكان سيد العشيرة إذا أجار عليها إنساناً لم يخفروه،^(٥) هذا هو المعنى اللغوي لكلمة جوار، وهو: طلب النصرة والمنعة والأمان.

وهذا الأسلوب، من الأساليب التي سلكها المصطفى - ﷺ - في منهجه العملي لمواجهة أساليب المشركين. وذلك لما لاقاه ويلاقيه من أذى وعذاب يعرقلان سير دعوته، ويهددان حياته. إن الدعوة في مثل تلك الأجواء، بحاجة إلى السلطة والقوة، حيث النصرة والمنعة والأمان. فنبى الله لوط - عليه السلام - لما خاف قومه على ضيوفه - وهو لا يعلم أنهم رسل الله جاؤا لإحقاق الحق وإظهاره

(١) سورة التوبة، جزء من الآية رقم ٦.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٤٩/٢.

(٣) سورة الجن، الآية رقم ٢٢.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٢٧٤/١٢.

(٥) انظر ابن منظور، لسان العرب، ١٥٤/٤، ١٥٥.

بإهلاك الظلمة ونصر المؤمنين - قال عليه السلام كما يخبر - جل وعلا - عنه:
﴿ قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾^(١).

أي: لو أن لي أنصاراً تتصرني عليكم، وأعواناً تعينني، أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني في أضيافي.^(٢)

إن الجرأة على أهل الدعوة ليست بالأمر الهين، فقد يقوم سفيه من السفهاء لا يمنعه دين ولا خلق، ولا جاه ولا سلطة، فيهرق دم صاحب الدعوة، فيأد بهذا الفعل الشنيع الدعوة في مهدها.

إذا لابد من الجاه ولا بد من السلطة، واللذان يحميان من يلوذ بهما أو يركن إليهما، أو على الأقل يرهبان ويحجمان من لديه أي نية سوء.

ومادام أن الأمر كذلك، والوضع على هذه الحال، فقد قام المصطفى - ﷺ - بهذا الأسلوب للمصلحة المذكورة، فمن ذلك:

(١) لما هلك أبو طالب، تجرأت قريش على الرسول - ﷺ - ونالت منه وزادت في إيذائه، فخرج رسول الله - ﷺ - إلى الطائف يلتمس من تقيف النصره والمنعة بهم من قومه. ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله - تعالى - .^(٣)

(٢) لما حصل من أهل الطائف ما حصل تجاه طلب المصطفى - ﷺ - حينما طلب نصرتهم له ومنعه من قومه، رجع إلى مكة، فلما أقبل عليها بعث رجلاً إلى الأحنس بن شريق فطلب منه أن يجيره بمكة. فقال: إن حليف قريش لا يجير

(١) سورة هود، الآية رقم ٨٠.

(٢) انظر الطري، جامع البيان، ٨٥/٧.

(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٦٧/٢. وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٣/٣.

على صميمها. ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو^(١) ليجيره فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي. فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره فقال: نعم! قل له: فليأت. فذهب إليه رسول الله - ﷺ - فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه - ستة أو سبعة - متقلدي السيوف جميعاً فدخلوا المسجد وقال للرسول - ﷺ - : طف، واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف، فأقبل أبو سفيان إلى مطعم فقال: أمجير أو تابع؟ قال: لا بل مجير، قال: إذا لا تخفر. فجلس معه حتى قضى رسول الله - ﷺ - طوافه فلما انصرف انصرفوا معه.^(٢)

(٣) لما قدم - ﷺ - مكة مجيئه من الطائف بجوار المطعم، كان قومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به.

فكان - ﷺ - يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله - عز وجل - ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به.

فعن ربيعة بن عباد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله - ﷺ - يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: ((يا بني فلان إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تحلموا ما تعبدون من

(١) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العامري القرشي، صحابي كريم، كان أحد أشراف قريش وفصحائهم وخطبائهم، تأخر إسلامه إلى يوم الفتح، ثم حسن إسلامه، وهو الذي تولى أمر الصلح يوم الحديبية، ولما أقبل في شأن الصلح قال النبي - ﷺ - ((سهيل أمركم)) وكان أسر يوم بدر. استشهد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يوم تبوك. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤٥٣/٥. والنهي، سير أعلام النبلاء، ١٩٤/١.

(٢) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٥/٣.

دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به ((^(١)

لقد كان - ﷺ - يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول:
((لا أكره أحداً منكم على شيء، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك، ومن كرهه لم أكرهه، إنما أريد أن تحرزوني فيما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي، وحتى يقضي الله لي ولن صحبتي عما شاء)).^(٢)

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٧٢، ٧١/٢. وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٦/٣. وأخرج الإمام أحمد - رحمه الله - الحديث في

مسنده، ٦٤٧/٣، رقم ١٦٠٠٥.

(٢) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٧/٣-١٣٨.

ثالثاً: - أسلوب الهجرة:

لما رأى المصطفى - ﷺ - أن جميع الأساليب التي سلكها في صد عدوان المشركين لم تنفع، ولم تؤدي الغرض المنشود من الحماية، وأن الأمر قد استفحل، وأن حياته في خطر إذا ما استمر بين ظهرائي أولئك المشركين. فكّر بأن يخرج من تلك البلاد وأن يهاجر - لاسيما وقد أمر أصحابه بذلك - وانتظر في ذلك الإذن من ربه.

وما لبث بعد ذلك إلا زمناً قليلاً حتى جاء الأمر الإلهي، والتوجيه الرباني بأن يهاجر قبيل المدينة. فما كان منه - ﷺ - إلا أن اتنمر بذلك ووجه نحو المدينة.

فقد روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ((...وتجهّز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله - ﷺ -)) (على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي). فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: (نعم). فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله - ﷺ - ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمرة، وهو الخبط، أربعة أشهر. قالت: فبينما نحن يرمأ جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله - ﷺ - منقنعاً، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداءً له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله - ﷺ - فأستأذن، فأذن له فدخل، فقال النبي - ﷺ - لأبي بكر: (أخرج من عندك). فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال: (فإني قد أذن لي في الخروج). فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله؟ فقال رسول الله - ﷺ - -: (نعم). فقال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله - ﷺ - -: (بالثمن). قالت: فجهزناهما أحث الجهاز،

وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، قالت ثم لحق رسول الله - ﷺ - وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال. يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر^(١)، وهو غلام شاب، تقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة، من العشاء، فيبيتان في رسل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله - ﷺ - وأبو بكر رجلاً من بني الدليل، وهو من بني عبد بن عدي، هادياً خريئاً، والخريت الماهر بالهداية، قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاهما براحتليهما صباح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل^(٢).

(١) عبد الله بن أبي بكر الصديق، صحابي بن صحابي بن صحابي، أسلم قديماً، وكان يأتي أباه أبا بكر وهو مع رسول الله ﷺ في الغار بالطعام وبأخبار قريش كل ليلة. فكان يبيت عند رسول الله - ﷺ - في الغار وهو شاب، فيخرج عند السحر فيصبح في قريش. شهد الطائف مع رسول الله ﷺ، فأصابه سهم، فأندمل جرحه ثم انتقض فمات به أول خلافة أبيه. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/٢٣٨. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٦/٢٦٦، ٢٧، رقم ٤٥٥٩.

(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه إلى المدينة، ٣/١٤١٨، ١٤١٩، رقم ٣٦٩٢.

المطلب الثاني

**منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - في مواجهة
أساليب المشركين في العهد المكي.**

وفيه عدة أساليب:

- ١- أسلوب الصبر.
- ٢- أسلوب شراء المعذبين من المملوكين وعتقهم.
- ٣- أسلوب استخدام القوة.
- ٤- أسلوب الهجرة.

منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - العملي، في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي:

لقد قام الصحابة - رضوان الله عليهم - إزاء أساليب المشركين العدوانية بالمواجهة المناسبة، كل بحسبه وقدرته، وجهده وطاقته. فلا تجد أسلوباً من تلك الأساليب العدوانية - غالباً - إلا ويقابله أسلوب مواجهة. وهذه الأساليب والتي تدرج تحت منهج الصحابة العملي في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي، تعددت وتنوعت، فمن ذلك:

- (١) **أسلوب الصبر.**
- (٢) **أسلوب شراء المعذبين من المملوكين وعتقهم.**
- (٣) **أسلوب استخدام القوة.**
- (٤) **أسلوب الهجرة.**

أولاً: أسلوب الصبر:

إنه من الطبيعي أن يظهر هذا الأسلوب ويتجلى في سيرة من آمن بمحمد - ﷺ -
وذلك للأمور التالية:

(أ) أن عدد من اعتنق الدين في بداية الدعوة قليل.

(ب) أن أغلبهم ممن لا قبيلة له تنصره وتحميه.

(ج) أن المواجهة - مع أنها غير متكافئة في كثير من الأحوال - قد تقضى على
الدعوة وهي في مهدها.

فلهذه الأسباب وغيرها التزم المسلمون الأوائل الصبر وجعلوه زادهم آنذاك ولهم
في إمام الصابرين، وقدوة المحتسبين - ﷺ - وفيمن قبلهم - ممن صبر واحتسب
- قدوة وأسوة، فالأمر ليس بتلك السهولة، بل من دخل هذا الباب، وسار في هذا
الطريق فحتماً سيجد الهول، والمتاعب، فعليه أن يصبر ويحتسب حتى ينجلى ذلك
العذاب، ويذهب ذلك الأذى.

وإذا ما نظرنا في كثير من النماذج التي واجه المشركون بها المدعوين ليصدوهم
عن دينهم، فسنجد ذلك الأسلوب والذي ضربوا فيه أروع الأمثلة في الصبر
والتضحية، فمن ذلك:

(أ) ما رواه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن خباب - رضى الله عنه -

قال: أتيت النبي - ﷺ - وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من
المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله، فقعد وهو محمرٌ وجهه،
فقال: (لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، مادون عظامه من لحم أو
عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنتين

ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله). زاد بيان: (والذئب على غنمه).^(١)

وهذا يدل على ما ناله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ورفاقه - رضي الله عنهم - من الأذى والتعذيب حتى جاءوا يشكون للنبي - ﷺ - حالهم، فلم يجدوا عنده إلا التوجيه والأمر بالصبر والذي صار فيما بعد دينهم ودأبهم.

إن المصطفى - ﷺ - بعد ذلك التوجيه، وتلك الجرعة ليوضح لأصحابه ضرورة الصبر، وأن من لم يتحل به فلينتحى عن هذا الطريق لذا رأى الصحب الكرام أن من الأسلحة التي يواجهون بها تلك الأساليب العدوانية سلاح الصبر.

(٢) أن الصحابة - رضي الله عنهم - اجتمعوا يوماً، فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم أن أرادوه، قال: دعوني فإن الله سيمنعني. فغدا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: (الرحمن علم القرآن ﴿١﴾،^(١) ثم استقبلها يقرؤها. فتأملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا إليه، فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثاروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك فقال: ما كان

(١) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ١٣٢٢/٣، رقم ٣٤١٦. وكتاب

فضائل الصحابة، باب: ما لقي النبي - ﷺ - وأصحابه من المشركين بمكة، ١٣٩٨، ١٣٩٩، رقم ٣٦٣٩.

(٢) سورة الرحمن الآيات ١، ٢.

أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً، قالوا: لا، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون.^(١)

(٣) أن أمية بن خلف، كان يخرج بلالاً - رضي الله عنه - إذا حميت الظهرية في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لاتزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أخذُ أخذُ^(٢)

(٤) أن أبا جهل أخذ بلالاً - رضي الله عنه - مرة، فبطحه على وجهه، وسلقه في الشمس، وعمد إلى رحي فوضعها عليه فجعل بلال يقول: أخذُ أخذُ.^(٣)

(٥) أن عمار بن ياسر وأبوه، وأمه ((سمية))، وأخوه ((عبد الله)) كانوا أهل بيت إسلام، وكان بنو مخزوم يخرجونهم إذا حميت الظهرية يعذبونهم برمضاء^(٤) مكة. وكان يمر بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول: ((صراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة))،^(٥) وفي رواية: ((ابشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة)).^(٦)

إن هذه الأسرة المؤمنة، والتي لاقت في سبيل الله ما لاقت، لم تكن لتملك إلا الصبر، فصبرت وصابرت لتتال ما وعدت به من جنة عرضها السموات والأرض.

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤١/١، ٣٤٢. والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٤٩/١.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٤/١. وابن كثير، البداية والنهاية، ٥٥/٣.

(٣) انظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٤٤/١.

(٤) الرمضاء: الرمال شديدة الحرارة..

(٥) انظر الحاكم، المستدرک، ٣٨٣/٣. والهيتمي، مجمع الزوائد، ٢٩٣/٩، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٧، ٥٦/٣. وابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٦/١، ٣٤٧.

(٦) انظر الحاكم، المستدرک، ٣٨٩، ٣٨٨/٣. وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي. والهيتمي، المجمع، ٢٩٣/٩. وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وهو ثقة. وقال عنه الألباني: ((حديث حسن صحيح)) انظر حاشية فقه السيرة للغزالي، ص ١٠٧، ١٠٨.

ثانياً: أسلوب شراء العذابين من المملوكين وعتقهم:

من المعلوم أن أكثر من اعتنق الإسلام في بداية الدعوة هم من المماليك والمستضعفين، فمن الطبيعي أن يلقى أولئك العذاب والفتنة من جراء ذلك، لاسيما وقد خالفوا أسيادهم في دينهم واعتقادهم، فلقوا - رضي الله عنهم - وأرضاهم في سبيل ذلك ما لقوا.

لكن لم يستمر الوضع على تلك الحال، بل جاء الفرج من الله - عز وجل حيث سخر لهم من يشتريهم ثم يعتقهم كي ينجو ممن يسومهم سوء العذاب.

لذا صار هذا الفعل أسلوباً من أحد أساليب منهج الصحابة العملي في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي.

ويتمثل هذا الأسلوب ويتجسد في ما قام به أبو بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حيث اشترى كثيراً من أولئك ومن ثم أعتقهم.

فقد روى الحاكم - رحمه الله - في مستدركه، وغيره، عن عبدالله بن الزبير - رضي الله عنهما - قال: قال أبو قحافة ^(١) لأبي بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلدأً يمنعونك ويقومون دونك. فقال أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: يا أبت إنني إنما أريد ما أريد لله - عز وجل - ^(٢).

^(١) أبو قحافة: والد أبي بكر الصديق عثمان بن عامر بن عمرو التميمي، أسلم يوم الفتح وجاء إلى النبي - ﷺ - مبيعاً وكان شيخاً شائباً عالي السن فتأثر النبي - ﷺ - وقال لأبي بكر: (لو تركته بيته لأتته)، وقد عاش إلى بعد وفاة أبي بكر ببضعة أشهر وتوفي في جماد الآخرة سنة ١٣هـ. وصلى عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنهم. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/١٦٩. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/٢٢١، رقم ٥٤٣٤.

^(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب التفسير، تفسير سورة: ((واللبل إذا بغشى))، ٥٢٥/٢. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وانظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٤٦.

وكان ممن اعتق:

(١) بلال بن رباح - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ويدل على ذلك مايلي:

أ - ما رواه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال: كان عمر - رضى الله عنه - يقول: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا. يعنى بلالاً. (١)

ب- وما رواه - رحمه الله - أيضاً في صحيحه: أن بلالاً قال لأبي بكر: إن كنت إنما اشتريتنى لنفسك فامسكني، وإن كنت إنما اشتريتنى لله، فدعني وعملي لله. (٢)

ج- وما ذكره الذهبي - رحمه الله - في سير أعلام النبلاء: أن أبا بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - اشترى بلالاً وهو مدفون بالحجارة بخمس أواق ذهباً، فقالوا لو أبيت إلا أوقية لبعناكه، قال: لو أبيتتم إلا مائة أوقية لأخذته. (٣)

(٢) عامر بن فهيرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .

(٣) أم عبيس (٤) - رضى الله عنها.

(٤) زنيرة (٥) - رضى الله عنها.

(١) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة باب: مناقب بلال - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مولى أبي بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - - ١٣٧١/٣، رقم ٣٥٤٤.

(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب بلال - رضى الله عنه - مولى أبي بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - - ١٣٧١/٣، رقم ٣٥٤٥.

(٣) انظر النهي، سير أعلام النبلاء، ٣٥٣/١. وقال عنه: إسناده قوي. كما ذكره ابن حجر في الفتح، ١٢٥/٧، وقال: رواه أبو بكر بن أبي شيبة بإسناد صحيح عن قيس بن أبي حازم.

(٤) أم عبيس، كانت فتاة لبني تميم بن مرة، فأسلمت أول الإسلام وكانت ممن استضعفه المشركون، فعذبوها، فاشتراها أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأعتقها، وكنيت بابنها عبيس، وهي زوجة كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس، ولدت له عيساً فكنيت به. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٥٢/١٣. وابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٦٠١/٥.

(٥) زنيرة الرومية، كانت من السابقات إلى الإسلام، أسلمت في أول الإسلام، وعذبها المشركون. قيل: كانت مولاة بني مخزوم، فكان أبو جهل يعذبها. ولما أسلمت عميت، فقال المشركون: أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما، فقالت: وما يدرى اللات والعزى من

(٥) النهديّة^(١) وبنّتها - رضي الله عنهما - .

(٦) لبينة^(٢) جارية ابن المؤمل - رضي الله عنها - .

ويدل على ذلك ما ذكره ابن هشام - رحمه الله - في السيرة النبوية عن ابن إسحاق - رحمه الله - : ((ثم أعتق معه - يعنى بلالاً - على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب، بلال سابعهم. عامر بن فهيرة، شهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة شهيدًا، وأم عبيس، وزنيرة، وأصيب بصرها حينما أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تتفعان، فرد الله بصرها وأعتق النهديّة وبنّتها، وكانت لامرأة من بني عبد الدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها، وهي تقول والله لا أعتقهما أبدًا، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - حلّ^(٣) يا أم فلان، فقالت: حلّ أنت أفسدتها فأعتقها، قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: وذلك إن شئتما. ومر بجارية بني مؤمل، حي من بني كعب، وكانت مسلمة، وعمر ابن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها، حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا هـالة، فنقول: كذلك فعل الله بك. فابتاعها أبو بكر، فأعتقها))^(٤).

=يعنيهما، إنما هذا من السماء، وربي قادر على رد بصري، فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد. وهي أحد السبعة الذين أعتقهم أبو بكر. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٤٦٢/٥.

(١) هي النهديّة كانت مولدة لبني نهد بن زيد، فصارت لامرأة من بني عبد الدار فكانت تعذبها هي وابتنتها لما أسلمنا. انظر: ابن يوسف، سبل اهدي، ٤٨٣/٢.

(٢) هي لبينة جارية عمر بن المؤمل بن حبيب من آل عدي بن كعب. كان يعذبها عمر بن الخطاب فيخنقها حتى تسرخي في يديه. وقد ظلت على تلك الحالة حتى أذن الله - تعالى - بالفرج حينما مرّ عليها أبو بكر الصديق فاشترها فأعتقها. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ١٩٥/١.

(٣) حلّ: أي تخللي من يمينك.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٥/١، ٣٤٦.

ثالثاً : أسلوب استخدام القوة:

كان الوضع في ذلك العهد، العهد المكي، بحاجة ماسة إلى مثل هذا الأسلوب في بعض الأحيان، وذلك لكف بعض الشر وتخفيفه عن الدعوة ورجالها ولقد انبرى بعض أولئك المدعويين للدفاع عن أنفسهم، أو عن غيرهم ممن ينتمي لهذه الدعوة. فكان في ذلك الدفاع الفائدة الكبيرة، لأنه إذا خلد في ذهن أولئك المعتدين أن اعتداءهم لن يذهب سدى، كان في ذلك نوع من الإحجام عن هذا الاعتداء، وَضَرَبَ لِحَسَابِ الْخَصْمِ، وأنه لن يقف مكتوف الأيدي حيال مواجهته.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب، ما يلي:

(١) قال ابن إسحاق: وكان أصحاب رسول الله - ﷺ - إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفرٍ يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحي بغير فشجّه^(١) فكان أول دم أهريق في الإسلام.^(٢)

(٢) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال لما أسلم أبي عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقبل له: جميل بن معمر الجمحي. قال: فغدا عليه. قال عبد الله ابن عمر: فغدوت أتبع أثره، وانظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أنني قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم

(١) شحه: جرحه.

(٢) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٩٦/١. وابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦/٣.

حول الكعبة- ألا إنَّ عمر بن الخطاب قد صبا. قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم^(١).

(٣) لما تم إسلام عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال ذات يوم للنبي - ﷺ -: يا رسول الله على ما نخفي ديننا ونحن على الحق ويظهر دينهم وهم على الباطل؟ قال: ((يا عمر إنا قليل قد رأيت ما لقينا)).

فقال عمر: فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم مر بقريش وهي تنتظره، فقال أبو جهل بن هشام: يزعم فلان أنك صبوت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. فوثب المشركون إليه، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه، وأدخل إصبعه في عينيه، فجعل عتبة يصيح فتتحمى الناس فقام عمر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه، حتى أعجز الناس. وأتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان، ثم انصرف إلى النبي - ﷺ - وهو ظاهر عليهم. قال: ما عليك بأبي وأمي، والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف.^(٢)

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٧٤، ٣٧٥.

(٢) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٣٠.

رابعاً: أسلوب الهجرة:

لما التهب المؤمنون بنار الفتنة، واصطلوا بجحيمها، وغدوا لا يحتملون كثيراً من أذى المشركين مع فقد الناصر وغيبة المعين، لجأوا إلى مخرج من هذه الضائقة بتوجيه من المصطفى - ﷺ - وهو: الهجرة، والخروج من مكة إلى بلد يأمّنوا فيها على دينهم وأنفسهم فيعبدوا ربهم دون مضايقةٍ أو عناءٍ أو مشقة.

وقد دون التاريخ وسجل لأولئك المهاجرين، مايلي:

(١) الهجرة إلى أرض الحبشة.

(٢) الهجرة إلى المدينة.

أولاً: الهجرة إلى أرض الحبشة:

وكان وقوع ذلك مرتين، وذكر أهل السير أن الأولى كانت في شهر رجب من سنة خمس من المبعث، وإن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وقيل: وامرأتان، وقيل: كانوا اثني عشر رجلاً وقيل: عشرة، وأنهم خرجوا مشاة إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار.

وسبب هذه الهجرة ما ذكره ابن إسحاق - رحمه الله - بقوله: ^(١) فلما رأى رسول الله - ﷺ - ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ثم بمكانه من عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله - ﷺ - إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام وكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية ^(٢) بنت رسول الله - ﷺ - . ^(٣)

وقد جاءت روايات أخرى تثبت هذه الهجرة، فمن ذلك: -

ما رواه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما اشتكى النبي - ﷺ - ، ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض

^(١) انظر ابن حجر، الفتح، ٢٣٩/٧.

^(٢) هي رقية بنت رسول الله - ﷺ -، أمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. ولدت بعد زيب، أسلمت مع أمها خديجة، وأخواتها، هاجرت لهجرتين، إلى الحبشة أولاً، ثم إلى المدينة ثانية. تزوجها عتبة بن أبي لهب، بعد البعثة، فلما أنزلت ((تبت يدا أبي لهب...)) قال أبوه: رأسي من رأسك حرام، إن لم تطلق بنته. فنارقتها قبل الدخول. ثم تزوجها عثمان بن عفان وولدت له عبد الله، وبه كان يكنى، وبلغ ست سنين، ثم توفي. وتوفيت رضي الله عنها - ورسول الله - ﷺ - - بيدر، وكانت قد أصابها الحصبة. انظر: النهي، سير أعلام النبلاء، ٢٥٠/٢ - ٢٥٢. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٥٧/١٢ - ٢٥٨.

^(٣) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٤٩/١. وابن كثير، البداية والنهاية، ٦٤/٣.

الحبشة، يقال لها مارية. وكانت أم سلمة وأم حبيبة^(١) - رضي الله عنهما -، أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حسنهما وتساوير فيهما^(٢).

قال ابن حجر - رحمه الله - عند شرحه للحديث: ((كانت أم سلمة قد هاجرت في الهجرة الأولى إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد^(٣))).
كما أن ابن إسحاق - رحمه الله - ذكرها فيمن هاجر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة^(٤).

أما الهجرة الثانية إلى الحبشة، فسببها: أن المسلمين بلغهم وهم بأرض الحبشة أن أهل مكة أسلموا، فرجع ناس منهم عثمان بن مظعون، وأبو سلمة بن عبد الأسد إلى مكة، فلم يجدوا ما أخبروا به من ذلك صحيحاً، فدخل بعضهم مكة بجوار، ورجع بعضهم، وسار معهم جماعة إلى الحبشة. هذه هي الهجرة الثانية وكان عددهم: يزيد على الثمانين، قيل: كانوا اثنين وثمانين رجلاً سوى نساءهم وأبناءهم. وقيل: ثلاثة وثمانين إن كان عمار بن ياسر فيهم^(٥).

وقد جاءت روايات - أيضاً - تثبت هذه الهجرة، فمن ذلك:

(١) حديث عائشة - رضي الله عنها - السابق في البخاري، وفيه: ((.وكانت أم سلمة

^(١) أم المؤمنين، أم حبيبة بنت أبي سفيان، أسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة واسمها رملة. هاجرت إلى الحبشة مع عبيد الله بن جحش زوجها سابقاً. ولدت قبل البعثة ب ١٧ عاماً روت أحاديث كثيرة عن النبي - ﷺ - تزوجها رسول الله - ﷺ - وهي في الحبشة. وقدمت عليه سنة ٧ هـ. توفيت سنة ٤٤ هـ، ودفنت في البقيع. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٢١٨ - ٢١٩. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٢/٢٦٠.

^(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه في كتاب الجنائز، باب بناء المسجد على القبر، ١/٤٥٠، رقم ١٢٧٦، وكتاب فضائل الصحابة، باب: هجرة الحبشة، ٣/١٤٠٦، رقم ٣٦٦٠.

^(٣) ابن حجر، الفتح، ٧/٢٤١.

^(٤) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٥٤، ٣٥٠.

^(٥) انظر المرجع السابق، ١/٢٣٥٧، ١٩/٢١، وابن حجر، الفتح، ٧/٢٤٠.

وأم حبيبة - رضي الله عنهما - أتتا أرض الحبشة.. ((^(١)).

قال ابن حجر - رحمه الله - عند شرحه للحديث: ((وهاجرت أم حبيبة وهي

ابنت أبي سفيان في الهجرة الثانية - مع زوجها عبيد الله^(٢) بن جحش^(٣))).

(٢) ما رواه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن أم خالد^(٤) بنت خالد

قالت: قدمت من أرض الحبشة وأنا جويرية، فكساني رسول الله - ﷺ - خميسة

لها أعلام، فجعل رسول الله - ﷺ - يمسح الأعلام بيده ويقول: (سناه سناه)

يعنى: حسن حسن.^(٥)

قال ابن حجر - رحمه الله - عند شرحه للحديث: ((حديث أم خالد بنت خالد

وهو ابن سعيد بن العاص بن أمية، وكان أبوها ممن هاجر في الهجرة الثانية إلى

الحبشة، وولدت له هناك فسمها أمة وكنّاها أم خالد^(٦))).

(٣) ما رواه الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده، عن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال:

بعثنا رسول الله - ﷺ - إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً، فيهم

عبدالله بن مسعود،.....

(١) سبق تخرجه، في الصفحة السابقة، ٢٤١/٧.

(٢) عبيد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صيرة بن مرة بن أسد، أخو عبد الله بن جحش، وزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان سابقاً.

هاجر إلى الحبشة وهي معه. وقد تصدّر في الحبشة وارتدّ عن الإسلام ومات بها مرتداً. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٥٢/١.

(٣) ابن حجر، الفتح، ٢٤١/٧.

(٤) أم خالد بنت خالد بن احيحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشية الأموية المكية، الحبشية المولدة. اسمها أمة هنا

صحبة، وروت حديثين، وتزوجها الزبير بن العوام فولدت له، عمراً وخالدًا، قيل: هي آخر الصحابيات وفاة. انظر الذهبي، سير أعلام

النبلاء، ٤٧٠/٣ - ٤٧١.

(٥) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب: هجرة الحبشة، ١٤٠٧/٣، رقم ٣٦٦١.

(٦) ابن حجر، الفتح، ٢٤١/٧.

وجعفر^(١)،^(٢) وهذه البعثة كانت هي الهجرة الثانية للحبشة.^(٣)

ثانياً: الهجرة إلى المدينة:

وقد كانت هذه الهجرة - هي الأخرى - بأمر النبي - ﷺ - فقد روى البخاري رحمه الله - في صحيحه، من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: ((فقال النبي - ﷺ - للمسلمين: (إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لا بتين) وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة...)).^(٤)

فبعد هذا الأمر، توجه بين العقبتين جماعة منهم ابن أم مكتوم، ويقال: إن أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة، وذلك أنه أودى لما رجع من الحبشة فعزم على الرجوع إليها. فبلغه قصة الإثني عشر من الأنصار فتوجه إلى المدينة. ثم توجه مصعب بن عمير،^(٥) ثم توجه باقي الصحابة شيئاً فشيئاً، ثم لما توجه النبي - ﷺ - واستقر بها خرج من بقي من

^(١) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، سيد شهيد، عظيم، كبير الشأن أبو عبد الله، ابن عم رسول الله - ﷺ - أخو علي بن أبي طالب، وهو أكبر منه بعشر سنين، أسلم قبل دخول النبي - ﷺ - دار الأرقم، وهاجر الهجرتين، وحين عاد وافى المسلمين وهم على خير ففرح النبي - ﷺ - بعوده كثيراً، ثم كان أحد القواد الشهداء في وقعة مؤتة سنة ٨ هـ. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤١-٣٤/٤. والنهي، سير أعلام النبلاء، ٢٠٥/١-٢١٨.

^(٢) أخرجه الإمام أحمد - رحمه الله - في مسنده، ٥٧٧/١ رقم ٤٤٠١. وقال عنه ابن حجر في الفتح، ٢٤٠/٧: رواه أحمد بإسناد حسن. وقال عنه أحمد شاكر ١٨٥/٦: إسناده حسن. برقم ٤٤٠٠. وقال عنه ابن كثير في البداية والنهاية، ٦٧/٣: ((وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن)).

^(٣) انظر ابن حجر، الفتح، ٢٤٠/٧.

^(٤) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة - رضي الله عنهم -، باب: هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - إلى المدينة، ١٤١٨/٣، رقم ٣٦٩٢.

^(٥) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف الداري العبدي، أحد السابقين إلى الإسلام، يكنى أبا عبد الله. كان من فضلاء الصحابة =

المسلمين، وكان المشركون يمنعون من قدروا على منعه منهم فكان أكثرهم يخرج سراً إلى أن لم يبق منهم بمكة إلا من غلب على أمره من المستضعفين.^(١)
ومن الدلائل التي تثبت - أيضاً - وقوع هذه الهجرة وحصولها، ما يلي:

(١) ما رواه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه، عن خباب - رضي الله عنه - قال: هاجرنا مع النبي - ﷺ - نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمننا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد، وترك نمره فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله - ﷺ - أن نغطي رأسه، ونجعل على رجليه شيئاً من إذخر، ومننا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها.^(٢)

قال ابن حجر: ((هاجرنا مع النبي - ﷺ -)) أي: بإذنه، وإلا فلم يرافق النبي - ﷺ - سوى أبو بكر وعامر بن فهيرة.^(٣)

(٢) كما روى - رحمه الله - في صحيحه، عن أسماء - رضي الله عنها - أنها حملت بعبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما -، قالت: فخرجت وأنا مُتَمُّ فأتيت المدينة فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيت به النبي - ﷺ - فوضعتَه في حجره، ثم دعا بتمره فمضغها، ثم نفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله - ﷺ - ثم حنكه بتمره، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود في

^١ وخيارهم هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة، فهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا ثم شهد أحدًا، ومعه اللواء، فاستشهد. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١١٦/٣، ١١٨. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٠٨/٩، ٢٠٩، رقم ٧٩٩٦.

^(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١٠٩/٢-١٢٠. وابن حجر، الفتح، ٢٨٨/٧.

^(٢) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - إلى المدينة، ١٤١٥/٣، رقم ٣٦٨٤.

^(٣) انظر ابن حجر، الفتح، ٢٨٩/٧.

الإسلام.^(١)

قال ابن حجر: [((فنزلت بقاء، فولدته بقاء))]، هذا يشعر بأنها وصلت إلى المدينة قبل أن يتحول النبي - ﷺ - من قباء وليس كذلك.^(٢)

(٣) كما روى - رحمه الله - أيضاً في صحيحه، عن البراء بن عازب^(٣) - رضي الله عنهما - قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم^(٤)، وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال، وسعد، وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في عشرين من أصحاب النبي - ﷺ - ثم قدم النبي - ﷺ - فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله - ﷺ - حتى جعل الإمام يقلن: قدم رسول الله - ﷺ - فما قدم حتى قرأت: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾.^(٥) في سورة من المفصل.^(٦)

(١) أخرجه - البخاري رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم، ١٤٢٢/٣، ١٤٢٣، رقم ٣٦٩٧.

(٢) ابن حجر، الفتح، ٣١٦/٧.

(٣) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري، صحابي، أسلم وهو فتى مع أبيه، وكان من أكابر الصحابة. يكنى أبا عمار. ورده الرسول - ﷺ - في معركة بدر لصغر سنه، غزا مع النبي - ﷺ - خمس عشرة غزوة، وسافر معه ثمانية عشر سفراً، وهو الذي افتتح الربي سنة ٢٤هـ، وشهد غزوة تستر مع أبي موسى، وشهد مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - الجمل وصفين، وقتال الخوارج. ونزل الكوفة وابتنى بها داراً، ومات - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في إمارة مصعب بن الزبير. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٦٨ - ٣٦٤/٤. وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٣٤-٢٣٥ رقم ٦١٥.

(٤) هو عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي العامري. وسماه أهل العراق: عمراً وأمه أم مكتوم: هي عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة المخزومية. من السابقين المهاجرين. وكان ضريراً مؤذناً لرسول الله - ﷺ - مع بلال، وسعد القرظ، وأبي مخزومة. هاجر بعد وقعة بدر يسيراً، وكان النبي - ﷺ - يحزمه، ويستخلفه على المدينة، فيصلي ببقايا الناس. وهو الذي نزلت فيه سورة عبس. يقال: استشهد يوم القادسية - وقيل رجع إلى المدينة ومات بها. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٦٠/١ - ٣٦٥.

(٥) سورة الأعلى، الآية رقم ١.

(٦) أخرجه البخاري - رحمه الله - في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب: مقدم النبي - ﷺ - وأصحابه - رضي الله عنهم - المدينة، ١٤٢٨/٣، رقم ٣٧١٠.

الفصل الثالث

مظاهر أساليب مشرقي مكة في العصر الحاضر وطرق مواجهتهما

وفيه تمهيد، ومبحثان:

المبحث الأول : مظاهر الأساليب.

المبحث الثاني : طرق المواجهة.

تهذيب:

منذ أن بزغ فجر الإسلام، وأشرقت شمسُه على الأرض وأعداؤه ينسجون له الخطط ويحيكون له المؤامرات من أجل إطفاء نوره وإخماد ضوئه. فلقد قام المشركون من قريش في العهد المكي بأساليب المواجهة العاتية السافرة، والتي تفتنوا فيها ونوعوا هجومهم العدائي.

وقد كتبنا في الفصل الأول ما سهل الله كتابته عن تلك الأساليب بنوعيتها القولية والعملية، ثم عرضنا في الفصل الثاني ما يسر الله - تعالى - من منهج الدعوة في مواجهة تلك الأساليب بنوعيه القولية والعملية.

ومن المعلوم والمؤكد أن المواجهة لدين الله - تعالى - والكيد له لم تكن بدايتها من قبل القرشيين فحسب، بل سبقهم إخوان لهم، واجهوا الدعوة، وأذوا أهلها، وهو ما كان من أولئك الأقوام السابقين، المكذبين لرسولهم - عليهم الصلاة والسلام - يقول تعالى: ﴿ ولقد استهزئ به برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾^(١)، ويقول تعالى: ﴿ فإن كذبوك فقد كذب رسلا من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾^(٢).

كما أن من المعلوم - أيضاً - أن هذه المواجهة، لم تتوقف بانقضاء العهد المكي بل استمرت وستستمر حتى قيام الساعة.

وفي عصرنا الحاضر، تعدد الخصوم، وتنوعت الجبهات، وكثر الأشرار، فكان من الطبيعي أن تصدر المواجهة، ويحصل العداء، وهذه سنة الله في الكون، فطريق الدعوة طريق شاق، ومرير، مليء بالعقبات والعراقيل، فالمواجهة لا بد منها، والإيذاء أمر ملازم لها.

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٨٤.

إن أولئك الخصوم، وإن تعددوا وتتوعوا، واختلفوا وتناحروا، إلا أنهم يتفقون على حرب الإسلام، والنيل منه، لأنّ هذا هو الهدف المشترك بينهم، وكأنهم على قلب رجل واحد.

وقد أوضح الله - جل وعلا - هذا الاتفاق، مع اختلاف الملة، وتتوع الخصم، فقال تعالى: ﴿ ما يؤدّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم.. ﴾^(١) وقال تعالى ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً.. ﴾^(٢).

كما أوضح المصطفى - ﷺ - ذلك بقوله: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: ((بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاءً كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن)) فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: ((حب الدنيا وكراهية الموت))^(٣).

إنّ الخصوم في كل زمان ومكان، يسبّرون على منهج واحد، وطريقة موحدة، كما أخبر المولى - جل وعلا - بقوله: ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت

(١) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٠٥.

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ١٨٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٣٥٠/٥، رقم ٢٢٣٩٣. وأبو داود في سننه، في كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، ١٠٨/٤، رقم ٤٢٩٧. وذكره الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/٨١٠، رقم ٣٦١، ط: ١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

قلوبهم.. ﴿١﴾.

وبقوله: ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴾. ﴿٢﴾

فهي جبلة واحدة، وطبيعة واحدة للمكذبين، وهو استقبال واحد للحق وللرسل - عليهم السلام - يستقبلهم به المنحرفون، فكأنهم تواصوا به على مدار القرون ! وما تواصوا بشيء إنما هي طبيعة الطغيان وتجاوز الحق والقصد، تجمع بين الغابرين واللاحقين.

ولايهمني في هذا المقام بيان سمات الخصوم في هذا العصر، ولا نوعياتهم، فهم من كل بحر قطرة، ومن كل ملة ونحلة، وجميعهم حاقدون على الإسلام وبنيه وأهله.

كما لايهمني كل أسلوب صدر منهم للمواجهة، بل سأركز الحديث - إن شاء الله - على أبرز مظاهر أساليب المشركين في العهد المكي، والمستخدم في العصر الحاضر. ومن ثم سألقي الضوء - إن شاء الله - على تصور مقترح لطرق مواجهتها، لعل الله - سبحانه وتعالى - أن يوفقنا لخدمة دينه، وأن يجعلنا من حزبه المفلحين.

(١) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١١٨.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان ٥٢، ٥٣.

المبحث الأول

مظاهر أنسابيـب مشركي مكة في العصر الحاضر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : مظاهر قولية.

المطلب الثاني: مظاهر عملية.

مظاهر أساليب مشركي مكة في العصر الحاضر:

من الطبيعي أن تتكرر أساليب المشركين في هذا العصر، فكما أسلفنا أن بين الأولين والآخرين من أهل الكفر شبيهاً في الطبيعة، وشبيهاً في التصور، وشبيهاً في الضلال.

ولا عجب في ذلك، فالكفر ملة واحدة إذا ما كان الخصم هو الإسلام. وهذه المظاهر التي نشأت في هذا العصر على نسق أساليب المشركين العدوانية على قسمين:

(١) **مظاهر قولية.**

(٢) **مظاهر عملية.**

المطلب الأول

مظاهر أساليب مشركي مكة القولية في العصر الحاضر

وتتكون من عدة أساليب:

- أ- أساليب التشويه.
- ب- أساليب التبرغيب.
- ج- أساليب الاستهزاء والسخرية.

المطلب الأول : -

مظاهر أساليب مشركي مكة القولية في العصر الحاضر: -

إن سنة الله - تعالى - جارية في كل زمان ومكان، فالعداء للإسلام ليس أمراً غريباً، والحرب ليست حكراً على جيل دون جيل أو زمان دون زمان، بل هي سجل بين الحق والباطل، بين النور والظلام، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي هذا العصر تصدى للإسلام طغام من البشر حاقدون، فواجهوا الدعوة الإسلامية المواجهة السافرة الحاقدة ذأب إخوانهم من مشركي قريش، ولقد كان من أبرز هذه الأساليب والتي كانت مظهراً لأساليب المشركين العدوانية في هذا العصر مايلي:

أ- أساليب التشويه.

ب- أساليب التمرغيب.

ج- أساليب الاستهزاء والسخرية.

الأسلوب الأول

أساليب التشويه

وكانت تجاه مايلي:

أولاً: تجاه القرآن الكريم، ومحمد - ﷺ -.

ثانياً: تجاه أتباع هذا الدين.

(أ) أساليب التشويه:

إنّ خصوم الدعوة في هذا العصر عملوا كلّ ما في وسعهم لتشويه صورة الدعوة، وذلك عن طريق إطلاق الاتهامات الباطلة تجاه القرآن الكريم، والرسول - ﷺ - والذان كانا أهم هدف يصوبون إليه سهامهم. كما أنهم لم يتناسوا أتباع هذا الدين، والذين لم يسلموا هم الآخرون من تلك الاتهامات فلم يكن الافتراء والكذب وترويح الدعايات السافرة، سمة لمشركي قريش فحسب، بل رضع ذلك الداء أعداء الإسلام في هذا العصر من مستشرقين وغيرهم، حيث راحوا يبتئون الكذب ويلفقون التهم للقرآن الكريم، وللرسول - ﷺ - وأتباعه، على طريقة أولئك المشركين، ولسان مقالهم يقول: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مهتدون﴾^(١)، وغايتهم في ذلك هي غاية آباؤهم أولئك من أن:

(١) القرآن ليس كلاماً لله.

(٢) ومحمداً ليس رسولاً من قبله.

وقد وجهنا أساليبهم التشويهية تجاه أمرين:

أولاً: تجاه القرآن الكريم. ومحمد ﷺ.

ثانياً: تجاه أتباع هذا الدين.

وستحدث عن اتهاماتهم للقرآن الكريم، وللرسول - ﷺ - في موضع واحد كما هو الحال في عرض أساليب المشركين القولية في الفصل الأول ومن ثم نلقي الضوء على اتهامهم لأتباع هذا الدين ووصفهم بأوصاف بعيدة كل البعد عن واقعهم.

(١) سورة الزخرف، جزء من الآية رقم ٢٢.

أولاً: اتهاماتهم للقرآن الكريم واحمد - ﷺ - ومن ذلك:

أ - أن محمداً - ﷺ - استمد القرآن من اليهودية والنصرانية:

من المعلوم أن المشركين لهجوا بهذا الاتهام، فزعموا أن النبي - ﷺ -، قد استعان بتأليف القرآن الكريم بأناس آخرين، كما قال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون..﴾^(١).

وذكر المفسرون - رحمهم الله - أن المعنى بقوله: ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾:

(١) اليهود.^(٢)

(٢) وقيل: أشاروا إلى عداس، ويسار، وجبر، وكان الثلاثة من أهل الكتاب، وكانوا يقرأون التوراة ويحدثون أحاديث منها فلما أسلموا كان النبي - ﷺ - يتعهدهم فمن أجل ذلك قالوا ما قالوا.^(٣)

وفى هذا العصر نجد الأسلوب نفسه، والاتهام نفسه من خصوم الإسلام، حيث نحوا منحنى إخوانهم. ومن النماذج على ذلك:

(١) يقول جولد تسيهر:^(٤) (فتبشر النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء، دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها،

(١) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٤.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٦٤/٧، ٣٦٥. وابن الجوزي، زاد المسير، ٧٢/٦.

(٣) انظر المرجع السابق، ٧٣، ٧٢/٦. والرازي، التفسير الكبير، ٥٠/٢٤.

(٤) هو اجنتس جولد تسيهر. مجري الأصل. يهودي الديانة، ولد في سنة ١٨٥٠م، وتوفي في عام ١٩٢١م وله مؤلفات عدة في الدراسات الإسلامية والأدبية وغيرها، منها: كتابه ((الإسلام)) وهو مطبوع بالألمانية، وكتاب ((آداب الجدل عند الشيعة)) بالألمانية، وكتاب ((العقيدة والشريعة في الإسلام)) مترجم، انظر نجيب العقيقي. المستشرقون، ٤٠/٣-٤٢، ط: ٤، دار المعارف، القاهرة.

التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه كذلك ضرورية لتثبيت ضرب من الحياة في الاتجاه الذي تريده الإرادة الإلهية.

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإحياء قوتهُ التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيّاً إلهياً، فأصبح - بإخلاص - على يقين بأنه أداة لهذا الوحي ((^(١))).

(٢) ويقول ريتشارد^(٢)، الذي ألف كتاب ((مقدمة القرآن)):

إن الرسول قد استمد من الكتاب المقدس كثيراً مما جاء في القرآن وبخاصة القصص، فالجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهودية ومسيحية وإن كان بعض القصص العقابي كقصص بعض الأمم الغابرة، مستمداً من مصادر عربية. وأنه لما هاجر إلى المدينة حصل على أوسع فرصة للاستمداد من الكتاب المقدس، فقد كان على اتصال بالجاليات اليهودية التي كانت دون شك تضم ربانيين ومتقنين، وهناك دلائل على أنه انتفع بهذه الفرصة فحصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل.^(٣)

(٣) ويقول المستشرق الألماني كيسلنج^(٤): إن محمداً قد تعرّف على ما لدى يهود يثرب من دين كما تعرّف من

(١) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وزملاؤه، ص ٦٥، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان.

(٢) هو: بل ريتشارد، من رجال الدين النصارى، صرف سنوات كثيرة في دراسة القرآن الكريم وتاريخه، ومن كتبه: ترجمة القرآن، وكتاب: ((التشابه في القرآن الكريم))، وكتاب: ((مقدمة القرآن)) مترجم، عمل أستاذاً للغة العربية في جامعة أدنبرا. وهو إنجليزي الأصل. انظر نجيب العتيقي، المستشرقون، ٩٣/٢، ٩٤.

(٣) انظر محمد عزت الطهطاوي، البشير والإستشراق، أحقاد وحملات، ص ٤٧، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٧هـ.

(٤) هو: هانس يواكيم كيسلنج، ولد في ميونيخ، بتاريخ ١٩١٢/٩/٨ م. وتخرج من جامعة ميونيخ، وعمل أستاذاً فيها للدراسات الإسلامية، وزادت مؤلفاته عن مائة وسبعة وأربعين عنواناً بين مؤلف ومحقق ومترجم ودراسة. ومن كتبه: (التصوف الإسلامي)) وكتاب: ((الإسلام والصليبيون))، انظر نجيب العتيقي، المستشرقون، ٤٧٨/٢.

((بحيرى))^(١) الراهب على المسيحية، وكانت نتيجة ذلك أن محمداً تمثل هذا كله

في نفسه وخرج على الناس يعلن دينه الجديد الذي لّفقه من الدينين الكبيرين^(٢).

(٤) ويقول المستشرق مونتجمري وات^(٣) في كتابه ((محمد في المدينة)):

إنه من البديهي أن محمداً قبيل الهجرة وبعدها كان يميل لصياغة ديانته على شكل الديانة اليهودية، وتشجيع أتباعه في المدينة، على الاحتفاظ بالطقوس التي تبنوها... ويقول في موضع آخر: جعلت الهجرة محمداً على اتصال أوثق باليهود وقد حدد علاقات النبي باليهود منذ ذلك العهد تطور الدين الإسلامي فيما بعد ومرت فترة كان فيها الدين الجديد ينقل عن اليهودية.^(٤)

(٥) ويقول غوستاف لوبون^(٥) في كتابه حضارة العرب: ((وما جاء في القرآن من

نصّ على خلق السموات والأرض في ستة أيام وخلق آدم والجنة وهبوط آدم منها ويوم الحساب مقتبس من التوراة))^(٦).

ويقول في موضع آخر: ((إذا رجّعنا القرآن إلى عقائده الرئيسية أمكننا عدُّ

الإسلام صورةً مبسطةً عن النصرانية))^(٧).

(١) هو بخيري الراهب من أهل بصرى من أرض الشام، كان يجلس في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية. وهو الذي ضيّف ركب قريش وفيهم أبو طالب حينما استصحب النبي - ﷺ - معه وهي أول مرة يضيفهم لما رأى من غمامة تظله - ﷺ - من بين القوم. وقد أمر أبا طالب أن يرده إلى مكة لكي لا يراه اليهود. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٠٥/١ - ٢٠٧.

(٢) انظر محمود حمدي زقزوق، الإسلام في الفكر الغربي، ص ٧٠، دار القلم، الكويت.

(٣) هو مونتجمري وات، عميد قسم الدراسات العربية في جامعة إدنبرا، من كتبه: محمد في مكة مترجم، ومحمد في المدينة مترجم، وعوامل انتشار الإسلام، والإسلام والجماعة الموحدة. انظر نجيب العقيقي، المستشرقون، ١٣٢/٢.

(٤) انظر مونتجمري وات، محمد في المدينة، تعريب شعبان بركات، ص ٤٦٢، ٣٠٥. منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت.

(٥) لم أعتز له على ترجمة.

(٦) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص ١٢٠ طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٧) المرجع السابق، ص ١٢٥.

٦) ويقول الحداد^(١): وينص صحيح البخاري أيضاً على أن ورقة هو الذي ثبتت محمداً في دعوته وبعثته لما عاد خائفاً من غار حراء، وعلى أن الوحي القرآني فتر لما توفي ورقة، وحاول محمد الانتحار مراراً لفقده وفتوره، ونجد بالمدينة في معية النبي حاشية مسيحية ويهودية قد أسلمت أو سايرت الإسلام، نجد بلالاً الحبشي مؤذن النبي، وصهيباً الرومي المسيحي الثري، وسلمان الفارسي المسيحي الأصل، وعبد الله بن سلام اليهودي الوحيد الذي أسلم في المدينة مع كعب الأبحار^(٢). وهل كان حديث هذه الحاشية الكريمة سوى التوراة والإنجيل؟ إن ذلك حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل^(٣).

^(١) ألف عدة كتب تحت عنوان عام وهو: (دراسات قرآنية) ولم يذكر من اسمه سوى (الأستاذ الحداد) كما أنه لم يذكر في الكتاب اسم المطبعة ولا تاريخ الطباعة والراجح أن يكون (يوسف الحداد) وهو لبناني مسيحي. نقلاً عن هامش ص ٥٦ من كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، الجزء الأول، لمجموعة من المؤلفين، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

^(٢) كعب الأبحار أبو إسحاق الحميري، أدرك زمن النبي - ﷺ -، ولم يره، أسلم في خلافة أبي بكر أو عمر. وهو من أبحار أهل الكتاب، ومن مسلمتهم، قدم دمشق، وسكن حمص. وأصله من اليمن. وكان والي العباس - رضي الله عنهما - مات سنة ٣٢هـ. وقيل: ٣٤هـ بذات الجوز من درب الحدث - ببيت المقدس - وأرضاه - انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٣٣٧، ٣٣٤/٨ رقم ٧٤٩٠.

^(٣) نقلاً عن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، لمجموعة من المؤلفين، ٣٨، ٣٧/١.

ب- أن القرآن من تأليف وصنع وافتراء محمد - ﷺ - .

لقد تقول المشركون هذا القول من قبل، واتخذوه ديدناً لهم، ونوعوا فيه اتهامهم حيث قالوا عن القرآن: ﴿... إن هذا إلا إفك افتراء...﴾^(١) كما أنهم لم يقتصروا على هذا المسمى فحسب بل تعدوه إلى غيره، فمن ذلك:

أ - قولهم: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾^(٢).

ب- قولهم: ﴿أمر يقولون تقوله﴾^(٣).

وقد توجوا ذلك بوصفه - ﷺ - بالكذب، كما يخبر جل وعلا عنهم في

قوله: ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾^(٤).

إنّ هذا الاتهام الآثم لم يكن حصراً على مشركي قريش فحسب، بل ردد تلك الفرية، وذلك الاتهام خصوم الدعوة في هذا العصر، فادّعوا أن القرآن الكريم من صنع محمد وتأليفه واختراعه. والنماذج على ذلك كثيرة وعديدة تقتصر على ذكر بعضها، فمن ذلك:

(١) يقول المستشرق الإنجليزي ((جورج سال))^(٥):

أما أنّ محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له، فأمرٌ لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة

(١) سورة الفرقان، جزء من الآية رقم ٤.

(٢) سورة ص، الآية رقم ٧.

(٣) سورة الطور، جزء من الآية رقم ٣٣.

(٤) سورة ص، جزء من الآية رقم ٤.

(٥) هو: جورج سال، مستشرق إنجليزي، ولد في سنة ١٦٩٧م وتوفي عام ١٧٣٦م، درس العربية، واقتنى مجموعة من المخطوطات العربية، ومن كتبه: ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية. وكان يحترف إمامة انظر الزركلي، الإعلام، ١٤٥/٢، ١٤٦، ١٤٧. ونجيب العقيقي، المستشرقون ٤٧/٢.

يسيرة. (١)

(٢) ويرى سيديو: (٢) أن محمداً الذي يطمح لجمع العرب، ألف القرآن لكي يسلموا بمبدئه السياسي، ((فهم يتلقون آي القرآن التي أراد محمد نشرها ليوفق في عمله على أنها من مصدر إلهي)) (٣).

(٣) ويقول غوستاف لوبون، في كتابه حضارة العرب:

((ويقال إن محمداً كان قليل التعلم ونرجح ذلك، وإلا لوجدت في تأليف القرآن ترتيباً أكثر مما فيه، ونرجح أيضاً أن محمداً لو كان عالماً ما أقام ديناً جديداً، فالأميون وحدهم هم الذين يعرفون كيف يدرك أمر الأميين)) (٤).

فيفهم من هذا النص أن محمداً - ﷺ - قد ألف القرآن وبسبب أنه كان قليل التعلم كان هذا التأليف غير مرتب ترتيباً كثيراً.

ويقول أيضاً: ((ولم يكن محمد فيلسوفاً كبيراً، أي من المفكرين المتبحرين الذين يقاسون بمؤسسي البرهمية والبُدْهية، فهو لم ينكر سبب الأسباب كما أنكره البُدْهيون، ولم يقل مثلهم بأن الكون موجود بالضرورة ذو انحلال وتركيب دائمين، ولم يتصرف بنصف ما عند مؤلفي كتب البراهمة المقدسة من الشك، ولم يدخل إلى القرآن مثل التأملات الآتية التي تجدها في كتب الويدا: ((من أين أتى هذا الكون؟ أهو من صنع خالق أم لا؟ يعلم ذلك من ينظر من فوق الفلك، وقد لا يعلم)) (٥).

(١) انظر جرجيس صال، مقالة في الإسلام، تعريب هاشم العربي، ص ٣. طبعة ١٨٩٠ م.

(٢) هو لوي [لويس] بيير أوجين أميلي سيديو. مستشرق فرنسي. مولده ووفاته بياريس (١٢٢٣-١٢٩٢هـ = ١٨٠٨-١٨٧٥ م). ومن آثاره العربية: نشره كتاب ((جامع المبادئ والغايات في الآلات الفلكية)) لأبي الحسن علي المراكشي، مع ترجمة فرنسية وهو صاحب كتاب: ((تاريخ العرب العام)) وترجمة عادل زعيتز كاملاً. انظر الزركلي، الأعلام، ٢٤٦/٥.

(٣) انظر سيديو، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتز، ص ٦٠، ط: ٢ - عام ١٣٨٩هـ، عيسى الحلبي، دار إحياء الكتب العربية.

(٤) انظر غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ١١١.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ١١٨.

فقوله: ((ولم يُدخل إلى القرآن...)) يفهم منه أن محمداً - ﷺ - هو الذي ألف القرآن، فهو يُدخل فيه ما شاء أن يدخله وهكذا.

(٤) ويقول مونتجمري وات في كتابه ((محمد في مكة)):

((ولاشك أنه قام ببعض الجمع والتأليف للمادة الموحى بها كما عين الآيات المصححة لبعض الأمور حيث كان يشعر أن مقطعاً ما يتطلب تصحيحاً)).^(١)

ويقول أيضاً: ((يعتقد المسلمون السنيون أن القرآن في أصله من مصدر إلهي بأكمله. هو كلام الله غير مخلوق - وإن كانت الأصوات، والكتابات على الورق الخ مخلوقة -، ويعتقد الغربي المدني (أو ربما اعتقد)، إذا أخذ بالتمييز الذي قام به محمد أن القرآن هو من صنع شخصية محمد غير الواعية)).^(٢)

(٥) ويردد المستشرق أميل درمنجم^(٣) في كتابه: ((حياة محمد)) بعض الذي كتبه زملاؤه من المستشرقين عن الرسول العربي قائلاً: لقد وصف هؤلاء محمداً بأنه دجال، والإسلام بأنه مجموعة من الهرطقات وأنه من عمل الشيطان والمسلمين بأنهم وحوش، والقرآن بأنه نسيج من السخافات.^(٤)

^(١) انظر مونتجمري وات، محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، ص ٩٥، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت

^(٢) المرجع السابق، ص ٩٥.

^(٣) هو أميل درمنجم، مدير مكتبة الجزائر، وله كتاب: ((حياة محمد))، وقد نقله إلى العربية الأستاذ عادل زعيتز. وله كتب عديدة منها:

((أروع النصوص العربية)) و((محمد والسنة الإسلامية)) انظر العقيلي، المستشرقون، ١/٣٤٨.

^(٤) انظر عبد الخالق سيد، في جولة مع المستشرقين، ص ٢٠، ٢١، سلسلة دراسات في الإسلام - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

٦) ويصف وليام موير^(١) الرسول - ﷺ - بأنه نبي كاذب، ويزعم أنه تحول من واعظ تقي في مكة إلى سياسي طموح في المدينة^(٢).

ج - أن من مصادر القرآن الكريم شعر العرب:

لقد جاء هذا الاتهام ضمن سلسلة الاتهامات المنسوبة لمشركي قريش، فقد كانوا يزعمون أن القرآن الكريم شعر شاعر.

يقول تعالى حاكياً قولهم ذلك في معرض رده ونفيه: ﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾^(٣).

ولم يتوقفوا إلى هذا الحد، بل زعموا كذباً أن محمداً - ﷺ - شاعر من عرض هؤلاء الشعراء في ذلك العصر^(٤).

يقول تعالى عن ذلك الافتراء:

(١) ﴿ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾^(٥).

(٢) ﴿أمريقولون شاعر نتريص به ريب المنون﴾^(٦).

وقد جاء الخصوم في هذا العصر ليجددوا هذا الاتهام، ويدعموه بافتراءهم، ليزعموا أن الشعر الجاهلي مصدر من مصادر القرآن الكريم آنذاك.

(١) هو وليام موير، مستشرق بريطاني، اسكتلندي الأصل ولد عام [١٢٣٤، ١٨١٩م، وتوفي عام ١٣٢٣هـ، ١٩٠٥م]. أمضى حياته في خدمة الحكومة البريطانية باهند. درس الحقوق في جامعي جلاسجو، وأدنبرا، ثم اختير رئيساً لجامعة إدنبرا. وله كُتبه منها: ((مصادر الإسلام)). ((وسيرة النبي والتاريخ الإسلامي)) وهو من المراجع التي يعتمد عليها في الجامعات الإنجليزية والهندية. انظر الزركلي، الأعلام، ١٢٤/٨. والعقيقي، المستشرقون، ٥٩/٢.

(٢) نقلاً عن أحمد غراب، رؤية إسلامية للإستشراق، ص ٣٨، المنتدى الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١١هـ...

(٣) سورة الحاقة، الآية رقم ٤١.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٤٩٣/١١.

(٥) سورة الصافات، الآية رقم ٣٦.

(٦) سورة الطور، الآية رقم ٣٠.

ومن هذه الافتراءات:

١- زعم كثير من المستشرقين أن من مصادر القرآن الكريم الشعر الجاهلي فقد توافقت بعض الآيات القرآنية مع مقاطع من شعر أمية ابن أبي الصلت وامريء القيس^(١) مما دل في زعمهم أن القرآن الكريم قد اقتبس من قصائد الشعراء الجاهليين كالمعلقات.

وقد كتب ((كافنتسكى))^(٢) رسالته للدكتوراه في جمع مثل هذا اللون من الشعر ليظهر العلاقة بين القرآن وبين شعر أمية، وقد أشار لأخذ القرآن من شعر أمية ابن أبي الصلت.

كما أشار ((تسدال))^(٣) لهذه الموافقة بين القرآن وشعر امريء القيس في كتابه مصادر الإسلام واعتبره مصدراً من مصادر الإسلام وذلك لموافقة الأبيات لبعض التراكيب القرآنية في سورة القمر والملك وغيرهما.^(٤)

٢- ويقول كارل بروكلمان^(٥): ((وإنما يظهر هذا السمو الروحي الذي عرفه النبي في تلك السنوات الأولى من بعثته في أسلوب الآيات نفسه، فهي زاخرة بالصور

(١) امريء القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني أكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يمانى الأصل مولده بنجد قبل الهجرة ب ١٣٠ سنة وقيل مولده: بمخلاف السكاسك باليمن، اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه. ويعرف بالملك الضليل (لاضطراب أمره طول حياته كان موته بسبب قروح خرجت في جسده فتوفي قبل الهجرة بنحو ٨٠ سنة. انظر: الزركلي، الأعلام، ١٢، ١١/٢.

(٢) لم أعتزله على ترجمة.

(٣) لم أعتزله على ترجمة.

(٤) انظر مناهج المستشرقين، لمجموعة من المؤلفين، ١/٣٣-٣٤ وانظر د. عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، ٢٥٥/١-٢٥٧، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ١، ١٤١٣هـ الرياض. المملكة العربية السعودية.

(٥) هو كارل بروكلمان، مستشرق ألماني، عالم بتاريخ الأدب العربي، ولد في روستوك (بألمانيا) عام ١٢٨٥هـ، ١٨٦٨م طارت له شهرة في فقه العربية وقراءتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة، وفى التاريخ الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي وعين أسنادهاً لها في جامعات: برسلو، وكونسرج، وهاله وغيرها. وله كم هائل من الآثار، ومن أهمها: ((تاريخ الآداب العربية))، ((والعلاقة بين كتاب الكامل لابن الأثير وكتاب أخبار الأمم والملوك للطبري)) وغيرها أسهم بدراسات في دائرة المعارف الإسلامية وتوفي عام ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م انظر الزركلي، الأعلام ٥/٢١١، ٢١٢ والعقيقي، المستشرقون ٢/٤٢٤-٤٣٠.

الرائعة، عابقة بالنفس الخطابى الذى يضج بين جنباته التناغم الموسيقى والإحساس الشعري الأصيل)).^(١)

٣ - وقد قام المستشرق ((جريمة))^(٢)، بعدة محاولات للكشف عن أبيات من الشعر في القرآن.^(٣)

٤ - ويقول المستشرق ((جاير))^(٤): إن قالب القرآن من القوالب الشعرية.^(٥)

٥ - ويقول ((سيديو)): ((مبدأ محمد السياسى هو الذى يجب أن يسلم به، فهو قد أبصر حلول الزمن الذى يجمع فيه مختلف قبائل جزيرة العرب فى أمة واحدة، وذلك ضمن شريعة دينية مدنية حربية، فكان جماعاً لما فى بلاده من التجارة والنبوة والخطابة والشعر والإشتراع، فبدأ مخلصاً للمثال العربى فى جميع وجوهه)).^(٦)

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ص ٣٧، دار العلم للملايين، ط: ٨، آذار (مارس) ١٩٧٩م، بيروت.

(٢) هو هوبرت جريمة، ولد عام ١٨٦٤، وتوفي عام ١٩٤٢، مستشرق ألماني، كان أستاذاً للغات الشرقية فى مونستر بألمانيا، ومن مؤلفاته: ((محمد)) فى جزئين وله دراسات حول سم محمد، وأصول ديانة محمد، والأهمية التاريخية العالمية لبلاد العرب فى عصر عمده والإسلام واليهودية وغيرها. نقلاً من هامش ص ١٦٩ من كتاب الإسلام فى تصورات الغرب محمود حمدي زقزوق.

(٣) انظر كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربى، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرين، ١/١٣٧، ط: دار المعارف.

(٤) هو: رودولف جاير، ولد عام ١٨٦١، وتوفي عام ١٩٢٩، عين أستاذاً للغة العربية فى جامعة كراكوفيا فى بولونيا. ومن كتبه: ترجمة أشعار أوس بن حجر إلى الألمانية. وكتاب: دراسة عن أغراض الشعر العربى. انظر العقيدى، المستشرقون، ٢/٢٨٢.

(٥) نقلاً عن زيد العبلان، الدراسات الإستشراقية فى ضوء العقيدة الإسلامية، ص ٣٥٨، رسالة ماجستير، ١٤٠٦ هـ.

(٦) سيديو، تاريخ العرب العام، ص ٧٤.

د - أن القرآن الكريم خليط من الخرافات والأساطير:

وقد أكثر المشركون من هذا الاتهام، حيث جاءت مقولتهم تلك في تسعة مواضع^(١)، من كتاب الله عز وجل، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾،^(٢) فهم يعتبرون أن القرآن أساطير الأولين وأحاديثه اكتتبها محمد - ﷺ - ونقلها فهو يحدث الناس بها على أنها وحي من الله - تعالى -.^(٣)

وفي هذا العصر، يتفوه خصوم الدعوة بهذا الاتهام الكاذب، ويزعمون أن القرآن الكريم خليط عجيب من الخرافات والأساطير.

ومن النماذج على ذلك:

(١) يقول جولد تسيهر: -

((.. وخامساً الحج إلى المعبد الوطني العربي القديم في مكة، أي إلى الكعبة بيت الله. وهذا الركن الأخير احتفظ به محمد عن الوثنية، لكنه جعله متفقاً والتوحيد، وعدل معناه مسترشداً في ذلك ببعض الأساطير الإبراهيمية. وكذلك بعض عناء القرآن المسيحية نعرف أنها وصلت إلى محمد عن طريق التقاليد أو الروايات المتواترة المحرفة، وعن ابتداعات المسيحية الشرقية القديمة، كما ينضم إلى هذا وذاك شيء من الغنوصية الشرقية. ذلك لأن محمداً قد أخذ بجميع ما وجدته في اتصاله السطحي الناشيء عن رحلاته التجارية، مهما كانت طبيعة هذا الذي وجدته، ثم أفاد من هذا دون

^(١) وهي: الأنعام ٢٥، والأَنْفَال ٣١، والنمل ٢٤، والمؤمنون ٨٣، والفرقان ٥، والنمل ٦٨، والأحقاف ١٧، والقلم ١٥، والمطففين ١٣.

^(٢) سورة الفرقان، الآية رقم ٥.

^(٣) انظر الطبري، جامع البيان، ٣٦٥/٩، ٣٦٦، وابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٢٨، ١٢/٢.

أي تنظيم))^(١).

(٢) ويقول أي. دبليو. لين^(٢) عن بعض الآيات القرآنية: إن محتواها مأخوذ من الأساطير الرائجة بين أهل مكة^(٣).

(٣) يقول فيليب إيرلنجي^(٤): لقد كان محمد في المدينة تلميذاً لليهود، وهم الذين كونوه ثم بدأ جبريل يمدّه ببعض الأساطير التي يعرفها اليهود والمسيحيون.^(٥)

(٤) وجاء في كتاب (تقدم التبشير العالمي) في نهاية الباب الرابع ما نصه: ((القرآن خليطٌ عجيب من الحقائق والخرافات، ومن الشرائع والأساطير، كما هو مزيج غريب للأغلاط التاريخية والأوهام الفاسدة، وفوق ذلك هو غامض جداً لا يمكن أن يفهمه أحدٌ إلا بتفسيرٍ خاص له)).^(٦)

(١) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٨.

(٢) لم أعتز له على ترجمة.

(٣) انظر عبدا لله بن عباس الندوي ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، ص ٤٧، ط: ١، ١٣٩٢هـ، الناشر مكتبة الإرشاد، جدة.

(٤) لم أعتز له على ترجمة.

(٥) انظر مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مجموعة من المؤلفين، ٣٢/١.

(٦) انظر المرجع السابق، ١٢٨/١.

هـ - أن القرآن الكريم أضغاث أحلام:

ومن تيارات الاتهامات التي حاول المشركون إصاقها بالقرآن الكريم، قولهم: إن القرآن أضغاث أحلام، يقول تعالى مخبراً عن اتهامهم ذلك: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾. (١)

وبمثل هذا القول نطق خصوم الإسلام في هذا العصر، ومن أقوالهم في ذلك، مايلي:

(١) يقول جولد تسيهر: ((وكان قد بلغ الأربعين من عمره [يعني الرسول - ﷺ -]،

وأخذ يقضي وقته على ما تعود في الخلوة في الغيران المجاورة للمدينة [يريد مسقط رأسه]، حيث كان نهياً للأحلام القوية والرؤى الدينية، وتملكه شعور بأن الله يدعو بقوة تزداد شيئاً فشيئاً ليذهب إلى قومه منذراً إياهم بما يؤدي بهم ضلالهم من الخسران المبين. وبكلمة واحدة أحس بقوة لا يستطيع لها مقاومة تدفعه إلى أن يكون مريباً لشعبه، أي [منذره ومبشره])). (٢)

(٢) ويقول أيضاً: ولكن إذا كان محمد في حالته الجديدة قد استمر في الشعور برسالته وبوجوب تأديتها، فإن تبشيريه قد اتخذ إلى جانب هذا اتجاهاً جديداً، فلم يصبح حديثه حديث من استولت عليه الرؤى المشبعة بالدار الآخرة وما يكون فيها بل إن تلك الحالة الجديدة جعلت منه أيضاً مجاهداً وغازياً..)) (٣).

(٣) ويقول أيضاً: ((ففي العصر المكي جاءت المواعظ، التي قدم فيها محمد الصور التي أوحتها إليه حميته الملتهبة، في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي، وهو في هذا العصر لا يسمع صلصلة سيفه، ولا يتحدث إلى محاربين أو رعايا مسالمين، بل يظهر لجموع معارضيه ومناقضيه العقيدة السائدة في نفسه عن قوة الله خالق

(١) سورة الأنبياء، جزء من الآية رقم ٥.

(٢) جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠.

العالم وربّه وسلطانه غير المحدود، وعن اقتراب يوم الحساب الذي يتمثله ويراه في الرؤى الوحيية فينتزعه من راحته انتزاعاً، وهو يعلن عقاب الماضين من الطغاة والشعوب الذين قاوموا نذر الله التي جاءتهم بألسن رسلهم وأنبيائهم ((^(١)). (٤) ويقول أيضاً: ((.. ما أعظم الفارق بين سجع السور المكية وسجع السور المدنية! بينا نرى محمداً يسرد في الأولى رؤاه الكشفية الإلهامية في فقرات مسجوعة متقطعة وفق صوت ضربات قلبه المحموم، نرى الوحي في الثانية..)).^(٢)

(٥) ويقول أيضاً: - ((إنه كلما أخذ عمل رسالة محمد يتقدم خارجياً، ثم التحول تدريجياً: فبعد أن كان تحت سلطان الرؤى التي تتعلق بالدار الأخرى، والتي كانت تملأ نفسه وتؤثر في تبشيره خلال المرحلة الأولى من نبوته، نراه انتقل إلى الأمانى الدنيوية القوية التي صار لها التفوق في خلال مراحل نجاحه.^(٣) (٦) وزعم بعضهم أن منشأ الوحي من أسباب طبيعية عادية كباعثة النوم أو ما سماه ((واط)) (التنويم الذاتي).^(٤)

^(١) المرجع السابق، ص ١٥.

^(٢) المرجع السابق، ص ١٤.

^(٣) المرجع السابق، ص ٣٠، ٣١.

^(٤) انظر د. حسن ضياء الدين عز، وحي الله: حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة. نقض مزاعم المستشرقين، ص ١٤١، طبعة سنة

١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

و - اتهامهم الرسول - ﷺ - بأنه ساحر:

لقد كان من مزاعم المشركين وافتراءاتهم تجاه الرسول - ﷺ - قولهم: إنه ساحر، جاء بسحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. (١)

وقد رصد القرآن الكريم قولهم ذلك، يقول تعالى: ﴿.. قال الكافرون إن هذا لساحر مبين﴾ (٢).

ويقول: ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ (٣).

وقد تكرر هذا الاتهام في عصرنا، فوصف المصطفى - ﷺ - بأنه ساحر ومشعوذ من قبل طغام بشرية حاقدة عليه وعلي دينه.

ولا شك أن وصفه - ﷺ - بهذه الصفة الدينية يقتضي القول بأن القرآن الكريم

سحر، لأن كل موصوف بصفة، يدل الموصوف على صفته، وصفته عليه. (٤)

ومن أقوال أولئك الخصوم في هذا العصر، مايلي:

(١) تقول موسوعة لاروس الفرنسية، خلال عرضها لآراء كتاب المسيحية إلى

النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث هاجموا الرسول - ﷺ - وقالوا: ((بقي

محمد مع ذلك ساحراً، ممعناً في فساد الخلق، لص نياق كرد ينالاً لم ينجح في

الوصول إلى عرش البابوية، فغضب عليه البابا وحرمه، فاخترع ديناً جديداً لينتقم

من زملائه)). (٥)

(١) انظر البيهقي، دلائل النبوة، ٢/٢٠٠ والنهي، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية)، ص ١٥٥، ١٥٦.

(٢) سورة يونس، جزء من الآية رقم ٢.

(٣) سورة ص، جزء من الآية رقم ٤.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٦/٥٢٩.

(٥) انظر عبد الخالق سيد، في حولة مع المستشرقين، ص ٢٠، ٢١.

(٢) ويقول سذرن: ^(١)

((فيما يتعلق بحياة محمد كان لدى الكتاب الغربيين (في القرون الوسطى) قليل من الحقائق نقلوها عن الكتاب البيزنطيين، وهي تدور حول زواجه بأرملة ثرية، وعن نوبات صرعه، وخلفيته النصرانية. وهكذا شُيد صرح هائل فوق أساس واه لا يمكن ربطه بأي تسلسل تاريخي وعندما سئل الكتاب اللاتين في بداية الأمر: أي نوع من الرجال كان محمد؟ ولماذا كان ناجحاً؟ أجابوا: بأنه كان ساحراً هدم الكنيسة في إفريقيا بالسكر والمكر، وثبت نجاحه بإباحة الاختلاط الجنسي...)). ^(٢)

(٣) ويزعم المستشرق ((مرجليوث)) ^(٣): أن الباعث على بعثة الرسول -ﷺ- إنما هي أعمال الشعوذة. وزعم أن محمداً عرف خدع الحواة، وحيل الروحانيين، ومارسها في دقة وفي لباقة. وقد كان يعقد في دار الأرقم جلسات روحانية. ^(٤)

^(١) لم أعتز على ترجمة له.

^(٢) نقلاً عن أحمد غراب، رؤية إسلامية للإستشراق، ص ٢٩.

^(٣) هو دافيد صمويل مرجليوث مستشرق إنجليزي، ومن كبارهم، وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع اللغوي البريطاني، وجمعية المستشرقين الألمانية. ولد بلندن ١٨٥٨م وتوفي بها عام ١٩٤٠م، ومن كتبه: ((آثار عربية شعرية)) و((نشر رسائل أبي العلاء المعري)) مع وترجمتها إلى الإنجليزية. وكتاب: ((محمد ونهضة الإسلام)) الزركلي، الأعلام، ٢/٣٢٩، ٣٣٠.

^(٤) انظر لاتين دينيه، محمد رسول الله، ترجمة دكتور عبد الحليم محمود، ودكتور محمد عبد الحليم، ص ٤٦، دار المعارف.

ز - اتهامهم للقرآن الكريم بأنه كهانة، من قبل الكاهن محمد - ﷺ :-

لقد قام المشركون من قريش بهذا الافتراء تجاه القرآن الكريم، والمصطفى - ﷺ - فعن القرآن الكريم يخبر تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(١) فنفي الله - عز وجل - كون القرآن كهانة، وهذا إنما يكون بعد وقوعه من كفار قريش.

أما الرسول - ﷺ - فيخبر تعالى عن اتهامهم ذلك بقوله: ﴿فَذَكَرَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٌ﴾^(٢) وهذا النفي إنما هو نتيجة اتهام شخصه - ﷺ - بهذه الصفة.

وفي هذا العصر نجد أن خصوم الإسلام متمسكون بهذا الاتهام الغاشم، فهم على سنن من قبلهم من إخوانهم.

وقد زعموا كاذبين أن الرسول - ﷺ - كاهن يستخدم أساليب الكهانة كالسجع ونحوه، وأن آيات القرآن الكريم التي نزلت في السنوات الأولى من البعثة جاءت كنفثات الكهان فهي مسجوعة وقصيرة جداً.

ومن أقوال أولئك الأعداء في ذلك، ما يلي:

(١) يقول جولد تسيهر: ((يجب ألا تفوتنا الإشارة إلى أن القوة الخطابية [في القرآن] أخذت تفتر حماستها، برغم استعمال السجع في أجزاء القرآن التي نزلت بالمدينة، كما في الأجزاء الأخرى المكية. لقد كانت السور الأولى في النزول على الشكل الذي تعود الكهان القدماء وضع نبواتهم فيه، ولو جاء في شكل آخر لما رضي أي عربي أن يرى فيه قرآناً موحى من الله، على أن محمداً قد أكد أن جميع ما جاء به هو من الوحي.....

(١) سورة الحاقة، الآية رقم ٤٢.

(٢) سورة الطور، جزء من الآية رقم ٢٩.

الإلهي)).^(١)

(٢) ويقول كارل بروكلمان: ((وإنما يظهر هذا السمو الروحي الذي عرفه النبي في تلك السنوات الأولى من بعثته في أسلوب الآيات نفسه، فهي زاخرة بالصور الرائعة، عابقة بالنفس الخطابي الذي يضج بين جنباته التتاغم الموسيقي والإحساس الشعري الأصيل، ثم إنها كانت كنفثات الكهان الوثنيين قصيرة جداً في العادة، ومقدماً لها بصيغ قسمية غير مألوفة)).^(٢)

(٣) زعم أصحاب الموسوعة البريطانية أن أسلوب الوحي المحمدي جاء نثراً مقفياً أو ما يسميه العرب بالسجع، وقد استعمل هذا الأسلوب سابقاً من قبل الكهنة، ومن قبل المنجمين.^(٣)

(٤) وزعم كارل بروكلمان: أن محمداً - ﷺ - استخدم في دعوته أساليب الكاهن.^(٤)

(١) جولد تسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ١٥.

(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٧.

(٣) انظر د. فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص ٤٢، دار البشير عمان.

(٤) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١/ ١٣٤.

ح - اتهامهم بالرسول - ﷺ - بالصرع والجنون:

فالمشركون من قريش قالوا هذا القول، وأكثروا منه، فجاءت الآيات العديدة توضح افتراءهم ذلك، منها:

أ - قوله تعالى: ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾^(١).

ب - وقوله تعالى: ﴿أمر يقولون به جنة..﴾^(٢).

ج - وقوله تعالى: ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾^(٣).

وقد سلك هذا المسلك، ونهج هذا المنهج المنحرف، خصوم الدعوة في هذا العصر، فادَّعوا أن محمداً - ﷺ - مصاب بالهستيريا، ونوبات الصرع المتكررة، وأنه كثيراً ما يغيب عن صوابه فيسيل منه العرق، وتعتريه التشنجات ونحو ذلك من الافتراءات والتفسيرات التي استنتجوها خطأً من ظاهرة الوحي. وأقوالهم في ذلك عديدة، والروايات عنهم فيها كثيرة، نقتصر على بعضها، فمن ذلك:

(١) يقول غوستاف لوبون: ((وقيل إن محمداً كان مصاباً بالصرع، ولم أجد في تواريخ العرب ما يبيح القطع في هذا الرأي، وكل ما في الأمر ما رواه معاصرو محمد، وعائشة منهم، من أنه كان إذا نزل الوحي عليه اعتراه احتقانٌ وجهيٌّ فغطيطٌ فغشيان، وإذا عدوت هوس محمد، ككل مفتون، وجدته حصيماً سليماً الفكر. ويجب عدّ محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح، وذلك كأكثر مؤسسي الديانات، ولا كبير أهمية لذلك، فأولوا الهوس وحدهم، لا ذووا المزاج البارد من المفكرين، هم الذين ينشئون الديانات ويقودون الناس، ومتى يُبْحَثُ في عمل المفتونين في العالم يعترف بأنه عظيم، وهم الذين أقاموا

(١) سورة الحجر، الآية رقم ٦.

(٢) سورة المؤمنون، جزء من الآية رقم ٧٠.

(٣) سورة القلم جزء من الآية رقم ٥١.

الأديان وهدموا الدول وأثاروا الجموع وقادوا البشر، ولو كان العقل، لا الهوس، هو الذي يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر.

ولا يقف أي قول بخداع محمد ثانية أمام سلطان النقد كما يلوح لي، ومحمد كان يجد في هوسه ما يحفزه إلى اقتحام كل عائق، ويجب على من يود أن يفرض إيمانه على الآخرين أن يؤمن بنفسه قبل كل شيء، ومحمد كان يعتقد أنه مؤيد من الله، فيتقوى، ولا يرتد أمام أي مانع ((^(١)).

(٢) ويزعم المستشرق جوستاف فيل: ^(١) أن ما كان ينتاب الرسول - ﷺ - مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحياً، وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية. ^(٢)

(٣) ويزعم المستشرق أليوس سبرنجر: ^(٤) أن الرسول - ﷺ - كان مصاباً بالصرع والهستيريا معاً. ^(٥)

^(١) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ١١٣-١١٥.

^(٢) هو جوستاف فيل ولد عام ١٨٠٨م وتوفي عام ١٨٨٩م، مستشرق ألماني. كان أستاذاً للغات الشرقية، قام بترجمة كتاب ألف ليلة وليلة إلى الألمانية، ثم تفرغ على دراسة التاريخ الإسلامي. وأهم مؤلفاته - فضلاً عن كتابه عن حياة محمد - مقدمة تاريخية نقدية في القرآن، وتاريخ الخلفاء في ثلاثة مجلدات، وتاريخ الخلفاء العباسيين في مصر. نقلاً عن هامش ص ١٥٥ من كتاب الإسلام في تصورات الغرب. للدكتور محمود حمدي زقزوق، ط: ١، مكتبة وهبة، مصر، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

^(٣) نقلاً عن أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٣٨.

^(٤) هو أليوس سبرنجر ابن كرسطوفر سبرنجر، مستشرق نمسوي، ولد في فينزل عام ١٨٢٨هـ-١٨١٣م وتعلم في انيسبروك. وحصل على الجنسية الإنجليزية، وعلى الدكتوراة في الطب من جامعة ليدن. واستخدمته شركة الهند الشرقية طبيباً فانتقل إلى الهند. عني وهو في كلكتة بنشر نقائس من الكتب العربية كالإصابة في تمييز الصحابة، وكشاف اصطلاحات الفنون، والإتقان في علوم القرآن. وألف بالإنجليزية كتاباً في السيرة النبوية ((حياة محمد)). توفي عام ١٣١٠هـ - ١٩٨٣م انظر الزركلي، الأعلام، ٨/٢.

^(٥) نقلاً عن أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٣٨.

٤) ويزعم المستشرق تيودور نولدكه ^(١) أن محمداً - ﷺ - كانت تنتابه نوبات عنيفة من الانفعال جعلته يظن أنه تحت تأثير إلهي (أي يظن أنه يتلقى وحيًا). ^(٢)

^(١) هو تيودور نولدكه، من أكابر المستشرقين الألمان. ولد في هاربورج (بألمانيا) سنة ١٢٥١هـ - ١٨٣٦م. وتعلم في جامعات غوتنجن و فينة وليدن وبرلين. وانصرف إلى اللغات السامية والتاريخ الإسلامي فعين أستاذاً هما في جامعة غوتنجن له كتب بالألمانية عن العرب وتاريخهم، منها: ((تاريخ القرآن)) و((حياة النبي محمد)) و((دراسات لشعر العرب القدماء)) . انظر الزركلي، الإعلام ٩٦/٢.

^(٢) نقلًا عن أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٣٨.

ثانياً: - اتهامهم الأتباع :-

(ادعاء أن التدين والتمسك بأوامر الإسلام، غلو).

لقد كان تصور المشركين لمن اتبع محمداً - ﷺ - في كل ما جاء به ونبذ عبادة الأصنام، ونبذ ما كان من عقائد وعادات وأعراف جاهلية كان عليها الآباء الأقدمون، والأهلون الأولون أنه متطرف غال وصابيء ضال بل كانوا يرون أن الخير في اقتفاء ما كان عليه الآباء مهما كان فيه من ضلالة ولذا وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾^(١) وفي قوله: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾^(٢) قال الشوكاني^(٣): وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه، فإن هؤلاء المقلدة إنما يعملون بقول أسلافهم ويتبعون آثارهم ويقتدون بهم، فإذا رام الداعي إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نير ولا حجة واضحة، بل بمجرد شبهة داحضة وحجة زائفة ومقالة باطلة تشبثوا بما قاله المترفون^(٤).
لقد كان عناد الكفار - خصوم الدعوة الإسلامية - عناداً كبيراً وواضحاً لأنهم يتصورون أن الخروج عما عليه الآباء غلو في الديانة.

(١) سورة الزخرف الآية رقم ٢٢.

(٢) السورة السابقة، الآية رقم ٢٣.

(٣) محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، وأهل صنعاء ولد بهجرة شوكات (من بلاد خولان، باليمن) سنة ١١٧٧هـ، ونشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات سنة ١٢٥٠هـ، له ١١٤ مؤلفاً، منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، وفتح القدير، وغيرها. انظر الزركلي، الأعلام ٢٩٨/٦.

(٤) انظر الشوكاني، فتح القدير، ٥٥٢/٤.

بل الصواب -في نظرهم- في التقليد ولو كان أعمى، يصف ذلك القرآن الكريم في قول الله تعالى قال: ﴿ قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾^(١) ويستمر مشوار خصوم الدعوة في وقتنا الحاضر، من الاستفادة من أساليب المشركين في حرب الدعوة، ويرى بعض الجهلة في وقتنا الحاضر: أن التدين انطواء وانغلاق على النفس، وغلو في الأخذ بأحكام الإسلام وأوامره.

ويرون أن الصواب إعطاء النفس شهواتها وحظوظها وملذاتها، وعدم قسر النفس على الحق وإبعادها عن الهوى.

وتناسوا أن الإسلام دعوة إلى الطمأنينة والراحة والسكينة، حيث يسلم الإنسان نفسه لله الواحد القهار، فيرتاح الضمير، وتهدأ النفس، ويستقر الوجدان، بخلاف أولئك الذين ضلوا الطريق فأشركوا في العبادة وتخبطوا في ظلمات الطريق ولم يهتدوا إلى جادة الصواب، كما تناسوا أن الإسلام يرفض التزمت والغلو.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - ﷺ - (يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(٢).

كما تناسوا أن الإسلام يرفض التشدد المذموم، عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن رسول الله ﷺ كان يقول: (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها.....

^(١) سورة الزحرف الآية رقم ٢٤.

^(٢) أخرجه الأمام أحمد في المسند ٢٦٧/١ رقم ١٨٥٠. وقال العلامة أحمد شاکر إسناده صحيح ١٨٥١/٣. وأخرجه النسائي في سننه في كتاب المناسك باب إنتقاط الحصى، ٢٦٨/٥، رقم ٣٠٥٧، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، وصححه الألباني، انظر صحيح سنن النسائي، ٢/٦٤٠ رقم ٢٨٦٣، ط: ١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، والمكتب الإسلامي، بيروت.

عليهم).^(١)

كما تناسوا -أيضاً- أن الإسلام ينهى عن التتبع.

عن ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله ﷺ [هلك المتتبعون..]^(٢).

قال النووي^(٣): هلك المتتبعون أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم^(٤). وتناسوا -أيضاً- أن الإسلام جاء باليسر، قال الله تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾^(٥)، وقال الله تعالى:

﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾^(٦).

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -ﷺ-: [إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه]^(٧).

فالإسلام يزرع في نفوس أتباعه أن يعيشوا سعداء، وأن يرحلوا شرفاء. أن يعيشوا لهدف عال، ويرفض الإنطوائية أو التقليد الأعمى.

^(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب: الأدب، باب: في الحسد، ٢٧٨/٤، ورقم ٤٩٠٤، وذكره الألباني في: ضعيف سنن أبي داود ص ٤٨٥-٤٨٦ رقم ٤٩٠٣، ط: ١، المكتب الإسلامي بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، وللإستزادة انظر ابن حجر، فتح الباري، ٤٧٢/٦، وابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق د/ناصر العقل، ط: ١، مطبعة العبيكان، الرياض، ١٤٠٤هـ.

^(٢) أخرجه مسلم في كتاب: العلم، باب: هلك المتتبعون ٢٠٥٥/٤ رقم ٢٦٧٠.

^(٣) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده سنة ٦٢١هـ في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته، وفيها توفي أيضاً سنة ٦٧٦هـ. تعلم في دمشق، وأقام بها زمناً، من كتبه: (تهذيب الأسماء واللغات)، و(منهاج الطالبين)، و(المنهاج في شرح صحيح مسلم)، وغيرها كثير. انظر: الزركلي، الأعلام، ١٤٩/٨، ١٥٠.

^(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢٠/١٦.

^(٥) سورة الحج جزء من الآية رقم ٧٨.

^(٦) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٨٥.

^(٧) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر ٢٣/١ رقم ٣٩.

الأسلوب الثاني

أساليب التفسير:

وتتكون مما يلي:

أولاً : أسلوب الأعراء.

ثانياً : أسلوب المساومة.

ب - أساليب الترغيب: -

تقدم في الفصل الأول في المبحث الأول منه، قيام المشركين من قريش بأساليب الترغيب والتي قصدوا من ورائها الصد عن دين الله - تعالى - والحيلولة دون انتشاره بكل ما أوتوا من قوة.

وقد جاءت هذه الأساليب بطرق عديدة ومتنوعة، كأسلوب الإغراء، وأسلوب المساومة.

وفي عصرنا الحاضر تتكرر الأساليب نفسها على نحو الغاية والهدف والغرض، فهناك أسلوب الإغراء، بطرقه العديدة الفاتنة، وهناك أسلوب المساومة والذي جاء تحت اسم المحبة والائتلاف والتقارب.

أولاً : أسلوب الإغراء :

قام المشركون من قريش بهذا الأسلوب، ونوعوا فيه إغراء اتهم، لصدّ المصطفى - ﷺ - وأتباعه عن دينهم، واستمالتهم لخدمة أغراضهم ومخططاتهم.

فقد جاء في السيرة النبوية لابن هشام وغيرها أن عتبة بن ربيعة جاء إلى النبي - ﷺ - وعرض عليه بعضاً من المغريات عله أن يقبل بعضها وبالتالي يكف عن سبّ وشتم آلهتهم، وتسفيه عقولهم وعقول آبائهم، وهذه الأمور هي: الملك، والمال، والشرف، والنساء، والطب والعلاج. ^(١)

وفي هذا العصر يسلك أعداء الإسلام هذا النوع من الترغيب، ليضطلعوا بمهمتهم من إخراج الناس من النور إلى الظلمات، وكبت نور الله - جل وعلا - وإطفائه.

وللوقوف على هذا الأسلوب من قرب، وللتعرف على تلك المغريات - والتي استخدمها أعداء الإسلام في هذا العصر وبذلوا فيها الغالي والنفيس - سنلقي نظرة موجزة على كل نوع من هذه الإغراءات على حدة، وهي :

(١) الإغراء بالملك.

(٢) الإغراء بالمال.

(٣) الإغراء بالطب والعلاج.

(٤) الإغراء بالنساء.

(١) انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٩٤، ٢٩٣/١. والنهي تاريخ الإسلام [السيرة النبوية]، ص ١٥٧، ١٥٨. وقال الألباني عن سند هذه القصة : حسن إن شاء الله. انظر فقه السيرة للغزالي، حاشية ص ١١٣.

١- الإغراء بالملك :

قام الأعداء في هذا العصر بهذا الأسلوب ونجحوا فيه نجاحاً باهراً، واستطاعوا بهذا الإغراء استمالة قلوب بعض ضعاف النفوس تحت بريق السلطة.

لقد كان الخصوم يملكون القوة التي تؤهلهم لأن يتحكموا ببعض العالم الإسلامي لاسيما بعد سقوط الخلافة العثمانية، وظهور الاستعمار الذي جزأ تلك الوحدة المتكاملة إلى أجزاء متفرقة ودويلات مشتتة.

وبهذا أصبح الغرب الكافر يتصرف بالعديد من تلك الدول. وتسلم زمام الحكم في بعضها، فأضحى لا يسلم ذلك الزمام إلا لعميل يخدمه ويخدم مبادئه ومخططاته. وبذلك خرج أناس باعوا دينهم بدنياهم، فأغرثهم شهوة السلطة، وفتنة الرياسة، فتسلموا ذلك الزمام ليستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وليظهروا الإسلام ويبطنوا غيره، ليحكموا القوانين الوضعية البشرية، ويزيحوها الحكم بما أنزل الله جانباً، بل وراءهم ظهرياً.

يقول محمد قطب، في كتابه واقعنا المعاصر :

[أقيمت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨ م) للقضاء النهائي على الدولة العثمانية، وفصل العالم العربي عنها، بما فيه فلسطين التي يراد إقامة الدولة اليهودية فيها، بعد أن عجز اليهود عن إقامة الدولة فيها وهي في ظل الدولة العثمانية.

ثم جيء بكمال أتاتورك^(١) ليجهز على الخلافة، ويذبح المسلمين، ويدير ظهر تركيا للإسلام بعد أن كانت هي مركز الخلافة ومركز القوة السياسية والعسكرية للعالم الإسلامي، ويجعلها تابعاً ذليلاً لأوربا، وتضفي عليه في الوقت ذاته البطولات الزائفة ليكون نموذجاً يحتذى من بعد في بقية أرجاء العالم الإسلامي. ووزعت أسلاب ((الرجل المريض))- بعد القضاء عليه

(١) لم أعثر على ترجمة له.

بين بريطانيا وفرنسا صديقتي اليهود، ووضعت فلسطين بالذات تحت الانتداب البريطاني.

أما ما حول فلسطين فقد قسم إلى دويلات ضعيفة لا تملك أمر نفسها، فهي تحت الحكم البريطاني أو الفرنسي، لا تملك قوة سياسية وهي تحت الاحتلال الصليبي، ولا قوة حربية بطبيعة الحال.

وهذه الدويلات فوق ذلك. أي فوق ضعفها السياسي والحربي - والاقتصادي أيضاً متعادية متخاصمة لا يربط بينها رابط لا الإسلام. ولا حتى ((العروبة)) ولا حسن الجوار. بل انقلب هذا كله إلى عداوات وخصومات.^(١) فبعد هذا التقسيم، بدأت الهيمنة عن طريق التدخل الخفي في أنظمة الحكم في بعض دول العالم الإسلامي وإعداد طبقة من أبناء أهل البلاد يعدونهم ويسلمونهم مقاليد الحكم في بلادهم على أن يكونوا مجرد أدوات في يد الغرب النصراني يقومون بخدمة مصالحه، وينفذون مخططاته إذ أنهم يختارون بدقة وإمعان.

فلا بد أن يكونوا من المعجبين بالحضارة الغربية، الراضعين للبتها والمتربين على موائدها.

ولابد أن يكونوا من أصحاب الاتجاهات المعادية للإسلام إن لم يكونوا من المرتدين عن الإسلام.^(٢)

يقول أحد المستشارين في لجنة تخطيط السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية والمخابرات المركزية : ((ونتيجة لذلك فقد بدأ تركيزنا على فسح المجال أمام وصول ((النوع الملائم)) !! من القيادات إلى السلطة وتسلمها مقاليد الحكم في داخل أوطانها بينما نكون قد أنجزنا دراسة مخططاتنا وحددنا أهدافنا في المنطقة بكل دقة ووضوح)).^(٣)

(١) محمد قطب، واقعا المعاصر، ص ٣٨٢-٣٨٤، ط : ١، مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر د. سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص ١٧١ ط : ٢، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، الرقازيق.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٧٢.

ويقول : ((ومذكرات الحكومة الأمريكية عام ١٩٤٧م أشارت بوضوح وتأكيد إلى أن أجهزة المخابرات والسلك الدبلوماسي كانت على وشك القيام بتغييرات في قيادات بعض دول الشرق الأوسط))^(١).

ونتيجة لذلك بدأت لعبة الانقلابات العسكرية في العالم الإسلامي، والتي تصنع المخابرات المركزية أبطالها ورجالها الذين يكونون ممن تتعلق بهم آمال الأمة فيمتصون ما يمور في باطنها وما كان يمكن أن يؤدي إلى ثورة في غير صالحها وينحرف بهذه القوة داخل الشعوب عن أهدافها التي تتحقق فيها مصالح الغرب^(٢)

وهكذا يتضح لنا أن معظم دول العالم الإسلامي قد وقعت فريسة لهذا الأسلوب الخبيث الذي استبدل بالسترة الصفراء الأجنبية السترة الصفراء المحلية.^(٣)

وهذا يذكرنا بعظيم نعمة الله - سبحانه وتعالى - على هذه البلاد ((المملكة العربية السعودية)) التي قامت على تحكيم شرع الله - سبحانه وتعالى - وإعلاء شأن الدين، وأهله، فمضت محروسة بحراسة الله وحفظه سالمة مما أبتليت به العديد من الدول، فنعمت بالأمن والإيمان، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

^(١) انظر المرجع السابق، ص ١٧٢.

^(٢) انظر د. على حريشة وزميله، أساليب الغزو الفكري، ص ٤٨ طبعة عام ١٩٨٧م، القاهرة.

^(٣) انظر سعد الدين السيد صالح، أخطروا الأساليب الحديثة، ص ١٧٣.

٢- الإغراء بالمال :

لما رأى الأعداء في هذا العصر ما تعيشه بعض بلدان العالم الإسلامي من حالة فقر وحاجة، وقلة وفاقة، انتهزوا تلك الفرصة الذهبية، فسخروا أموالهم وثرواتهم ووظفوها لخدمة أولئك وسد احتياجاتهم وذلك لاستمالتهم، وبالتالي صدهم عن سبيل الله وإخراجهم من النور إلى الظلمات.

فعلى سبيل المثال :

ما فعله البعثات التنصيرية في إفريقيا إذ تستغل حالة البؤس والفقر التي تعيشها الأسرة الفقيرة المسلمة فتوقع معها عقوداً- كما حدث في السنغال- تقدم بموجبها تلك البعثات التنصيرية إلى الأسر السنغالية مساعدات عينية ضئيلة من أرز وخبز في كل شهر على أن يكون لها حق اختيار أحد أطفال الأسرة دون الخامسة من عمره ثم يربى تربية مسيحية ويرسل إلى فرنسا لاستكمال تعليمه العالي، ثم يستخدم بعد ذلك هو الآخر في أعمال التنصير أو يستخدم في تحقيق مصالح الغرب النصراني^(١).

وللأسف الشديد أن (سنجور) رئيس جمهورية السنغال السابق كان من هؤلاء الأطفال الذين وقعوا فريسة للجماعات التنصيرية. ومعنى كلمة سنجور (سان جورج) مع أن أبويه وإخوته مسلمون.^(٢)

إن بذل المال هو المحرك الرئيسي للمنصرين والذي يكفل لهم تحقيق أهدافهم. فهم يعتمدون في ذلك على ما تقوم به المؤسسات الدينية والسياسية والتجارية في الغرب، كما يقوم ملوك وأمراء وأثرياء الغرب النصراني بالتبرعات والإنفاق على حركة التنصير.^(٣)

(١) انظر د. سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب، ص ٧١، ٧٠.

(٢) انظر د. عمر فروخ وزميله، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص ٤، منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٢م، بيروت.

(٣) انظر د. سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب، ص ٥٤.

وقد وردت على صناديق إرساليات التصير أموال كثيرة، منها ٦٠ مليون فرنك في السنة تدخل في صناديق جمعيات التصير البريطانية والأيرلندية و ٦٧ مليون فرنك لصندوق الجمعية الأمريكية و ٧٠ مليون فرنك للجمعيات الأسترالية. وقد رصدت دولة الفاتيكان عدة ملايين من الجنيهات للتصير في العالم الإسلامي كما رصد الاستعمار أموالاً كثيرة في ميزانيات الدول المستعمرة وقدمت الكنيسة الرومانية أموالاً لا حد لها من أجل التصير. إن هذا كله من أجل الصدّ عن دين الله تعالى، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الغاية ^(١) بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْتَفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُخْشَرُونَ﴾ ^(٢).

^(١) انظر المرجع السابق ص ٥٤، ٥٥.

^(٢) سورة الأنفال، الآية رقم ٣٦.

٣- الإغراء بالطب والعلاج :

ونرى ذلك واضحاً وجلياً فيما تقوم به الحملات التنصيرية في العالم الإسلامي حيث نجد توفيرهم الضخم لأغراض الطب واحتياجاته في تلك البلاد.

إنهم يستغلون تلك الحاجة الماسة التي كانت تجدها تلك الشعوب المسلمة فيقدمون من خلالها تلك الخدمات ليخرجوا الناس من دائرة الإسلام.

إنهم بهذا العمل حولوا مهنة الطب تلك المهنة النبيلة إلى وسيلة خسيصة من وسائل التنصير التي استغلوا فيها آلام الناس ومعاناتهم وساوموهم على دينهم وعقيدتهم.^(١)

يقول أحد المنصرين- وهو يقرر تلك الغاية:- ((حيث تجد بشراً تجد الآلام، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتصير))^(٢).

من هنا قام المنصرون بإنشاء المستشفيات والمستوصفات ومراكز العلاج في أنحاء العالم الإسلامي.^(٣)

ولتتضح الصورة، وتتوثق المعلومة، نذكر بعض النماذج على ذلك، فمن ذلك:
(١) منذ عام ١٨٧٥م وجهت الجمعيات التنصيرية اهتمامها إلى بعض المناطق العربية وأنشأت مراكز طبية في بعض مدنها وقراها.^(٤)

(٢) بعد عام ١٨٥٠م تأسست في أفغانستان العديد من المستشفيات النصرانية التي تمتد كشبه دائرة حول البلاد من مدران وبشاورا وبانو وتانك وديرا إسماعيل خان وكويتا، فيما يعتبر الآن باكستان، ومن زاهيدان إلى مشهد في إيران.

(١) انظر د. سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٦٨.

(٢) انظر د. عمر فروخ وزميله، التبشير والاستعمار، ص ٥٩.

(٣) انظر د. سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٦٨.

(٤) انظر د. عمر فروخ وزميله، التبشير والاستعمار، ص ٦١.

وأعدت هذه المستشفيات لتسعف المرضى الأفغان الذين يأتون عبر الحدود لتلقي العلاج الطبي وفي حالات نادرة استطاع هؤلاء المنصرون من الأطباء والمرضى القيام برحلات قصيرة إلى أفغانستان.

ثم توسع العمل أكثر ليشمل مساعدة العميان، والعلاج الطبي لأمراض العيون والعيادات والمستشفيات والوحدات الطبية المتنقلة لمعالجة الجذام والأمراض الأخرى في المناطق النائية. ^(١)

(٣) وفي تايلاند تلعب المستشفيات النصرانية في سايبوزي والعيادات الطبية المتعددة لمعالجة الجذام في الجنوب التابعة للمؤسسة التصيرية لأعالي البحار دوراً هاماً في الوصول إلى الشعوب المسلمة. ^(٢)

(٤) وفي مصر أنشئوا عشرات المراكز الطبية منها : مستشفى هرمل الإنجليزي والملاصق للقصر العيني- لحاجة في نفس يعقوب- والمستشفى الإيطالي بالعباسية، والمستشفى الألماني ومستشفى منوف بالمنوفية، ومستشفى أسيوط الأمريكي، ومستشفى الجرمانية بأسوان وغيرها من المراكز. ^(٣)

إن أولئك ينظرون إلى الطب على أنه معين للتصير، بل يعتبرونه مشروعاً مسيحياً. وعلى : يقول أحد الأطباء المنصرين: ((إن المنصر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة (عمان) بأسرها. لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى)) . ^(٤)

وكما أسلفنا فقد استغلوا هذه المهنة النبيلة إلى وسيلة خسيصة من وسائل التصير التي استغلوا فيها آلام الناس ومعاناتهم وساوموهم على دينهم وعقيدتهم. ^(٥)

^(١) انظر التصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، ترجمة عن أعمال مؤتمر كولورادو ص ٤٣٧، الولايات المتحدة الأمريكية، سنة ١٩٧٨م، دار MARC للنشر.

^(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤٦٤.

^(٣) انظر د. سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٦٨.

^(٤) انظر د. عمر فروخ وزميله، التبشير والاستعمار، ص ٥٩.

^(٥) انظر د. سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٦٨.

٤- الإغراء بالنساء :

سبق ما قام به المشركون من عروض عديدة ومغرية للنبي - ﷺ - والتي كان من ضمنها الزواج . فهم يدركون ما لهذا الأمر من أثر عظيم على الداعية وعلى سير دعوته، لاسيما وسلاحهم في ذلك هو المرأة، ذلك المخلوق الضعيف والذي يملك من التأثير ما لا يملكه غيره، فالفتنة متجسدة فيها ومتأصلة بل باسمها مقترنة، بل إذا ما ذكرت الشهوات فهي متصدرة، يقول جل وعلا: ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة الأنعام والحمر... ﴾^(١).

وفي هذا العصر نجد مثل هذا الإغراء وهذا العرض، حيث إن من وسائل التصير والتي يحرص عليها المنصرون : تشجيع الشبان غير المسيحيين على الزواج بالفتيات الأجنبية المسيحيات^(٢).

إنهم يريدون بذلك ما يريدون، ويقصدون ما يقصدون، فإذا ما تم ذلك وحصل فلا بد من استغلاله من جميع جوانبه، وانتهاز فرصة.

إن هذا الزوج المسلم غالباً ما وأن ينسلخ عن دينه، ومن ثم مستقبلاً لا بد من سلب البيت الإسلامي جوّه الروحي الإسلامي، وتبديل كثير من مثله العليا. إن هذا لن يحصل في بيت واحد فحسب، بل ليس المقصود شخصاً بعينه، إنما الغاية والهدف كل من يدين بالدين الإسلامي، فالتشجيع قائم، والنساء متوفرة، والسبل ميسرة لا من باب الإعانة على الخير، والتعاون على البر والتقوى، بل في سبيل إطفاء نور الله - تعالى - وإخراج الناس من النور إلى الظلمات. ولم يتوقف أعداء الإسلام في هذا العصر إلى هذا الحد، ولم يقتصروا على التستر بهذا الستار - الزواج - بل صرحوا في ذلك وجاوزوا الحد، حيث يعزمون عزيمة قوية لإفساد المجتمع وإحلال الرذيلة بدلاً من الفضيلة عن طريق تلك النساء.

(١) سورة آل عمران جزء من الآية رقم ١٤.

(٢) انظر د. فروخ وزميله، التبشير والاستعمار، ص ٢٠٥.

فعلى سبيل المثال : ما قام به الفرنسيون حينما استعمروا لبنان، فقد فتحوا حانات الخمر، وبيوت الدعارة، ففتشى ذلك إلى حد لم يكن معروفاً من قبل، وبقيت آثاره حتى بعد زوال ذلك الاستعمار.^(١)

لقد حاول أولئك الأعداء هدم النظام الإسلامي في الزواج وتكوين الأسرة، وأشاعوا في العالم الإسلامي صوراً آخر من العلاقات بين الرجل والمرأة غير علاقة الزواج. فتجدهم عن طريق وسائل الاعلام يدعون إلى تحرر المرأة والرجل من قيود الزواج. والانطلاق في خلق علاقات جديدة مثل الزمالة والصدقة والمخادنة والزنا. كما يجسدون عبر تلك الوسائل الجنس في أعين الشباب، ويدعونهم إليه ليلاً ونهاراً، وبذلك تضيع العفة ويختفي الحياء، وينطلق الشباب في مجونهم ولهوهم، يبحثون عن علاقات أخرى غير الزواج مثل السفاح والبغاء وغير ذلك من الصور التي كانت موجودة في الجاهلية. وتجدهم أيضاً يدفعون المرأة المسلمة إلى التبرج وإظهار زينتها ومفاتها تحت عنوان براق وهو [تحرير المرأة] وبالتالي تفتن وتفتتن ومن ثم تسود الرذيلة وتعم الفاحشة.^(٢)

إنهم يحاولون صبغ المجتمعات الإسلامية بالصبغة الغربية، والقضاء على صورة الأسرة المسلمة وسحب صفات الأسرة الغربية عليها. وهذا ما أشار إليه أحدهم، حيث يقول : ((لابد لاختلال قوى الإسلام من رفع الحجاب عن وجه المرأة المسلمة، ونطى به القرآن، ولا بد من إتيان المسكرات والمخدرات والفواحش والمنكرات))^(٣).

هذا ما كان من أعداء هذا العصر في هذا الأسلوب من الإغراء، والذي فاقوا فيه إخوانهم من مشركي قريش بل جاوزوه وتعذوه إلى غيره.

(١) انظر المرجع السابق، ص ١٩٨، ١٩٩.

(٢) انظر د. سعد الدين، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٢٤٦ - ٢٤٨.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٢٤٦.

أسلوب المساومة :

لما رأى المشركون إصرار المصطفى - ﷺ - على دعوته، وأنه لن يتزعزع عنها طرفة عين، سلكوا حيلة خبيثة يريدون من ورائها خلط باطلهم بذلك الحق حيث طلبوا من النبي - ﷺ - أن يدخل في شيء من دينهم مقابل أن يدخلوا في شيء من دينه. ^(١)

وفي عصرنا الحاضر نجد مثل هذه النداءات، والتي تدعو إلى التقريب بين الأديان تحت ستار المحبة والوئام والألفة والأخوة.

ولتقرب الصورة وتوضح، نلقي الضوء على بعض النماذج من هذه الدعوة - دعوة تقارب الأديان - والتي كانت مظهراً لأسلوب المساومة الصادر من مشركي قريش في العهد المكي، فمن ذلك :

(١) ما قام به جمال الدين الأفغاني ^(٢) من دعوة إلى توحيد الأديان الثلاثة، حيث يعتبر من أشهر الدعاة إلى ذلك في العصر الحاضر، وقد فتح الباب لمن بعده. لذا قام من بعده أقرب تلاميذه وهو محمد عبده ^(٣)، ليتم ما بدأ به أستاذه.

^(١) انظر ابن تيمية، الفتاوى، ١٦/٥٤٤، ٥٤٥.

^(٢) جمال الدين الأفغاني : هو محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين : ولد في أسعد أباد بأفغانستان سنة ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م، ونشأ بكابل. وتلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات، وسافر إلى الهند، وحج سنة ١٢٧٣هـ وعاد إلى وطنه، فأقام بكابل، ذهب إلى مصر وتلمذ له محمد عبده وكثيرون، كان عارفاً باللغات العربية والأفغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية، وتعلم الفرنسية والإنجليزية والروسية، وإذا تكلم بالعربية فلغته الفصحى، واسع الإطلاع على العلوم القديمة والحديثة، له : تاريخ الأفغان، ورسالة الرد على الدهريين، ترجمها إلى العربية تلميذه محمد عبده، توفي سنة ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م بالسرطان وقيل مسموماً، انظر الزركلي، الإعلام، ٦/١٦٨، ١٦٩.

^(٣) محمد عبده : هو محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني : مفتي الديار المصرية، ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر) سنة ١٢٦٦هـ، ١٨٤٩م. ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة) وأحب في صباه الفروسية والرمية والسباحة، وتعلم بالجامع الإحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف، لما احتل الإنكليز مصر ناوأمهم. وشارك في مناصرة الثورة العربية، فسجن ٣ أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام سنة ١٢٩٩هـ، ١٨٨١م وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٣٠٦هـ، ١٨٨٨م وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف، فمفتياً للديار المصرية سنة ١٣١٧هـ واستمر إلى أن توفي في الإسكندرية سنة ١٣٢٣هـ، ١٩٠٥م ودفن بالقاهرة، له تفسير القرآن الكريم، ورسالة التوحيد، والإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية وغيرها، انظر الزركلي، الإعلام، ٦/٢٥٢.

ويوضح هذه الفترة من حياة الأفغاني أحد الكتاب فيقول :

(وموقف الأفغاني إزاء هذه القضية الكبرى، إنما يقدمه إلى البشرية والفكر الإنساني الناضج، عملاقاً لا يدانيه إلا القليلون ممن عاصروه أو سبقوه أو لحقوه، فالمساواة عنده بين معتقي الأديان المختلفة، وبالذات الإسلام والمسيحية والموسوية، لم تكن نابعة من اعتبارات سياسية عارضة، ولا وليدة لضرورات وطنية تملئها طبيعة المعركة المحتدة بين الشرقيين عموماً وبين الإمبريالية والاستعمار، وإنما كانت الأسس التي بنى الرجل عليها فكره وموقفه، والأرضية التي أنبتت هذا الفكر وهذا النضال، والخلفية الفكرية والثقافية التي شع منها هذا التسامح، بل هذه المساواة الحققة الكريمة، هي إيمان الرجل بوحدة جوهر هذه الأديان ووحدة الغايات السامية التي تتشدها التعاليم الأساسية المبرأة من الزيف والتحريف التي اشتملت عليها المنابع الأولى النقية لهذه الأديان)^(١).

إن جمال الدين الأفغاني يريد وحدة حقيقية بين الأديان تزيل حواجز الخلاف في العقائد وفي كل شيء ولو كان على أساس الاعتراف بعقائدهم وصحتها وتأويل النصوص الثابتة لتوافق نصوصهم المحرفة.

ولقد كان من نتيجة دعوته تلك أن تأثر تلاميذه بهذه الدعوة وعلى رأسهم محمد عبده بل إنه بايعاز من الأفغاني أخذ يتصل برجال الدين النصراني ويتفاوض معهم، وأخذت شكلاً عملياً بعد وفاة جمال الدين، يقول أحد الكتاب:

((أما الدعوة إلى التوفيق بين المسيحية والإسلام فهي دعوة قديمة، نرى طلائعها في مذكرات بلنت^(٢)، إذ أثبت فيها بتاريخ ٣ إبريل سنة ١٩٠٤م حديثاً جرى بينه وبين الشيخ محمد عبده قال فيه الأخير : (وفي أثناء نقبي في دمشق سنة ١٨٨٣ كان أحد القسس في إنجلترا يقوم بالدعوة إلى توحيد الإسلام والنصرانية، على أساس فكرة التوحيد الموجودة في الإسلام

(١) انظر مصطفى غزال، دعوة جمال الدين الأفغاني، ص ٢٤١، ط : دار طيبة، ١٤٠٣هـ، الرياض.

(٢) لم أعثر على ترجمة له.

والموجودة عند الكنيسة الأنجليكية، وكان لي صديق فارسي يعتقد بإمكان تحقيق هذه الفكرة، وقد تمكن هذا من إقناعي أنا وآخرين من علماء دمشق بكتابة رسالة إلى ذلك القس الإنجليزي في الموضوع وما أن وصلت هذه الرسالة إلى القس حتى فرح بها ونشرها، مستعيناً بها على إثبات صحة دعواه، لكن لم ينشر أسماء الكاتبتين، إلا أن السلطان العثماني كلف سفيره في إنجلترا معرفة تلك الأسماء، وكان سهلاً عليه، فقد عرفها من القس نفسه، فحاق بي وبهؤلاء العلماء اضطرهاد عظيم ((^(١).

وقد ذكر الشيخ رشيد رضا ^(٢) رسالتين للشيخ محمد عبده في كتابه تاريخ الأستاذ الإمام موجهة إلى القس الإنجليزي للتقريب بين الإسلام والنصرانية وبين اشتراك اليهود فيها. ^(٣)

نستخلص من كل ما سبق أن جمال الدين الأفغاني كان من دعاة التوحيد والتوفيق بين الأديان السماوية الثلاثة وخاصة الإسلام والنصرانية وهما الدينان الأكثر انتشاراً في العالم. ^(٤)

(٢) ما قام به المركز الأكاديمي الإسرائيلي للبحوث - الذي أنشئ في القاهرة في مايو ١٩٨٢م - من مهام عديدة ومتنوعة بقصد إضعاف الصحوة الإسلامية في مصر، وذلك من خلال وسائل عديدة منها : عقد مؤتمرات سنوية عن التقارب بين الأديان، حيث يدعى إليها شباب مسلمون من مصر وغيرها من البلاد العربية.

^(١) انظر المرجع السابق، ص ٢٤٦.

^(٢) محمد رشيد رضا : هو محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد شمس الدين، البغدادي الأصل، الحسيني النسب : صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد في القلمون سنة ١٢٨٢هـ، ١٨٦٠م، ونشأ فيها [من أعمال طرابلس الشام] وتعلم فيها وفي طرابلس، وتسلق، ونظم الشعر في صباه. رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ له. من آثاره مجلة المنار، أصدر منها ٣٤ مجلداً، تفسير القرآن الكريم اثنا عشر مجلداً منه، ولم يكمله، وتاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ثلاثة مجلدات وغيرها، توفي في مصر سنة ١٣٥٤هـ، ١٩٣٥م، انظر الزركلي، الأعلام، ١٢٦/٦.

^(٣) انظر مصطفي غزال، دعوة جمال الدين الأفغاني، ص ٢٤٧.

^(٤) انظر المرجع السابق، ص ٢٤٨.

ومن أحدث تلك المؤتمرات : [مؤتمر وحدة الأديان]، الذي عقد في [سانت كاترين]، في [سيناء- مصر]، في يوم ١٩٨٤/٣/٤ لمدة أربعة أيام، وتم ترتيبه على شكل رحلة سياحية من القاهرة، وشاركت في تنظيمه وتمويله منظمات يهودية في إسرائيل وأمريكا، واشترك فيه وفد إسرائيلي مكون من مدير المركز الأكاديمي، وبعض أعضاء السفارة الإسرائيلية في القاهرة، وعدد من الحاخامات وأساتذة الجامعات، كما شاركت فيه وفود مكونة من أمريكيين وهولنديين ومصريين وفلسطينيين ويابانيين وإيرانيين، وكانت هذه الوفود تمثل الإسلام (!؟)، واليهودية، والمسيحية، والبوذية، وديانات الهنود الحمر، والبهائية.

وكان من أهم أهداف المؤتمر مايلي:

- ١- اعتبار اليهودية أم الأديان السماوية.
 - ٢- تميع هيمنة الإسلام على الأديان السابقة ونسخه لها.
 - ٣- محاولة إحياء مجمع الأديان (اليهودية والمسيحية والإسلام)، وهو المجمع الذي شجع السادات فكرته ومات قبل إقامته.
 - ٤- محاولة إخراج المسلم عن شخصيته الإسلامية المتميزة، وحصره في نطاق الفرعونية أو القومية العربية، أو غيرها.
- ولتحقيق هذا المخطط اليهودي عن (وحدة الأديان)، ((حاول المؤتمر إقامة صلاة واحدة مشتركة بين جميع الأديان، وهي صلاة الصمت في ظل جبل موسى -عليه السلام- وفي غير أوقات الصلاة الإسلامية، وتجنب الأذان)).
- ولكن المسلمين رفضوا الاشتراك- والحمد لله تعالى- في تلك الصلاة المزيفة.^(١)

(١) انظر د. أحمد غراب، رؤية إسلامية للإستشراق، ص ١٤٧-١٥٠.

الأسلوب الثالث

أساليب الاستمراء والنسوية.

وكانت تجاه مايلي:

أولاً : تجاه الدين وبعض قضاياها.

ثانياً : تجاه الأشخاص.

ج- أساليب الاستهزاء والسخرية :

تقدم في الفصل الأول ما قام به المشركون من أساليب الاستهزاء والسخرية والتي كانت موجهة لأمرين :

الأمر الأول : الدين وبعض قضاياها.

الأمر الثاني : الأشخاص . وتحتة:

أ- الرسول - ﷺ - .

ب- المدعوين.

وفي هذا العصر، استمر أعداء الدين على هذا النمط السيء، والمنهج الدنيء فاستهزوا بالدين وقضاياها وأتباعه، ليكثروا بذلك عن أنياب الحقد، وأضراس الضغينة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم.

أولاً : استهزأوهم بالدين وبعض قضاياه :

حينما كان المصطفى - ﷺ - يقرر للقرشيين أموراً عديدة جاء بها القرآن الكريم، كقضية الوعد والوعيد ويوم البعث والنشور، كان المشركون يقابلون تلك الحقائق بالاستهزاء والسخرية، وذلك نتيجة عدم إيمانهم بتلك الأمور والاعتراف بها.

ولم يخل هذا العصر من خصوم للإسلام ساروا على ذلك المنهاج، فقاموا بدون تورع ولا حياء يستهزؤون بالدين وبيعض قضاياه.

وقد أضحى هذا الاستهزاء، وتلك السخرية أمراً أساسياً ومهماً في تفكير الغرب.

يقول ((ليوبولد فايس- محمد أسد)) : [أصبح احتقار الإسلام جزءاً أساسياً من التفكير الأوربي، ومن هنا كان اتجاه الفرنسيين إلى العمل على تشكيك المسلمين في دينهم وتحقيره في نفوسهم وتحميله تبعة ضعفهم، وقد وصلوا في ذلك إلى نتائج أكثر مما يتوقعون، وذلك عن طريق تسميم عقول المسلمين بما يقولونه عن الإسلام]^(١).

ومما دوتته أقلامهم الفاجرة استهزاءً بالدين وسخرية منه. مايلس :

(١) يقول ((سيديو)) : [ويتصف الدين الذي بشر به محمد ببساطة تقضى بالعجب، فقد جاء جبريل في زي أعرابي وسأل النبي - ﷺ - على ما بني الإسلام ؟ فقال النبي : بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان، فقال جبريل : صدقت، وكان محمد يتكلم باسم الله على الدوام لتكون تعاليمه

^(١) نقلاً عن أنور الجندي، مقدمات في العلوم والمناهج، ٢٢١/١، دار الأنصار، القاهرة.

أعظم تأثيراً^(١). فهذا المستشرق يستهزأ بالإسلام ويأركانه العظام،
وبالمصطفى وجبريل عليهما السلام.
(٢) ويقول المستشرق الفرنسي ((رينان))^(٢):

[إن خواص النفس السامية التي منها العرب تتجلى في انسياق فطرتها إلى
التوحيد من جهة الدين وإلى البساطة في اللغة والصناعة والفن والمدنية، أما
النفس الآرية التي منها الأوروبيون فيميزها ميل فطري إلى التعدد وانسجام
التأليف] أي يريد أن يقول إن دين العرب على قدر عقولهم.^(٣)

ولم يتوقف استهزاؤهم إلى هذا الحد فحسب، بل هم حريصون كل الحرص
للتقليل من شأنه، والخط من قدره. ومامرّ معنا من أساليب الاتهامات الباطلة
لهو خير دليل، فقد زعموا كاذبين أن الإسلام ليس إلا مزيجاً مشوهاً مستقى
من أصول مسيحية ويهودية تلقاها الرسول - ﷺ - من أساتذته أحبار اليهود
ورهبان النصارى وقسسهم.

كما يصورونه بأنه عبارة من الأساطير الرائجة بين أهل مكة آنذاك.
إنهم من احتقارهم لهذا الدين الذي جاء ليهيمن على الدين كله، قالوا هذه
الأقوال، لأن الإسلام - في نظرهم الخاطي - لم يصل إلى تلك المرتبة التي
تُحوّله لأن يكون ديناً مستقلاً، أو ذو شريعة مستقلة وجديدة.

إن الباعث لهذا الاحتقار، والذي تولد منه الاستهزاء والسخرية، سوء النية
تجاه الإسلام وأهله، والتي فضحها جل وعلا في كتابه الكريم، بقوله: ﴿ولن
ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم...﴾^(٤).

(١) سيديو. تاريخ العرب العام، ص ٧٥.

(٢) هو: رينان أرنست، الفيلسوف، مستشرق فرنسي، ولد في مدينة تريجييه من أعمال بريتانيا بفرنسا سنة ١٨٢٣م. ودخل المدارس
اللاهوتية حيث برز فيها. وتضلع من اللغات الشرقية حتى صار من ثقافتها، ثم أخذ بمنهج حرية الفكر ورحل إلى المشرق ونزل
بلبنان، ومن آثاره: كتاب ابن رشد والرشديين، وتاريخ اللغات السامية، وكتاب حياة يسوع، توفي عام ١٨٩٢م. انظر
العقيقي، المستشرقون، ١/١٩١.

(٣) انظر الهراوي، المستشرقون والإسلام، ص ٦٤، ط: ١، ١٣٥٥هـ، مطبعة المنار، مصر.

(٤) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٢٠.

وبقوله : ﴿ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ .. ﴾^(١)، وبقوله : ﴿ .. وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا .. ﴾^(٢)، وبقوله : ﴿ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٣).

وبقوله : ﴿ وَذَاتِ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضْلُونَكُمْ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٤).

وفى هذه العجالة، سنعرض - إن شاء الله - لبعض استهزاء الخصوم في هذا العصر ببعض القضايا الدينية، والتي هي حقيقة لا مرية فيها.
فمن ذلك :

(١) استهزاؤهم بقضية البعث والنشور.

(٢) استهزاؤهم بقضية الوعد.

(٣) استهزاؤهم بقضية الوعيد.

(١) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٠٩.

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ٢١٧.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٠٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية رقم ٦٩.

١- استهزأؤهم بقضية البعث والنشور:

وقد سبقهم في ذلك كفار قريش، حيث سخروا من هذه الحقيقة واستهزؤا بها لاستبعادهم حصولها ووقوعها. ومن الآيات التي تحكي ذلك عنهم، قوله تعالى: ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾^(١).

جاء في سبب نزولها : أن أبي بن خلف، وقيل : العاص بن وائل. جاء النبي - ﷺ - بعظم حائل، ففته بين يديه، فقال : يا محمد أبيعث الله هذا حياً بعد ما أرم ؟ قال : نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم، ونزلت الآيات^(٢).

فهذا المشرك مع إنكاره وجحوده لهذه القضية، يستفهم عنها عن طريق الاستهزاء والسخرية.

وفي هذا العصر يتعرض بعض المستشرقين ليوم القيامة في كتاباته، ليتكلم عنه وعن أحداثه بكل استهزاء وسخرية.

فعلس سبيل المثال : ما كتبه ((هنرى ماسيه))،^(٣) في كتابه ((الإسلام)) في الفصل الرابع منه تحت عنوان ((يوم الحساب)) حيث يقول بكل استهزاء وسخرية :

[إن القرآن، في أجزاءه القديمة على الخصوص، مليء بالتلميحات للساعة الأخيرة، وبالأوصاف الشائقة للحوادث التي تعقبها، ولهذا كان على الناس أن يتوبوا دون تأخير. ومن الحق القول أن هذه القيامة تبدو مطلقة أقل مما تظهر لأول وهلة : وكان العرب الوثنيون يعتقدون أن الأموات يواصلون في القبر

(١) سورة يس، الآية رقم ٧٨.

(٢) انظر الطبري، جامع البيان، ٤٦٤/١٠. والسيوطي، أسباب النزول، ٣١٤. والحاكم، المستدرک، ٤٢٩/٢. وقال : على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٣) هنرى ماسه، مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة، وقد عين أستاذاً في جامعة الجزائر، ومديراً للمدرسة الوطنية للغات الشرقية، وعضواً في مجمع الكتابات والآداب، والمجمع الإيراني، والمجمع العلمي العربي بدمشق. من آثاره : صنف كتاباً بعنوان الإسلام، وحقق جزءاً من فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ولد عام ١٨٨٦ م وتوفي عام ١٩٦٩. انظر العقيقي، المستشرقون، ٢٧٣/١.

نوعاً من الحياة الناقصة، وقد تبنى الإسلام هذا الاعتقاد : ومن هنا جاءت المحاكمة التي يقوم بها الملاك بعد الموت، وهي محاكمة تجعل من القبر ((جحيماً أوجنة تمهيدية)). وفى القرآن تطبق المحاكمة الأخيرة على أفراد وليس على جماعات (وهو تأثير مسيحي حسب رأي ولهوسن) ^(١) .

ولم يشر القرآن إلا إلى عدد قليل من العلامات المنبئة، ولكن هذه المقاطع درست وأُمنيت بشكل واسع : وإذا كان علماء الدين قد بدوا أنهم كثيروا القناعة فإن علماء الحديث والمؤلفين القدوة كدسوا التفاصيل. وقبل تعداد هذه العلامات يجب الملاحظة أن يوم الحساب الأخير ليس عاماً : فقد جاء مثلاً في بعض الأحاديث أن بضعة آلاف من المؤمنين سوف يدخلون الجنة دون حساب : وأرواح المحاربين المقتولين في الحرب المقدسة [والمعتبرين شهداء] يبدو أنها تكون فيها قبلاً. وأول علامة دالة على نهاية العالم هي ازدياد الكفر بين الناس : فمسجد مكة سيختفي، والقرآن سينسى، وسيظهر حينذاك ملهم من الله، هو المهدي مسيح المسلمين الذي سيوطد العدالة والإيمان في العالم لفترة من الزمن... ثم يسترسل عن هذا اليوم ويقول : وهناك علامات أخرى تسبق فناء الكون وقد اخترعت لاحقاً. فعند أول نفخة في بوق (صور) الملاك إسرافيل تدخل الطبيعة في حالة تشنج ويهرب البشر هائمين على وجوههم، وعند النفخة الثانية يموت جميع البشر. وسيتبع هذا الموت العمومي دور مدته أربعون سنة ((المدة الفاصلة))، وفى نهايته يسبق الطوفان نداء البوق الثالث داعياً المخلوقات إلى البعث العام والتجمع في أورشليم لأجل الحساب الأخير : وهو يوم يعادل ألوف السنوات، وستنقف المخلوقات عرايا أمام الله تحرقهم شمس حادة، ويسبحون بالعرق، ويحمل كل منهم كتاب أعماله، وسيستجوبهم الله الواحد بعد الآخر، ويزن أعمالهم، ثم يجتازون جسراً (الصراط) ملقى فوق جهنم وموصلاً إلى الجنة، وهو رقيق

(١) يوليوس ولهوسن، مستشرق ألماني، كان من أساتذة مدرسة غوتنجن، صنف بلغته كتاباً في ((تاريخ الدولة الأموية)) ودين العرب في الجاهلية، ونشر بالعربية، مع ترجمة ألمانية. كان مولده سنة ١٢٦٠ هـ، ووفاته ١٣٣٦ هـ. انظر : الزركلي، الأعلام، ٨/٢٦٠.

كالشعرة وقاطع. (١)

هكذا يعرض ذلك المستشرق، أحداث ذلك اليوم العظيم بسخرية واستهزاء يلحظهما من يدقق النظر في عباراته وأسلوبه.

٢- استهزأوهم بقضية الوعد :

وقد حصل الاستهزاء في هذه القضية من قبل كفار قريش، حيث لم يستسيغوا حصول تلك الوعود ووقوعها، ذلك أنها مؤقتة فيما بعد البعث والنشور وحساب الخلائق على أعمالهم والذي لم يسلموا به فكيف بما بعده.

ومما جاء في استهزائهم ذلك، ما أخبر الله- تعالى- عنهم بقوله: ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطانا قبل يوم الحساب ﴾. (٢)

فهم إنما طلبوا ذلك من قبيل الاستهزاء بذلك الوعد. لأن الله- تعالى- لما حكى قولهم ذلك أتبعه بقوله لنبيه- ﷺ- ﴿ اصبر على ما يقولون ﴾، (٣) فلو لم يكن سؤالهم ذلك على سبيل الاستهزاء، وأن فيه أذى للنبي ﷺ- لم يكن جل وعلا- بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه. (٤)

أما الخصوم في هذا الزمان فقد عرضوا لهذه القضية، باستهزاء بالغ، وسخرية قوية، ويتمثل ذلك فيما يلي :

(أ) يقول هنري ماسيه في كتابه ((الإسلام)) عند حديثه عن الجنة :
[أما الجنة فقد قسمها التقليد أيضاً إلى عدة أقسام (يحمل أحدها اسم الفردوس وهو مستعار من الفارسية ويمائل ((باراديسوس)) الإغريقية)، ويكاد يكون مما لا فائدة منه الإلحاح على صفتها الشهوانية والذنيوية كما ذكرت في آيات القرآن نفسها، وقد رأى علماء الدين المسلمون في ملذاتها رموزاً لا تتحد في

(١) هنري ماسيه، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، ص ١٤٤-١٤٦، منشورات عويدات، ط : ٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٧. بيروت. باريس.

(٢) سورة ص، الآية رقم ١٦.

(٣) سورة ص، جزء من الآية رقم ١٧.

(٤) انظر الطبري، جامع البيان، ٥٦٠/١٠.

الجوهر مع الأشياء الأرضية التي تحمل الاسم نفسه : فالحور، أولئك العذارى ذوات العيون السود اللواتي يبقين تحت تصرف المختارين ويبقن مع ذلك عذارى، سوف يكنّ من جوهر آخر غير جوهر بنات البشر، والقرآن يمثلهن بريئات من الدنس الجسدي وعدم الكمال الأخلاقي، وأن يتوسع بأوصافهن التي أسهب فيها المؤلفون بعد ذلك، رأى بعضهم في هذه الحوريات استعارة من المزدكية. ويضاف إلى هذه المخلوقات أرائك مريحة وجميع ملذات المائدة، ويوجد عدا ذلك مياه جارئة وأنهار من لبن وعسل وخمر (سلسبيل، زنجبيل، كوثر)، وهي تذكارات لأنهار الجنة اليهودية أو المسيحية المصنوعة لإدخال الانشراح إلى نفوس سكان البلاد التي ينقصها الماء، وقد بشر بها المؤمنون.

وَقِسْمَةُ الْجَنَّةِ إِلَى ثَمَانِيَةِ طَوَابِقٍ (أَكْثَرُ مِنْ الْجَحِيمِ بِوَاحِدٍ) هِيَ عَمَلٌ لَاحِقٌ، وَفِي الْقِمَّةِ تَنْمُو زَهْرَةٌ لَوْتَسٌ فَتَحْدِدُهَا وَتُظَلِّلُهَا، وَتَتَضَمَّنُ الْجَنَّةُ، عِدا النسخة الأصلية للقرآن، الكتب التي سجلت فيها أعمال الناس وبعض الأشياء التي تستعمل يوم الحساب. وتلك الطوابق الثمانية تتركز على بحار تمتد فوق السموات، وفي أعلى الجنة يوجد عرش الله.^(١)

وهذا الاستهزاء من هذا الوعد واضح وجلي من خلال حديثه عن درجات الجنة وما فيها من الحور والأنهار المتنوعة.

(ب) ويقول المستشرق الفرنسي ((برينو))^(٢) في مقدمة كتابه الذي يدرسه للطلبة الفرنسيين باللغة العربية : ((لا تظن أنني سأعلمك لغة القرآن فهذه اللغة قد ماتت ولا يتكلم بها أحد، فهي لاتينية العربي، وهي اللغة المستعملة في جنة محمد، وسأحبب إليك دراستها في المستقبل إذا أردت أن تتذوق حلاوة الاجتماع بالحور العين))^(٣).

^(١) انظر هنري ماسيه، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، ص ١٤٧-١٤٨.

^(٢) لم أعتز على ترجمة له.

^(٣) انظر اهراري، المستشرقون والإسلام، ص ٦٦.

وهذا هو الآخر يسخر ويستهزأ من وعد الله- جل وعلا- لعباده المؤمنين وما أعد لهم في الجنة من الحور العين.

٣- استهزأؤهم بقضية الوعيد :

وهذه القضية أيضاً لم تسلم من استهزاء مشركي قريش، فهم إذا ما سمعوا مثل ذلك الوعيد سخروا واستهزؤوا إنكاراً منهم أن يصيبهم ذلك، أو ينالهم. فعلى سبيل المثال :

حينما ذكر الله- عز وجل- شجرة الزقوم فيما ذكره من وعيد المشركين وعذابهم، كقوله تعالى : ﴿أذلك خير نزلًا أم شجرة الزقوم، إنا جعلناها فتنة للظالمين. إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. طلعتها كأنه رؤوس الشياطين فإنهم لا ياكلون منها فمالون منها البطون﴾^(١) وكقوله: ﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لا تكونون من شجر من زقوم، فمالون منها البطون﴾^(٢).

سخر المشركون من هذا الوعيد واستهزؤوا، فكان أبو جهل يقول : يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا، قال : عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكننا منها لنتزقمنها تزقماً^(٣)، فأنزل الله تعالى : ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم. كالمهل يغلى في البطون كغلي الحمير﴾^(٤)،^(٥) ونجد الخصوم في هذا العصر، يسرون على هذا الدرب من الاستهزاء والسخرية فالمستشرق ((هنري ماسيه)) يقول في كتابه ((الإسلام)) عن جهنم مستهزئاً وساخرأً : ((وقد قسم المفسرون جهنم

(١) سورة الصافات، الآيات من رقم ٦٢-٦٦.

(٢) سورة الواقعة، الآيات من رقم ٥١-٥٣.

(٣) تزقّم : ابتلع.

(٤) سورة الدخان، الآيات من رقم ٤٣-٤٦.

(٥) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٣٣/٤، والسيوطي، أسباب النزول، ص ٣٣٣، وابن هشام، السيرة النبوية، ١٦/٢

المسلمة إلى سبع دوائر على نسق الجحيم عند الإغريق والآشوريين وفي العصور الوسطى المسيحية)).

ويشار إلى جهنم في القرآن تارة بكلمة نار (وهو اسم بالنسبة للجنس) وطوراً بكلمة جهنم، وجهنم هذه تبدو كأنها متحركة ويتخيلها بعض المفسرين كنوع من المسخ على نسق الجحيم التي تصور في مشهد الغوامض في القرون الوسطى في الغرب. وتوجد في الطابق الأخير شجرة الزقوم (أزهارها رؤوس شياطين)، وحلة من القطران في حالة الغليان، وبئر دون قعر، ولا يكاد القرآن يتكلم عن العذاب الجهنمي الذي سيصفه المؤلفون اللاحقون. والخاصة، فإن كل هذا مشتق من الأساطير اليهودية)).^(١)

^(١) هنرى ماسيه، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، ص ١٤٦، ١٤٧.

ثانياً: استهزأؤهم بالأشخاص :

ويشمل :

أ- الرسول - ﷺ -.

ب- المدعوين.

لقد برز هذا الأسلوب الرديء عند المعارضين والمنحرفين في كل عصر وقطر، حتى أشار القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى هذا اللون من السلوك الذي يتحلى به المناوون للدعوة والمنحرفون عن طريقها.

قال الله تعالى : ﴿ ولقد استهزئ به برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾^(١)، وقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن ﴾^(٢)، وقال تعالى : ﴿ وكم أرسلنا من نبي في الأولين، وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزؤن ﴾^(٣).

كان هذا الاستهزاء حاصلاً من المعارضين للأنبياء السابقين عليهم صلوات الله وسلامه، ولقد تحمل نبينا محمد - ﷺ - أذى مشركي مكة من استهزائهم به وبدينه واتباعه من الفقراء والعبيد والضعفة والمساكين وخاصة في بداية الدعوة، وفي هذا حرب نفسية كبيرة من هؤلاء المعارضين لهذا النبي، لعل هذا الأسلوب الذي سلكوه يردده عن الاستمرار في الدعوة الجديدة والبشارة لها، وأنى لهم ذلك لأن هذا النبي الجديد الخاتم مرسل من عند الله - تعالى - ومؤيد بالبراهين والمعجزات، ورَبِّي تربية خاصة ومزيدة.

قال تعالى : ﴿ وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً. أهذا

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ١٠.

(٢) سورة الحجر، الآيات رقم ١٠-١١.

(٣) سورة الزخرف، الآيات رقم ٦-٧.

الذي يذكر المتكبر. وهم بذكر الرحمن هم كافرون ﴿١﴾.

إن المشركين يلقون رسول الله ﷺ بالهزاء، يستكثرون عليه أن ينال من أصنامهم تلك، ولا يستكثرون على أنفسهم - وهم عبيد من عبيد الله - أن يكفروا به، ويعرضوا عما أنزل لهم من قرآن وهي مفارقة عجيبة تكشف عن مدى الفساد الذي أصاب فطرتهم وتقديرهم للأمور.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِتَّخَذُوكَ لِأَهْزَاءٍ. أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ

رَسُولًا ﴿٢﴾.

لقد كان محمد ﷺ ملء السمع والبصر بين قومه قبل بعثته، فقد كان عندهم ذو مكانة من بيته، وهو من ذروة بني هاشم وهم ذروة قريش، وكان عندهم ذو مكانة من خلقه، وهو الملقب بالأمين، ولقد ارتضوا حكومته بينهم في وضع الحجر الأسود قبل البعثة بزمن طويل، ويوم دعاهم على الصفا فسألهم أصدقونه لو أخبرهم أن خيلاً بسفح هذا الجبل قالوا: نعم أنت عندنا غير متهم.

ولكنهم بعد البعثة، وبعد أن جاءهم بهذا القرآن العظيم راحوا يهزؤون به ويقولون ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا...؟﴾ ﴿٣﴾ وهي قولة ساخرة مستنكرة، أكان ذلك منهم بأن شخصه الكريم يستحق منهم هذه السخرية. وأن ما جاءهم به يستحق منهم هذا الاستهزاء؟ كلا إنما كانت تلك خطة مدبرة من كبراء قريش للتصغير من أثر شخصيته العظيمة، ومن أثر هذا القرآن الذي لا يقاوم، فكانت وسيلة من وسائل مقاومة الدعوة الجديدة التي تهددهم في مراكزهم الاجتماعية، وأوضاعهم الاقتصادية، وتجردهم من الأوهام والخرافات الاعتيادية التي تقوم عليها تلك المراكز وهذه الأوضاع ويستمر

(١) سورة الأنبياء، الآية رقم ٣٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية رقم ٤١.

(٣) جزء من الآية السابقة.

هذا الأسلوب مع أولئك المعارضين للدعوات الصحيحة، ويخبرنا القرآن الكريم عن سلوك بعض من المجرمين مع نفر من المؤمنين في الاستهزاء بهم والسخرية منهم والضحك عليهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثَوْبَ الْكُفَّارِ مَا كَانَ يَفْعَلُونَ﴾^(١).

قال القرطبي^(٢): المراد رؤساء قريش من أهل الشرك فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم الوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، كانوا يضحكون ويسخرون ويستهزؤون من أصحاب محمد - ﷺ - مثل عمار بن ياسر وخباب بن الأرت وصهيب الرومي وبلال بن رباح وغيرهم رضوان الله عليهم^(٣)، فهؤلاء المشركون لم يشكروا نعمة الله عليهم بل أخذوا واشتغلوا باحتقار المؤمنين وحسدهم والسخرية منهم لكونهم على غير دينهم^(٤). وهذه المشاهد التي يرسمها القرآن الكريم لسخرية الذين أجمروا من الذين آمنوا، وسوء أدبهم معهم، وتناولهم عليهم، ووصفهم بأنهم ضالون، مشاهد منتزعة من واقع البيئة في مكة، ولكنها متكررة في أجيال، وفي

(١) سورة المطففين، الآيات من رقم ٢٩-٣٦.

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الحزرقي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمينة ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي فيها سنة ٦٧١هـ. من كتبه: الجامع لأحكام القرآن، عشرون جزءاً يعرف بتفسير القرطبي، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة، وغيرهما. انظر: الزركلي، الأعلام ٥/٣٢٢.

(٣) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٩/٢٦٧.

(٤) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٤٨٧.

مواطن شتى وكثيراً من المعاصرين شهدوها كأنما هذه الآيات قد نزلت في وصفها وتصويرها، مما يدل على أن طبيعة الفجار والمجرمين واحدة متشابهة في موقفها من الأبرار في جميع البيئات والعصور.

إنهم كانوا يضحكون من الذين آمنوا استهزاءً بهم، وسخرية منهم، إما لفقرهم وراثته حالهم، وإما لضعفهم عن ردّ الأذى، وإما لترفعهم عن سفاهة السفهاء، فكل هذا مما يثير ضحك الذين أجرموا، وهم يتخذون المؤمنين مادة لسخريتهم، أو فكاهتهم المرذولة، وهم يسلطون عليهم الأذى ثم يضحكون الضحك اللئيم الوضيع مما يصيب الذين آمنوا، وهم صابرون مترفعون متجملون بأدب المؤمنين ويغمز بعض المجرمين لبعض بعينه أو يشير بيده، أو يأتي بحركة متعارفة بينهم للسخرية من المؤمنين، وهي حركة وضيعة واطية تكشف عن سوء الأدب، والتجرد من التهذيب بقصد إيقاع الانكسار في قلوب المؤمنين، وإصابتهم بالخجل والريبة. وهؤلاء الأوغاد يتغامزون عليهم ساخرين.^(١)

وقد حفل عصرنا الحاضر بألوان كثيرة من استهزاء بعض الظالمين، بالمصطفى - ﷺ - وأتباعه من المسلمين، وسأتحدث - إن شاء الله - عن كل واحد من هذين على حدة.

^(١) انظر المرجع السابق، ٢٨١١/٦

١- استهزاءؤهم بالمصطفى - ﷺ - :

يغلب على خصوم الدعوة في هذا العصر النظر للمصطفى - ﷺ - نظرة ازدراء وتقص، واستهزاء واحتقار، وإلا لما وصفوه بتلك الصفات الدنيئة والتي مرّت معنا في أساليبهم الاتهامية الباطلة، حيث كانت سلسلة ممتدة مع تلك الاتهامات القرشبية في العهد المكي.

إنهم ينكرون رسالته، ويزعمون أنه مجنون، بل يقولون شاعر، كاهن، ساحر. إن المصطفى - ﷺ - في نظر أولئك الحاقدين ليس له ميزان، وليس له قدر أو شأن، ولو كان الأمر غير ذلك لما صدرت تلك الافتراءات الظالمة التي سطروها في كتبهم ورسائلهم وتناقلوها في مجتمعاتهم وأنديتهم. لقد بلغوا بالاستهزاء به والسخرية منه أيّ مبلغ وارتقوا في ذلك إلى أعلى درجة، والنماذج على ذلك عديدة وكثيرة، منها :

(أ) يقول هنري ماسيه المستشرق، في كتابه ((الإسلام)) : ((ومن المسموح به الكتابة أن السيرة التقليدية قد حولت جزئياً شخص محمد : فمع أن النبي قد أعلن عدة مرات أنه ليس سوى رجل كالآخرين، فإن السيرة أدخلت أشياء خارقة في تاريخ حياته، بشكل تستطيع فيه أن تجعله مساوياً لموسى والمسيح. وبهذا أصبح محمد مثال الكمال رغم ضعفه الذي اعترف هو به قبل الجميع))^(١).

فهذا المستشرق الحاقد قد نمّق عبارات فيها استهزاء بالمصطفى - ﷺ - ناتجة عن احتقاره له، وأنه لم يصل ولن يصل إلي مستوى موسى وعيسى، بل هو كأى رجل عادي، وهذا إنما كان باعترافه وإقراره.

(ب) ويتكلم المستشرق الألماني ((هرمان اشتيبلكر))^(٢) في كتابه عقائد الإسلام عن خاتم النبوة الموجود بين كتفيه - ﷺ -، ويروي مستهزئاً أنه

(١) هنري ماسيه، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، ص ٤٠.

(٢) لم أعثر على ترجمة له.

عبارة عن شيء منتفخ بين كتفيه، ويضيف إلى ذلك : ((إن محمداً كان يكشف بسرور بالغ عن هذا الحاتم للزائرين الذين يبدون اهتماماً بذلك، وأنه قد رفض إزالة هذا الانتفاخ عن طريق عملية جراحية))^(١).

وهذا الآخر يزعم متهماً أن محمداً - ﷺ - قد أبعد النجعة في تفسير الانتفاخ الذي بين كتفيه، فهو مغتبط ومسرور به، وقد حدا به ذلك إلى عرضه لكل من يزوره، بل هول الفرحة جعله يحتفظ بذلك الانتفاخ فلا يمسه أحدٌ ولو على سبيل البر والعلاج.

(١) نقلاً عن د. محمود حمدي زقزوق، الإسلام في الفكر الغربي، ص ٣٦، ٣٥.

١- الاستهزاء بالدعويين :

دأب الأعداء في كل عصر، على أن يستهزؤا بكل من ينتمي إلى الدين ويخالف طريقتهم وملتهم.

فتراهم يسخرون منهم لانقطاعهم عن تلك الشهوات الدنيوية، والمتع الحسنة، وتعلقهم بثواب لا يعلم عن تحقق وقوعه- بحد زعمهم-.

كما تراهم يسخرون- أيضاً- من تمسكهم بشعائر ذلك الدين، واتصافهم بصفاته والتي تدل دلالة واضحة على قضية الإتياع والانقياد.

وهذا الاستهزاء وتلك السخرية، إنما هي نتيجة ظن أولئك بأنهم قد حازوا الصفات الرفيعة، والسمات العالية. أما غيرهم فهم أهل النقص والقصور.

كما يرون أنهم أهل الحضارة والتقدم، وغيرهم أهل الرجعية والتخلف، وهذا هو الاحتقار، والذي تولد منه ذلك الاستهزاء، وتلك السخرية.

وعلى سبيل المثال : ما يفعله المبشرون في مصر حيث أوعزوا إلى أجهزة الإعلام بالسخرية من علماء الأزهر عن طريق الأفلام والمسرحيات التي تظهر ابن الأزهر في صورة رثة مضحكة، وذلك حتى يضعف تأثيره في الناس، وكانت هذه خطة اليهود التي تحدثوا عنها في البروتوكولات^(١).

(١) انظر سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة، ص ٤٧.

المطلب الثاني :

مظاهر أساليب مشركي مكة العملية في العصر الحاضر :

لم يكتف أعداء الإسلام في هذا العصر بالمواجهة القولية فحسب، بل دعموا ذلك بالمواجهة العملية والتي كانت مثلاً للشراسة التي ليس لها في تاريخ البشرية مثيل، وقد كان من أبرز أساليبهم في ذلك والتي جاءت على نمط أساليب المشركين، مايلي :

أ- أسلوب التعذيب.

ب- أسلوب القتل.

وسنعرض لكل من هذين الأسلوبين بعضاً من النماذج الحية والتي هي في مسرح الواقع، أسأل الله أن يفرج للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ويكتب لهم النصر المؤزر العاجل.

أ- أسلوب التعذيب :

إنّ من ضمن الأساليب القرشية العملية العدائية تجاه أتباع هذا الدين، أسلوب التعذيب، والذي قاموا به مرات عديدة، وبصور مختلفة سبق عرضها والحديث عنها في الفصل الأول.

وفي هذا العصر يواجه المسلمون المستضعفون في بقاع من العالم اليوم موجات كثيرة من التعذيب والأذى والعنت، ولا أدلّ على ما يلاقيه المسلمون في بلاد البوسنة والهرسك من أعدائهم الصرب النصارى.

ففي مدينة دوبوي قامت القوات الصربية غير النظامية برش المبيدات الحشرية على الخبز، وأجبرت أولاد المسلمين على أكله ممّا أدى إلى إصابتهم بأمراض شديدة.

وبالقرب من مدينة توزلا شرقي البوسنة رأى شاهد عيان مجموعة من الفتيات المسلمات وهنّ مجردات من ملابسهنّ ومقيدات بالسلاسل، ومربوطات بالسور، وبعد ثلاثة أيام من عمليات الاغتصاب المتواصل لهنّ، قال الشاهد : إنه تمّ سكب الجازولين عليهنّ ثمّ أشعلت فيهنّ النيران^(١) وفي إحدى المدن البوسنية قام الصرب بجمع الشيوخ والأطفال والنساء، ثم قاموا باغتصاب النساء أمام أبنائهن ورجالهن بعد ما قتلوا أزواجهن، حتى ظنّت امرأة مسلمة اسمها ((عالمة)) ظل خمسة عشر رجلاً صربياً يغتصبونها بالتناوب حتى ماتت أمام أطفالها، واغتصب المجرمون فتاة عمرها ١٢ سنة أمام جدتها ووالدتها، لكن الجدة لم تحتمل هذا المشهد فماتت على الفور، ثم قاموا بنزع اثني عشر طفلاً من أمهاتهم، وألقوا بهم في خلاطة للأسمنت مزجت لحومهم وعظامهم بالأسمنت أمام أعين أمهاتهم.

وفي مدينة أخرى أخذ الصرب النصارى عدداً كبيراً من الأطفال البوسنيين وصلبواهم على الأشجار ودقوا في أيديهم وأرجلهم مسامير، وتركوهم ينزفون

(١) انظر ماجد بن محمد الحسيني، قصص وصور من الحقد الدفين في بلاد البوسنة والهرسك، ص ٦٧، ط : ١، مكتبة الأرقم،

دماء أمام أعين أمهاتهم ويقومون بجمع النساء والأطفال في جانب، والرجال في جانب، ويغتصبون النساء أمامهم ثم يقوموا بقتل الرجال أمام النساء والأطفال، ثم يقتلون الأطفال أمام الأمهات ثم يقضى على النساء من كثرة الاغتصاب. ^(١)

وفى مدينة برتشكو البوسنية وفيها حوالي أكثر من عشرين ألف مسلم استطاع الصرب النصارى المتطرفون إخراج المسلمين من هذه المدينة من بيوتهم، وبعد خروج المسلمين المستضعفين من بيوتهم قتلوا منهم أكثر من ألف مسلم، وقادوا منهم مجموعات أخرى إلى معتقلات جماعية ^(٢).

وفى مدينة فوتشيا وغالبية سكان المدينة مسلمون، ويبلغ تعدادهم حوالي عشرين ألف، جرى فيها أعمال وحشية ومنكرة لم تشهدا منطقة في العالم، من حيث أن الغالبية العظمى لمسكن المسلمين سرقت ثم أحرقت، وأخرج أهاليها بالقوة وقتل منهم مئات كثيرة بل قام الصرب النصارى بحجز المجموعة التي حاولت الهروب من الجحيم الصربي، وحاولوا إلقاء القبض على كل المسلمين من ذوي المكانة العالية أمثال الأئمة وأعضاء المشيخة الإسلامية والمفكرين والعلماء من المسلمين واستطاعوا إلقاء القبض على إمام المدينة وقاموا بذبحه والتمثيل بجثته وأقاموا معتقلات جماعية في المدينة، وأعدوا لهم محاكم عسكرية، وقادوا آلاف المسلمين إليها بإصدار أحكام القتل على الشخصيات الإسلامية.

وأما في الفلبين :

فخير ما يمثل حال المسلمين في الفلبين تصريح رئيس جبهة تحرير مورو الإسلامية ومنه :

إن وضع المسلمين في الفلبين اليوم خطير جداً حيث يتعرضون لأبشع أنواع الظلم والاضطهاد من قبل السلطات الفلبينية، والتي تقوم بمحاولة القضاء على

^(١) انظر المرجع السابق، ص ٥٠ - ٥١.

^(٢) المرجع السابق، ٣٠ - ٣١.

مسلمي الفلبين بشتى الوسائل وخاصة في جنوب الفلبين والتي يتركز فيها المسلمون، فالنصارى في الفلبين يهدفون إلى عزل المسلمين الواعين عن ممارسة حقوقهم السياسية، وإسناد جميع المناصب إلى النصارى ومن في حكمهم.

وقد قَدِّمَت الفلبين بين عامي (١٣٩٢ - ١٤٠٤ هـ / ١٩٧٢ - ١٩٨٤ م).

- ٣٠ ألف شهيد معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن.
 - استرقاق ستة آلاف مسلمة على أيدي الجنود الفلبينيين.
 - تشريد أكثر من مليوني مسلم.
 - فرار حوالي ٣٠٠ ألف نسمة واضطرا رهم إلى الهجرة إلى البلاد المجاورة.
 - إحراق ٣٠٠ ألف بيتاً من بيوت المسلمين.
 - إحراق ٦٠٠ مسجد و ٣٠٠ مدرسة إسلامية.
 - تدمير ١٠٠ قرية ومدينة إسلامية.
 - اغتصاب معظم أراضي المسلمين الخصبة.
 - تدمير أكثر من ٥٠٠ مسجد للمسلمين.^(١)
- وواقع الأداة الإسلامية يعجّ بالمآسي والجراح، وحسبنا أن نذكر بعض ما حدث لبعض المسلمين في الواقع لتتضح الصورة.
- إن ما وقع مع الوثنيين الهنود عند انفصال باكستان لا يقل شناعة ولا بشاعة عما وقع من التتار في بغداد.
- إن ثمانية ملايين من المهاجرين المسلمين من الهند، ممن أفرعتهم الهجمات البربرية المتوحشة على المسلمين الباقين في الهند، فآثروا الهجرة على البقاء، فقد وصل منهم إلى أطراف باكستان ثلاثة ملايين فقط، أما الخمسة ملايين الباقية فقد لقوا حتفهم في الطريق بعد ما طلعت عليهم العصابات الوثنية المنظمة، حيث ذبحتهم كالخراف على طول الطريق، وتركت جثثهم نهياً للطير والوحش بعد التمثيل بها بشناعة منكورة.

(١) انظر د. جميل عبد الله محمد المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضاياها المعاصرة، ١/ ٢٩٦ وما بعدها ط : ١ المدينة المنورة

١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.

أما المأساة البشعة المروعة المنظمة فكانت في ركاب القطارات الضخمة التي تنقل الموظفين المسلمين في دوائر الهند إلى باكستان، فقد اجتمع في هذه القطارات خمسون ألف موظف ودخلت القطارات في ممر خبير، وخرج من الناحية الأخرى وليس به إلا الأشلاء الممزقة المتناثرة. لقد أوقفت القطارات عصابات هندية مدربة، ولم تسمح لها بالمرور إلا بعد تحول الركاب إلى دماء وأشلاء. وما تزال عمليات الإبادة والتعذيب الوحشي التي من أمتلتها إلقاء المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً في مفارم اللحوم التي تصنع المعلبات ليخرجوا من الناحية الأخرى عجينة من اللحم والعظام.^(١)

^(١) انظر أحمد فاتر، طريق الدعوة في ظلال القرآن، ١/١١٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ب - أسلوب القتل :

كما أن من ضمن تلك الأساليب العملية العدائية والتي نفذها مشركو قريش أسلوب القتل، والذي لم يكن بتلك الكثافة التي عليها أسلوب التعذيب. لكن في هذا العصر تضاعف هذا الأسلوب، حيث أتى على مئات الألوف من المسلمين، حيث يواجهون اليوم في بعض بقاع المعمورة حرباً شعواء، وهجمات شرسة من أعدائهم، وخاصة من اليهود والنصارى والبوذيين ومن شاكلهم وقد لا يتسع المقام لذكر الشواهد على ذلك، ولكننا نكتفي بالتدليل بذكر بعض النماذج:

ففي سراييفو عاصمة بلاد البوسنة والهرسك وفي غيرها من المدن الأخرى تدار رحى تلك الحروب الضروس بين النصارى المتطرفين وبين المسلمين المجريدين، فقد ذبحت المليشيات الصربية النصرانية الحقودة في مدينة تيبانوا ثلاثة آلاف مسلم كلهم من المدنيين، وهي أول مدينة تسقط في أيدي الصرب^(١).

وقد بلغت إحصائية في أول عام ١٤١٣هـ أن الجيوش الصربية احتلت أكثر من ٨٠٪ من أراضي البوسنة والهرسك وعلى ٩٠ بلدية من ١٠٩ بلدية فيها وقد قتل أكثر من أربعين ألف مسلم، واختفى أكثر من عشرين ألف مسلم وهاجر أكثر من مليون ونصف مليون مسلم وتم أسر أكثر من مائة ألف مسلم^(٢).

وفي إحدى المدن البوسنية أحضروا أحد أئمة المساجد هناك أمام الناس وطلبوا منه أن يشرب الخمر، فلما رفض ذبحوه ذبح الخراف أمام الجميع^(٣). وفي مدينة الترنوفو قتل الصرب النصارى ألفين مسلم، وفي مدينة فوتشا الإسلامية والشهيرة بالمساجد وآثارها الدينية قتلوا حوالي ثلاثة آلاف مسلم.

(١) انظر ماجد بن محمد الحسيني، قصص وصور من الحقد الدفين في بلاد البوسنة والهرسك، ص ٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٩.

ويقدر عدد القتلى على أرض جمهورية البوسنة والهرسك ألف مسلم يومياً تقريباً.^(١)

وفي مدينة فرجا قام الصرب النصارى بإدخال المسلمين إلى منازلهم، وحرقت المنازل بالكامل بعد أن منعواهم من الخروج، ومن يحاول الفرار يذبح كالشياه على قارعة الطريق.

أما إمام المسجد بالمدينة فقد قام الصرب بذبحة أمام باب المسجد ومثلوا بجثته.^(٢)

وفي مدينة فيشغراد قام الصرب النصارى بقصف أحياء المدينة بالمدفعية، وعندما استجاب بعض السكان لنداءات الجيش الصربي، وسلموا أسلحتهم قام قادة الجيش بإطلاق النار على الجميع مما أدى إلى مقتل أربعمئة مسلم.^(٣)

وفي مدينة براتوناس قتل الصرب النصارى أكثر من ثلاثمئة مسلم وألقوا بجثتهم في نهر درينا، وعثر في المدينة على عدة مقابر جماعية للمسلمين تم دفنهم أحياء، ومن بين هذه المقابر مقبرة جماعية لفتيات مسلمات عاريات تم التمثيل بجثتهن بعد انتهاك أعراضهن.^(٤)

وفي مدينة برجكو عثر على جثة مائة امرأة مسلمة وهن عاريات وامتلات شوارع المدينة بأكثر من ثمانمئة جثة، كما وجدت جثث أطفال مقطعة بعد أن وضعها الصرب الحاقدون في خلاطة الإسمنت.^(٥)

وفي مدينة براتوناس -أيضاً- قام الصرب النصارى بجمع الرجال في صفوف ثم نادوا على إمام المسجد ليقف أمامهم، ثم أمروه أن يشير بعلامة الصرب - علامة التثليث - وهي تعنى عندهم الخروج عن الإسلام، ومفارقة جماعة المسلمين والارتداد عن الدين.

(١) المرجع السابق، ص ٥١ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦ نقلاً عن مجلة الدعوة السعودية عدد رقم ١٣٥١.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٧ نقلاً عن مجلة الدعوة السعودية عدد رقم ١٣٥١.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٩.

(٥) المرجع السابق، ص ٦٩ نقلاً عن مجلة الدعوة السعودية عدد رقم ١٣٥١.

وقد خاف الشيخ أن يفتن المسلمين من بعده إن فعل ما طلب منه لأن شباب المسلمين كانوا يرون في هؤلاء الأئمة قدوة في الصبر على الشدائد والمحن والمجاهدة والاستعصام بالعقيدة والدين، فما كان منه إلا أن رفض في عزة وشجاعة أن يشير بالعلامة على النحو الذي طلب منه، ففقد الصرب أعصابهم أمام مقاومة الشيخ وصموده، فقاموا بذبحه أمام مواطنيه المسلمين، ولم يقفوا عند هذا الحد بل قاموا باقتياد ابنه وأبيه، فذبحوا الابن، وأمروا الجد أن يشرب دم حفيده الصغير.^(١)

ويعنى الصرب النصارى في أعمالهم العدوانية والتخريبية في بلاد البوسنة والهرسك بأمور في مقدمتها :

١- الهدم المستمر والتدمير المقصود للمآذن والمساجد والكتاتيب والمدارس.

٢- البدء بتعذيب أئمة المساجد والمؤذنين وإهانتهم.

٣- القيام بعمليات اغتصاب جماعية للنساء المسلمات.

وقد ذكرت منظمة العفو الدولية ومحققو المجموعة الأوربية في تقاريرهم التي نشرت مؤخراً أن جنود الصرب قد اغتصبوا أكثر من خمسين ألف امرأة مسلمة في حين تشير تقارير أخرى أن العدد يتجاوز هذا الرقم بكثير، وذلك كجزء من حملة لإرهاب المواطنين، ولحملهم على الفرار من منازلهم وقراهم ومدنهم.

٤- الضغط على المواطنين لإرغامهم على تسليم أطفالهم لمنظمات مشبوهة بحجة إنقاذهم.^(٢)

^(١) سرايفو ((فصول من المأساة))، إعداد: المركز الإعلامي في لجنة أسبوع البوسنة والهرسك التابع للهيئة العليا لجمع التبرعات-

لمسلمي البوسنة والهرسك بالرياض، ٣٨ وما بعدها، ط: شركة ألوان للطباعة، الرياض ١٤١٤هـ.

^(٢) انظر المرجع السابق، ٥١ وما بعدها.

المبحث الثاني

طرق مواجهة مظاهر أساليب مشركي مكة في العصر الحاضر

وتتكون من:

١- السير على منح الدعوة في مواجهتها لأساليب
المشركين في العهد المكي.

٢- نشر الدعوة الإسلامية وتوضيح حقيقتها، وإبراز
معالمها بصورة واضحة.

٣- الصبر.

المبحث الثاني

طرق المواجهة :

تَرَ معنا ما قام به المشركون من قريش في مواجهة الدعوة الإسلامية في العهد المكي بأساليب عديدة ومتنوعة، منها القولي والعملي.

كما مرَّ أيضاً ما قامت به الدعوة الإسلامية من مواجهة لهذه الأساليب، متمثلة بالقرآن الكريم، والرسول - ﷺ -، وأتباعه.

وفي عصرنا هذا يتكرر ذلك الصّدّ بأساليب بعضها يُعدّ مظهراً لتلك الأساليب القرشية وبالتالي لا بدّ من مواجهتها.

وبما أنّ القرآن الكريم، والرسول - ﷺ -، وأتباعه - رضوان الله عليهم، قد قاموا بتلك المواجهة، فمن الطبيعي بل من الواجب أن ينهج المسلمون في هذا العصر ذلك المنهج في مواجهة أساليب أعداء الإسلام - لاسيما وهو المنهج الأمثل بالطرق العليا التي لا تدانيها أي طريقة - وأن يتزودوا من ذلك الزاد الكافي الذي يدحضها ويدمغها كما هو الحال في السابق.

وهذا لا يعني استخدام جميع تلك الأساليب السابقة في هذا العصر، بل ما كان مناسباً للعصر، سنتحدث عنه - إن شاء الله -.

كما لا يعني حصرنا لطرق المواجهة في هذا العصر، على تلك المناهج، بل هناك طرق مستجدة تبعاً لتجدد الوسائل التي انطلقت منها تلك الأساليب الحديثة.

وعلى هذا: فإن ما نقترحه لمواجهة أساليب الخصوم في هذا العصر ما يلي:

(١) السير على منهج الدعوة في مواجهتها لأساليب المشركين في العهد المكي:

إن ذلك المنهج بشكله العام كان يلتزم ويراعي المصلحة وقت وقوع الأسلوب العدوانى، كما كان ينظر إلى المدى البعيد المتعين في نتائج تلك المواجهة وما تسفر عنه.

وقد كان على ثلاثة أنواع :

(أ) منهج القرآن الكريم.

(ب) منهج الرسول - ﷺ - .

(ج) منهج الاتباع - رضوان الله عليهم - .

أ- منهج القرآن الكريم :

لاشك أن هذه المواجهة مواجهة رفيعة المستوى، لأنها صادرة مباشرة ممن يعلم السرّ وأخفى.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم، هداية للبشرية، ونور للإنسانية، ورحمة للعالمين، يقول عز وجل : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾^(١).

فالقرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ماسيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم^(٢) ولذا قال تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾^(٣).

ومادام أن الأمر كذلك، فيتعين الإقتداء بذلك، والنهل منه وبالتالي تطبيقه في واقع الحياة، حتى تكون المواجهة قوية، والمنهج صحيحاً وقويماً، فضلاً عن وجود الأوامر العديدة، والتي تأمر باتباع القرآن، واتخاذ منهجاً ودستوراً في الحياة، منها :

قوله تعالى : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾^(٤).

فإلله - تعالى - يدعو عباده إلى اتباع القرآن، ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين.^(٥) بالإضافة إلى أن ما نزل لمواجهة أساليب المشركين ليس محصوراً فيها فحسب، بل يستخدم لمواجهة الأساليب الجديدة التي هي مظهراً

(١) سورة النحل، جزء من الآية رقم ٨٩.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٤٩/٢.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٣٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية رقم ١٥٥.

(٥) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣١٨/٢.

لنتك الأساليب التي نزلت الآيات في شأنها، لأن العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب.
وقد أوضحنا سابقاً ذلك المنهج الفريد بأساليبه المتعددة كما هو مقرر في
الفصل الثاني.

ب- منهج الرسول - ﷺ - :

وهذا المنهج- أيضاً- جدير بأن يتبع ويسلك، وذلك لارتباطه بالمنهج الذي قبله، لأن القرآن الكريم معجزته وعليه نزل، وتعليماته وتوجيهاته وحركاته وسكناته مستمدة منه، سواء كان في المواجهة المباشرة، أو غير المباشرة ((التوجيهية)).

كما أن تلك المواجهة والتي لم تكن نتيجة أمر أو توجيه، إقراره عليها كاف لثبوتها وصحتها.

أضف إلى ذلك، الأوامر العديدة، التي تأمر باتباع النبي - ﷺ - والإقتداء به، كما قال تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾^(١).

فهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله - ﷺ - في أقواله وأفعاله وأحواله فيما ليس خاصاً به - ﷺ -^(٢).

وقال : ﴿... فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾^(٣).

أي : اسلكوا طريقة واقتفوا أثره، لعلكم تهتدون إلى الصراط المستقيم^(٤).

وقال : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا...﴾^(٥).

أي : مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم ٢١.

(٢) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧٨٤/٣.

(٣) سورة الأعراف، جزء من الآية رقم ١٥٨.

(٤) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٢١/٢.

(٥) سورة الحشر، جزء من الآية رقم ٧.

عن شر^(١).

وما دام - أيضاً - أن الأمر كذلك فيتوجب التأسى بهذا المنهج، والاستفادة منه في مواجهة الأساليب المستجدة والتي هي مظهرٌ للأساليب المتقدمة.

^(١) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٥٥٠.

ج- منهج الأتباع- رضوان الله عليهم- :

وهذا المنهج- أيضاً- جدير، وحرى، بأن يُستن به لارتباطه بسابقه فهم صحابة رسول الله - ﷺ- وأعلم الناس بالقرآن الكريم وبسنة الرسول الكريم - ﷺ- والقرآن الكريم إنما أنزل للعمل به، والمصطفى - ﷺ- كان كثيراً ما يوجه أولئك الصحابة الكرام، كما أن مواجهتهم التي خرجت عن هذين النطاقين كانت على مرأى ومسمع من النبي - ﷺ- وسكوته عنها دليل على إقراره لها.

فضلاً عن ما جاء من أمر بالاستئذان بتلك السنة، حيث قال - ﷺ- : ((عليكم بتقوى الله. والسمع والطاعة، وإن عبداً حشياً. وسترون من بعدي اختلافاً شديداً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ. وإياكم والأموال المحدثات. فإن كل بدعة ضلالة)).^(١)

ومادام- أيضاً- أن الأمر كذلك فيتعين الاستئذان بهذا المنهج، والإقتداء به لما سبق توضيحه وبيانه، لاسيما والمواجهة قد تكررت وبنفس الأسلوب في أغلب الأحيان.

وعلى كل حال فلا بُدَّ من السير على هذا المنهج العظيم- منهج الدعوة الإسلامية في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي- والإفادة منه، وذلك بعد استيعاب هذا المنهج ودراسته وفهمه الفهم العميق ومن ثم تحويله إلى منهج عملي قائم ليكون زاداً ينهل منه الدعاة في هذا العصر كي يواجهوا الأساليب العدائية التي يقوم بها أعداؤهم بين الفينة والأخرى.

^(١) رواه ابن ماجه رحمه الله- في سننه من حديث العرابص بن سارية- رضي الله عنه- في أبواب مقدمة الكتاب، باب : اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ١٠/١، رقم ٣٤. وقال عنه الألباني صحيح، انظر صحيح سنن ابن ماجه، ١٣/١، رقم ٤٠.

٢) نشر الدعوة الإسلامية وتوضيح حقيقتها، وإبراز معالمها بصورة واضحة :

من المعلوم أن أبرز أساليب الخصوم في كل عصر، هي أساليب التشويه والتي يهدفون من ورائها تشويه معالم الإسلام وأحكامه. فتراهم يطلقون التهم العديدة تجاه القرآن الكريم، دستور الأمة الإسلامية، وتجاه رسولها - ﷺ -، وتجاه معتقّي تلك الديانة العظيمة ووصفهم بأوصاف دنيئة لا تمتّ للحقيقة بصلة.

ولا يكتفي أولئك الأعداء بإطلاق تلك التهم فحسب، بل يُروّجون لها ويبثونها عبر الوسائل العديدة، وبكل ما أوتوا من قوة كما أنهم يثيرون بعض الشبه التي تقف حجر عثرة تحول بين الناس وبين الدخول في الإسلام.

على هذا فإن الطريقة المثلى التي ينبغي أن تعنى بها الدعوة الإسلامية لمواجهة ذلك، تتمثل بنشر الإسلام في أصقاع المعمورة، وبيان تعاليمه وأوامره، وما يتميز به من أحكام عظيمة لم توجد في غيره من الأديان، وبيان حقيقة الرسول - ﷺ - وحقه وفضله. وبيان حقيقة المسلمين، وما يعيشونه فيما بينهم من أخلاق عظيمة تتمثل بالمحبة والإخاء، والتعاون فيما بينهم على البر والتقوى، وفق ما جاء في الكتاب والسنة وتفنيد تلك الشبهات التي تشبثوا بها وتعلقوا بأهدابها حتى يتضح للناس الحق ونوره الزاهر. وهذا النشر، وذلك البيان والتفنيد يحتاج إلى أمرين رئيسيين مهمين :

(١) رد الشبهات التي تثار حول الإسلام والتي تقف حجر عثرة لدخول الناس فيه وذلك بتفنيدها.

(٢) عرض سماحة الإسلام وعلى أنه هو الدين الحق الذي يقبل تجاوزات المخطئين إذا تابوا وأقبلوا إقبالاً صحيحاً ومستقيماً لأنه يحمل بين طياته سعادة البشرية في الدارين.

وستكلم- إن شاء الله- عن هذين المنهجين كلاماً موجزاً.

أولاً : رد الشبهات وتفنيدها :

لا شك أن الدعوة الإسلامية تواجه قوى كبيرة، وجحافل شرّاً متلاطمة تلتقي مع أصولها السابقة المعارضة لقبول الحق، ولذا فإن الدعوة الحق ينبغي وهي تخطط لمواجهة جحافل الشر أن تعنى بتلك الشبهات التي تثار حولها، وتعمل على إيقاف الناس من الدخول تحت رايتها، وذلك بتفنيدها لتتضح الصور المطموسة من قبل أولئك الحاقدين، وهذا التفنيدي لتلك الشبهات من حقوق الإسلام على أهله وأفراده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -.

((ويجب أن يعلم أن الأمور المعلومة من دين المسلمين لا بُدَّ أن يكون الجواب عما يعارضها جواباً قاطعاً لا شبهة فيه، بخلاف ما يسلكه من يسلكه من أهل الكلام، فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين))^(١).

لذا، ففعل مما نوصي به الدعاة إلى الله - تعالى - العناية بردّ الشبهات التي لا تزال حاجزاً لأولئك المدعوين عن قبول الدعوة والإفادة منها، فتعرض وتناقش بالقدر الذي يتواءم مع عقلية ونفسية المدعو، فلا يتوسع مع المدعو في النقاش وعرض الأدلة، فقد تزداد قناعاته بالشبهة، لكونها عرضت عليه بصورة قوية قد لا يمسُّ شغاف قلبه شيء من شررها، ولا تترك الشبهة متغلغلة في ذهنه لا يُعبأ بها ولا ينظر إليها لحقارتها ودناءتها، بل يكون العمل وفق ما يقتضيه الحال والمقام. فالحق أبلج وظاهر لمن أنار الله بصيرته، أما من حصل له الران وطبع على قلبه فإن قلبه يحتاج إلى جلاء لأنه مريض بالشبهات.

وإن من أبرز الشبهات التي ربما كانت حاجزاً عن قبول الدعوة وينبغي أن يُلمَّ بها وبطريقة الردِّ عليها الدعاة إلى الله - تعالى - مايلي :

^(١) ابن تيمية، الفتاوى، ٢٠/١٦٤، ١٦٥.

أ- محدودية الإسـلام.

ب- الإحتجاج بصنيع الآباء.

ج- الإحتجاج بالقـدر.

وفيما يلي ستتحدث بشكل موجز عن هذه الشبهات والردود عليها.

أ - محدودية الإسلام :

يرى بعض من الناس أن الإسلام دين محدود وغير صالح لكل زمان ومكان، وقد لا تتواءم أوامره وأحكامه مع مقتضيات ومستجدات العصور المتأخرة لكونه مضى عليه قرون متكاثرة.

والصواب أن رسالة محمد - ﷺ - جاءت عامة تخاطب الناس جميعاً على مختلف فئاتهم وأنواعهم وفي جميع مجالات حياتهم، فالدين الإسلامي الذي جاء به محمد - ﷺ - حقٌّ مشاع، وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب والعناصر والأجناس، والأسر والبيوتات، والبلاد والأوطان، ليس فيه احتكار مثل احتكار بني لاوي من اليهود، أو البراهمة من الهنود، لا يتميز فيها شعب عن شعب ولا نسل عن نسل، وليس الاعتماد فيها على العرق والدم بل على الحرص والشوق وحسن التلقي وزيادة التقدير، والنفوق في الجهاد والاجتهاد والدين والتقوى ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ (١) (٢).

إن شريعة الإسلام جاءت للإنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو أرضه، فلا عنصرية مع الدعوة، ولا عصبية في هذا التشريع ولا تطبيقه في الإسلام (٣).

والإسلام ليس ديناً محدوداً بل هو دين عالمي يدل على ذلك قوله تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً ﴾

(١) سورة الحجرات، الآية رقم ١٣.

(٢) للاستزادة انظر : أبو الحسن الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ص ١٩٥-١٩٦، ط : ٥ دار القلم دمشق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٣) عبد الله علوان، الإسلام شريعة الزمان والمكان، ص ١٦، ط : ١، دار السلام، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

للعاملين ﴿^(١)﴾، وقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعاملين﴾ ﴿^(٢)﴾، وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعاملين نذيراً﴾ ﴿^(٣)﴾.

ووجه الاستدلال بهذه الآيات وغيرها: أن لفظ العالمين جمع معرف بأل، وهو من صيغ العموم، فيدخل تحته كل ماسوى الله، لأن العالمين: جمع العالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: العالمون: الجن والانس ^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ: أُعْطِيتُ جِوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنَصَرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأَحْلَتُ لِي الْغَنَائِمَ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ طَهُوراً وَمَسْجِداً، وَأَرْسَلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَةً، وَخَتَمَ بِي النَّبِيُّونَ) ^(٥).
وتبرز خصيصة عالمية الإسلام في ثلاث خصال:

- ١- وفاؤه بحاجة الإنسانية جميعاً، فيما يصون وحدتها ويرعى إنسانيتها ويحمي أفرادها في العاجل والأجل.
- ٢- تشريعاته التي تضمن قيام الإنسانية كلها في محيط واحد، لا تنزع معه إلى عصبية دم أو اختلاف لون، أو فرقة جنس.
- ٣- اتساقه على حقائق الكون وخصائص الوجود، بحيث لا يتعارض مع ما يثبت من حقائق العلم، أو يختلف مع منطق الفكر ^(٦).

(١) سورة الأنبياء، الآية رقم ١٠٧.

(٢) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ٩٠.

(٣) سورة الفرقان، الآية رقم ١.

(٤) انظر الشوكاني، فتح القدير، ٦٠/٤.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١/٣٧٠-٣٧١، رقم ٥٢١. وللإستزادة انظر: محمد أمين حسن،

خصائص الدعوة الإسلامية، ص ١٥٣ وما بعدها، ط: ١، مكتبة المنار، الزرقاء بالأردن، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

(٦) انظر محمد الراوي، الدعوة الإسلامية ((دعوة عالمية))، ص ٥٦، ط: ٣، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١١هـ، ١٩٩١.

ب- الاحتجاج بمنيع الآباء :

وهذه الشبهة تكاد تكون مشتركة بين طوائف المشركين في مختلف الأمم قديماً وحديثاً، وهي شبهة الاحتجاج بما عليه الآباء والأجداد وأنهم ورثوا هذه العقيدة عنهم.

كما قال تعالى : ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾^(١) وكقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾، قالوا : ﴿ بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يحفلون شيئاً ولا يهتدون ﴾^(٢) وهذه حجة يلجأ إليها كل من يعجز عن إقامة الدليل على دعواه وهي حجة داحضة لا يقام لها وزن في سوق المناظرة، فإن هؤلاء الآباء الذين قلدهم ليسوا على هدى، ومن كان كذلك لا يجوز متابعتة والافتداء به، كما قال تعالى : ﴿ أولو كان آباؤهم لا يحفلون شيئاً ولا يهتدون ﴾^(٣) وكقوله تعالى : ﴿ أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾^(٤) وإنما يكون الافتداء بالآباء محموداً إذا كانوا على حق، كما قال تعالى، عن يوسف عليه السلام: ﴿ واتبعت ملة آباي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾^(٥).

(١) سورة الزخرف، الآية رقم ٢٣.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٧٠.

(٣) جزء من الآية السابقة.

(٤) سورة المائدة، جزء من الآية رقم ١٠٤.

(٥) سورة يوسف، الآية رقم ٣٨، وللإستزادة، انظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢/٢١٠ وما بعدها. وانظر : صالح بن فوزان الفوزان، بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ودحض الشبهات التي أثيرت حوله، ص ٢٦، مطابع جامعة الإمام، الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

ج- الاحتجاج بالقدر :

شبهة أثارها مشركو قريش وغيرهم وهي الاحتجاج بالقدر على تبرير ما هم عليه من الشرك يقول تعالى: ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ﴾^(١)، ويقول: ﴿ وقال الذين أشركوا: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ﴾^(٢)، ويقول: ﴿ وقالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم.. ﴾^(٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : هذه مناظرة ذكرها الله تعالى، وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا فهم يقولون: إن الله مطلع على ما نحن فيه من الشرك والتحريم لما حرمنا وهو قادرٌ على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره فدلَّ على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا بذلك، وهي حجة داحضة باطلة لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام ﴿ قل هل عندكم من علم ﴾^(٤)، بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه ﴿ فتخرجوا لنا ﴾^(٥)، أي: فتظهروه لنا وتبينوه، ﴿ إن تتبعون إلا الظن ﴾^(٦)، أي: الوهم والخيال، - والمراد بالظن هاهنا الاعتقاد الفاسد -

(١) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ١٤٨.

(٢) سورة النحل، جزء من الآية رقم ٣٥.

(٣) سورة الزخرف، جزء من الآية رقم ٢٠.

(٤) سورة الأنعام، جزء من الآية رقم ١٤٨.

(٥) السورة السابقة، جزء من الآية رقم ١٤٨.

(٦) السورة السابقة، جزء من الآية رقم ١٤٨.

﴿وان أتمر إلا مخرصون﴾^(١)، أي تكذبون على الله فيما ادعيتموه^(٢).

(١) سورة الأنعام جزء من الآية رقم ١٤٨.

(٢) وللاستزادة انظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢ / ٣٠٩. وصالح الفوزان، بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ودحض الشبهات التي أثيرت حوله، ص ٢٩ وما بعدها. وابن تيمية، الاحتجاج بالقدر، ص ٨٥، وما بعدها، ط : ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٨.

ثانياً : بيان سماحة الإسلام :

إن رسالة الإسلام جاءت تحمل اليسر والسهولة والموافقة لكثير من طبائع الناس وعاداتهم، وفطرهم السليمة.

فرسالة الإسلام قليلة التكاليف، سهلة الفهم، فقد كان الأعرابي يجيء إلى النبي - ﷺ - من البادية فيسلم، فيعلمه ما أوجب الله عليه، وما حرّم عليه في مجلس واحد فيعاهده على العمل به فيقول : [أفلح الأعرابي إن صدق] فعن طلحة بن عبيد الله - رضى الله عنه - قال : جاء رجل إلى رسول الله - ﷺ - من أهل نجد ثائر الرأس، نسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله - ﷺ - فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله - ﷺ - : خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال : هل عليّ غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع، وصيام شهر رمضان، فقال : هل عليّ غيره ؟ فقال : لا إلا أن تطوع، وذكر له رسول الله - ﷺ - الزكاة، فقال هل عليّ غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع قال : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله - ﷺ - أفلح إن صدق. ^(١)

والمنتبع لرسالة الإسلام يجدها تمتاز بالسماحة واليسر والبساطة ، فتمتاز باليسر لأن مبادئها الأساسية ميسرة وميسورة كما قال تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ ^(٣) وقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ^(٤).

^(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب : بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، ٤٠/١ - ٤١، رقم ١١.

^(٢) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٨٥.

^(٣) سورة الحج، جزء من الآية رقم ٧٨.

^(٤) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ٢٨٦.

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾^(١).

يقول الدكتور : يوسف القرضاوي :

أما السماحة واليسر فهو روح يسري في جسم شريعة الإسلام كلها، كما تسري العصارة في أغصان الشجرة الحية، وهذا التيسير مبني على رعاية ضعف الإنسان وكثرة أعبائه، وتعدد مشاغله، وضغط الحياة ومتطلباتها عليه، وشارع هذا الدين رؤوف رحيم، لا يريد بعباده عنثاً ولا رهقاً، إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمال في المعاش والمعاد.

كما أن هذا الدين لم يجيء لطبقة خاصة، أو لإقليم محدود، أو لعصر معين، بل جاء عاماً لكل الناس في كل الأرض، وفي كل الأزمان والأجيال.^(٢) ومن سماحة الإسلام أنه حط الآثام عن وساوس النفس وخطراتها مالم تترجمه الأعضاء إلى عمل، أو اللسان إلى كلام.

فعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - ﷺ - قال : [إن الله تجاوز عن أمي ما حدثت به أنفسها مالم تتكلم أو تعمل]^(٣). ولم يكتف الإسلام في هذا المجال بحط الإثم والعفو عنه، بل سما وبلغ الغاية في السمو أيضاً، فكافأ من حدثته نفسه بعمل سيئة ثم تركها أن يجزيه بذلك حسنة، جزاء كبحه لنفسه، وتراجعه عن عمل ما فكر به من سوء.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن رسول الله - ﷺ - فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : [إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى

(١) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٧٣.

(٢) د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ١٧٧، ط : ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان، باب : تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، ١/١١٦-١١٧، رقم

أضفاف كثيرة، وإن همّ بسينة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعلمها كتبها الله سينة واحدة [١].

ومن سماحة الإسلام في العبادات :

أ- اكتفت الشريعة في طهارة الرأس للعبادة من الحدث الأصغر بالمسح دون الغسل، فالرسول - ﷺ - كان يمسح رأسه بيديه فيقبل بها ويدبر، يبدأ بمقدم رأسه ثم يذهب بهما إلى قفاه، ثم يردهما إلى المكان الذي بدأ منه. (٢)
ولم تقتصر سماحة الإسلام بأن يجعل نصيب الرأس من اليسر ما سبق بل تضافرت النصوص على سماحة أخرى ويسراً آخر، وهو أنه يجزيء لمن كان عليه عمامة أن يمسح عليها إذا كان قد لبسها بعد طهارة وأنه يكفي ذلك عن مسح الرأس نفسه. وقد كان منطلق شريعة الإسلام - أيضاً - السماحة واليسر، حيث راعت حال المسافر وما يحتاج إليه من مساعدة نتيجة لما يتجشمه من مشقة، وما قد ينتابه من برد، فأعطته ضعف المدة التي يجزيء فيها أن يمسح على عمامته، كما أن الرجلين تأخذان حقهما من اليسر حينما تكونان قد أدخلتا وهما طاهرتان في خفين، فإن الإسلام لم يكلف الإنسان نزعهما للوضوء، بل أجاز له المسح عليهما، وراعى في تحديد المدة ما راعاه في العمامة على الرأس.

فعن عمرو بن أمية الضمري (٣) - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : [رأيت رسول الله - ﷺ - يمسح على عمامته وخفيه] . (٤)

(١) أخرجه مسلم في كتاب : الإيمان، باب : إذا همّ العبد بحسنة كتب وإذا همّ بسينة لم تكتب، ١/١١٨، رقم ١٣١. وللإستزادة، انظر : د. عبد العزيز الربيعة، صور من سماحة الإسلام، ص ٢٥ ط : ٢ مطابع حنيفة للأوفست : الرياض ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(٢) أخرجه البخاري ، في صحيحه، في كتاب الوضوء ، باب مسح الرأس مرة، ١/٨٢، رقم ١٨٩. من حديث عبد الله بن زيد - رضي الله عنه - .

(٣) عمرو بن أمية بن حويلد بن عبد الله الضمري: شجاع، من الصحابة. اشتهر في الجاهلية، وشهد مع المشركين بدرأ وأحدأ. ثم أسلم، وحضر بئر معونة، فأسرت به بنو عامر، وأطلقه عامر بن الطفيل. وعاش أيام الخلفاء الراشدين، وشهد وقائع كثيرة علت بها شهرته في البسالة. ومات بالمدينة في خلافة معاوية. وفاته نحو سنة ٥٥ هـ له ٢٠ حديثاً. انظر الزركلي، الأعلام، ٥/٧٣.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٤/١٩١، رقم ١٧٢١٣، ١٧٢١٤.

وعن المغيرة بن شعبة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : [توضع رسول الله - ﷺ - ومسح على الخفين والعمامة] .^(١)

وعن شريح بن هانيء^(٢) قال : أتيت عائشة رضي الله عنها أسألها عن المسح على الخفين فقالت : عليك بعلي بن أبي طالب فسله فإنه كان يسافر مع رسول الله - ﷺ - فسألناه فقال : جعل رسول الله - ﷺ - ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم.^(٣)

وكانت الشرائع السماوية السابقة لا تجوز قربان الصلاة بدون تطهر بالماء مهما كانت الظروف والملابسات، فجاء الإسلام، دين اليسر والسماحة فخفف من وطأة تلك الأحكام وراعى جميع الأحوال التي قد يتعرض لها المسلم فأباح له أن يتيمم عند عدم الماء، أو خوفه على نفسه باستعماله لبرد أو مرض شديد.

عن عمار بن ياسر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : (أجنبت فلم أصب الماء فتمعكت في الصعيد، وصليت، فذكرت ذلك للنبي - ﷺ - فقال : إنما يكفيك هكذا، وضرب النبي - ﷺ - بكفيه الأرض ونفخ فيها، ثم مسح بهما وجهه وكفيه).^(٤)

وبرزت سماحة الإسلام في تيسير الأحكام الشرعية على المسافر رفعاً للمشقة عنه وجلباً لسبل الراحة والعون له، ومن ذلك قصر الرباعية ركعتين، وجمع الظهرين والعشائين.

^(١) أخرجه الترمذي في أبواب : الطهارة، باب : المسح على العمامة، ١٧٠/١، رقم ١٠٠، صحيح سنن الترمذي - الألباني، ٣١/١ - ٣٢، رقم ٨٧.

^(٢) شريح بن هانيء بن يزيد الحارثي: راجز، شجاع، من مقدمي أصحاب علي، كان من أمراء جيشه يوم الجمل. ولما كان يوم التحكيم بعث عليّ أبا موسى ومعه أربعمئة رجل عليهم شريح بن هانيء . قتل غازياً بسجستان سنة ٧٨هـ. انظر الزركلي الأعلام، ١٦٢/٣.

^(٣) أخرجه مسلم في كتاب : الطهارة، باب : التوقيت في المسح على الخفين ٣٢/١، رقم ٢٧٦.

^(٤) أخرجه مسلم في كتاب : الحيض، باب : التيمم، ٢٨٠/١، رقم ٣٦٨.

فمن عائشة رضي الله عنها قالت : [فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر] .^(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : [فرض الله الصلاة على لسان نبيكم - ﷺ - في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الحوف ركعة] .^(٢)
وعن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي - ﷺ - : أنه إذا عجل عليه السفر يؤخر الظهر إلى أول وقت العصر فيجمع بينهما، ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء حين يغيب الشفق .^(٣)

ومن سماحة الإسلام أنه لم يؤاخذ الصائم حين ينسى فيأكل أو يشرب، بل تسامح عنه في ذلك، وأقره بإتمام صومه في ذلك اليوم الذي حصل منه الأكل والشرب فيه ناسياً، ولم يكلفه بقضائه، بل أخبر بأن ذلك رزق ساقه الله إليه، وطعام وشراب تفضل به عليه، تفرجاً لما قد يدخل على المسلم من ضيق، وإزاحة لما قد يعلق في قلبه من غمة.

فمن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال قال رسول الله - ﷺ - : [من نسي وهو صائم أكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه] .^(٤)

ومن سماحة الإسلام : إباحة تناول المحرم كشرب الخمر أو أكل الميتة عند الضرورة، وإذا أشرف الإنسان على الهلاك، فالضرورات تبيح المحذورات.
ومن سماحة الإسلام : أن باب التوبة مفتوح لكل من يطرق الباب منيباً صادقاً مهما كان والغا في الكفر، متمادياً في العصيان والفسوق بدون واسطة مخلوق^(٥).

^(١) أخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها، ٤٧٨/١، رقم ٦٨٥ .

^(٢) أخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها، ٤٧٩/١، رقم ٦٨٧ .

^(٣) أخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها، ٤٨٩/١، رقم ٧٠٤ .

^(٤) أخرجه مسلم في كتاب : الصيام، باب : أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر ٨٠٩/٢، رقم ١١٥٥ . وللإستزادة انظر : د. عبد

العزیز الربیعة، صور من سماحة الإسلام، ص ٤٧ وما بعدها.

^(٥) انظر : عبد الله ناصح علوان، الإسلام شريعة الزمان والمكان، ص ٤٤-٤٨ .

وعلى هذا لا بُدَّ من العمل الجاد في اتخاذ الأساليب القوية التي تكفل تطبيق هذين الأمرين المهمين، ليتم من خلالها وعبرها تقريب صورة الإسلام للناس في أصقاع المعمورة، ومن تلك الأساليب :

أ- بثُّ الدعاة الذين يتوخى فيهم الإخلاص والحرص، ويملكون القدرة على مخاطبة الشعوب، والاحتكاك بها. وممن لديهم القدرة على البيان والتوضيح، وممن لديهم المعرفة التي يستطيعون من خلالها مواجهة الشبه والردَّ عليها.

ب- فتح الجامعات والمعاهد العلمية والمدارس في مناطق متعددة والتي تقوم على أساس العلم الشرعي، ويتولى زمامها من عرف بالخير والصلاح واتباع منهج السلف، حتى تقوم بدورها على أكمل وجه من نشر الإسلام وبيان أحكامه وتعاليمه لتخرج الأجيال الصالحة والتي تزودت من ذلك الزاد الصحيح لتقوم هي أيضاً بدورها في المستقبل.

ج- ترجمة أهم الكتب الإسلامية والتي تتحدث عن العقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية وعرضها بشكل مبسط وواضح ومن ثم نشرها في مناطق متعددة من العالم.

د- إصدار المجلات التي تُعرِّف بالإسلام، وفتح باب المراسلة فيها والاشتراك لتتم معالجة القضايا المتعددة والإجابة على ما يطرأ من تساؤلات.

هـ- المنح الدراسية فيتم استقطاب من يتوخى فيهم الفطنة والذكاء ومن لديهم القدرة على البحث والدراسة، وتدريسهم العلوم الشرعية ومن ثم إعادتهم إلى بلادهم ليتولوا بأنفسهم مهمة الدعوة هناك.

و- إقامة الدورات التعليمية في مناطق متعددة خارج البلاد، وتسجيل دارسين من أهالي تلك المناطق، لتعليمهم اللغة العربية وكتاب الله- جل وعلا- والسنة النبوية ونحو ذلك.

ز- إقامة مؤتمرات إسلامية متعددة، على نمط تلك المؤتمرات التي يقيمها الأعداء بين آونة وأخرى، وذلك لدراسة مخططات الأعداء ومؤامرتهم التي يحكيونها ضد الإسلام، ووضع الأساليب المناسبة لمواجهتها.
كما تقوم- أيضاً- بوضع الخطط المتعددة والتي يتم من خلالها نشر الإسلام، ومن ثم دراسة تلك الخطط ومعرفة جدوى صلاحيتها.

(٣) الصبر :

ومن طرق مواجهة الدعاة لمظاهر أساليب المشركين في العصر الحاضر الصبر على هذه المشكلات التي تعترض طريق الدعوة الإسلامية، فإن الداعية الذي لا يصبر أو يجزع مما يراه أو يصيبه قد لا يحصل على نتيجة مرضية لأنه لم يوطن نفسه على الرضا بقدر الله تعالى والتسليم له، من النظر في أحوال الأنبياء والمرسلين والدعاة السابقين وما حصل لهم من عناد أقوامهم لهم، بل وصددهم لهم عن طريق الإسلام.

فالصبر : حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش ^(١)

وقد اقتضت مشيئة الله تعالى أن يكون لأصحاب الدعوات أعداء يمكرون بهم ويكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر، فلم يخل نبي من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - إلا وله عدو بارز قد ناصبه العداوة، وهذا ليس بغريب، فهو سنة من سنن الله في الكون، يقول تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ ^(٢).

والداعية محتاج إلى الصبر حاجة كبيرة في طريق البلاء والعطاء ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا. ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين﴾ ^(٣).

وجاء التوجيه الإلهي للنبي محمد ﷺ وهو خير الدعاة وإمامهم ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ ^(٤).

(١) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" - تحقيق: محمد حامد الفقي ١٥٦/٢، طبعة: دار الكتاب

العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٢) سورة الفرقان، الآية رقم ٣١.

(٣) سورة الأنعام، الآية رقم ٣٤.

(٤) سورة الأحقاف، جزء من الآية رقم ٣٥.

فإذا كان الصبر ضرورياً لكل مسلم فإنه يتأكد في حق الداعية لأنه يعمل في ميدانين، ميدان نفسه يجاهدها ويحملها على الطاعة ويمنعها من المعصية، وميدان خارج نفسه وهو ميدان الدعوة الفسيح، ومخاطبة الناس ومخالطتهم لأن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم^(١).

وكان من صور صبره عليه الصلاة والسلام في دعوته للمشركين :

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : " لقد لقيت من قومك . وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال : فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثي ربك إليك لتأمرني بأمرك. فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين" ^(٢) فقال له رسول الله صلى عليه وسلم : " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً " .^(٣)

(٢) ما جاء في حديث خباب بن الأرت - رضي الله عنه - قال : شكوت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد

(١) انظر جمعة أمين عبد العزيز، الدعوة قواعد وأصول، ٦٠-٦١، ط: ٢، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٩ هـ.

(٢) الأخشبان : هما جبلا مكة : أبوقيس، والجليل الذي يقابله..

(٣) أخرجه مسلم في كتاب : الجهاد والسير، باب : ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - من أذى المشركين والمنافقين، ٣/١٤٢٠ - ١٤٢١ رقم

مادون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون. ^(١)

والصبر قوة نفسية إيجابية فعّالة تدفع المتحلي بها إلى مقاومة كل أسباب الخور والضعف والاستكانة والاستسلام، وتحمله على الصمود والثبات أمام الفتن والمغريات، وأمام المحن والمكاره والأحداث إلى أن يأذن الله عز وجل له بالنصر والتوفيق، أو أن يلقى الله عز وجل وهو عنه راض. ^(٢)

^(١) أخرجه البخاري في كتاب : المناقب، باب : علامات النبوة، في الإسلام ٣/١٣٢٢ رقم ٣٤١٦.

^(٢) عبد الله ناصح علوان، صفات الداعية النفسية- ٣٥.

﴿الخاتمة﴾

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على هادي البشرية
محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

وبعد :

فأحمده- جل وعلا- على نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، حيث أرسل لنا
أفضل رسله، وأنزل علينا خير كتبه، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس.
كما أحمده- جل وعلا- على تيسير هذا الجهد المتواضع، وإتمامه، فإنها نعمة
من نعمه، ونعمه- جلّ وعلا- لا تُعدُّ ولا تُحصى.
كما أسأله- عزّ وجل- كما أتمّه، أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني
به والمسلمين، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

أمّا ما ورد في هذا الجهد المتواضع، فهو كالتالي :

(١) المقدمة. وفيها:

- أ- توطئة.
- ب- أهمية الموضوع وسبب اختياره.
- ج- تعريف الاسلوب لغة واصطلاحاً .
- د- الدراسات السابقة.
- هـ- النتائج الجديدة التي سيأتي بها الباحث.
- و- المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة.
- ز- حدود البحث الزمنية.
- ح- نوع الدراسة ومنهج البحث والباحث.
- ط- الصعوبات التي واجهت الباحث.
- ي- شكر وتقدير.

(٢) الفصل التمهيدي : وقد بيّنتُ فيه ما يلي :

- أولاً : بداية الدعوة كيف كانت، وكيف تمت.
- ثانياً : موقف كفار قريش منها، حيث كان موقفهم متعديداً ومتدرجاً.

(٣) الفصل الأول : وهو بعنوان : أساليب المشركين في الصّدّ عن الدعوة

في عهدهما المكّي. وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الأساليب القولية.

المبحث الثاني : الأساليب العملية.

ففي الأساليب القولية ذكرت خمسة أساليب. على النحو التالي :

(أ) أساليب الترغيب.

(ب) أساليب الترهيب.

(ج) أساليب التشويه.

(د) أساليب التعجيز.

(هـ) أساليب التخذيل.

وقد تم الكلام عنها وبسط القول فيها.

أما الأساليب العملية فكانت على النحو التالي :

أولاً : الأساليب الجماعية.

ثانياً : الأساليب الفردية.

وذكرت تحت كل واحد منهما نماذج متعددة تثبتهما.

(٤) الفصل الثاني : وهو بعنوان : منهج الدعوة في مواجهة أساليب

المشركين في العهد المكّي. وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المنهج القولي.

المبحث الثاني : المنهج العملي.

ففي المبحث الأول : كان منهج الدعوة على ثلاثة أنواع :

الأول : منهج القرآن الكريم.

الثاني : منهج الرسول - ﷺ - .

الثالث : منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - .

أما المبحث الثاني : فكان منهج الدعوة على نوعين :

الأول : منهج الرسول - ﷺ - .

الثاني : منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - .

(٥) الفصل الثالث : وهو بعنوان :

مظاهر أساليب مشركي مكة في العصر الحاضر وطرق مواجهتها.
وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مظاهر الأساليب.

المبحث الثاني : طرق مواجهتها.

ففي المبحث الأول : تحدثت عن أبرز مظاهر أساليب مشركي مكة.

وكانت على نوعين :

النوع الأول : المظاهر القولية.

النوع الثاني : المظاهر العملية.

**أما المبحث الثاني : فقد وضعت مخططاً مقترحاً لمواجهة أساليب
الخصوم في هذا العصر.**

هذا ما كان من تقسيم البحث والكلام عليه.

أما الآن فسأعرض أهم النتائج التي توصلت إليها، ومن ثم سأعرج على
بعض التوصيات. إن شاء الله - تعالى - .

- النتائج -

(١) أن العاقبة للمتقين والنصر مع الصبر، فالمصطفى - ﷺ - منذ أن بدأ دعوته
والإيذاء ملازم له ولصحابه - رضوان الله عليهم - حيث مكثوا على ذلك ثلاث
عشرة سنة في العهد المكي، ثم جاءت بعد ذلك الهجرة إلى المدينة والتي
أعقبها العهد المدني الذي كانت فيه الحروب بين الإسلام والكفر سجلاً فيوم
للمسلمين ويوم عليهم ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾^(١)، حيث استمرت حوالي
ثمان سنين، حتى أكرم الله أوليائه بالنصر العظيم والفتح الكبير فتح مكة.

^(١) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ١٤٠.

وهذا تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَالْحَاقِبَةُ لِلْمُتَمِّتِينَ ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَد كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُم الْوَارِثِينَ وَنَمُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٣) حيث كان الصحابة- رضوان الله عليهم- فقراءً عِزَّلاً إلا القلة القليلة منهم، فما إن مضت سنوات عديدة حتى فتحوا الدنيا يقتلون الكفار ويأسرونهم، ويستوطنون ديارهم ويملكون أموالهم، ويسبون نساءهم، ويستعبدون أبناءهم، يقول تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا. وَكَرَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ. وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا. وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا. وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾^(٤)

(٢) أن طريق الدعوة، طريق شاق مرير، مليء بالعراقيل، فليس بالأمر الهين اللين بل لا بُدَّ من الاختبار والامتحان، ليعرف الصادق من الكاذب، ويتبين الصابر من الجازع، كذا المعادن لا بُدَّ من صهرها بالنار لتنتبين جودتها من خساستها، وليظهر المعدن النفيس من غيره.

يقول تعالى : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلُهُا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ. وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْرٌ

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية رقم ١٢٨.

(٢) سورة يوسف، جزء من الآية رقم ١١٠.

(٣) سورة القصص، الآية رقم ٥، وجزء من الآية رقم ٦.

(٤) سورة الأحزاب، الآيات ٢٥-٢٧.

حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين آمنوا منكم ويعلم الصابرين ﴿١﴾، ويقول تعالى: ﴿٢﴾ أمر حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴿٣﴾، ويقول تعالى: ﴿٤﴾ ألمر. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿٥﴾.

(٣) إن الغاية التي يرمي إليها أعداء الدين من مواجعتهم للإسلام بكل الأساليب التي تنهياً لهم، هي إطفاء نور الله تعالى وكبته، وصدُّ الناس عنه، حيث بذلوا في سبيل ذلك مهج نفوسهم وكرائم أموالهم وقد فضح الله تلك الغاية بقوله تعالى: ﴿٦﴾ يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴿٧﴾، وبقوله: ﴿٨﴾ يريدون أن يطفنوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴿٩﴾، وبقوله: ﴿١٠﴾ إن الذين كفروا ينتقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم محشورين ﴿١١﴾.

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٤٠-١٤٢.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢١٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآيات ١-٣.

(٤) سورة الصف، الآية رقم ٨.

(٥) سورة التوبة، الآية رقم ٣٢.

(٦) سورة الأنفال، الآية رقم ٣٦.

٤) أن هذه المواجهة، وهذا الصدّ والكيد ليس أمراً جديداً، ولم يكن وليد العهد المكي فحسب، بل إنّ الأمر قديم ومكرور في كل زمان ومكان وسيستمر إلى قيام الساعة، بل سنة من سنن الله الكونية.

يقول تعالى: ﴿ ولقد استهزيء يرسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾^(١)، ويقول تعالى: ﴿ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾^(٢)، ويقول تعالى: ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أوتأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾^(٣)، ويقول تعالى: ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴾^(٤).

التوصيات

- (١) التعرف على أساليب الخصوم بأنواعها وأشكالها، والحذر منها كل الحذر كأساليب الترغيب التي ترد بأستار زاهية لامعة برآقة.
- (٢) السير على منهج الدعوة الإسلامية في مواجهتها لأساليب الخصوم، ذلك المنهج العظيم الفريد، والمتمثل: بمنهج القرآن الكريم، ومنهج الرسول - ﷺ -، ومنهج الصحابة - رضوان الله عليهم -.
- (٣) التأسي بالمصطفى - ﷺ - إمام الصابرين، وقدوة المحتسبين الذي لقي في سبيل الله والدعوة ما لم يلقه غيره، فصبر - صلوات ربي وسلامه عليه - صبراً عظيماً، ونادراً فريداً.

(١) سورة الأنعام، الآية رقم ١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم ١٨٤.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١١٨.

(٤) سورة الذاريات الآيتان رقم ٥٢-٥٣.

(٤) التأسى بالصحاب الكرام- رضوان الله عليهم- الذين لم تلتن قناتهم، وتضعف همتهم وتخور عزيمتهم، من جراء ذلك الإيذاء وتلك المواجهة، بل ساروا قدماً في ذلك الطريق العظيم طريق الأنبياء والرسل- صلوات الله وسلامه عليهم- دون تردد أو إحجام.

(٥) الالتزام الشديد بمنهج السلف الصالح والذي سار عليه المصطفى -ﷺ-، وصحبه الكرام -رضوان الله عليهم-، ذلك المنهج الرباني الفريد، الذي يكفل للبشرية سعادة الدارين، والحذر من تلك المناهج الحادثة التي لم تسلم من الزيادة والنقصان موضوعاً ومنهجاً.

(٦) المسلمون كالجسد الواحد، وكالبناء الواحد، همهم واحد وفرحتهم واحدة، فلا بُدَّ من الوقوف مع المحتاجين، ومساندة المعوزين ونصرة المظلومين فالدين واحد والرب واحد والمنهج واحد والرسول واحد والكتاب واحد والمصيرية واحدة. يقول تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان..﴾^(١).

وهذا أمر ضروري لا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه جراح المسلمين، ونعددت ففي كل صقع من أصقاع المعمورة جرح ينزف وقلب ينقطع ونفس تتحسر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إذاً لا بُدَّ من بذل مهج النفوس، وكرائم الأموال لتحقيق تلك الوحدة المتماسكة. (٧) مسايرة العصر، وما يستجد فيه من تطورات -فيما لا يتعارض مع الكتاب والسنة- كالوسائل والأساليب الحديثة المتمثلة في وسائل الإعلام، واستغلال ذلك للدعوة إلى الله ونشر الدين في أصقاع المعمورة.

(٨) التخلق بالأخلاق الحسنة، والصفات الحميدة أثناء القيام بالدعوة كالحلم والصبر والكرم والحكمة وغير ذلك من الصفات التي تنتج القدوة الحسنة الصالحة.

(٩) معرفة نقاط الضعف التي استغلها أعداء الإسلام وراحوا يبتئون كيدهم وسمومهم من خلالها، ومن ثم قفلها وإحكام سدّها.

(١) سورة المائدة، جزء من الآية رقم ٢.

الفهارس

وتتضمن:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث والآثار.

فهرس الأعلام.

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

- سورة البقرة.

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٦٤	٩	مخادعون لله والذين آمنوا وما مخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون...	١
١٠٣	١٠٢	واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان...	٢
١٠٣	١٠٢	فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه...	٣
٥٢٥، ٤٧٣	١٠٥	ما يؤذ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم...	٤
٥٢٥	١٠٩	وإكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم...	٥
٤٧٤، ٤٧٣، ٥٧٨	١١٨	وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية...	٦
١٢١ (الهامش)	١١٨	كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم، تشابهت قلوبهم...	٧
٥٢٤	١٢٠	ولين ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم...	٨
٣٣٨	١٤٦	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...	٩

- تابع سورة البقرة.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١٠	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ...	١٧٠	٥٦٠
١١	فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه...	١٧٣	٥٦٤
١٢	يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر...	١٨٥	٥٦٣، ٥٠٤
١٣	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله...	١٩٣	٢٤٢
١٤	أمر حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا...	٢١٤	٥٧٧
١٥	ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ...	٢١٧	٥٢٥
١٦	الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس...	٢٧٥	١٠٧
١٧	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ...	٢٧٨	١٤٥ (الهامش)
١٨	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت...	٢٨٦	٥٦٣

- سورة آل عمران -

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
٥١٥	٤	زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة...	١
٥٢٥	٦٩	ولذات طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون...	٢
٥٧٥، ٢٤٤ ٥٧٧، ٥٧٦	١٤٢-١٤٠	إن يحبسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس...	٣
١	١٤١	وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين...	٤
٢٤٤	١٧٩	ما كان لله ليذر المؤمنين على ما أتر على حتى يميز الخبيث من الطيب...	٥
٥٧٨، ٤٧٢	١٨٤	فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير...	٦
٤٧٣	١٨٦	لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذنى كثيراً...	٧

- سورة النساء.

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٤٠٤	٦٣	أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً...	١
٣٣٣، ٣١٤، ٣٣٤	٨٢	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.	٢

- سورة المائدة.

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٥٧٩	٢	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان...	١
٢٨٩ (الهامش)	٣	وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق...	٢
١٦٣	٣١	قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي فأصبح من النادمين...	٣
٥٦٠	١٠٤	أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون...	٤

- سورة الأنعام -

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٣٢٤،١٨٩	٧	ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين	١
١٧٦،١٤٠ ٣٤٤	٩ - ٨	وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً...	٢
٣٥٩،٢١٤ ٥٣٢،٤٧٢ ٥٧٨	١٠	ولقد استهزيء برسلى من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزون...	٣
٢٣٢	٢٥	وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها...	٤
٣٦١،٣٥٩ ٥٧٠	٣٤ - ٣٣	قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأذوا حتى أتاهم نصرنا...	٥
١٧٥	٣٧	وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه...	٦
٥٥٠	٣٨	ما فرطنا في الكتاب من شيء...	٧
٣٩٩،١٤٩	٥١	وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم...	٨
٣،١٤٩،١٤٨ ٣٩٩،٩٨ ٤٠١	٥٢	ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه...	٩

- تابع لسورة الأنعام -

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٣٩٩،١٤٩	٥٨	قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين...	١٠
٤٠٤،٤٠٣	٦٨	وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره...	١١
٤٠٤	٧٠	وذُرِّ الَّذِينَ اخْتَدُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...	١٢
٥٥٨،٣١ ٥٥٩	٩٠	قل لا أسألكم عليه أجرًا إن هو إلا ذكرى للعالمين	١٣
٤٠٦	١٠٦	اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين...	١٤
٧٥	١٠٨	ولا تستبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًّا بغير علم...	١٥
١٨٥	١٠٩	وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها...	١٦
٢٣٣،١٨٤ ٣٤٤،٣٢٥	١١١	ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله...	١٧
٣٦٠	١١٢	وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.	١٨

- تابع سورة الأنعام -

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
١٨٧، ١٨٦	١٢٤	وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتيت رسل الله...	١٩
٣٧٤	١٤٠	قد خسر الذين قتلوا أولادهم سنهياً بغير علم...	٢٠
٥٦١	١٤٨	سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا...	٢١
٥٦٢، ٥٦١	١٤٨	قل هل عندكم من علم فتخرجوا لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا مخرصون...	٢٢
٥٥٠	١٥٥	وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه ونفوا عنكم تترحمون...	٢٣

- سورة الأعراف -

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٤١٠	٣٣	قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق...	١
٣٥٥	٥٧	وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقنا لبلاد ميتٍ فأنزلنا به الماء...	٢
٧١	١١٦	... واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم...	٣
٥٧٦	١٢٨	... والعاقبة للمتقين	٤

- تابع سورة الأعراف.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
٥	الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي مجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل...	١٥٧	٣١٢
٦	فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته...	١٥٨	٥٥٢
٧	أولم يتفكر وأما بصاحبه من جنه إن هو إلا نذير مبين...	١٨٤	١٠٦، ١٠٥ ٣٢٣

- سورة الأنفال.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.	٣٠	٢٦٩، ٢٦٨ ٢٧٠ (الهامش)
٢	وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين...	٣١	١٥٦، ١١٩
٣	وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم...	٣٢	٢٠٨، ٢٠٢
٤	وما كان لله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان لله معدبهم وهم يستغفرون...	٣٣	٢٠٨ (الهامش) ٢٠٩،

- تابع سورة الأنفال.

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٥١٢، ٦٢ ٥٧٧	٣٦	إن الذين كفروا ينتفون أموالهم ليصدوا عن سبيل لله، فيسنتفونها ثم تكون عليهم حسرةً ثم يغلبون..	٥
٢٤٣	٣٧	ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً...	٦
٢٤١ (الهامش)	٣٩	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.	٧
١٩	٤١	إن كتمتم آمتتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان...	٨

- سورة التوبة.

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
١٦٣	٢	فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزين لله وأن لله محزي الكافرين...	١
٤٤٨	٦	وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله...	٢
٥٧٧	٣٢	يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون	٣
٢٨١	٤٠	... إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن لله معنا...	٤

- سورة يونس.

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
١٣٩،١٠١	٢	أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجلٍ منهم أن أنذر الناس...	١
٤٩٥	٢	قال الكافرون إن هذا لساحرٌ مبين...	٢
١٨٠،١٧٩	١٥	وإذا تتلى عليهم آياتنا قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقر أن غير هذا أو بدله...	٣
١٧٥	٢٠	...ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه	٤
٣١٢،٣١١	٣٧	... وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه...	٥
٣٧١	٣٨	أمر يقولون افترا لا قل فاتوا بسورة مثله	٦
٤١١	٤١	وان كذبوك قتل لي عملي ولكم عملكم أتم يريتون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون	٧
٢٣٤،٢٣٣	٩٧-٩٦	- إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأكبر.	٨

-سورة هود-

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
١٨١،١٧٦	١٢	طولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك...	١
٣٧١	١٣	أمر يقولون افتزأه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين...	٢
٤٤٥،٣٩٦	٤٩	تلك من أبناء الغيب نوحها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر إن العاقبة للمتقين	٣
٤٤٩	٨٠	قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد.	٤

-سورة يوسف-

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
٥٦٠	٣٣٨	واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء...	١
٣١	١٠٤	إن هو إلا ذكرى للعالمين...	٢
٥٧٦،٤٤٧	١١٠	حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء...	٣

- سورة الرعد -

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	أفلم يأتس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لمدى الناس جميعاً...	٣١	٢٣٣

- سورة الحجر -

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون .	٦	٣٢٣، ١٠٥ ٤٩٩
٢	لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين	٧	١٧٨، ١٧٧
٣	ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون	١١-١٠	٥٣٢
٤	سولوفتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون	١٥، ١٤	١٨٩
٥	...إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين	١٨	١٠٤ (الهامش)
٦	... كما أنزلنا على المقتسمين	٩٠	١٧١ (الهامش)
٧	فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين	٩٤	٤٠٦، ٣٢، ٣٠
٨	... إنا كفيناك المستهزئين...	٩٥	١٧٠ (الهامش)، ٢٠٠

- سورة النحل.

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
٥٦١	٣٥	... وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ...	١
١٤٠	٤٣	- وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم:	٢
٥٥٥	٨٩	- ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين	٣
١١١، ١٠٩	١٠٣	- ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر. لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين	٤
٢٩٣	١٠٦	... من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان	٥
٤٠٨	١٢٥	وجادلهم بالتي هي أحسن.	٦
٣٠٥	١٢٦	وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به	٧

- سورة الإسراء.

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
٩٣	٤٨	انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً.	١
٣٥٠	٥١-٤٩	وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً أننا لمبعثون خلقاً جديداً قل كونوا حجارة أو حديداً.	٢

- تابع سورة الإسراء.

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
١٤٠	٧٠	ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً.	٣
٣٠٤	٨١	وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.	٤
٦٦ (الهامش)، ١٦٦، ١٦٧، ٢٠٠، ١٦٨ (الهامش)	٨٥	ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي	٥
٣٧٠	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.	٦
١٧٠، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ٣٢٥	٩٠-٩٣	وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه...	٧

- تابع سورة الإسراء.

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
٣٤٦،٣٤٤	٩٥	قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً.	٨
٣٥٣	٩٩-٩٨	وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً أننا لمبعثون خلقاً جديداً...	٩
٣٣١	١٠٦	وقرآنا فرقنا لتقرأ على الناس على مكثٍ ونزلنا تنزيلاً.	١٠

- سورة الكهف.

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
١٦٦	٢٤-٢٣	ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله...	١
١٥١،١٥٠، ٤٠١،٤٠٠	٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه...	٢
١٦٦	٨٣	ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً.	٣

- سورة مريم -

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٦٦، ٦٦ (الهامش) ١٥٢، ٢٠٠ (الهامش) ٢٩٠، ٢٨٩ (الهامش) ٣٩١، ٣٩٠	٧٧ - ٨٠	أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً. اطلع الغيب أمر المحذ عند الرحمن عهداً. كلا سنكتب ما يقول ونمته له من العذاب مداً. ونرته ما يقول ويأتينا فرداً.	١

- سورة الأنبياء -

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
١٣٩ (الهامش)	٣	هل هذا إلا بشر مثلكم	١
١٢٠، ٩٣، ٤٩٣، ٣١٩	٥	بل قالوا أضغاث أحلام بل إفتراء بل هو شاعر...	٢
١٧٥	٥	فليأتنا بآية كما أرسل الأولون	٣
٣٦٦، ٣٠٤، ٣٦٧	١٨	بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق	٤
٥٣٢، ١٩٧، ٥٣٣	٣٦	وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكركم أمتكم؟ ...	٥
٥٥٩	١٠٧	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	٦

- سورة الحج -

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٥٦٣، ٥٠٤	٧٨	وما جعل عليكم في الدين من حرج. ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل...	١

- سورة المؤمنون.

م	الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	أَمْحَسِبُونَ أَنَّ مَخْدَمَهُمْ بِهِ مِنْ مَالِ وَيْنَدِينَ نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ	٥٥-٥٦	١٥٢
٢	أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جَنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ...	٧٠	٣٢٣، ١٠٥ ٤٩٩
٣	إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٍ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ...	١٠٩-١١١	٢١٥

- سورة الفرقان.

م	الآية	رقمها	رقم الصفحة
١	تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا...	١	٥٥٩، ٤١٩
٢	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ...	٤	١١١، ١٠٩ ١٥٣، ١١٢ ٣٦٩، ٣١١ ٤٨١، ٣٧٦ ٤٨٥
٣	وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا...	٥	١٥٣، ١١٧ ٤٩١
٤	وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيُعْمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ...	٧	١٧٣، ١٤١ ١٧٦
٥	أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا.	٨	٣٧٦، ١٨١

- تابع سورة الفرقان.

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
٣٧٥	٩	انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً...	٦
١٨٣، ١٧٧	٢١	وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة	٧
٢٦٥، ٨٤، ٢٦٦	٢٧-٢٩	ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً...	٨
٥٧٠	٣١	وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً...	٩
٣٢٨، ١٣٨، ٣٣٠، ٣٢٩	٣٢	وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً...	١٠
٣٣٣، ٣٢٨، ٣٦٦	٣٣	ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً...	١١
٥٣٣، ١٩٧	٤١	وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً وهذا الذي بعثت الله رسولاً...	١٢
١٢٣	٤٢	إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها...	١٣
٣٧٨	٤٤	أمر محسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً...	١٤
٤١٩	٥٦	وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً...	١٥
٤١٩	٥٧	قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً...	١٦

- سورة الشعراء.

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
٣١٤، ٩٨، ٩٤ ٣٥١	٢١٢-٢١٠	وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون...	١
٣٢١	٢١٣	فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين...	٢
٣٤، ٣٣، ٣٢ (الهامش)، ٣٢١، ٢٢٨	٢١٤	وأندر عشيرتك الأقربين...	٣
٣٤ (الهامش)	٢١٥	واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين	٤
٣١٧، ٩٨ ٣١٨	٢٢٢-٢٢١	هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفكٍ أثيم...	٥
٣٢٠، ٣١٩	٢٢٦-٢٢٤	والشعراء يتبعهم الغاؤون* ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون* وأنهم يقولون ما لا يفعلون...	٦

- سورة النمل.

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
١٢١	١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين	١

-سورة القصص-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين...	٦،٥	٥٧٦
٢	فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً...	٨	٣٤١
٣	فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى، أولر يكفروا بما أوتى موسى من قبل...	٤٨	١٧٦
٤	إنك لاتهدي من أحببت ولكن لله يهدي من يشاء، وهو أعلم بالملهدين...	٥٦	٢٣٠ (الهامش)

-سورة العنكبوت-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم...	٣-١	٥٧٧،٢٤٣
٢	ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله...	١١-١٠	٢٤٤
٣	وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم، وما هم بخاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون...	١٢	٦٨،٦٤

-تابع سورة العنكبوت.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١٤	وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله ...	٥١-٥٠	١٨٨

-سورة الروم.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	ألم، غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون...	٣-١	٣١٣

-سورة لقمان.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	إن الشرك لظلم عظيم...	١٣	٤١٠

-سورة السجدة.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وقالوا أنذا ضللنا في الأرض أننا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون...	١٠	٦٧
٢	ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون...	٢١	٣٨٨، ٣٨٧
٣	فأعرض عنهم وأنتظر إنهم منتظرون...	٣٠	٤٠٩

-سورة الأحزاب-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً...	٢١	٥٥٢
٢	ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى لله المؤمنين القتال ...	٢٥-٢٧	٥٧٦

-سورة سباء-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض...	٣	٣٥٢
٢	وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين	٣٥	١٥٢
٣	وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى...	٣٧	١٥٢
٤	إن هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم...	٤٣	١٣٩ (الهامش)
٥	وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى...	٤٣	٣١١
٦	قل إنما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى...	٤٦	١٠٥
٧	قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد...	٤٩	٣٠٤

سورة فاطر.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	ولله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناها إلى بلدٍ ميّتٍ فأحيينا به الأرض بعد موتها، كذلك النشور...	٩	٣٥٦

-سورة يونس-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وما علمنا لا الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر، وقرآن مبين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين...	٦٩-٧٠	١١٥، ٣٢١، ٣٢٢
٢	أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيمٌ مبين، وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ علیم...	٧٧-٧٩	١٩٩، ٦٦، ٣٥٢، ٣٥٠، ٥٢٦
٣	أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم، بلى وهو الخلاق العليم...	٨١	٣٥٣

-سورة الصافات-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وإذا رأوا آية يستسخرون...	١٤	١٩٤
٢	ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون...	٣٦	٣١٩، ١١٥، ٤٨٨
٣	يقول أنك لمن المصدقين أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أننا ملدينون...	٥٣-٥٢	٦٨
٤	أذلك خير نزلأ أمر شجرة الزقوم* إنا جعلناها فتنةً للاظالمين ...	٦٦-٦٢	٥٣٠، ٢١٠
٥	فكفروا به فسوف يعلمون	١٧٠	٣٦٢
٦	ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون	١٧٣-١٧١	٣٦٢

-سورة ص-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب...	٤	١١٢، ١٠١، ٤٨٥، ١٣٩، ٤٩٥
٢	أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عجاب...	٥	١٤٢، ١٤١
٣	ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق...	٧	١٤٣، ١١٢، ٤٨٥
٤	أنزل عليه الذكر من بيننا، بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب...	٨	١٤٥، ١٤٢، ١٨٨

-تابع لسورة ص-

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٢٠٤، ٢٠١، ٥٢٨، ٢٠٨	١٦	وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب...	٥
٥٢٨، ٢٠٤	١٧	اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب...	٦
٢١٦	٦٣-٦٢	وقالوا مالنا لا نرى رجلاً كنا نعدهم من الأشرار أخذناهم سخرياً أمر زاغت عنهم الأبصار...	٧
٣١	٨٧	إن هو إلا ذكر للعالمين...	٨

سورة الزمر-

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٤١٠	٧	إن تكفروا فإن لله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر...	١
٢٠٧	٤٨	ويدا لهم سيئات ما كسبوا وحق بهم ما كانوا به يستهنون...	٢
٤٦	٦٤	قل أفخير لله تأمروني أعبد أيها الجاهلون...	٣

٢٨	٢٧٩، ٢٧٣ ٢٦٣، ٢٦٢ ٢١٩، ٢١٤	١	وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه اتقون رجلاً أن يقول ربي لله وقد جاءكم بالبينات من ربكم...
٥١	٣٦٤، ٣٦٢	٢	إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد...

-سورة فصلت-

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
١٦١، ١٥٨	٢٦	١	وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون...
١٥٢	٥٠	٢	- ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى، فلننبئن الذين كفروا بما عملوا...

سورة الشورى.

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
١٦٣	٣١	١	وما أتمر بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير...

-سورة الزخرف-

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
٥٣٢	٧-٦	وكرم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون ...	١
٥٦١	٢٠	وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ...	٢
٤٨٠، ١٣٢، ٥٠٢	٢٢	بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مهتدون ...	٣
٥٦٠، ٥٠٢	٢٣	وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون ...	٤
٥٠٣	٢٤	قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ...	٥
١٤٦، ١٤٤ (الهامش) ١٨٧	٣١	وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ...	٦
١٩٣	٣٢	ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ...	٧

-سورة الصافات-

رقم الصفحة	رقمها	آية	م
٤٢١ (الهامش)	١٢	ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ...	١
١٠٨	١٤	ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ...	٢
٥٣٠، ٢١١	٤٦-٤٣	إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يخلي في البطون كغلي الحمير ...	٣
٣٨٢	٤٧	خذوا فاعتلوا إلى سواء الجحيم ...	٤

-سورة الجاثية.

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
٣٩١	١٠-٧	ويل لكل أفاك أثيم* يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يُصِرُّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم..	١
٣٩٢،٣٩١	٩	وإذا علم من آياتنا شيئاً أخذها مزوا... وإذا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزون...	٢
٢٠٧	٣٣	وإذا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزون...	٣

-سورة الأحقاف.

رقم الصفحة	رقمها	الآية	م
١٥١	١١	وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه...	١
١٥٣	١١	وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم...	٢
٣٥٤،٣٥٣	٣٣	أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي مخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى* بلى إنه على كل شيء قدير...	٣
٣٩٧،٣٩٦ ٥٧٠،٤٤٥	٣٥	فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم....	٤

-سورة محمد-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم...	٣١	١

-سورة الفتح-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً...	٨	٤١٩

-سورة الحجرات-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...	٦	٢٦٥ (الهامش)
٢	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم...	١٣	٥٥٨،٨٣

-سورة ق-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ....	٤	٣٥٢

-سورة الخاريات-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	يوم هم على النار يفتنون ، ذوقوا فنتنكمم...	١٣-١٤	٣٣٦
٢	كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به* بل هم قوم طاغون...	٥٢-٥٣	١٢١ (الهامش)، ٥٧٨ ، ٤٧٤

-سورة الطور-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون...	٢٩	٤٩٧، ٩٥
٢	أمر يقولون شاعر نتربص به ريب المنون...	٣٠	٣١٩، ١١٥ ٤٨٨
٣	أمر يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين...	٣٣-٣٤	٣٧١، ١١٢ ٤٨٥

-سورة النجم-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى...	٢٣	٤١٣، ٤١٢
٢	فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا...	٢٩	٤٠٨

-سورة القمر-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر...	٢-١	١٧٤

-سورة الرحمن-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	الرحمن، علم القرآن...	٢-١	٤٥٧، ٢٩٦

-سورة الواقعة-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعثون...	٤٧	٦٨
٢	ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لا تكون من شجرٍ من زقوم فما لؤون منها البطون.	٥٣-٥١	٥٣٠، ٢١٠

-سورة الحشر-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا....	٧	٥٥٢
٢	لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيت حاشعاً متصدعاً من خشية لله....	٢١	٣١٥

-سورة الصف-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول لله إليكم.	٦	٣١٢
٢	يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متر نورة ولو كره الكافرون...	٨	١٣٨، ٣٩، ٢ ٥٧٧
٣	هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون...	٩	٤٠٥

-سورة الملك-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراطٍ مستقيم...	٢٢	١٣١

-سورة القلم-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وإذا لو تدهن فيدهنون...	٩	٤٦
٢	ولا تطع كل حلاف مهين، هماغز مشاء بنميم...	١٢-١٠	٣٨٠، ٢٢١
٣	عتل بعد ذلك زنيم...	١٣	٢٢١
٤	ويقولون إنه مجنون...	٥١	٣٢٣، ١٠٥ ٤٤٩
٥	وما هو إلا ذكر للعالمين...	٥٢	٣١

-سورة الحاقة.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم أقرؤوا كتابيه...	١٩	٢٠٢
٢	وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه...	٢٥	٢٠٢
٣	إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون...	٤٠-٤١	١١٥، ٩٦، ٤٤٨
٤	ولا يقول كاهنٍ قليلاً ما تذكرون...	٤٢	٩٧، ٩٦، ٩٥، ٤٩٧
٥	ولو تقول علينا بعض الأقاويل...	٤٤	١١٣ (الهامش)

-سورة الجن.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع...	٨-٩	٣١٥
٢	قل إنني لن نبخرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً...	٢٢	٤٤٨

-سورة المزمل.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً...	١٠	٣٩٧

-سورة المدثر.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	يا أيها المدثر، قم فأندر...	٢-١	٣٠، ٢٤، ٢٣ ٤٠٥، ٣٥
٢	فقال إن هذا إلا سحرٌ يوثر...	٢٤	١٠٣، ١٠١ ١٥٣
٣	إن هذا إلا قول البشر.	٢٥	٣٦٩، ١٠٩
٤	سأصليه سقر، وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر...	٣١-٢٦	٣٣٥، ٢١١ ٣٤٢
٥	وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً...	٣١	٣٣٥، ٢١١ ٣٣٩، ٣٣٧ ٣٤٠
٦	وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد للّٰه بهذا مثلاً...	٣١	٣٤١، ٣٣٥
٧	بل يريد كل امرئٍ منهم أن يؤتى صحفاً منسورة...	٥٢	١٧٨

-سورة التكوير.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	إنه لقول رسول كريم...	١٩	٩٨
٢	وما صاحبكم بمجنون...	٢٢	١٠٥
٣	وما هو بقول شيطان رجيم...	٢٥	٩٨، ٩٤

-سورة المطغفين.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهن... وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون	٢٩-٣٦	٢١٦، ٢٢٦، ٣٦٥، ٥٣٤
٢		٣٢	١٣١

-سورة البروج.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد...	٨	٢٩٩

-سورة الأعلف.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	سبح اسم ربك الأعلى...	١	٤٦٥ (الهامش)

-سورة الليل.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	والليل إذا يغشى...	١	٤٥٩ (الهامش)

-سورة الضحى-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وللآخرة خير لك من الأولى وسوف يعطيك ربك فترضى...	٥-٤	٣٦٤

-سورة العلق-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم...	٣-١ ١٨-١	٢٣، ٢١ ٢٧٣
٢	كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى...	٧-٦	٧٧ (الهامش)
٣	أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى، أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى...	١٩-٩	٧٩
٤	كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع نادية سندع الزبانية...	١٨-١٥	٧٧ (الهامش) ٣٨٩-٣٨٨

-سورة البينة-

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	وما أمروا إلا ليعبدوا لله مخلصين له الدين حنفاء، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة...	٥	٤١٠

-سورة الهمزة.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	ويل لكل همزة لمزة...	١	٢٢٢

-سورة الكوثر.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	إنا أعطيناك الكوثر...	١	٣٦٥

-سورة الكافرون.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين...	٦-١	٤١٢،٤٧

-سورة المسد.

م	آية	رقمها	رقم الصفحة
١	تبت يدا أبي لهبٍ وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب...	٢-١	٢٢٨،٣٣، ٤٦٥ (الهامش)

فهرس الأحاديث والآثار

م	الحديث او الأثر	الصفحات
١	أبشروا آل عمار وآل ياسر...	٤٥٨،٤٣٠،٢٩١
٢	ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه.....	١٨٥،١٧٣،١٧٠ ٢٩٩،٢٣٤
٣	اتستهزيء بي وأنت الملك؟...	١٩٣
٤	اتسخر مني وأنت الملك؟....	١٩٣
٥	اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن ربيعه...	٢٥١، ٢٥٠
٦	أتيت عائشة-رضي الله عنها- أسألها عن المسح على الخفين...	٥٦٦
٧	أتيت النبي-صلى الله عليه وسلم- وهو متوسدٌ برده في ظل الكعبة.....	٤٢٩،٢٤١،٢٤٠ ٤٥٧،٤٥٦،٤٣٢،٤٣١
٨	أجنبت فلم أصب الماء فتمعكت بالصعيد وصليت.....	٥٦٦
٩	احتبس جبريل عن النبي-صلى الله عليه وسلم- فقالت امرأة من قريش...	١٩٨
١٠	أخبرني من رأى عمار بن ياسر متجرداً في سراويل.....	٢٩٢
١١	إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها...	١٠٤، ٩٩
١٢	استقبل النبي -صلى الله عليه وسلم- الكعبة، فدعا على نفرٍ من قريش.	٤٢٣
١٣	اشتكى رسول -صلى الله عليه وسلم- فلم يقم ليلتين.....	١٩٨، ٩٤
١٤	أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد.....	٣٢٢
١٥	اعرض عليَّ الإسلام، فعرضه فأسلمت مكاني.....	١٣٥
١٦	أقبل نبي الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة وهو مردوف أبابكر	٤٢٢

م	الحديث او الأثر	الصفحات
١٧	أقبلت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آخذاً بيدي ونحن نتمشى....	٢٩١
١٨	أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من العذاب ما يعذرون به....	٢٤٢
١٩	ألا تتقي الله في هذا المسكين حتى متى؟.....	٢٨٧
٢٠	اللهم أعم بصره وأثكله ولده....	٤٢٣
٢١	اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف...	٤٢١
٢٢	اللهم اكفنا شر ابن العدويه...	٤٢٣
٢٣	اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء (الآية)...	٢١٠، ٢٠٩
٢٤	الملائكة تتحدث في العنان، والعنان هو الغمام...	٩٩
٢٥	أما أنت يا عبته بن ربيعة فوالله ما حميت لله ولا لرسوله....	٤٢٥
٢٦	أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح.....	٤٢٤
٢٧	أن أبي بن خلف جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بعظم حائل....	١٩٩، ٦٦ ٥٢٦
٢٨	إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.....	١٠٧
٢٩	إن الله تجاوز عن أمي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل....	٥٦٤
٣٠	إن الله عزوجل قد جعل لكم إخوانا وداراً يأمنون بها.....	٤٣٥، ٤٣٤
٣١	إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك.....	٥٦٥، ٥٦٤
٣٢	أن المشركين قالوا: يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك....	٧٥

م	الحديث او الأثر	الصفحات
٣٣	إن الملائمة من قریش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى.....	٢٧١
٣٤	أن أهل مكة سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يرهم آية..	١٧٦، ١٧٥
٣٥	إن أول يوم عرفت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنني أمشي أنا وأبوجهل....	٢٣٦، ٢٣٥
٣٦	أن أبابكر الصديق - رضي الله عنه - اشترى بلالاً وهو مدفون بالحجارة....	٤٦٠
٣٧	أن بلالاً قال لأبي بكر إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني.	٤٦٠
٣٨	أن رجلاً من إراش قدم بإبل له مكة، فاتباعها منه أبوجهل...	٢١٤، ٢١٣
٣٩	أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر...	٥٦٥
٤٠	أن أباسفيان بن حرب، وأبا جهل، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة...	٢٣١
٤١	أن ضماداً قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقى من هذه الريح.....	١٢٦
٤٢	إن مشركي قریش بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته...	١٦٦، ١٦٥
٤٣	إن أبا معيط كان يجلس مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكة لا يؤذيه...	٢٦٦
٤٤	إن من الشعر لحكمة...	٣٢٢

م	الحديث او الأثر	الصفحات
٤٥	إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه...	٥٠٤
٤٦	أن هرقلأ أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً....	١٤٨، ١٤٧
٤٧	إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار....	٣٣٢، ٣٣١
٤٨	إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين...	٤٦٨، ٤٣٤
٤٩	إني بسوق ذي المجاز إذ مر بي رجل عليه حلة من بردٍ حمر وهو يقول: أيها الناس قولوا إلا إله إلا الله تفلحوا...	٤٤٦، ١٢٧
٥٠	إني لغلام شاب مع أبي بمنى، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: يا بني فلان إني رسول الله إليكم...	٤٥١، ٤٥٠
٥١	إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول - صلى الله عليه وسلم - يتبع القبائل...	١٢٨
٥٢	أول ما بدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة...	٢٢، ٢٠
٥٣	أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم.....	٤٧٠
٥٤	أيها الناس أخبروني بأشجع الناس! قالوا: لانعلم...	٢٨٠، ٢٧٩
٥٥	بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً...	٤٦٨، ٤٦٧
٥٦	بيننا أنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود...	١٦٧

م	الحديث او الأثر	الصفحات
٥٧	بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - ساجد، وحوله ناس من قريش جاء عقبه...	٤٢٢، ٢٦٤
٥٨	بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري فاذا الملك...	٢٤
٥٩	بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي عند البيت، وأبوجهل وأصحابه جلوس..	٢٦٥ ، ٢٦٤
٦٠	بينما هو في الدار خائفاً إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو..	٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ١٣٥
٦١	تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه...	٢٧٠ ، ٢٦٩
٦٢	توضأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومسح على الخفين والعمامة..	٥٦٦
٦٣	جاء جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يوماً وهو جالس حزين..	٢٥٩
٦٤	جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أهل نجد ثائر الرأس...	٥٦٣
٦٥	جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده فقال...	٣٩٠، ٢٠٠، ١٩٩
٦٦	جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا...	٤٢١، ٤٢٠
٦٧	جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر ديه كل واحد منهما لمن قتله أو أسره...	٦٢، ٦١، ٥٩ ٢٥٣، ٢٥٢
٦٨	حضرت قريشاً وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا:...	٤٢٤

م	الحديث او الأثر	الصفحات
٦٩	خرج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يوماً متوشحاً بسيفه يريد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وذكر له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا...	٢٧١، ٢٧٢
٧٠	خرجت أتعرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل أن أسلم- فوجدته قد سبقني...	٩٦، ٩٧، ١١٦
٧١	خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يحلون الشهر الحرام...	٢٩٨
٧٢	ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك....	١٧٢، ٤٢٠
٧٣	رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول...	١١٣، ١٢٢
٧٤	رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسوق ذي المجاز يتخللها يقول، يا أيها الناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا...	٢٦٧، ٤١٠، ٤٤٦، ٤٤٧
٧٥	رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول...	١٢٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩
٧٦	رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمسح على عمامته وخفيه....	٥٦٥
٧٧	رأيت أبا لهب بعكاز وهو يتبع النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يقول...	١٢٣، ١٢٨
٧٨	زرت عائشة مع عبيد بن عمير الليثي فسألناها عن الهجرة فقالت...	٢٤١
٧٩	سأل أهل مكة النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يجعل لهم الصفا ذهباً...	١٧٤، ١٨٥

م	الحديث او الأثر	الصفحات
٨٠	شرى علي-رضي الله عنه- نفسه، ولبس ثوب النبي-صلى الله عليه وسلم-.....	٢٧٠
٨١	شكوت إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة...	٥٧٢، ٥٧١
٨٢	صبراً يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة.....	٤٥٨، ٢٩١
٨٣	على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي.....	٤٥٣، ٤٥٢
٨٤	عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي.....	٥٥٤
٨٥	فانطلق أنيس حتى أتى مكة، فراث علي ثم جاء فقلت.....	١١٦، ١٠٢، ٩٦
٨٦	فخرجت في إثر رجل منهم جعل يتهم بي.....	١٩٤
٨٧	فخرجت وأنا متم، فأتيت المدينة فنزلت بقاء، فولدت بقاء...	٤٧٠، ٤٦٩
٨٨	فرض الله الصلاة على لسان نبيكم -صلى الله عليه وسلم-....	٥٦٧
٨٩	فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر.....	٥٦٧
٩٠	فشكا خباب ذلك إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: اللهم انصر خباباً،...	٢٨٩
٩١	فضلت على الأنبياء بست.....	٥٥٩
٩٢	فعلنا على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان الإسلام قليلاً...	٢٤١
٩٣	فقال علي: يا محمد ما هذا؟ قال: دين الله الذي اصطفى لعباده...	٢٦، ٢٥
٩٤	فقال لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، مابي ماتقولون...	٤١٨

م	الحديث او الأثر	الصفحات
٩٥	فقال: نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ماتكونان هكذا...	٤٢٦
٩٦	فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً...	٣٣٣
٩٧	فلم تكذب قريش ابن الدغنة، وقالوا...	١٥٩
٩٨	فلما أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ما وراءك.....	٢٩٣، ٢٩٢
٩٩	قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أعتقت....	٤٥٩
١٠٠	قالت قريش ليهود، أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل! فقالوا: سلوه عن الروح...	١٦٧
١٠١	قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أنزل الله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قال: يامعشر قريش أو كلمة نحوها...	٢٢٨، ٣٤، ٣٣
١٠٢	قدمت من أرض الحبشة وأنا جويرية فكساني رسول - صلى الله عليه وسلم - قميصه لها أعلام.	٤٦٧
١٠٣	كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة...	٢٨٣
١٠٤	كان الجن يسمعون الوحي، فيستمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرأ....	٩٩
١٠٥	كان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة...	١٠٠
١٠٦	كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا عجل عليه السفر يؤخر الظهر أول وقت العصر فيجمع بينهما...	٥٦٧

م	الحديث او الأثر	الصفحات
١٠٧	كان النضر من شياطين قريش، ممن يؤذي رسول الله- صلى لله عليه وسلم- وينصب له العداوة...	١٥٧
١٠٨	كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله- صلى الله عليه وسلم-	٢٤٣، ٢٤٢
١٠٩	كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام فقال: يا محمد ألم أنك عن هذا! ...	٣٨٩، ٨٠، ٧٩
١١٠	كان عقبة بن أبي معيط لا يقدم من سفرٍ إلا صنع طعاماً فدعا إليه أهل مكة كلهم...	٢٦٧، ٢٦٦
١١١	كان عمر - رضي الله عنه - يقول: أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا.	٤٦٠
١١٢	كانت للشياطين مقاعد في السماء، فكانوا يستمعون الوحي...	١٠٠
١١٣	كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ستة نفر....	٣٩٩، ١٤٩، ١٤٨
١١٤	كنت قيناً في الجاهلية، وكان لي دين على العاصي بن وائل فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد...	٢٩٠
١١٥	لا أكره أحداً منكم على شيء، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك..	٣٥١
١١٦	لا تحزن إن الله معنا....	٢٨١
١١٧	لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم...	٥٠٤، ٥٠٣
١١٨	لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه...	٧٧
١١٩	لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه...	٢٧٢
١٢٠	لقد ضربوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرة حتى غشي عليه...	٢٥٩

م	الحديث او الاثر	الصفحات
١٢١	لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم...	٢٨٩
١٢٢	لما اجتمع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر....	٢٧٦
١٢٣	لما أجمع أبوسلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره...	٢٥٠
١٢٤	لما أسلم أبي عمر قال: أي قریش أنقل للحديث؟...	٤٦٣، ٤٦٢، ٢٨٤
١٢٥	لما اشتكى النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكرت بعض نسائه كنيسة رأيتها بأرض الحبشة....	٤٦٧ ، ٤٦٥
١٢٦	لما انتهى المشركون إلى الغار، قال: أبو بكر للنبي - صلى الله عليه وسلم -...	٢٨٠
١٢٧	لما بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - رسولاً، أنكرت العرب ذلك...	١٣٩
١٢٨	لما بلغ أذى قریش لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مبلغه...	٢٧٨ ، ٢٧٧
١٢٩	لما بلغ أبانر مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لأخيه...	٢٩٨ ، ٢٩٧
١٣٠	لما بويع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة العقبة...	٢٦٩، ٢٦٨، ٥٩، ٥٨
١٣١	لما حضرت أباطالب الوفاة، جاءه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -...	٢٣٠
١٣٢	لما خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعه أبو بكر إلى ثور...	٢٨٠
١٣٣	لما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة مهاجراً إلى المدينة...	٦٢ ، ٦١

م	الحديث او الأثر	الصفحات
١٣٤	لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياماً لا يرى جبريل... وسلم - الصفا...	٢٢
١٣٥	لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ صعد النبي - صلى الله عليه وسلم - الصفا...	٢٢٨ ، ٣٣
١٣٦	لما نزلنا المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة خرج أبوجهل...	٢٥٥ ، ٢٥٤
١٣٧	لما نزلنا بأرض الحبشة، جاورنا بها خير جار: النجاشي...	٢٥٨، ٥٧ ٢٥٤، ٢٥٣
١٣٨	لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد...	٤٦٥، ٤٣٤
١٣٩	لو رأيتني موقفي عمر على الإسلام، أنا وأخته...	٢٨٢
١٤٠	ما أدع بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء...	٥٤
١٤١	ما أراك منتهياً حتى يصيبك ما أصاب من غير عهد...	١٩٧
١٤٢	ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ...	٢٦٠ ، ٢٥٩ ٢٧٧ ، ٢٧٦
١٤٣	ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ...	٢٦٠، ٢٢٥، ٢٢٤ ٢٦٣، ٢٦٢، ٢٦١ ٢٧٣
١٤٤	ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا...	٤١٩، ٤١٨، ١٧٢
١٤٥	ما بهذا بعثت، إنما جننتكم من الله بما بعثني به...	٤١٨، ١٧٢
١٤٦	ما رأيت قريشاً أرادوا قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا يوماً...	٢٧٣ ، ٢٦٣ ٢٧٩ ، ٢٧٤
١٤٧	ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد...	٢٩٠

م	الحديث او الاثر	الصفحات
١٤٨	مر المأ من قريش على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء... ...بهؤلاء...	٣٩٩ ، ١٤٩
١٤٩	مررت ببلال وهو يعذب في الرمضاء، لو أن بضعة لحم وضعت لنضجت... ...وضعت لنضجت...	٢٨٦
١٥٠	من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه... ...فليتم صومه...	٥٦٧
١٥١	نعم! أنا أقول ذلك، أنت أحدهم... ...أنت أحدهم...	٤٢٥
١٥٢	هاجرنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - نريد وجه الله... ...نريد وجه الله...	٤٦٩
١٥٣	هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ ...هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟	٧٨ ، ٧٧
١٥٤	هلك المتطعون... ...هلك المتطعون...	٥٠٤
١٥٥	والله إن غدوي وراوحي في جوار رجل من أهل الشرك... ...والله إن غدوي وراوحي في جوار رجل من أهل الشرك...	٢٩٥ ، ٢٩٤
١٥٦	والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب... ...والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب...	٢٨٣ ، ٢٨٢
١٥٧	والله لقد رأيتني وإن عمر لموتقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر... ...والله لقد رأيتني وإن عمر لموتقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر...	٢٨٢
١٥٨	والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟... ...والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟...	٤٥٨، ٤٥٧، ٢٩٦
١٥٩	وهو يمشي القهقري ويقول: هلم إلى الجنة. يتهم بنا... ...وهو يمشي القهقري ويقول: هلم إلى الجنة. يتهم بنا...	١٩٤
١٦٠	يا أيها الناس، اياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين... ...يا أيها الناس، اياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين...	٥٠٣
١٦١	يا أبابكر إنا قليل... ...يا أبابكر إنا قليل...	٢٧٦

م	الحديث او الاثر	الصفحات
١٦٢	يارسول الله ! أي الناس أشد بلاءً؟...	٢٣٩-٢٤٠
١٦٣	يا رسول الله ! على مانخفي ديننا ونحن على الحق...	٢٨٥، ٤٦٣
١٦٤	يارسول الله ! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟...	٥٧١
١٦٥	يابني عبد مناف أي جوار هذا ؟...	٤٢٠
١٦٦	يا عم إنني إنما أريدكم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب...	١٤٢
١٦٧	يابني فلان إنني رسول الله إليكم...	٤٥٠ ، ٤٥١
١٦٨	يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه....	٥٢ ، ٥٣
١٦٩	يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها...	٤٧٣

فہرست الآءلام

م	الإسم	الصفحات
١	إبراهيم (عليه السلام)	٣٥، ٣٧، ٣٤٥، ٤٩١، ٥٦٠، ٥٧٠
٢	إبليس أو (الشیطان)	٥٨، ٥٩، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨، ١١٧، ١٥٧، ٢٤٩، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٦٠، ٣٧٨، ٥٣٠
٣	أبي بن خلف	٦٦، ٦٧، ٨٤، ٨٥، ١٩٩، ٢٢٣، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٤٢٢، ٤٢٥، ٥٢٦
٤	أحمد بن حنبل	٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١١٣، ١١٦، ١٢٢، ١٧٤، ١٨٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٤٦٧
٥	الأخس بن شريق	٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٦، ٣٨٠، ٤٤٩
٦	آدم (عليه السلام)	١٠٧، ١٠٩، ١٤٠، ٤٨٣، ٥٧٠
٧	الأرقم بن الأرقم	٢٩
٨	أسامة بن زيد	١٩٤
٩	إسحاق (عليه السلام)	٥٦٠
١٠	ابن إسحاق (المؤرخ)	٢٢٥، ٢٦٧، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٦
١١	إسرائيل (عليه السلام)	١٧٩
١٢	إسرافيل (عليه السلام)	٥٢٧
١٣	اسفنديار	١١٧، ١٥٧
١٤	أسماء بنت أبي بكر	٢٥٩، ٢٧٩، ٤٥٣، ٤٦٩
١٥	إسماعيل، خان	٥١٣

م	الإسم	الصفحات
١٦	الأسود بن عبد يعوث	١٩٨، ٢٢١، ٣٨٠، ٥٣٤
١٧	الأسود بن المطلب	١٧٠، ٢٢٩، ٤٢٣
١٨	الأعشى	٢٠٣، ٢٠٥
١٩	الأقرع بن حابس	١٤٩، ١٥٠
٢٠	أليوس سبرنجر (مستشرق)	٥٠٠
٢١	امرؤ القيس (الشاعر)	٤٨٩
٢٢	أميل درمنجم (مستشرق)	٤٨٧
٢٣	أمية بن خلف	٦٧، ١٧١، ٢١٤، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٤٢٢، ٤٥٨، ٤٣٩
٢٤	أمية بن أبي الصلت	٣٥، ٢٠٣، ٤٨٩
٢٥	أنس بن مالك	١٧٤، ١٧٥، ٢٠٨، ٢٥٩، ٢٧٩، ٤٢٢، ٥٠٣، ٥٦٧
٢٦	أم أنمار الخزاعية	٢٨٩
٢٧	أنيس (أخو أبي ذر)	٩٦، ١٠٢، ١١٦، ٢٩٨
٢٨	آي دبليولين (مستشرق)	٤٩٢
٢٩	بُحيرى (الراهب)	٤٨٣
٣٠	البخاري	٢٠، ٢٤، ٥٩، ٧٧، ٩٤، ٩٩، ١٠٤، ١٣٥، ١٤٧، ١٥٩، ١٧٤، ١٧٤، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٨، ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٣، ٢٨٢، ٢٩٧، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٨٤

م	الإسم	الصفحات
٣١	أبو البخترى بن هشام (عبدالدار)	٢٤٧، ٢٢٩، ١٧٠
٣٢	البراء بن عازب	٤٧٠
٣٣	برينو (مستشرق)	٥٢٩
٣٤	أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)	٩، ٢٦، ٦٠، ٦٢، ٨٦، ١٠١، ١٥٩، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٧، ٢٨٨، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٩
٣٥	بكر بن وائل	١٢٨
٣٦	البلاذري	٢٨٦، ١٩٨
٣٧	بلال بن رباح	١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ٢١٦، ٢٤٢، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣٩٩، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٨٤، ٥٣٠
٣٨	بلعام	١١٠
٣٩	البيهقي	٨٦
٤٠	الترمذي	١٠٠، ١٧٤، ٢٣٩، ٣٨٩
٤١	تسدال (مستشرق)	٤٨٩
٤٢	ابن تيمية	١٠٧، ٥٥٦
٤٣	تيودور نولدكه (مستشرق)	٥٠١
٤٤	جابر بن عبدالله	٢٤، ٢٥٣، ٤٦٠

م	الإسم	الصفحات
٤٥	جايير (مستشرق)	٤٩٠
٤٦	جبر (عبدلبنى الحضرمي، عالم بالتوراة)	٤٨١، ١١١، ١١٠
٤٧	جبريل (عليه السلام)	٢٢، ٢٣، ٩٤، ١٦٦، ١٩٨، ٢٥٩، ٢٦٩، ٣١٤، ٣١٨، ٣٣٠، ٣٤٥، ٣٦٦، ٤٩٢، ٥٢٣، ٥٧١
٤٨	جريمه (مستشرق)	٤٩٠
٤٩	جعفر بن أبى طالب	٤٦٨
٥٠	جمال الدين الأفغانى	٥١٧، ٥١٨، ٥١٩
٥١	أم جميل بنت حرب بن أمية	٩٤، ١٩٨
٥٢	جميل بن معمر الجمحيّ	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٨٤، ٤٦٢
٥٣	جندب بن سفيان	٩٤، ١٩٨
٥٤	أبو جهل بن هشام	٥٣، ٥٩، ٦٧، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ١٠١، ١٤١، ١٧١، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٢، ٣٨٩، ٣٣٦، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٤٠، ٤٤٦، ٤٥٨، ٤٦٣، ٥٣٠، ٥٣٤، ٥٧٠
٥٥	جورج سال (مستشرق)	٤٨٥
٥٦	جوستاف فيل (مستشرق)	٥٠٠

م	الإسم	الصفحات
٥٧	جولد تسيهر (مستشرق)	٤٨١، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٧
٥٨	الحارث بن قيس	٢٠٠
٥٩	الحارث بن هشام	٢٥٤
٦٠	الحاكم (صاحب المستدرک)	٢٧٠، ٢٧١، ٤٥٩
٦١	حبيب بن عمرو بن عمير التقفي	١٤٤، ١٤٦
٦٢	أم حبيبة	٤٦٦، ٤٦٧
٦٣	ابن حجر العسقلاني	٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٠
٦٤	الحداد	٤٨٤
٦٥	حمزة	٢٧١
٦٦	خالد بن سعيد بن العاص	٨٦، ٤٦٧
٦٧	أم خالد بنت خالد بن سعيد ابن العاص	٤٦٧
٦٨	خباب بن الأرت	٩، ٢٩، ٦٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٩٩، ٢٠٦، ٢١٦، ٢٤٠، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٩٠، ٣٩٩، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٥٦، ٥٣٤، ٥٧١
٦٩	خديجة بنت خوليد (رضي الله عنها)	٢٠، ٢١، ٢٦، ٣٦٦
٧٠	داود (عليه السلام)	٣٢٨
٧١	ابن الدغنة	١٥٩، ٢٧٧، ٢٧٨
٧٢	أبوذر الغفاري	٩٦، ١٠٢، ١١٦، ١٣٥، ٢٩٧، ٢٩٨
٧٣	الذهبي	١٣، ٤٦٠

م	الإسم	الصفحات
٧٤	ذو القرنين (عليه السلام)	١٦٨ ، ١٦٦ ، ١٦٥
٧٥	ربيعة بن عباد الديلي	٤٥٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١١٣
٧٦	رتشارد (مستشرق)	٤٨٢
٧٧	رستم (أحد ملوك الفرس)	١٥٧ ، ١١٧
٧٨	رقية (بنت رسول الله)	٤٦٥
٧٩	رؤبة بن العجاج (الشاعر)	٢١٨
٨٠	رينا (مستشرق)	٥٢٤
٨١	الزبير بن العوام	٢٧
٨٢	زمعة بن الأسود	٢٢٩ ، ١٧٠
٨٣	زنيرة (الرومية)	٤٦١ ، ٤٦٠
٨٤	زياد الأعجم	٢١٧
٨٥	زيد بن حارثة	٢٦
٨٦	د. زيد بن عبدالكريم الزيد	١٦
٨٧	زيد بن عمرو بن نفيل	٣٥
٨٨	سدزن (مستشرق)	٤٩٦
٨٩	سراقة بن مالك بن جعشم	٢٨١ ، ٢٥٢ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩
٩٠	ابن سعد (صاحب الطبقات الكبرى)	٢٩٠
٩١	سعد بن أبي وقاص	٤٦٢ ، ٣٩٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ١٤٨ ، ٢٧ ، ٤٧٠
٩٢	سعيد بن جبير	٢٤٢
٩٣	سعيد بن زيد بن عمرو نفيل	٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨

م	الإسم	الصفحات
٩٤	أبوسفيان بن حرب	٩٤، ١٤٧، ١٧٠، ١٩٧، ١٩٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٤٥٠، ٤٦٧
٩٥	سفيان بن عيينة	٩٩، ١٠٤
٩٦	سلمان الفارسي	١١٠، ٤٨٤
٩٧	أم سلمة	٥٧، ٢٥٠، ٢٥٣، ٤٦٦، ٤٦٨
٩٨	سلمة بن أبي سلمة	٢٥٠
٩٩	أبوسلمة بن عبد الأسود	٢٨، ٢٥٠، ٤٦٦، ٤٦٨
١٠٠	سمية بنت خياط (أم عمار بن ياسر)	٢٤٢، ٢٩١، ٢٩٢، ٤٥٨
١٠١	سنجور (رئيس دولة السنغال سابقاً)	٥١١
١٠٢	سهيل بن عمرو	٤٥٠
١٠٣	سيديو (مستشرق)	٤٨٦، ٤٩٠، ٥٢٣
١٠٤	السيوطي	٢٦٥
١٠٥	شريح بن هانيء	٥٦٦
١٠٦	الشوكاني	٥٠٢
١٠٧	شيبعة بن ربيعة	١٢٩، ١٧٠، ٢٢٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٤٢٢، ٤٢٣
١٠٨	شيخ من بني مالك بن كنانة	٢٦٧، ٤٤٦
١٠٩	صالح (عليه السلام)	١٧٦
١١٠	صفية	٣٤، ٢٨٨
١١١	صهيب (الرومي)	٢٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ٢١٦، ٢٤٢، ٣٩٩، ٤٨٤، ٥٣٤

م	الإسم	الصفحات
١١٢	ضمام بن ثعلبة الأزدي	١٢٦
١١٣	طارق بن عبدالله المحاربي	٤٤٦، ٢٦١، ١٢٧
١١٤	أبو طالب	١٤١، ٧٤، ٧٣، ٥٦، ٥٠، ٤٩، ٢٦، ٢٥، ١٤٢، ١٤٣، ٢٣٠، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٦٧، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٦٥
١١٥	الطبري	١٠٥، ١٥٣، ١٧٣، ١٨٥، ٢٠٣، ٢٢١، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٧
١١٦	الطفيل بن عمرو الدوسي	١٢٦
١١٧	طلحة بن عبيدالله	٢٧، ٢٧٥، ٤٢٣، ٥٦٣
١١٨	عائشة	٢٠، ٩٩، ١٥٩، ٢٤١، ٣٣١، ٤٣٤، ٤٥٢، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٩٩، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٧١
١١٩	عاتكة بنت عبدالمطلب	١٧٣، ١٧٧، ٢٣٤
١٢٠	ابن عاشور	٣٨٨
١٢١	العاصي أو (العاص بن وائل السهمي)	٦٥، ٦٧، ١٣٥، ١٧١، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٠، ٣٩٠، ٤٥٣، ٥٢٦، ٥٣٤
١٢٢	عامر بن ربيعة	٢٨٢، ٢٨٣
١٢٣	عامر بن العري	٤٥٠
١٢٤	عامر بن فهيرة	٦١، ٤٥٣، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٩
١٢٥	العباس	٣٤، ١٣٥، ٢٩٨
١٢٦	عبد الأسد	٢٥٠

م	الإسم	الصفحات
١٢٧	عبدالرحمن بن عوف	٢٧
١٢٨	عبدالله (والد رسول الله - ﷺ -)	٥٤
١٢٩	عبدالله بن أبيّ بن سلول	٦٧
١٣٠	عبدالله بن أحمد بن حنبل	١٠٧
١٣١	عبدالله بن أبي امية	١٧١، ١٧٣، ١٧٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٤
١٣٢	عبدالله بن أبي بكر	٤٥٣
١٣٣	عبدالله بن الحارث	٤٣٨
١٣٤	عبدالله بن أبي حرد	١٩٤
١٣٥	عبدالله بن أبي ربيعة	٥٧، ١٣٣، ٢٥٣
١٣٦	عبدالله بن الزبير	٢٤١، ٤٥٩، ٤٦٩
١٣٧	عبدالله بن سلام	٣٣٧، ٤٨٤
١٣٨	عبدالله بن عباس	٢٢، ٣٣، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٩٩، ١٠٠، ١١٧، ١٢٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٧، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٤، ١٨٥، ٢٢٨، ٢٤٢، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩٧، ٣٣٣، ٣٨٨، ٣٨٩، ٥٠٣، ٥٣٤، ٥٥٩، ٥٦٤، ٥٦٧
١٣٩	عبدالله بن عمر بن الخطاب	١٣٥، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٤٦٢
١٤٠	عبدالله بن عمرو بن العاص	٢٢٤، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٣، ٤٢٤
١٤١	عبدالله بن مسعود	٢٩، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٧، ٢٤٢، ٢٦٤، ٢٨٣، ٢٩٦، ٣٩٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٥٧، ٤٦٧، ٥٠٤

م	الإسم	الصفحات
١٤٢	عبدالله بن مظعون الجمحيّ	٢٨
١٤٣	عبدالله بن ياسر	٤٥٨، ٢٩٢، ٢٩١
١٤٤	عبدالمطلب	٢٤٧، ٢٣٠، ١٤٣، ٥٣، ٣٤
١٤٥	عبد مناف	٣٣، ٨٠، ١٨٧، ١٩٧، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٧٢، ٤٢٥، ٤٢٠
١٤٦	ابن عبدياليل بن عبد كلال	٥٧١
١٤٧	عبد ياليل بن عمرو بن عمير	١٤٦
١٤٨	عبيد الله بن جحش	٤٦٧
١٤٩	أبو عبيدة بن الجراح	٢٧
١٥٠	عبيدة بن الحارث	٢٨
١٥١	أم عبيس (زوجه كريز بن ربيعة)	٤٦١، ٤٦٠
١٥٢	عتبة بن ربيعة	٤٧، ٥٢، ٥٣، ١٢٩، ١٧٠، ٢٢٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٦، ٢٨٥، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٥، ٥٠٧، ٤٦٣
١٥٣	عثمان بن عفان	٢٧، ٢٩١، ٤٦٥
١٥٤	عثمان بن مظعون	٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٤٣٩، ٤٦٦
١٥٥	عداس (من علماء التوراة) في عهد (الرسول - ﷺ -)	١١١، ١٢٩، ٤٨١
١٥٦	عديّ بن كعب (أحد بطون قريش يقال لهم: بنوعديّ)	٣٣، ٢٨٤

م	الإسم	الصفحات
١٥٧	عروة بن الزبير	٢٧٣، ٢٦٢، ٢٦٠، ٢٢٤
١٦٨	عروة بن مسعود	١٤٤
١٥٩	عقبة بن أبي معيط	٨٤، ٨٥، ١٦٥، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٩، ٤٢٢، ٥٣٤
١٦٠	عقيل بن أبي طالب	٤٢٠
١٦١	علي بن أبي طالب	٢٥، ٢٦، ٥٩، ١٠٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٧، ٥٦٦
١٦٢	عمار بن ياسر	٩، ٢٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ٢١٦، ٢٤٢، ٢٩١، ٢٩٢، ٣٩٩، ٤٥٨، ٤٦٦، ٤٧٠، ٥٣٤، ٥٦٦
١٦٣	عمارة بن الوليد	٤٩، ٥٠
١٦٤	عمر بن الخطاب	٦٥، ٩٦، ١٠١، ١١٦، ١٣٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٠، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٧٠
١٦٥	عمرو بن أمية الضمري	٥٦٥
١٦٦	عمرو بن العاص بن وائل السهمي	٥٧، ١٣٣، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٧٣، ٢٨٦
١٦٧	عمرو بن كلثوم (الشاعر)	٢٠٥
١٦٨	عمرو بن هند	٢٠٤
١٦٩	عمير بن أبي وقاص	٢٩

م	الإسم	الصفحات
١٧٠	عياش بن أبي ربيعة	٢٥٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٠
١٧١	عيسى بن مريم (عليهما السلام)	٥٣٦ ، ٣٢٨ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٤٣
١٧٢	عبيدة بن حصن الفزاري	١٥٠ ، ١٤٩
١٧٣	غوستاف لوبون (مستشرق)	٤٩٩ ، ٤٨٦ ، ٤٨٣
١٧٤	فاطمة (بنت الخطاب)	٢٨٣ ، ٢٨
١٧٥	فاطمة بنت (محمد - ﷺ -)	٤٢٢ ، ٢٧١ ، ٢٦٤ ، ٢٢٨ ، ٣٤
١٧٦	فيليب إيرلتجي (مستشرق)	٤٩٢
١٧٧	أبو حنيفة (والد أبي بكر الصديق)	٤٥٩ ، ٢٧٩ ، ٢٥٩ ، ١٠١
١٧٨	القرطبي (المفسر)	٥٣٤
١٧٩	قس بن ساعدة الإيادي	٣٥
١٨٠	قصي بن كلاب	٤١٨ ، ٢٣٦ ، ١٨٥ ، ١٧٢
١٨١	ابن القيم	٣٨٨
١٨٢	كارل بروكلمان (مستشرق)	٤٩٨ ، ٤٨٩
١٨٣	كافنيسكي (مستشرق)	٤٨٩
١٨٤	ابن كثير	٥٦١ ، ١٥٠
١٨٥	كعب الأحبار	٤٨٤
١٨٦	كعب بن لؤي	٤٥٠
١٨٧	كلدة بن أسيد بن خلف	٢١١
١٨٨	كمال أتاتورك	٥٠٨
١٨٩	كيسلنج (مستشرق)	٤٨٢

م	الإسم	الصفحات
١٩٠	ليبيد بن ربيعة (الشاعر)	٣٢٢، ٢٩٤، ١٣٣
١٩١	لبينة (جارية ابن المؤمل)	٤٦١
١٩٢	أبولهب	١٢٧، ١٢٣، ١٢٢، ١١٣، ٩٥، ٣٦، ٣٣، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٢٨، ٢٠٦، ١٩٨، ١٢٨
١٩٣	لوط (عليه السلام)	٤٤٩، ٤٤٨، ٣٤٥
١٩٤	ليلي بنت أبي حثمة	٢٨٣، ٢٨٢
١٩٥	ليوبولد فايس	٥٢٣
١٩٦	ابن ماجة	٢٣٩
١٩٧	بنو مالك بن أقيش	١٢٨
١٩٨	المتلمس (الشاعر)	٢٠٤
١٩٩	محمد رشيد رضا	٥١٩
٢٠٠	محمد بن عبدالله - <small>عليه السلام</small>	٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٦، ١٣، ١٢، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٢، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣٠، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١، ٤٩، ٤٦، ٤٥، ٣٩، ٣٧، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٨، ٥٦، ٨٦، ٨٤، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ١٠٠، ٩٩، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٩١، ٩٠، ٨٧، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ١١٥، ١١٤، ١١٣، ١١٢، ١١١، ١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢٠، ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٣، ١٣٢، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٦، ١٤٧، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٤، ١٥٣، ١٥١، ١٤٩، ١٤٨

الصفحات	الإسم	م
<p>،١٦٧،١٦٦،١٦٥،١٦٤،١٦٣،١٦٠ ،١٧٥،١٧٤،١٧٣،١٧٢،١٧١،١٧٠،١٦٨ ،١٨٤،١٨٣،١٨٢،١٨١،١٧٩،١٧٨،١٧٧،١٧٦ ،١٩٦،١٩٥،١٩١،١٨٩،١٨٧،١٨٦،١٨٥ ،٢٠٦،٢٠٤،٢٠٢،٢٠١،٢٠٠،١٩٩،١٩٨،١٩٧ ،٢١٥،٢١٤،٢١٣،٢١٢،٢١١،٢١٠،٢٠٧ ،٢٢٧،٢٢٦،٢٢٥،٢٢٤،٢٢٢،٢٢١،٢٢٠،٢١٦ ،٢٣٥،٢٣٤،٢٣٣،٢٣٢،٢٣١،٢٣٠،٢٢٩،٢٢٨ ،٢٤٧،٢٤٤،٢٤٢،٢٤١،٢٤٠،٢٣٩،٢٣٦ ،٢٥٩،٢٥٨،٢٥٧،٢٥٦،٢٥٥،٢٥٣،٢٥٢،٢٤٨ ،٢٦٧،٢٦٦،٢٦٤،٢٦٣،٢٦٢،٢٦١،٢٦٠ ،٢٧٢،٢٧١،٢٦٨ ،٢٨١،٢٨٠،٢٧٧،٢٧٦،٢٧٥،٢٧٤،٢٧٣ ،٢٩٢،٢٩١،٢٩٠،٢٨٩،٢٨٦،٢٨٥،٢٨٤،٢٨٢ ،٣١٤،٣١٣،٣١٢،٣١١،٣١٠،٣٠٧،٢٩٧،٢٩٤ ،٣٢٢،٣٢١،٣٢٠،٣١٩،٣١٨،٣١٧،٣١٦،٣١٥ ،٣٣٢،٣٣٠،٣٢٩،٣٢٧،٣٢٦،٣٢٥،٣٢٤،٣٢٣ ،٣٥٩،٣٥٨،٣٥٥،٣٤٤،٣٤١،٣٤٠،٣٣٩،٣٣٨ ،٣٦٧،٣٦٦،٣٦٥،٣٦٤،٣٦٣،٣٦٢،٣٦١،٣٦٠ ،٣٩٧،٣٩٦،٣٩٤،٣٩٠،٣٧٦،٣٧٥،٣٧٢،٣٦٩ ،٤٠٨،٤٠٧،٤٠٥،٤٠٣،٤٠٢،٣٩٩،٣٩٨ ،٤١٧،٤١٥،٤١٤،٤١٣،٤١٢،٤١١،٤١٠،٤٠٩ ،٤٢٤،٤٢٣،٤٢٢،٤٢١،٤٢٠،٤١٩،٤١٨</p>	<p>محمد بن عبدالله - <small>رضي الله عنه</small> -</p>	<p>-</p>

م	الإسم	الصفحات
-	محمد بن عبدالله - <small>رضي الله عنه</small>	،٤٣٤،٤٣٣،٤٣١،٤٣٠،٤٢٩،٤٢٨،٤٢٧،٤٢٦ ،٤٤١،٤٣٦،٤٣٥ ،٤٤٨،٤٤٧،٤٤٦،٤٤٥،٤٤٤،٤٤٣،٤٤٢ ،٤٥٩،٤٥٧،٤٥٦،٤٥٣،٤٥٢،٤٥١،٤٥٠،٤٤٩ ،٤٦٩،٤٦٨،٤٦٧،٤٦٥،٤٦٤،٤٦٣،٤٦٢ ،٤٨٤،٤٨٣،٤٨٢،٤٨١،٤٨٠،٤٧٩،٤٧٣،٤٧٠ ،٤٩٢،٤٩١،٤٩٠،٤٨٩،٤٨٨،٤٨٧،٤٨٦،٤٨٥ ،٤٩٩،٤٩٨،٤٩٧،٤٩٦،٤٩٥،٤٩٤،٤٩٣ ،٥٢٢،٥١٧،٥١٥،٥٠٧،٥٠٣،٥٠٢،٥٠١،٥٠٠ ،٥٣٢،٥٣٠،٥٢٩،٥٢٨،٥٢٦،٥٢٤،٥٢٣ ،٥٥٢،٥٤٩،٥٤٨،٥٣٧،٥٣٦،٥٣٥،٥٣٤،٥٣٣ ،٥٧٠،٥٦٧،٥٦٦،٥٦٣،٥٥٨،٥٥٥،٥٥٤ ٥٧٨،٥٧٥،٥٧٤،٥٧٣،٥٧١
٢٠١	محمد عبده	٥١٩ ، ٥١٨ ، ٥١٧
٢٠٢	محمد قطب	٥٠٨
٢٠٣	محمد بن كعب القرظي	٢٩٢
٢٠٤	مرجليوث (مستشرق)	٤٩٦
٢٠٥	مسعود بن عمرو بن عمير	١٤٦
٢٠٦	مسلم	،٢٠٨ ، ١٢٦ ، ١١٦ ، ١٠٢ ، ٩٦ ، ٩٤ ، ٧٨ ، ٧٧ ٢٩٨،٢٦٤
٢٠٧	مصعب بن عمير	٤٧٠ ، ٤٦٩ ، ٤٦٨
٢٠٨	المطعم بن عدي	٤٥٠ ، ٤٢٤
٢٠٩	المغيرة بن شعبة	٥٦٦،٢٣٦ ، ٢٣٥

م	الإسم	الصفحات
٢١٠	المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم	٢٥٠
٢١١	المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي	٢٤٢
٢١٢	المقريزي	٣٦
٢١٣	ابن أم مكتوم	٤٧٠، ٤٦٨
٢١٤	منبه بن الحجاج	٢٢٩، ١٧١
٢١٥	ابن منظور	٢١٩، ٢١٨
٢١٦	المهدي (المنتظر)	٥٢٧
٢١٧	موسى (عليه السلام)	٥٢٠، ٤٨٢، ٣٢٩، ٣٢٨، ١٨٦، ١٨٥، ١٧٦، ٢١ ٥٧٠، ٥٣٦
٢١٨	مونتجمري وات (مستشرق)	٤٨٧، ٤٨٣
٢١٩	نبيه بن الحجاج	٢٢٩، ١٧١
٢٢٠	النجاشي	٢٦٧، ٢٥٤، ٢٤٧، ١٣٤، ١٣٣، ٥٨، ٥٧، ٥٦
٢٢١	النضر بن الحارث	٢٢٩، ٢٠٩، ١٦٥، ١٥٧، ١٥٦، ١١٧، ١١١ ٥٣٤، ٣٩١
٢٢٢	نعيم بن النحام	٢٧٢، ٢٧١
٢٢٣	النهدية (نسبة إلى نبي بني نهد ابن زيد)	٤٦١
٢٢٤	نوح (عليه السلام)	٣٩٦
٢٢٥	نوفل بن خويل بن العدوية	٤٢٣، ٢٧٥
٢٢٦	النوي	٥٠٤

م	الإسم	الصفحات
٢٢٧	هاشم	٥٣، ١٢٧، ٤٤٦، ٥٣٣
٢٢٨	هرقل	١٤٧، ١٤٨
٢٢٩	هرمان اشتيجلكر (مستشرق)	٥٣٦
٢٣٠	أبوهريرة	٣٣، ٧٧، ٥٦٧، ٥٦٤، ٥٥٩، ٥٠٤، ٢٢٨، ١٠٤، ٩٩، ٧٨
٢٣١	ابن هشام	١٣، ٣٦، ٤٩، ٥٢، ٥٦، ٨٠، ٨٢، ١٢٤، ١٢٥، ٢٢٥، ٢٧٢، ٤١٧، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٦١، ٥٠٧
٢٣٢	هشام بن العاصي بن وائل	٢٥٠، ٢٥١
٢٣٣	هنري ماسيه (مستشرق)	٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣٠، ٥٣٦
٢٣٤	ورقة بن نوفل	٢١، ٢٢، ٤٨٤
٢٣٥	ولهوسن (مستشرق)	٥٢٧
٢٣٦	وليام موير (مستشرق)	٤٨٨
٢٣٧	الوليد بن المغيرة	٤٧، ٥٢، ٩٢، ١٠١، ١٠٢، ١٠٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٤، ١٧١، ١٨٧، ٢١٤، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٦٥، ٢٧٨، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٨٠، ٤٢٣، ٥٣٤
٢٣٨	ياسر بن عامر بن مالك	٢٩١، ٢٩٢، ٤٣٠، ٥٣٤
٢٣٩	يسار (عالم بالتوراة في زمن الرسول - ﷺ -)	١١٠، ١١١، ٤٨١
٢٤٠	يعقوب (عليه السلام)	٥٦٠

الصفحات	الإسم	م
١١٠	يعيش (عالم بالتوراة في زمن الرسول - ﷺ -)	٢٤١
٥٦٠ ، ٤٢١	يوسف (عليه السلام)	٢٤٢
٥٦٤	يوسف القرضاوي	٢٤٣
١٢٩	يونس بن متى (عليه السلام)	٢٤٤

فهرس المرجع

- ١- أحمد بن حنبل، المسند، إشراف د.سمير طه المجذوب، إعداد: محمد سمارة وزملاؤه، ط:١، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٢- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: العلامة أحمد محمد شاكر.
- ٣- أحمد بن شعيب النسائي، السنن، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، ط:٤، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٤- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الاحتجاج بالقدر، ط: ٢ المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ٥- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: د. ناصر العقل، ط:١، مطبعة العبيكان، الرياض، ١٤٠٤هـ.
- ٦- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الفتاوى، جمع وتقديم عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط: المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، مكتبة المعارف، الرباط.
- ٧- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، النبوات، تحقيق: محمد عوض، ط:١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.
- ٨- أحمد عبدالحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ط:٢، المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ.
- ٩- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ط: ١، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٣٩٦هـ.
- ١٠- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ١١- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط:١، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٣٩٣هـ.

- ١٢- أحمد بن علي بن عبدالقادر المقرئ، إمتاع الأسماع بما للنبي - ﷺ - من الأنبياء والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد النميسي وزميله، ط: ١، دار الأنصار، القاهرة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ١٣- أحمد بن علي الموصلي (أبو علي)، المسند، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، ط: ١، دار القبة للثقافة الإسلامية، جدة ومؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ١٤- أحمد بن محمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٥- أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ١٦- اسماعيل بن عمر (ابن كثير)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم وزملاؤه، ط: ١، دار أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ١٧- اسماعيل بن عمر (ابن كثير)، تفسير القرآن العظيم، أشرف على تصحيحه: علي شيري، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٨- أنور الجندي، مقدمات في العلوم والمناهج، ط: دار الأنصار، القاهرة.
- ١٩- التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية، سنة ١٩٧٨م، ونشرته دار marc للنشر.
- ٢٠- التهامي نقرة وآخرون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، طبعة عام ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٢١- جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٢- جرجيس صال، مقالة في الإسلام، تعريب: هاشم العربي، طبعة عام ١٨٩٠م.
- ٢٣- جمعة أمين عبدالعزيز، الدعوة قواعد وأصول، ط: ٢، دار الدعوة، الإسكندرية ١٤٠٩هـ.

- ٢٤ - جميل بن عبدالله المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ط: ١، المدينة المنورة، ١٤٠٧هـ.
- ٢٥- جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى وزملاؤه، ط: دار الرائد العربي، بيروت.
- ٢٦- حسن ضياء الدين عتر، وحي الله، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، نقض مزاعم المستشرقين، ط: عام ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ٢٧- الحسن بن محمد الحسين النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: إبراهيم عطوة، ط: ١، شركة: مكتبة ومطبعة البابلي الحلبي، مصر، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- ٢٨- حسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داوودي، ط: ١، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٢٩- حسين الهراوي، المستشرقون والإسلام، ط: ١، دار المنار، مصر ١٣٥٥هـ.
- ٣٠- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط: ١٠، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢هـ.
- ٣١- رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدا المكي منهاجها وغاياتها، ط: ٣، دار القلم، الكويت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٣٢- الزبير بن بكار، جمهرة نسب قریش وأخبارها، تحقيق وشرح: محمود محمد شاکر، مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٣٨١هـ.
- ٣٣- سعد إسماعيل شلبي، منهاج الأدب ومصادره، واختيار البحوث وإعدادها، ط: ١، دار التركي للطباعة، مصر، ١٤٠٥هـ.
- ٣٤- سعد الدين صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ط: ٢، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الزقازيق، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٣٥- سيديو، تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، ط: ٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، ١٣٨٩هـ.

- ٣٦- صالح أحمد الشامي، من معين السيرة، ط: ١، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- ٣٧- صالح بن فوزان الفوزان، بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل، ودحض الشبهات التي أثيرت حوله، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- ٣٨- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، طبعة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ٣٩- ضابط تركي سابق، الرجل الصنم كمال أتاتورك، ترجمة: عبدالله عبدالرحمن، ط: ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٤٠- عاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط: ١، دار مكة للنشر، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٤١- عبد الخالق سيد، جولة مع المستشرقين، سلسلة دراسات في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٦هـ.
- ٤٢- عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ط: ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ٤٣- عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، أسباب النزول، ط: ١، دار الهجرة، دمشق، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٤٤- عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، ط: ١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٤٥- عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني، تدبر سورة الفرقان، ط: ١، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٤١٢-١٩٩١م.
- ٤٦- عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي، الروض الأنف، مطبعة الجمالية، ١٣٣٢هـ-١٩١٤م.

- ٤٧- عبدالرحمن بن علي (ابن الجوزي)، زاد المسير في علم التفسير، ط: ٤، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٤٨- عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ١٤١٠هـ.
- ٤٩- عبدالعزيز الربيعة، صور من سماحة الإسلام، ط: ٢، مطابع حنيفة للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ٥٠- عبدالكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، طبعة دار الفكر العربي.
- ٥١- عبدالله بن الزبير الحميدي، المسند، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبّي، القاهرة.
- ٥٢- عبدالله بن عباس الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم، وتطور فهمه عند الغرب، ط: ١، نشر مكتبة الإرشاد، جدة، ١٣٩٢هـ.
- ٥٣- عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، السنن الكبرى، ط: ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٥٤- عبدالله ناصح علوان، الإسلام شريعة الزمان والمكان، ط: ١، دار السلام، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٥٥- عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط: ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٥٦- علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد، ط: ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٥٧- علي بن محمد (ابن الأثير)، أسد الغابة في معرفة أحوال الصحابة، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٨- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، ط: ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- ٥٩- علي بن محمد جريشة وزميله، أساليب الغزو الفكري، طبعة عام ١٩٨٧م، القاهرة.
- ٦٠- علي الندوي أبو الحسن، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ط: ٥، دار القلم، دمشق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٦١- عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ١، الرياض ١٤١٣هـ.
- ٦٢- عمر فروخ وزميله، التبشير والإستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٦٣- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعتير، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، مصر.
- ٦٤- فاروق يوسف أحمد، قواعد المنهج العملي، ط: ١، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ٦٥- فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، دار البشير، عمان.
- ٦٦- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار وآخرون، ط: دار المعارف.
- ٦٧- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط: ٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٦٨- لاتيين دينيه، محمد رسول الله، ترجمة: عبدالحليم محمود، ط: دار المعارف.
- ٦٩- ماجد بن محمد الحسيني، قصص وصور من الحقد الدفين في بلاد البوسنة والهرسك، ط: ١، مكتبة الأرقم، القصيم، ١٤١٣هـ.
- ٧٠- محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام "السيرة النبوية"، تحقيق: عمر تدمري، ط: ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٧١- محمد بن أحمد الذهبي، التلخيص المطبوع بهامش المستدرك للحاكم، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

- ٧٢- محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط: ٩ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٧٣- محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ط: ٤، دار ابن كثير واليامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٧٤- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط: ٤، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٧٥- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن الترمذي، ط: ١، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٧٦- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود ط: ١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، والمكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٧٧- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ط: ٣، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٦-١٩٨٨م.
- ٧٨- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن النسائي، ط: ١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، والمكتب الإسلامي، بيروت.
- ٧٩- محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف سنن أبي داود، ط: ١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، والمكتب الإسلامي، بيروت، دمشق ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- ٨٠- محمد أمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، ط: ١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٨١- محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية)، الروح، تحقيق ودراسة: السيد الجميلي، ط: ٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- ٨٢- محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية)، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- ٨٣- محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية)، مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- ٨٤- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٨٥- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٨٦- محمد بن حبان بن أحمد، الثقات، ط: ١، مؤسسة الكتب الثقافية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- ٨٧- محمد بن حبيب البغدادي، المحبر، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتز، المكتب التجاري، بيروت.
- ٨٨- محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ط: ٣، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ٨٩- محمد بن حسين البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٩٠- محمد الطاهر (ابن عاشور)، التحرير والتنوير، ط. الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا.
- ٩١- محمد بن عبد الباقي الزرقاني، شرح المواهب اللدنية، ط: ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- ٩٢- محمد بن عبدالله ابن العربي المالكي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٩٣- محمد عزت الطهطاوي، التبشير والاستشراق، أحقاد وحملات، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٣هـ.
- ٩٤- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ط: ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٩٥- محمد بن علي الصابوني، قبس من نور القرآن الكريم، ط: ١، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٩٦- محمد بن عمر الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط: ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٩٧- محمد بن عمر الواقدي، المغازي النبوية، ط: ٣، عالم الكتب، ١٤٠٤هـ.
- ٩٨- محمد الغزالي، فقه السيرة، ط: ٢، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ.
- ٩٩- محمد الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ط: ١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.
- ١٠٠- محمد قطب، واقعا المعاصر، ط: ١، مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤٠٧هـ.
- ١٠١- محمد بن محمد ابن سيد الناس، عيون الأثر، تحقيق: د. محمد الخطراوي ومحي الدين متو، ط: ١، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ودار ابن كثير، دمشق، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ١٠٢- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ١٠٣- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط: دار الحديث، القاهرة.
- ١٠٤- محمد بن يوسف الدمشقي، سبل الهدى والرشاد، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- ١٠٥- محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط: إدارة الطباعة المصطفائية، ديوبند الهند.
- ١٠٦- محمود حمدي زقزوق، الإسلام في تصورات الغرب، ط: ١، مكتبة وهبة، مصر، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ١٠٧- محمود حمدي زقزوق، الإسلام في الفكر الغربي، ط: دار القلم، الكويت.

- ١٠٨- مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
- ١٠٩- مصطفى غزال، دعوة جمال الدين الأفغاني، ط:١، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- ١١٠- المصعب الزبييري، نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط:٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ١١١- منير محمد عضبان، فقه السيرة النبوية، ط:١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- ١١٢- مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط:١، مركز الملك فيصل للبحوث العلمية، الرياض، ١٤١٢هـ.
- ١١٣- مونتجمري وات، محمد في المدينة، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت.
- ١١٤- مونتجمري وات، محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت.
- ١١٥- نجيب العقيقي، المستشرقون، ط:٤، دار المعارف، القاهرة.
- ١١٦- هنري ماسيه، الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، ط:٢، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧٧م، باريس.
- ١١٧- يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، ط. دار الريان للتراث، مصر ١٤٠٧هـ.
- ١١٨- يوسف بن عبدالله ابن عبدالبر، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، المطبوع بهامش الإصابة لابن حجر، ط:١، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

١١٩- يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ط:٧، مؤسسة الرسالة،
بيروت، ١٤٠٩-١٩٨٩م.

فهرس الموضوعات

الصفحات	الموضوعات	م
١	- المقدمة.	
١	- التوطئة.	
٤ - ٢	- أهمية الموضوع وسبب اختياره.	
٤	- تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً.	
١٠ - ٥	- أهم الدراسات السابقة.	
١٠	- أهم النتائج.	
١١	- المشكلة البحثية وتساؤلات الدراسة.	
١٢	- حدود البحث الزمنية.	
١٢	- نوع الدراسة ومنهج البحث.	
١٥ - ١٢	- منهج الباحث وطريقته في بحثه.	
١٥	- الصعوبات التي واجهت الباحث.	
١٦	- شكر وتقدير.	
١٧	الفصل التمهيدي: وفيه مبحثان رئيسان.	
١٨	١- بداية الدعوة ، وتتضمن عدة مباحث وهي:	
٢٠ - ١٨	- البعثة النبوية.	
٢٢ - ٢٠	- بدء الوحي.	
٢٣ - ٢٢	- فترة الوحي.	
٢٣	- المقصود بهذه الفترة.	
٢٤ - ٢٣	- الحكمة من هذه الفترة.	
٢٤	- عودة الوحي وتتابعه.	

م	الموضوعات	الصفحات
٢	<ul style="list-style-type: none"> - المرحلة السرية. - المقصود بهذه المرحلة. - الحكمة من هذه السرية. - المرحلة الجهرية. ٢- موقف قريش من الدعوة في بدايتها. 	<p>٢٥ - ٣٠</p> <p>٣٠</p> <p>٣١ - ٣٢</p> <p>٣٢ - ٣٤</p> <p>٣٥ - ٣٧</p>
٢	<p style="text-align: center;">الفصل الأول</p> <p style="text-align: center;">أساليب المشاركين في العهد المكي.</p> <p style="text-align: center;">وفيه تمهيد ومبحثان:</p> <p style="text-align: center;">التمهيد.</p> <p style="text-align: center;">المبحث الأول: الأساليب القولية في الصد عن الدعوة</p> <p style="text-align: center;">وفيه تمهيد، وخمسة مطالب:</p> <ul style="list-style-type: none"> - تمهيد. - المطلب الأول: أساليب الترغيب. - المطلب الثاني: أساليب الترهيب. - المطلب الثالث: أساليب التشوية. - المطلب الرابع: أساليب التعجيز. - المطلب الخامس: أساليب التخذيل. <p style="text-align: center;">المبحث الثاني: الأساليب العملية، وفيه تمهيد ومطلبان:</p> <ul style="list-style-type: none"> - التمهيد. المطلب الأول: أساليب المشاركين العملية العامة وفيه ثلاثة مقاصد: - المقصد الأول: أسلوب المقاطعة العامة. 	<p>٣٨</p> <p>٣٩-٤٠</p> <p>٤١</p> <p>٤٢</p> <p>٤٣-٦٩</p> <p>٧٠-٨٧</p> <p>٨٨-١٦١</p> <p>١٦٢-١٨٩</p> <p>١٩٠-٢٣٧</p> <p>٢٣٨</p> <p>٢٣٩-٢٤٤</p> <p>٢٤٥-٢٤٦</p> <p>٢٤٧-٢٤٨</p>

م	الموضوعات	الصفحات
	- المقصد الثاني: أسلوب المنع من الهجرة.	٢٤٩-٢٥١
	- المقصد الثالث: أسلوب الملاحقة خارج مكة.	٢٥٢-٢٥٥
	المطلب الثاني: أساليب المشركين العملية الخاصة.	
	وفيه مقصدان:	٢٥٦-٢٥٧
	- المقصد الأول: أساليبهم العملية الخاصة تجاه الرسول -ﷺ-	٢٥٨
	- الأسلوب الأول: أسلوب الاعتداء الجسدي:	٢٥٩
	- الضرب.	٢٥٩-٢٦٢
	- الخنق.	٢٦٢-٢٦٣
	- وضع سلا الجزور عليه.	٢٦٣-٢٦٥
	- التقل في وجهه.	٢٦٥-٢٦٧
	- نثر التراب عليه.	٢٦٧
	الأسلوب الثاني: أسلوب محاولة قتله -ﷺ-.	٢٦٨-٢٧٤
	المقصد الثاني: أساليبهم العملية الخاصة تجاه المدعوين:	٢٧٥
	- أولاً: أبوبكر الصديق.	٢٧٥-٢٨١
	- ثانياً: عمر بن الخطاب.	٢٨٢-٢٨٥
	- ثالثاً: بلال بن رباح.	٢٨٦-٢٨٨
	- رابعاً: خباب بن الأرت.	٢٨٩-٢٩٠
	- خامساً: آل ياسر.	٢٩١-٢٩٣
	- سادساً: عثمان بن مظعون.	٢٩٤-٢٩٥
	- سابعاً: عبدالله بن مسعود.	٢٩٦
	- ثامناً: أبوذر الغفاري.	٢٩٧-٢٩٩

م	الموضوعات	الصفحات
	الفصل الثاني	
	منهج الدعوة في مواجهة أساليب المشركين	
	في العهد المكي	
٣٠٠	وفيه تمهيد ومبحثان:	
٣٠١	- التمهيد.	
٣٠٢	- المبحث الأول: منهج الدعوة القولي في مواجهة أساليب المشركين وفيه ثلاثة مطالب:	
٣٠١	المطلب الأول : منهج القرآن القولي في مواجهة أساليب المشركين، وفيه تمهيد ومقصدان:	
٣٠٥-٣٠٤	- التمهيد.	
٣٠٧-٣٠٦	- المقصد الأول : المواجهة القرآنية القولية المباشرة، وفيها عدة أساليب:	
٣٠٩-٣٠٨	١- أساليب البيان:	
٣٢٦-٣١٠	- أسلوب بيان الحقيقة.	
٣٤٧-٣٢٧	- أسلوب بيان الحكمة.	
٣٥٦-٣٤٨	- أسلوب بيان القدرة.	
٣٥٨-٣٥٧	٢- أسلوب التسلية:	
٣٦٠-٣٥٩	- التسلية عن طريق ذكر حال إخوانه المرسلين قبله.	
٣٦٥-٣٦١	- التسلية عن طريق البشرى بالنصر العاجل والآجل.	
٣٦٧-٣٦٦	- التسلية عن طريق الوعد بالعون والمساعدة والنصر.	

م	الموضوعات	الصفحات
	٣- أسلوب التحدي:	٣٦٨-٣٧٠
	- المرتبة الأولى: التحدي بكل القرآن.	٣٧٠
	- المرتبة الثانية: التحدي بعشر سور مثله.	٣٧١
	- المرتبة الثالثة: التحدي بسورة واحدة.	٣٧١
	- المرتبة الرابعة: التحدي بحديث مثله.	٣٧١-٣٧٢
	٤- أسلوب التشوية:	٣٧٣-٣٧٤
	- وصفهم بالضلال.	٣٧٤-٣٧٥
	- وصفهم بالظلم والزور.	٣٧٦-٣٧٧
	- تشبيههم بالأنعام، بل بأضل منها.	٣٧٨-٣٧٩
	- وصفهم بأوصاف دنيئة تطابق حالهم، وتليق بمقامهم.	٣٨٠-٣٨٤
	٥- أسلوب التهديد:	٣٨٥-٣٨٦
	- التهديد المعجل.	٣٨٧-٣٨٩
	- التهديد المؤجل.	٣٩٠-٣٩٢
	المقصد الثاني: المواجهة القرآنية القولية غير المباشرة	
	(التوجيهية) وفيها عدة أساليب:	٣٩٣-٣٩٥
	١- أسلوب الأمر بالصبر.	٣٩٦-٣٩٧
	٢- أسلوب النهي عن طرد المؤمنين.	٣٩٨-٤٠١
	٣- أسلوب الأمر بالإعراض عن المشركين.	٤٠٢-٤٠٩
	٣- أسلوب الأمر بالبراءة من المشركين.	٤١٠-٤١٣

م	الموضوعات	الصفحات
	المطلب الثاني: منهج الرسول -ﷺ- القولي في مواجهة أساليب	
٤١٥-٤١٤	المشركين، وفيه مقصدان:	
	المقصد الأول: المواجهة النبوية القولية المباشرة،	
٤١٧-٤١٦	وفيها عدة أساليب:	
٤١٩-٤١٧	١- أسلوب البيان.	
٤٢٠-٤١٩	٢- أسلوب التوبيخ.	
٤٢٠	٣- أسلوب التفويض.	
٤٢١-٤٢٠	٤- أسلوب الإصرار.	
٤٢٣-٤٢١	٥- أسلوب الدعاء.	
٤٢٦-٤٢٣	٦- أسلوب التهديد.	
	المقصد الثاني: المواجهة النبوية القولية غير المباشرة (التوجيهية)	
٤٢٨-٤٢٧	وفيها أسلوبان:	
٤٢٨	١- أسلوب الأمر بالصبر:	
٤٣٠-٤٢٩	- الأمر بالصبر عن طريق البشرى.	
٤٣٢-٤٣١	- الأمر بالصبر عن طريق ذكر حال المؤمنين السابقين.	
٤٣٣	٢- أسلوب الأمر بالهجرة.	
٤٣٤	- الهجرة إلى الحبشة.	
٤٣٥-٤٣٤	- الهجرة إلى المدينة.	
	المطلب الثالث: منهج الصحابة-رضوان الله عليهم- القولي	
٤٣٧-٤٣٦	في مواجهة أساليب المشركين، وفيه أسلوبان:	
٤٣٩-٤٣٨	١- أسلوب العتاب.	
٤٤٠	٢- أسلوب الإعراض عن الجاهلين.	

م	الموضوعات	الصفحات
	المبحث الثاني: منهج الدعوة العملي في مواجهة أساليب المشركين. وفيه مطلبان:	
٤٤٢-٤٤١		
	المطلب الأول: منهج الرسول - ﷺ - العملي في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي. وفيه عدة أساليب:	
٤٤٤-٤٤٣		
٤٤٧-٤٤٥	١- أسلوب الصبر.	
٤٥١-٤٤٨	٢- أسلوب طلب الجوار.	
٤٥٣-٤٥٢	٣- أسلوب الهجرة.	
	- المطلب الثاني: منهج الصحابة - رضوان الله عليهم - في مواجهة أساليب المشركين في العهد المكي، وفيه عدة أساليب:	
٤٥٥-٤٥٤		
٤٥٨-٤٥٦	١- أسلوب الصبر.	
٤٦١-٤٥٩	٢- أسلوب شراء المعذبين من المملوكين وعتقهم.	
٤٦٣-٤٦٢	٣- أسلوب استخدام القوة.	
٤٦٤	٤- أسلوب الهجرة:	
٤٦٨-٤٦٥	- الهجرة إلى أرض الحبشة.	
٤٧٠-٤٦٨	- الهجرة إلى المدينة.	
	الفصل الثالث	
	مظاهر أساليب مشركي مكة في العصر الحاضر وطرق مواجهتها.	
٤٧١		
	وفيه تمهيد ومبحثان:	
٤٧٤-٤٧٢		
	- التمهيد.	
٤٧٦-٤٧٥		
	- المبحث الأول: مظاهر الأساليب وفيه مطلبان:	

م	الموضوعات	الصفحات
	- المطلب الأول: المظاهر القولية:	٤٧٨-٤٧٧
	أ- أساليب التشوية.	٥٠٤-٤٧٩
	ب- أساليب الترغيب.	٥٢٠-٥٠٥
	ج- أساليب الاستهزاء والسخرية.	٥٣٨-٥٢١
	- المطلب الثاني: المظاهر العملية:	٥٣٩
	أ- أسلوب التعذيب.	٥٤٣-٥٤
	ب- أسلوب القتل.	٥٤٦-٥٤٤
	المبحث الثاني: طرق مواجهة مظاهر أساليب مشركي مكة في العصر الحاضر، وتتكون من:	٥٤٨-٥٤٧
	١- السير على منهج الدعوة في مواجهتها لأساليب المشركين في العهد المكي.	٥٤٩
	أ- منهج القرآن الكريم.	٥٥١-٥٥٠
	ب- منهج الرسول -ﷺ-.	٥٥٣-٥٥٢
	ج- منهج الأتباع -رضوان الله عليهم	٥٥٤
	٢- نشر الدعوة الإسلامية، وتوضيح حقيقتها، وإبراز معالمها بصورة واضحة:	٥٥٥
	أ- ردّ الشبهات وتفنيدها.	٥٦٢-٥٥٦
	ب- بيان سماحة الإسلام.	٥٦٩-٥٦٣
	٣- الصبر.	٥٧٢-٥٧٠

م	الموضوعات	الصفحات
	الخاتمة	
	وفيها:	
	عرض إجمالي لأهم ماتضمنته البحث من مباحث.	٥٧٣-٥٧٥
	النتائج.	٥٧٥-٥٧٨
	التوصيات.	٥٧٨-٥٧٩
	الفهارس:	٥٨٠
	١- فهرس الآيات القرآنية.	٥٨١-٦١٧
	٢- فهرس الأحاديث والآثار.	٦١٨-٦٣٠
	٣- فهرس الأعلام.	٦٣١-٦٤٨
	٤- فهرس المراجع.	٦٤٩-٦٥٩
	٥- فهرس الموضوعات.	٦٦٠-٦٦٨